

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

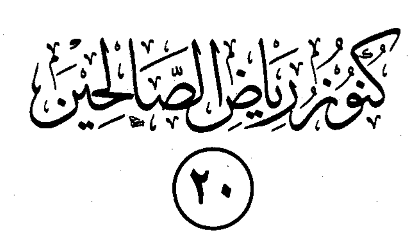
الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد العشرون



بسم الله الرحمن الرحيم


كنوز رياض الصالحين
٢٠

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٠٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٤-١٤-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢٠)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

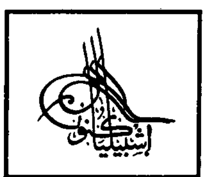
ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٤-١٤-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢٠)

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠



E-mail: eshbelia@hotmail.com

٣٠٥- باب تحريم تصوير الحيوان في بساط

أو حجر أو ثوب أو درهم أو مخدة أو دينار أو وسادة وغير ذلك وتحريم اتخاذ الصور في حائط وسقف وستر وعمامة وثوب ونحوها والأمر بإتلاف الصورة

الحديث رقم (١٦٨٠)

١٦٨٠- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: ((**إنَّ الَّذينَ يَصْنَعُونَ هذهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**)). متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الصُّور: جمع صُورة: التِّمْثال[2].

الشرح الأدبي

إن من خصائص المسلم أنه يعبد الله وحده ولا يشرك في عبادته أحدا، ولا يوقع نفسه في الشبهات ولا يقترب من مناطق الريب، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، والصور التي يصنعها النحاتون والمثالون، ومَنْ على شاكلتهم قد توحي لصانعها بأنه قادر على بث الروح فيها، لأنه صنع "الهيكل" وهذا من وساوس الشيطان، وأوهام الظنون، وبداية الطريق إلى مفازات الخسران.

ولذلك يبدأ الحديث بالتوكيد، ثم باسم الموصول "الذين"، حيث يندرج في إطاره الآلاف من الذين يقومون بهذا الصنيع، واسم الموصول يجيء للتمييز والتحديد، وقوله: "يصنعون هذه الصور" فيه تفسير لإحساس من يقوم بهذا العمل بأنه صانع، وأن صنعته

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٨/٩٧). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٨٢).

(٢) النهاية في (ص و ر).

دليل قدرة، وأنه يمكن أن يقوده هذا الإحساس إلى الغلو والاعتقاد بأنه خالق لهذا الشيء المصوَّر "المنحوت"، أو المصنوع من المواد البلاستيكية أو الرخامية أو غيرها من أدوات "الفن التشكيلي" أو لعب الأطفال.

ولذلك حدد رسول الله ﷺ المراد عن طريق اسم الإشارة وقال: "هذه الصور"، وما ورد من أول الحديث كله بداية الكلام: حيث إن واسمها وصلة الموصول؛ أما إتمام الكلام المتمثل في خبر "إن". فهو قوله: "يعذبون يوم القيامة"، وصيغة المبني للمجهول: تفيد أنه لا يعذبهم إلا الله، فالفاعل محذوف لأنه معلوم، وفي هذا حث لهؤلاء المصورين والنحاتين، والمثالين على التراجع عن ذلك لأن عملهم هذا سيكون سبباً في هلاكهم وعذابهم، فهم الأخسرون أعمالاً، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾[1].

وإذا كانوا يصنعون هذه التماثيل، وتلك الصور مدفوعين بأوهام الشيطان، بأنهم فنانون قادرون على الخلق والإبداع، فستقام عليهم الحجة يوم القيامة، ويقال لهم وهم يعذبون "أحيوا ما خلقتم"، وفي ذلك غاية التحدي، لأنهم لا يقدرون على خلق ذبابة، ولا على إحياء أنفسهم، وإرجاعها للحياة من جديد، فكيف يبثون الحياة في الجمادات والطيور، والتماثيل الصامتة؟!!.

فقه الحديث

تشتمل هذه الأحاديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- حرمة صناعة التصاوير، وهذا الحكم: متفق عليه بين الفقهاء[2]، والمقصود بالتصاوير التماثيل، وذلك لورود الوعيد الشديد على ذلك، وكون المصورين "أشد

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٩/٢، ومواهب الجليل ٥٥٢/١، والقوانين الفقهية لابن جزي ٢٦٤، والوسيط في المذهب للغزالي ٢٧٧/٥، وشرح صحيح مسلم ٩٠/١٤-٩١، والمغني لابن قدامة ٢١٦/٧، وكشاف القناع ٢٧٩/١.

الناس عذاباً يوم القيامة، وهو محمول على من صنع التمثال ليعبد، أو من قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق الله تعالى واعتقد ذلك، لأنه في الحالين يكون كافراً.

أما من لم يقصد بصنعه العبادة، أو المضاهاة فهو فاسق صاحب ذنب كبير، إلا أنه لا يكفر شأنه في ذلك شأن مرتكبي المعاصي[1].

٢- إن المقصود بالصور المحرمة هي صور الحيوان أو الإنسان، أما تصوير غير الحيوان والإنسان، من شجر أو منزل فجائز اتفاقاً[2]، لما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "فإن كنت لابد فاعلاً فاصنع الشجر، وما لا روح فيه".

ولا فرق في ذلك بين الشجر المثمر، والشجر غير المثمر، خلافاً لمجاهد الذي يرى كراهة تصوير الشجر المثمر[3]، وذلك لحديث أبي هريرة رقم (١٦٨٥).

وقد أجاب الجمهور عن ذلك بأن هذا الحديث محمول على تصوير الحيوان جمعاً بينه وبين الأحاديث الدالة على جواز تصوير الشجر[4].

٣- تحريم بيع هذه التصاوير وشرائها، وذلك لأن هذه الأشياء محرمة، والله سبحانه وتعالى إذا حرم شيئاً حرم ثمنه.

٤- إن المقصود بالتحريم هنا هي الصور الفنية التي يصنعها الإنسان بقدرته الذاتية لأنه في نظر الناس مبدع، قد ضاهى الأصل أو شابه الحقيقة.

أما الصور الآلية التي تلتقطها الآلة، بحيث تنقلها أو تسجلها، أو تحتفظ بها كصورة آلة التصوير، والصور التلفزيونية، وصورة الشريط السينمائية، وصورة الأشعة

---

(١) شرح صحيح مسلم ٩١/١٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ٩١/١٤، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٣٥٢/٥، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٣١/٢، والوسيط للغزالي ٢٧٧/٥.

(٣) المراجع السابقة، المواضع نفسها.

(٤) شرح صحيح مسلم ٩١/١٤، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٣٥٢/٥-٣٥٣، والدين الخالص للسبكي ٢٠٠/٣-٢٠١.

التي تلتقط عن طريق آلة التصوير لرسم الأجزاء الداخلية من جسم الإنسان، أو صورة السونار وهي نوع من التصوير بالأشعة إلا أنه ينقل الصورة من داخل الجسم البشري مع الحركة إلى شاشة التلفزيون، فيمكن بواسطته تصوير الجنين، أو نقل عمل الأجهزة الداخلية للجسم.

فكل هذه الصور مشروعة إذا ما استخدمت في الأمور النافعة، كالإعلام والتعليم والحرب، والأمن، والطب، وغير ذلك، وذلك لأنها في هذه الحالة لا ينطبق عليها وصف من الأوصاف التي تجعلها محرمة من نحو مضاهاة خلق الله تعالى أو تعظيم المخلوقين.

أما إذا استخدمت لأغراض غير نافعة كمجرد التعليق على الجدران، فإنها تكون حراماً، وتكون أشد حرمة إذا كانت للتعظيم، كتعظيم صور الزعماء، والرؤساء، وغيرهم[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان أن المصور أشد الناس عذاباً يوم القيامة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان صور عذاب المصور يوم القيامة.

ثالثاً: من واجبات الداعية: بيان الحكمة من الوعيد الشديد للمصورين يوم القيامة.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

خامساً: من أساليب الدعوة: النداء.

سادساً: من واجبات الداعية: إنكار المنكر حال رؤيته وعدم السكوت عليه.

سابعاً: من آداب المدعو: الاستجابة والطاعة لأمر الله ورسوله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان أن المصور أشد الناس عذاباً يوم القيامة:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله: ﷺ "أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين

---

(١) لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع، انظر: حكم التصوير في الشريعة الإسلامية للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، ص ١٥ وما بعدها، ط٢، ١٤١٥هـ.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٨٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٨١، ١٦٨٢، ١٦٨٣، ١٦٨٤، ١٦٨٥).

يضاهون بخلق الله"، قال النووي: أما رواية: "أشد عذاباً" فقيل هي محمولة على من فعل الصورة لتعبد وهو صانع الأصنام ونحوها فهذا كافر وهو أشد الناس عذاباً، وقيل: هي فيمن قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق الله تعالى واعتقد ذلك فهذا كافر له من أشد العذاب ما للكفار ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره[1]، قال القاضي عياض: "وأما من لم يضاه بذلك خلق الله ولا قصد ولا نواه، فليس يناله هذا الوعيد وإن كان مخطئاً في فعله وعاصياً"[2]، وقال النووي: "هو في ذلك فاسق صاحب ذنب كبير ولا يكفر كسائر المعاصي"[3].

وقال ابن حجر: وقد استشكل كون المصور أشد الناس عذاباً مع قوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[4]. فإنه يقتضي أن يكون المصور أشد عذاباً من آل فرعون، وأجاب الطبري بأن المراد هنا من يصور ما يعبد من دون الله وهو عارف بذلك قاصداً له فإنه يكفر بذلك، فلا يبعد أن يدخل مدخل آل فرعون، وأما من لا يقصد ذلك فإنه يكون عاصياً بتصويره فقط...، وقال أبو الوليد بن رشد في "مختصر مشكل الطحاوي "ما حاصلة: أن الوعيد بهذه الصيغة إن ورد في حق كافر فلا إشكال فيه لأنه يكون مشتركاً في ذلك مع آل فرعون ويكون فيه دلالة على عظيم كفر المذكور، وإن ورد في حق عاص فيكون أشد عذاباً من غيره من العصاه ويكون ذلك دالاً على عظم المعصية. وأجاب القرطبي في "المفهم"[5]: بأن الناس الذين أضيف إليهم "أشد" لا يراد بهم كل الناس بل بعضهم وهم من يشارك في المعنى المتوعد عليه العذاب، ففرعون أشد الناس الذين ادعوا الإلهية عذاباً، ومن يقتدي به في ضلالة كفره أشد عذاباً ممن يقتدي به في ضلالة فسقه ومن صور صورة ذات روح للعبادة أشد عذاباً

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٣٢٣، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦٣٨/٦.

(٢) إكمال المعلم، ٦٣٨/٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، ١٣٢٣.

(٤) سورة غافر، آية: ٤٦.

(٥) المفهم ٤٣١/٥.

ممن يصورها لا للعبادة...، وقال الخطابي: إنما عظمت عقوبة المصور لأن الصور كانت تعبد من دون الله، ولأن النظر إليها يفتن، وبعض النفوس إليها تميل"(١).

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان صور عذاب المصور يوم القيامة:

هذا ما أشارت إليه نصوص الأحاديث الواردة، وفي بيان ذلك قال النووي: (في قوله ﷺ "يقال لهم: أحيوا ما خلقتم" هو الذي يسميه الأصوليون أمر تعجيز، كقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾(٢))(٣)، وفي قوله ﷺ: "كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس فيعذبه في جهنم"، قال القاضي عياض: "يحتمل أن معناها أن الصورة التي صورها هى تعذبه بعد أن يجعل فيها نفس أو روح وتكون الباء في بكل بمعنى في، ويحتمل أن يجعل له بعدد كل صورة ومكانها نفس أي شخص يعذبه، وتكون الباء بمعنى لام السبب أو من أجل"(٤). وفي قوله ﷺ: من صور صورة في الدنيا، كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة، وليس بنافخ"، قال ابن حجر: قال الكرماني: ظاهره أنه من تكليف ما لا يطاق، وليس كذلك وإنما القصد طول تعذيبه وإظهار عجزه عما كان تعاطاه ومبالغة في توبيخه، وبيان قبح فعله. وقوله: "ليس بنافخ" أى لا يمكنه ذلك فيكون معذباً دائماً"(٥)، وفي قوله ﷺ: "فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة"، قال النووي: "أى فليخلقوا ذرة فيها روح تتصرف بنفسها كهذه الذرة التي هى خلق الله تعالى، وكذلك فليخلقوا حبة حنطة أو شعير أو ليخلقوا حبة فيها طعم تؤكل وتزرع وتنبت ويوجد فيها ما يوجد في حبة الحنطة والشعير ونحوهما من الحب الذي يخلقه الله تعالى. وهذا أمر تعجيز"(٦). وقال ابن حجر: والمراد بالحبة حبة

---

(١) فتح الباري ١٠/٣٩٦-٣٩٧.

(٢) سورة هود، آية : ١٣ .

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦/٦٣٧، انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١٣٣٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٣٣٢.

(٥) فتح الباري ١٠/٤٠٨.

(٦) شرح صحيح مسلم ١٣٣٤.

القمح بقرينة ذكر الشعير، أو الحبة أعم، والمراد بالذرة النملة، والغرض تعجيزهم تارة بتكليفهم خلق حيوان وهو أشد وأخرى بتكليفهم خلق جماد وهو أهون، ومع ذلك لا قدرة لهم على ذلك"(١). وقال: (هو أمر تعجيز ...، وهو لا يقدر على ذلك فيستمر على تعذيبه)(٢).

ثالثاً- من واجبات الداعية: بيان الحكمة من الوعيد الشديد للمصورين يوم القيامة:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ: "أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله"، وقوله تعالى: "ومَن أظلمُ ممن ذهبَ يَخلُقُ كخلْقي"، قال القرطبي: "وقد دل هذا الحديث: على أن الذمَّ والوعيد إنما عُلِّق بالمصورين من حيث تشبهوا بالله تعالى في خلقه، وتعاطوا مشاركةً فيما انفرد الله تعالى به من الخلق والاختراع"(٣). فمضاهاة خلق الله هى أصل الحكمة من الوعيد الشديد للمصورين يوم القيامة، "فمن صنع الصورة متحدياً قدرة الخالق عز وجل، ورأى أنه قادر أن يخلق كخلقه، فيريه الله تعالى عجزه يوم القيامة، بأن يكلفه أن ينفخ الروح في تلك الصور ويتأيد التعليل بهذا بأن الله تعالى قال شبيهاً بذلك في حق من ادعى أنه ينزل مثل ما أنزل الله، أنه لا أحد أظلم منه، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾(٤)، فهذا فيمن ادعى مساواة الخالق في أمره ووحيه، والأول فيمن ادعى مساواته في خلقه، وكلاهما من أشد الناس عذاباً(٥).

وهذا "فضلاً عن كون التصوير وسيلة إلى الغلو في غير الله تعالى بتعظيمه حتى يئول الأمر إلى الضلال والافتتان بالصور، فتعبد من دون الله تعالى. وذلك أن

---

(١) فتح الباري ١٠/٣٩٩-٤٠٠.

(٢) فتح الباري ١٠/٣٩٨.

(٣) المفهم ٥/٤٣٢.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٩٣ .

(٥) الموسوعة الفقهية ١٢/١٠٥.

النبي ﷺ بعث والناس ينصبون تماثيل يعبدونها، يزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفى، فجاء الإسلام محطماً للشرك والوثنية، معلناً أن شعاره الأكبر "لا إله إلا الله" ومسفها لعقول هؤلاء. ومن المناهج التي سلكتها الشريعة الحكيمة لذلك -بالإضافة إلى الحجة والبيان والسيف والسنان- أن جاءت إلى ما من شأنه أن يكون وسيلة إلى الضلال ولا منفعة فيه، أو منفعته أقل، فمنعت إتيانه"[١]، قال ابن العربي: "والذي أوجب النهى عنه - أي التصوير- في شرعنا -والله أعلم- ما كانت عليه عبادة الأوثان والأصنام، فكانوا يصورون ويعبدون، فقطع الله الذريعة وحمى الباب. فإن قيل: فقد قال: حين ذمّ الصور وعملها من الصحيح قول النبي ﷺ: ((مَنْ صَوَّرَ صُورَةً عَذَّبَهُ الله حَتَّى يَنْفُخَ فيهَا، يَعْنِي الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ)). وفي رواية الذين يشبهون بخلق الله"[٢]؛ فعلل بغير ما زعمتم. قلنا: نهى عن الصورة، وذكر علة التشبيه بخلق الله، وفيها زيادة علة عبادتهما من دون الله، فنبه على أن نفس عملها معصية، فما ظنك بعبادتها!".

وقد ورد في كتب التفسير شأن ود، ويغوث، ويعوق، ونسرا، وأنهم كانوا أناساً، ثم صوّروا بعد موتهم وعبدوا"[٣].

وفي بيان ذلك قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «صارتِ الأوثان التي كانت في قَوْم نُوح في العرب بعد، أما وُدٌّ فكانت لكلْبٍ بدوْمَةِ الجنْدَل، وأمَّا سُواعٌ فكانت لهُذَيل، وأمَّا يَغوثُ فكانت لمرادٍ، ثم لبني غُطيف بالجوف عند سَبَأ. وأمَّا يَعوق فكانت لهمْدانَ. وأمَّا نَسْرٌ فكانت لِحمير، لآلِ ذي الكَلاع. أسماءُ رجالٍ صالحين من قومِ نوحٍ. فلمَّا هَلكوا أَوْحَى الشَّيْطانُ إلى قومهم أَنِ انْصِبُوا إلى مَجالِسِهِم التي كانوا يَجْلِسون أنْصاباً وَسَمُّوها بأسمائِهِم فَفَعلوا، فلم تُعْبَدْ، حتى إذا هَلَك أُولئك وَتَنَسَّخ العلْم عُبِدت»[٤]. وقال ابن جرير الطبري: "كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح وكان أتباع يقتدون بهم، فلما

---

(١) المرجع السابق ١٠٥/١٢

(٢) أخرجه مسلم ١٦٧١.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي ١٦٠٠/٤.

(٤) جزء من أثر ابن عباس أخرجه البخاري ٤٩٢٠.

ماتوا قال أصحابهم الذين يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم. فصورهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دَبَّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، فعبدوهم"[١].

وقال ابن العربي: (وَقَدْ شَاهَدْت بِثَغْرِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ إذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ صَوَّرُوهُ مِنْ خَشَبٍ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، وَأَجْلَسُوهُ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ بَيْتِهِ وَكَسَوْهُ بِزَّتَهُ إنْ كَانَ رَجُلا وَحِلْيَتَهَا إنْ كَانَتْ امْرَأَةً، وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِ الْبَابَ. فَإِذَا أَصَابَ أَحَدًا مِنْهُمْ كَرْبٌ أَوْ تَجَدَّدَ لَهُ مَكْرُوهٌ فَتَحَ الْبَابَ [عَلَيْهِ] وَجَلَسَ عِنْدَهُ يَبْكِي وَيُنَاجِيهِ بِكَانَ وَكَانَ حَتَّى يَكْسِرَ سَوْرَةَ حُزْنِهِ بِإِهْرَاقِ دُمُوعِهِ، ثُمَّ يُغْلِقُ الْبَابَ عَلَيْهِ وَيَنْصَرِفُ عَنْهُ، وَإِنْ تَمَادَى بِهِمْ الزَّمَانُ يَعْبُدُوهَا مِنْ جُمْلَةِ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ)[٢]. فسداً للذرائع منعت الشريعة الإسلامية التصوير.

"لكن إلى أى مدى أرادت الشريعة المنع من التصوير لتكفل سد الذريعة، هل إلى منع التصوير مطلقاً، أو منع الصور المنصوبة دون غير المنصوبة، أو من الصور المجسمة التي لها ظل، لأنها التي كانت تعبد ؟ هذا موضع الخلاف بين العلماء"[٣].

"وقد كان من العلل التي بنت عليها الشريعة الإسلامية منع التصوير هى مجرد الشبه بفعل المشركين الذين كانوا ينحتون الأصنام ويعبدونها، ولو لم يقصد المصور ذلك، ولو لم تعبد الصور التي يصنعها ، لكن الحال شبيه بالحال كما، كما نهينا عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، لئلا تكون في ذلك مثل من يسجد لها حينئذ"[٤].

فعلى الداعية أن يبين الحكمة من ذكر الوعيد الشديد للمصورين يوم القيامة حتى يجتنب المدعوين ما ورد فيه من أمور تؤدي إلى غضب الله تعالى ونقمته.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٩/٦٢، تفسير القرآن العظيم ٨/٢٣٤.

(٢) أحكام القرآن، ابن العربي ٤/١٦٠٠.

(٣) الموسوعة الفقهية ١٢/١٠٦.

(٤) الموسوعة الفقهية ١٢/١٠٦.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

"الترهيب من الأساليب الدعوية الهامة في قرع القلوب وتنبيهها من غفلتها، فضلاً عن كونه الأسلوب الأمثل والمناسب لإنقاذ المسلم العاصي المستمرئ للمعصية والذي يخشى عليه أن تنتهي به المعصية إلى فسوق ثم إلى فجور وكفر والعياذ بالله، فكان الترهيب بمثابة لجام معنوي يأخذ بحجز الإنسان بعيداً عن النار ...، وهو أسلوب له موقع جد مفيد في نفوس الناس من وجهين الوجه الأول إنه يدخل إليهم من الأبواب الفطرية وهى كراهة البؤس والعقاب، قال بعض السلف رحمهم الله: الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينال بها رتبة القرب من الله. ولا يكون ذلك إلا بانقطاع الشهوات، ولا تقطع الشهوات بشيء كالخوف، فهو النار المحرقة للشهوات"[(١)].

"والوجه الثاني: "إن الترهيب له درجات تبدأ بالتهديد وتنتهي بالتنفيذ فمن الناس من تكفيه الإشارة البعيدة، فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه، ويعدل عما هو مقدم عليه من انحراف ... ومنهم من لابد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه ومنهم بعد ذلك فريق لابد وأن يحس لذع العقوبة على جسمه لكي يستقيم"[(٢)].

ولما كان الترهيب هو الأسلوب الأخير لإنقاذ معظم الناس من عقوبة الله في الدنيا والآخرة وجب التأكد عليه والحرص على العمل به في مجال الدعوة، وهذا ما ورد في الأحاديث من ترهيبه ﷺ لمن أراد أن يضاهي خلق الله ببيان أنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة " وذلك في قوله ﷺ: "إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة"، وقوله: "أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله"، وقوله : "كل مصور في النار يجعل له بكل صورها نفس فيعذبه في جهنم، وقوله تعالى: "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟ فليخلفوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة".

---

(١) الترهيب في الدعوة، د. رقية نياز، ص ١٠-١٢.

(٢) انظر: "مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث- العلاج الإسلامي"، د. محمد سلامة غباري، ط١، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٤٠٦هـ، ص ٣٢٣، نقلاً عن الترهيب في الدعوة، د. رقية نياز، ص ١٣.

خامساً- من أساليب الدعوة: النداء:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: "ياعائشة" والنداء من الأساليب الدعوية الهامة في لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم لبيان أهمية الأمر المدعو إليه.

سادساً- من واجبات الداعية: إنكار المنكر حال رؤيته وعدم السكوت عليه:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في إنكاره ﷺ لفعل عائشة رضي الله عنها من ستر سهوة فيه تماثيل وذلك بقوله ﷺ: "ياعائشة، أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله"، فقالت رضي الله عنها فقطعناه فجعلنا منه وساده أو وسادتين، وما يؤكد على أهمية وضرورة إنكار المنكر حال رؤيته وعدم السكوت عليه، قول أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه: "أتيت عائشة فَقُلْتُ: إِنَّ هَـٰذَا يُخْبِرُنِي أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ «لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ تَمَاثِيلُ» فَهَلْ سَمِعْتِ رَسُولَ اللّهِ ذَكَرَ ذٰلِكَ؟ فَقَالَتْ: لاَ. وَلَـٰكِنْ سَأُحَدِّثُكُمْ مَا رَأَيْتُهُ فَعَلَ. رَأَيْتُهُ خَرَجَ فِي غَزَاتِهِ. فَأَخَذْتُ نَمَطاً فَسَتَرْتُهُ عَلَى الْبَابِ. فَلَمَّا قَدِمَ فَرَأَى النَّمَطَ، عَرَفْتُ الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِهِ. فَجَذَبَهُ حَتَّىٰ هَتَكَهُ أَوْ قَطَعَهُ. وَقَالَ: «إِنَّ اللّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا أَنْ نَكْسُوَ الْحِجَارَةَ وَالطِّينَ» قَالَتْ فَقَطَعْنَا مِنْهُ وِسَادَتَيْنِ وَحَشَوْتُهُمَا لِيفاً. فَلَمْ يَعِبْ ذٰلِكَ عَلَيَّ"[١].

قال النووي: المراد بالنمط هنا بساط لطيف له خمل، وقولها "هتكه" هو بمعنى قطعه وأتلف الصورة التي فيه ... وهذا النمط كان فيه صور الخيل ذوات الأجنحة وأنه كان فيه صورة فيستدل به لتغيير المنكر باليد وهتك الصور المحرمة والغضب عند رؤية المنكر"[٢]. "والمنكر: هو كل ما ينكره الشرع وينهي عنه ويذمه ويذم أهله"[٣]، وقد أمر تعالى بإنكاره وتغييره فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٤].

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٠٧.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٣٣١.

(٣) حقيقة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، د. حمد ناصر العمار، ص١٢

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

وقال ابن تيمية: "إذا كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أعظم الواجبات أو المستحبات، فالواجبات والمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة، إذ بهذا بُعثت الرسل، وأُنزلت الكتب، والله لا يحب الفساد، بل كل ما أمر الله به فهو صلاح، وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذم الفساد والمفسدين في غير موضع، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهى أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الله به. ويقول أيضاً: وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد، والحسنات والسيئات، أو تزاحمت، فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد، وتعارضت المصالح والمفاسد، فإن الأمر والنهى، وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصلحة، أو يحصل من المفاسد أكثر، لم يكن مأموراً به، بل كان محرماً إذا كان مفسدته أكثر من مصلحته"[1]. فعلى الداعية في إنكاره للمنكر أن يراعى الموازنة بين المصالح والمفاسد لما في ذلك من عظيم الفائدة وتحقيقاً للنتيجة المرجوة.

سابعاً- من آداب المدعو: الاستجابة والطاعة لأمر الله ورسوله:

هذا ما يستفاد في الحديث من استجابة عائشة رضي الله عنها لأمره صلى الله عليه وسلم، وذلك من قولها: "فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾[2]".

قال السعدي: "يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أى الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والإنكفاف عنه، والنهى عنه وقوله: "إذا دعاكم لما يحييكم" وصف ملازم،

---

(١) الاستقامة، ابن تيمية، ط٢، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ٢/٢١١-٢١٦.

(٢) سورة الأنفال، آية : ٢٤.

لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى، ولزوم طاعته، وطاعة رسوله على الدوام، ثم حذر عن عدم الاستجابة لله وللرسول فقال: "واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه" فإياكم أن تردوا أمر الله، أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء، ويصرفها أنى شاء فليكثر العبد من قول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب، اصرف قلبي إلى طاعتك"[1]، فعلى المدعو أن يستجيب لأمر الله ورسوله لما في ذلك من الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة".

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٢٨٠.

الحديث رقم (١٦٨١)

١٦٨١- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: قَدِمَ رسُولُ الله ﷺ مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ [1] تَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وقالَ: ((**يَا عائِشَةُ، أشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ!**)) قَالَتْ: فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنهُ وِسَادَةً أوْ وِسَادَتَيْنِ. متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

سهوة: وهي الصُّفَّة تكون بين يدي البيت، وقيل الطاق النافذ في الحائط[3].

بقرام: القرام: السِّتْرُ [4].

الذين يضاهون: أراد المصورين، والمضاهاة: المشابهة [5].

الشرح الأدبي

كانت أحوال النبي ﷺ مع أزواجه تقوم على المحبة والمودة والرحمة، والتعاطف والشفقة، وكان لا يأخذ عليهن، ويعذرهن، وإن أقام عليهن قسطاس عَدْلٍ أقامه بغير قلق ولا غضب، بل رءوف رحيم، حريص عليهن وعلى غيرهن، عزيز عليه ما يعنتهم.

وهذه السيرة المضيئة بالمحبة والمودة والتراحم. لم تمنع رسول الله ﷺ من إقامة

---

(١) عندهما زيادة: (هتكه، و).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧/٩٢) واللفظ له، وتقدم برقم (٦٥٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٨٣).

(٣) رياض الصالحين ٥٧٦.

(٤) رياض الصالحين ٥٧٦.

(٥) النهاية في (ض هـ و).

الحق، وإنكار ما يراه مخالفاً لتعاليم الشريعة، وهذا الحديث: مشهد واقعي من سيرته العطرة الحافلة بجلائل الأعمال، وكريم الفعال، ولم يمنعه حبه لعائشة وأبيها أن يجهر بكلمة الحق؛ وبلاغة الحديث القوليه والعملية تَنْبع من أن الذي يروي هذا المشهد هو عائشة نفسها، وليس خبراً مروياً عنها، فهي التي تقصُّ هذا الخبر، وتحكي تفاصيله من خلال هذه الأفعال الماضية التي تصور وقائع الحدث، وسياق الحديث، وتأمل هذه الأفعال التي تشكل ملامح هذا المشهد.

"قدم رسول الله، وقد سترت سهوة لي، فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه، وقال".

هذه الصيغة السردية الواقعية تفصح عن أن القصة انتهت،وأن عائشة استجابت لأمر رسول الله ﷺ، وأنها ترويها للاقتداء، وليأتمر الناس بما أمر به رسول الله ﷺ: كما استجابت عائشة رضي الله عنها حتى لا يتعرضوا لعذاب الله يوم القيامة، وتأمل الاستجابة الفورية لعائشة حيث لم تراجع النبي ﷺ، ولم تتردد، ولم تجادل، ولكنها قالت: "فقطعناه" أي قطعنا ذلك الستر المصنوع من القماش الملون والمزركش بصور وتماثيل تحاكي الكائنات الحية من الحيوانات والطيور، وقد عبرت عنه بقولها: "بقرام فيه تماثيل".

وقولها: "تلون وجهه" كناية عن غضب رسول الله ﷺ من ذلك المنكر، ولم تقل: "فغضب" حتى لا يتسرب إلى النفس الظن بأن الغضب كان من عائشة، وأنَّ ذلك يعد كرهاً، وفي ذلك تلطف من عائشة في التعبير، وتلطف من رسول الله ﷺ في حسن معاملة أزواجه، وفي توصيل الموعظة لهن.

وتأمل النذير الشديد الموجه لكل من يقوم بصنع الصور والتماثيل لكل ذي روح: وهو نذير ليس لعائشة فقط. وإنما لكل من يصنع ذلك، وكل من يقتني هذه الصور، وصيغة أفعل التفصيل، واختيار مادة "الشدة" يوجبان بالعذاب الشديد أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله، واسم الموصول: مع صيغة المضارعة الدالة على الاستمرار: يوحيان بأن هؤلاء الذين يستحقون العذاب كانوا يصرون على

ذلك، ويمتهنون هذه الحرفة، ولا يقتدون برسول الله ﷺ، ولا زوجاته، ولا أصحابه، نسأل الله العون والسداد، والتوفيق والرشاد.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٦٨٢)

١٦٨٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ فَيُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ**)).

قال ابن عباس: فإنْ كُنْتَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً، فَاصْنَعِ الشَّجَرَ وَمَا لاَ رُوحَ فِيهِ. متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

إن علاقة المسلم بما حوله من مشاهد الكون مؤطرة بالتصور الإيماني، وبأن كل ما خلق الله عز وجل في السماوات والأرض فيه آيات لأولي الألباب فالسماء وما فيها، والأرض وما عليها من دلائل قدرة الله عز وجل، وقد سخر الله تعالى الشمس، والقمر، والبحار..، والدواب، والأشجار... للإنسان، وكلها من نعم الله تعالى التي لا تُعدُّ ولا تحصى.

واستغلال هذه النعم ينطلق من إحساس المؤمن بأنها من آيات الله المسخرة للإنسان وأولى دلائل الشكر على هذه النعم أن لا يقوم المنعم عليه بإقحام نفسه في محاكاة المنعم في خلقه، وتصويره الكائنات الحية التي يتوهم الكثيرون ومنهم المصورون لها أنهم قادرون على خلق مثلها، ويوجه الإنسان طاقته الفنية إلى صناعة الشجر... وإبداع اللوحات التشكيلية التي تظهر قدرة الله عز وجل في خلقه، وهذا ما أرشد إليه ابن عباس رضي الله عنهما حين قال: "فإن كنت لابد فاعلاً: فاصنع الشجر وما لا روح فيه"، من المواد الجامدة التي لا حياة فيها.

والحديث يبدأ بقاعدة شرعية وهي: "كل مصور في النار"، وهذه القاعدة ثابتة، وصياغتها اللغوية تفصح عن هذا الثبات، فهي جملة اسمية: مكونة من مبتدأ وخبر،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٩٩/٢١١٠) واللفظ له، وهو ضمن حديث. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٨٤) بتمامه.

والمبتدأ هو: "كل مصور" وفيه إيحاء بالعموم والشمول: والخبر هو شبه الجملة: "في النار": فالجار والمجرور: متعلق بمحذوف خبر، والتقدير مستقر في النار، والجملة الاسمية من علاماتها: الثبوت والاستقرار.

والجملة الثانية: مبنية للمفعول: في قوله: "يجعل له": والفاعل معلوم وهو الله: والتحدي يكون يوم القيامة، فالله يبث في كل صورة صوَّرها هذا المصور الروح، فإذا بها نفس حية تنطق وتتحرك: وتطالب بعذاب ذلك المصور.

وقوله: "فيعذبه" تقديره: فيعذبه الله، وفي رواية: "فتعذبه" أي: أن هذه النفس التي صورها هي التي ستعذبه، وإسناد التعذيب إلى النفس في هذه الرواية: مجاز عقلي.

وقول ابن عباس رضي الله عنهما جاء في صيغة الشرط والجواب: وهو يضع حلاً لكل من لديه موهبة الرسم والتصوير والفن بصفة عامة. ولمن لا يملك من فن الكتابة إلا التصوير، حيث تقوم الصور عند بعض الشعوب مقام الحروف في لغاتهم: وقول ابن عباس رضي الله عنهما يشع بالدقة والإيحاء، وهو يُنقذ فئات وطوائف كثيرة من العقاب يوم القيامة. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٨٠).

الحديث رقم (١٦٨٣)

١٦٨٣- وعنه، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا، كُلِّفَ أنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَومَ القِيَامَةِ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ)). متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

صَوَّر صُورةً: صنع تمثالاً[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث تتصل أشعته المعنوية، وآفاقه الدلالية بالحديث السابق، ويؤكد هذا أن الراوي في الحديثين واحد وهو: ابن عباس رضي الله عنهما.

والحديث يتكون من جملتين: الأولى جملة شرطية: وهي تتوعد المصور بالعذاب يوم القيامة، ففعل الشرط هو "من صور صورة في الدنيا"، وجواب الشرط هو: "كلف"، أي كلفه الله: أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة، وهو لن يقدر على ذلك، لأن الروح من أمر الله عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3].

والتعبير بقوله: "كلف" يوحي بالإلزام: لأن التكليف فيه وجوب، وهو لن ينفذ هذا لأنه عاجز، وهذا العجز من خصال البشر، فالخالق هو الله عز وجل، والحديث صرح بذلك في قوله ﷺ: "وليس بنافخ" أي أن هذا المصور العاجز الواهم: لن يستطيع أن يفعل ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠/١٠٠) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٨٤).

(٢) النهاية في (ص و ر).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٥ .

وقوله: "وليس بنافخ" فيه إيجاز وإيحاء بالضعف والعجز، والتقدير: وهو في هذا الموقف ليس قادراً على أن ينفخ الروح في الصور التي صورها في الدنيا، فمآله العذاب الذي جاء صريحاً في الحديث السابق، فيعذبه في جهنم، والباء في قوله: "وليس بنافخ" مزيدة للتأكيد ولنفي أي احتمال لدى هذا المصور بالقدرة على نفخ الروح في الصورة، فالله عز وجل: هو الخالق البارئ المصور وهو الخلاق العليم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٨٠).

الحديث رقم (١٦٨٤)

١٦٨٤- وعن ابن مسعودٍ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((إنَّ أشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَومَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ)). متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

المُصَوِّرون: الذين يصنعون تماثيل الأحياء[2].

الشرح الأدبي

يتوعد رسول الله ﷺ في هذا الحديث كل من تسوِّل له نفسه بالإقدام على صنع التماثيل التي تحاكي صورة الإنسان أو الحيوان أو الطير: أو كل ما فيه روح حية تنمو وتتوالد وتتكاثر وتتغذى، وهذه التماثيل أو تلك الصور التي يصنعها هؤلاء تفتن الناس ويتخذونها أصناماً وأوثاناً يعبدونها من دون الله، أو يشركونها في عبادة الله، وقد نشأت عبادة الأصنام في غمرة الافتتان بصور التماثيل التي صنعت لبعض البشر مثل ودًّ وسواعا ويغوث ويعوق ونسراً، وبعدها جاءت اللات والعزى، ومناة، وبعض الشعوب كانوا وما زالوا يعبدون الطيور والزواحف، والدواب بصفة عامة.

ومنعاً لهذه الفتنة يشدد رسول الله ﷺ النكير والوعيد على كل من يحترف هذه الحرفة، وهو يعلم بحرمتها، ويقول في صيغة التوكيد: "إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون"، وهذه جملة واحدة مكونة من "إن" الناسخة المؤكدة، ومن اسمها وخبرها، والحرف الناسخ هنا: يعطي دلالة نسخ كل عمل يعمل: والخبر: كلمة: "المصورون" فعملهم منسوخ، وتصويرهم ممسوخ، واسم "إن": "أشد الناس عذاباً": تضمن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩/٩٨) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٨٥).

(٢) النهاية في (ص و ر).

مـادة: شـدد الـتي تمثـل الجـذر الأسـاس واللغـوي: وهــي تؤكـد ثقـل العـذاب وشـدته، وكذلك صيغة أفعل التفضيل: توحي بأن العذاب منه شديد: ومنه أشد، والمصورون هـم أشد الناس عذاباً يوم القيامة عند الله.

وقال العلماء: العندية للمكانة وليس للمكان، ففيه إيماء إلى عظم ذلك العذاب. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٨٠).

الحديث رقم (١٦٨٥)

١٦٨٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((قال اللهُ تَعَالَى: وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ذَرَّة: معناه: فليخلقوا ذرة فيها روح تتصرف بنفسها كهذه الذرة التي هي خلق الله تعالى، والذرة: ليس لها وزن ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة[2].

الشرح الأدبي

إن جو التحدي والتهديد يغلف أجواء هذا الحديث الشريف: وهو حديث قدسي؛ لأن رسول الله ﷺ قال: "قال الله تعالى"، وقد فرق صاحب كتاب: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث وهو: جمال الدين القاسمي بين القرآن والحديث القدسي وغير الحديث القدسي في محاورة بديعة فيها عمق، ووجدان مشع بالحب والصفاء والروحانية.

ومن هذه المحاورة ما أجاب به الأستاذ علي تلميذه حين سأله الفرق بين الثلاثة: فقال: الفرق بين الثلاثة، وإن كانت كلها خرجت من بين شفتيه ﷺ، وكلها معها أنوار من أنواره ﷺ، أن النور الذي في القرآن قديم من ذات الحق سبحانه، لأن كلامه تعالى قديم، والنور الذي في الحديث القدسي من روحه ﷺ، وليس هو مثل نور القرآن، فإن نور القرآن قديم، ونور هذا ليس بقديم، والنور الذي في الحديث النبوي، من ذاته ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١/١٠١) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٨٦).

(٢) شرح صحيح مسلم، ١٣٣٤، والنهاية في (ذ ر ر).

ويبدأ الحديث بصيغة التحدي والاستفهام الإنكاري، وأفعل التفضيل في قوله: "ومن أظلم"، ثم اسم الموصول وصلته وهي فعلان، "ذهب يخلق كخلقي"، أي أن الذين تغريهم شيطانهم يتوهمون أنهم خالقون ومن هؤلاء من يقولون: الخلق الفني، وهم يصنعون التماثيل والدمي في معاهدهم ومعابدهم، ويعلقونها في واجهات دواوينهم وقصورهم وصوامعهم، وبيعهم وكنائسهم، ويزينون بها جدران بيوتهم، وأسقف منازلهم، والتعبير بالفعل المضارع "يخلق" يوحي بالاستمرار والإصرار على هذا الصنيع الفاسد.

ويتجلى التحدي في هذه الجمل الثلاث التي صيغت في قالب المضارع المقترن بلام الأمر، وكأن الحق سبحانه وتعالى يأمرهم أن يقبلوا التحدي وهم عاجزون، ويأمرهم أن يجربوا وهم جامدون، لأن الروح من أمر الله، وفي هذه الجمل الثلاث جاءت اللام - كما قال العلماء- على سبيل التعجيز والتبكيت، تارة بتكليفهم خلق الحيوان، وهذا أشد، وذلك في قوله "فليخلقوا ذرة" والمراد منها نملة، كما فسرها بعض العلماء بذلك، وفي الجملتين الأخيرتين يكلفهم بخلق جماد: وهو النبات: حبة أو شعيرة، وهو أهون، والمراد الخلق من العدم، وليس التهجين، ولا الاستنساخ في عالم النبات.

و"أو" للتنويع وللتخيير وهي تفيد عجز هؤلاء المصورين عن خلق أي شيء من الحيوان أو النبات أو الجماد، فكيف يقدرون على خلق الإنسان، ويوم القيامة يكلفون أن ينفخوا فيما صوروا الروح، وليسوا بنافخين، ولذلك فهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٨٠).

الحديث رقم (١٦٨٦)

١٦٨٦- وعن أبي طلحة ﷺ: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ، قال: ((**لاَ تَدْخُلُ المَلاَئِكَةُ بَيْتاً فيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ**)). متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو طلحة الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٢٦).

غريب الألفاظ:

الصورة: التمثال[2].

الشرح الأدبي

في إطار الأسلوب الخبري يجيء هذا الحديث الشريف خالياً من التوكيد، ومن أنواع الطلب التي يتضمنها الأسلوب الإنشائي، وذلك لأن رسول الله ﷺ بدأ الحديث بالنفي فقال: "لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة"؛ ولا مجال لإنكار ذلك لأن التأكيد يأتي للمنكر والشاك، ولكن كل مسلم حينما يُسمَعُ الخبر من رسول الله ﷺ مشافهة أو رواية يصدق: لأن المصطفى ﷺ هو: "الصادق الوعد الأمين".

والنفي بـ"لا"، غير النفي: بـ"لن"، لأن "لا" ليست نفياً دائماً، أو مطلقاً، وإنما يمكن أن يكون الكلب للصيد أو للحراسة أو غير ذلك من الأمور المستثناه، ولذلك قال العلماء: لا تمتنع الملائكة من دخول بيت فيه كلب أُذن في اتخاذه بناء على أنه يجوز أن يستنبط من النص معنى يخصصه.

ولو كان النفي بـ"لن" لتغيرت الدلالة، ولما جاز استثناء أي حالة من الحالات.

وكذلك قوله: "ولا صورة" فيه عموم، ويمكن تخصيصه بالصورة المحرمة، والمراد منها: صور الإنسان، والحيوان، والطيور، أما صور النبات وغير ذلك من كائنات

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٢٥)، ومسلم (٢١٠٦/٨٣).

(٢) النهاية في (ص و ر).

الطبيعة غير الحية: مثل الشمس، والقمر، والنجوم، فيمكن أن تزين بها البيوت والأسقف، والفرش والأثاث، لأنه لا روح فيها، ولا تعد صورة محرمة، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[1]. والله أعلم.

فقه الحديث

وتشتمل هذه الأحاديث على الأحكام الآتية:

١-عدم دخول الملائكة للبيت الذي فيه كلب أو صورة[2]: والمقصود بالملائكة هنا ملائكة الرحمة، لا الحفظة، لأن الحفظة مكلفون بكتابة أعمال ابن آدم لا يفارقونه إلا في خلوته بأهله، وعند دخول الخلاء[3].

٢-حكم دخول الإنسان منزلاً فيه صورة: اختلف الفقهاء في حكم دخول منزل فيه صورة على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الحنابلة[4]، ويرون أن دخول منزل فيه صورة غير محرم.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- ما ثبت أن النبي ﷺ دخل الكعبة فرأى فيها صورة إبراهيم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام، فقال: قاتلهم الله، لقد علموا أنهما ما استقسما بها قط[5].

٢- ما روي أن النصارى صنعوا لعمر رضي الله عنه حين قدم الشام طعاماً، فدعوه فقال: أين

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠١.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٩/٢، وحاشية ابن عابدين ٦٤٩/١، والتمهيد لابن عبدالبر ٢٢١/١٤، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٣٦٢/٣، ومغني المحتاج ٣٣١/١، والكافي في فقه الإمام أحمد ١١٦/١، وكشاف القناع ٢٨٠/١، والمغني لابن قدامة ٣٤٣/١.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٣٠/٢، والشيخ عبدالرحمن عبدالخالق في بحثه السابق، ص ١٥.

(٤) المغني لابن قدامة ٢١٦/٧، وكشاف القناع ١٧٠/٥، ١٧١.

(٥) أخرجه البخاري ١٦٠١.

هو؟ قالوا: في الكنيسة، فأبى أن يذهب، وقال لعلي: امض بالناس فيلتغدوا، فذهب علي رضي الله عنه بالناس، فدخل الكنيسة وتغدى هو المسلمون.

وجعل عليّ ينظر إلى الصور، وقال: ما على أمير المؤمنين لو دخل فأكل[1]. وهذا اتفاق منهم على إباحة دخولها وفيها الصور.

٣- إن دخول الكنائس والبيع غير محرم، فكذلك المنازل التي فيها الصور[2].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الشافعية[3] في وجه عندهم، ويرون أنه إذا كانت الصور على الستور وما ليس بموطوء لم يجز له الدخول.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- أحاديث الباب، وفيها أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة.

ويجاب عن ذلك: بأن كون الملائكة لا تدخله، لا يوجب تحريم دخوله علينا[4] كما لو كان فيه كلب.

٢- ولأنه لو لم يكن محرماً لما جاز ترك الدعوة الواجبة من أجله.

ويجاب عن ذلك: بأن ترك الدعوة لم يكن لأن ذلك محرم، وإنما أبيح بترك الدعوة عقوبة له، وزجراً له عن فعله[5].

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الشافعية في وجه عندهم ويرون أن دخول بيت فيه تصاوير مكروه.

واستدلوا على ذلك بالأحاديث التي تذكر أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة، غير أنهم حملوا ذلك على الكراهة.

---

(١) ذكره ابن قدامة في المغني ٢٠٣/١٠، وعزاه لابن عائذ في فتوح الشام. وانظر: سنن البيهقي ٢٦٨/٧.

(٢) كشاف القناع ١٧١/٥، والمغني لابن قدامة ٢١٦/٧.

(٣) الوسيط في المذهب ٢٧٨/٤، ومغني المحتاج ٢٤٧/٣.

(٤) كشاف القناع ١٧١/٥، والمغني لابن قدامة ٢١٦/٧.

(٥) المرجعين السابقين: المواضع نفسها، وأيضاً: المبدع ١٨٤/٧-١٨٥.

الرأي الراجح:

ولعل الراجح من هذه الآراء هو الرأي الأول، وهو ما ذهب إليه الحنابلة الذين يرون أن دخول منزل فيه تصاوير غير محرم، لقوة أدلته.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: عدم دخول الملائكة لبيت فيه كلب أو صورة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الوثوق بوعد الله ورسله.

رابعاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

خامساً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح لما يلتبس على المدعو.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي:

النفي من الأساليب الدعوية الهامة في إيقاف المدعوين على الحقائق وبيان ما غاب عنهم من أمور وهذا ما ورد في الحديث من نفيه ﷺ لدخول الملائكة في البيت الذي فيه كلب أو صورة، وذلك من قوله ﷺ: «لا تَدْخُلُ المَلائِكَةُ بيْتاً فِيهِ كَلْبٌ ولا صُورَة» وأيضاً من نفي جبريل عليه السلام لذلك في قوله: "إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة". وقد تكرر ورود النفي في القرآن الكريم كأسلوب دعوي في بيان الحقائق، ونفي ما زاد عنها، كقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٨٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٨٧، ١٦٨٨).

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٠.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٩١.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: عدم دخول الملائكة لبيت فيه كلب أو صورة:

هذا ما يستفاد من سياق الأحاديث الواردة وفي بيان ذلك قال النووي: (قال العلماء: سبب امتناعهم من بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة، وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى، فأبغضوها لله، وتجنبوا مواضعها. وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات، وهم المطهرون المقدسون عن مقاربته، ولأن بعضها يسمى شيطاناً كما جاء في الحديث من قوله ﷺ: "الكلب الأسود شيطان"[1]، والملائكة ضد الشياطين، ولقبح رائحة الكلب والملائكة تكره الرائحة القبيحة ولأنها منهي عن اتخاذها فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه واستغفارها له وتبريكها عليه وفي بيته ودفعها أذى الشيطان. وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلون بيتاً فيه كلب أو صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والاستغفار، وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ولا يفارقون بني آدم في كل حال لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها. قال الخطابي: (وإنما لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة ممايحرم اقتناؤه من الكلام والصور، فأما ما ليس بحرام من كلب الصيد والزرع والماشية والصورة التي تمتهن في البساط والوسادة وغيرهما فلا يمتنع دخول الملائكة بسببه. وأشار القاضي إلى نحو ما قاله الخطابي والأظهر أنه عام في كل كلب وكل صورة وأنهم يمتنعون من الجميع لإطلاق الأحاديث، ولأن الجرو الذي كان في بيت النبي ﷺ تحت السرير كان له فيه عذر ظاهر فإنه لم يعلم به، ومع هذا امتنع جبريل عليه السلام من دخول البيت وعلل بالجرو، فلو كان العذر في وجود الصورة والكلب لا يمنعهم لم يمتنع جبريل والله أعلم)[2].

وقال القرطبي: في بيان سبب امتناع الملائكة لدخول بيت فيه صورة- وإنما لم تدخل الملائكة البيت الذي فيه التمثال - أو الصورة[3]- لأن متخذها في بيته قد تشبه

---

(١) أخرجه مسلم، ٥١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٣٣٠ ، إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦٢٩/٦، ٦٣٠.

(٣) أورد هذا اللفظ ابن حجر في فتح الباري، ٤٠٥/١٠.

بالكفار الذين يتخذون الصور في بيوتهم ويعظمونها فكرهت الملائكة ذلك فلم تدخل بيته هجراناً له، وغضباً عليه"[١]. وقال الخطابي: "والصورة التي لا تدخل الملائكة البيت الذي هى فيه ما يحرم اقتناؤه، وهو ما يكون من الصور التي فيها الروح مما لم يقطع رأسه أو لم يمتهن"[٢].

وقد بين ابن حجر العلة من عدم دخول الملائكة للبيت الذي فيه كلب فقال: "المراد بالبيت المكان الذي يستقر فيه الشخص سواء كان بناء أو خيمة أم غير ذلك، والظاهر العموم في كل كلب لأنه نكرة في سياق النفي، وذهب الخطابي وطائفة إلى استثناء الكلاب التي أذن في اتخاذها وهي كلاب الصيد والماشية والزرع ...، قال القرطبي، "واختلف في المعنى الذي في الكلب حتى منع الملائكة من دخول البيت الذي هو فيه، فقيل: لكونها نجسة العين، ويتأيد ذلك بما ورد في بعض طرق الحديث عن عائشة عند مسلم "فأمر بنضح موضع الكلب"[٣]، وقيل: لكونها من الشياطين، وقيل: لأجل النجاسة التي تتعلق بها فإنها تكثر أكل النجاسة وتتلطخ بها فينجس ما تعلقت به"[٤]، وفي ذلك بيان لسبب امتناع دخول الملائكة للبيت الذي فيه صورة يحرم اقتناؤها أو كلب.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الوثوق بوعد الله ورسله:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ: "ما يخلف الله وعده ولا رسله"، وفي بيان ذلك قال تعالى مخبراً عن حال المؤمنين في غزوة الأحزاب، وعن ثقتهم بموعود ربهم: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾[٥]، قال الطبري: "وقوله: ولما رءا المؤمنون الأحزاب: يقول: ولما

---

(١) المفهم ٤٢١/٥، ٤٢٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٣٩٥/١٠

(٣) أخرجه مسلم ٢١٠٥

(٤) فتح الباري، ٣٩٤/١٠-٣٩٥، انظر المفهم، ٤٢٢/٥.

(٥) سورة الأحزاب، آية : ٢٢ .

عاين المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار، قالوا تسليماً منهم لأمر الله، وإيقاناً منهم بأن ذلك إنجاز وعده لهم، الذي وعدهم بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ إلى قوله: ﴿قَرِيبٌ﴾[١]، ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾، فأحسن الله عليهم بذلك من يقينهم، وتسليمهم لأمره، الثناء، فقال: وما زادهم اجتماع الأحزاب عليهم إلا إيماناً بالله، وتسليماً لقضائه وأمره، ورزقهم به النصر، والظفر على الأعداء"[٢]، وهذا ما كان من حال نبي الله موسى عليه السلام عندما اتبعه فرعون وجنوده بعد أن قال له أصحابه شاكين وحزنين: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[٣]، فقال موسى: مثبتاً لهم، ومخبراً لهم بوعد ربه الصادق، ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾[٤]. قال ابن كثير: أي: "لا يصل إليهم شيء مما تحذرون، فإن الله، سبحانه، هو الذي أمرني أن أسير ههنا بكم، وهو لا يخلف الميعاد"[٥]، ثم كان من ثقته عليه السلام بموعود ربه أنه تعالى أنجاه وقومه وأهلك عدوه، فقال: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾[٦].

وإذا رأى المدعوون الداعية وهو القدوة أمام أعينهم يثق بوعد الله تعالى ورسوله في كل تصرفاته وأفعاله وأحواله، وهو أكثر منهم علماً وورعاً وتقوى، فإنهم لاشك يسلكون منهجه ويلتزمون طريقته، فيثقون بوعد الله ويؤمنون بذلك أشد الإيمان مما ينعكس على حياتهم وشؤونهم وأحوالهم فيزرع الثقة في قلوبهم.

---

(١) سورة البقرة، آية : ٢١٤ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٩/١٩.

(٣) سورة الشعراء، آية : ٦١ .

(٤) سورة الشعراء، آية: ٦٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم ١٤٣/٦-١٤٤.

(٦) سورة الشعراء، الآيتان : ٦٥-٦٦ .

رابعاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

هذا ما ورد في الحديث من سؤاله ﷺ لجبريل عليه السلام في قوله:" وعدتني، فجلست لك ولم تأتني"، فأجابه جبريل عليه السلام فقال:"منعني الكلب الذي كان في بيتك إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة".

"والسؤال والجواب كأسلوب دعوي له قيمة تأثيرية عظيمة في إثارة انتباه المدعوين لمعرفة الأسئلة المطروحة. إذ يشعرون بأن الدافع إليها في الغالب أمر مهم في نفوس السائلين، وأن تثير فيهم الرغبة في معرفة الجواب، وقد تنزع نفوسهم إلى المشاركة في الإجابة عليها، كأنهم هم المسؤولون، وفي كلتا الحالتين تتفتح أذهانهم لمعرفة الجواب، من المتصدر للإجابة، العالم بأجوبة المسائل المطروحة"[1].

خامساً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح لما يلتبس على المدعو:

لقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، وأن يقولوا لهم في أنفسهم قولاً بليغاً، قال تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[2].

قال قتادة: "وهذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم، فمن علم علماً فيعلمه الناس، وإياكم وكتمان العلم؛ فإن كتمان العلم هلكة، ولا يتكلفن رجل مالا علم له به، فيخرج من دين الله، فيكون من المتكلفين، كان يقال: مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينتفع به، ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب، وكان يقال في الحكمة: طوبى لعالم ناطق، وطوبى لمستمع واع، هذا رجل علم علماً فعلمه وبذله ودعا إليه، ورجل سمع خيراً فحفظه ووعاه وانتفع به"[3].

وقال تعالى مؤكداً على أهمية: ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾[4]، ولا يكون

---

(١) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٥٩/٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٩٥/٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، ١٦٨/٤.

(٤) سورة النساء، آية: ٦٣.

البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغاً إلا إذا كان واضحاً للنفوس المخاطبة ...، وقد كان ﷺ (سيد الدعاة) يوضح للناس ولأتباعه، ويكرر كلامه ثلاثاً ليتحقق الإيضاح، وعند ذلك يقول "اللهم بلغت اللهم فاشهد"[١]،[٢]، فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في بيان وإيضاح ما التبس وخفي على المدعو، وهذا ما ورد في الحديث من بيان جبريل عليه السلام وإيضاحه لسبب عدم إتيانه للنبي ﷺ، كما وعده وذلك في قوله عليه السلام: "منعني الكلب الذي كان في بيتك، إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب أو صورة".

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٤/٢٧٦.

(٢) فقه الدعوة، د.بسام العموش، ٢٦-٢٧.

الحديث رقم (١٦٨٧)

١٦٨٧- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: وَعَدَ رسُولَ اللهِ ﷺ جِبْرِيلُ أنْ يَأتِيَهُ، فَرَاثَ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ فَلَقِيَهُ جبريلُ فَشَكَا إلَيهِ، فَقَالَ: إنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ. رواهُ البُخارِيُّ[1].

(راث): أبْطَأَ، وهو بالثاء المثلثة[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

فراث عليه: أبطأ[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث ليس موعظة عامة، ولا إرشادات من النبي ﷺ يبلغها لقومه، ولكنه موقف واقعي، ومشهد حقيقي: يبرهن على تحريم اقتناء الكلاب للزينة أو للتسلية، كما يفعل بعض الأثرياء المترفين، والغافلين عن طريق الصواب، وهم ينفقون على الكلاب الأموال الطائلة، ويبخلون على الأيتام والفقراء والمعوقين بما يسد رمقهم، ويعوضهم عن عجزهم وعوزهم!!!

ويحدد الحديث "الموقف" بدقة: حين تأخر جبريل عن وعده لرسول الله ﷺ، ولم يأته في الموعد المحدد، وقال رسول الله ﷺ: ما يخلف الله وعده ولا رسله، ويصور التعبير ذلك الموقف خير تصوير: وذلك يتجلى في تتابع الأفعال المعطوفة بالفاء والتي تصور قلق الرسول ﷺ وحيرته من تأخر جبريل: ولنتأمل هذه المتواليات الفعلية المصورة للحدث، "وعد رسولَ الله جبريلُ فراث عليه حتى اشتد على رسول الله ﷺ، فخرج

---

(١) برقم (٥٩٦٠). السياق للمنذري في ترغيبه (٤٤٩٠).

(٢) الترغيب (٣/٦٢٦).

(٣) رياض الصالحين ٥٧٧.

فلقيه جبريل: فشكا إليه فقال" إن السرد هنا ينقل الحدث بدقة، ويصور حرص الرسول ﷺ على لقاء جبريل: ولذلك قال: "حتى اشتد على رسول الله ﷺ" أي اشتد الموقف، ولكنه مطمئن حيث قال: "ما يخلف الله وعده ولا رسله".

والمحاورة الصادقة بين رسول الله ﷺ وجبريل توضح حرص رسول الله ﷺ على الرسالة، وشوقه إلى جبريل لتلقي التعاليم الإلهية، وقول جبريل يبدأ بالتوكيد بصيغة الجمع "المتكلم" لأنه يتكلم باسم الملائكة، فـ"نا" الدلالة على المتكلمين على لسان جبريل تشير إلى الملائكة: ثم يأتي خبر "إنا": وهو الجملة المنفية التي وردت في الحديث السابق "لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة"، وفي حديث آخر: تفسير لما حدث حيث يتوهم بعض الناس أن رسول الله ﷺ كان يقتني كلباً، وهذا وهم وزعم باطل، فهو قد وجد كلباً تحت سريره من الكلاب التي تهيم على وجهها ولا صاحب لها، فقال: متى دخل هذا الكلب:فقالت عائشة: والله ما دريت به، فأمر به رسول الله فأخرج، فجاء جبريل عليه السلام.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((وَاعَدَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ جِبْرِيلُ عليه السلام، فِي سَاعَةٍ يَأْتِيهِ فِيهَا. فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ . وَفِي يَدِهِ عَصاً فَأَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ. وَقَالَ: مَا يُخْلِفُ اللّهَ وَعْدَهُ، وَلاَ رُسُلُهُ ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ. فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ مَتَىٰ دَخَلَ هذَا الْكَلْبُ ههُنَا؟ فَقَالَتْ: وَاللّهِ مَا دَرَيْتُ. فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ. فَجَاءَ جِبْرِيلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: وَاعَدْتَنِي فَجَلَسْتُ لَكَ فَلَمْ تَأْتِ. فَقَالَ: مَنَعَنِي الْكَلْبُ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِكَ. إِنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ))[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه مسلم، ٢١٠٤.

(٢) تم دمجه مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٦٨٨)

١٦٨٨- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: واعدَ رسولَ اللهِ ﷺ، جبريلُ عليهِ السَّلامُ، في سَاعَةٍ أنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأتِهِ! قَالَتْ: وَكَانَ بِيَدِهِ عَصاً، فَطَرَحَهَا مِنْ يَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ: ((ما يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلاَ رُسُلُهُ)) ثُمَّ التَفَتَ، فإذَا جَرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ. فقَالَ: ((مَتَى دَخَلَ هَذَا الكَلْبُ؟)) فَقُلْتُ: واللهِ مَا دَرَيْتُ بِهِ، فَأمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَجَاءهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فقال رسُولُ اللهِ ﷺ: ((وَعَدْتَنِي، فَجَلَسْتُ لَكَ وَلَمْ تَأتِنِي)) فقالَ: مَنَعَنِي الكَلْبُ الَّذِي كَانَ في بَيْتِكَ، إنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

ساعة: جزء من أجزاء الوقت والحين، وإن قل[2].

جرو كلب: صغير ولد الكلب[3].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث قصة واقعية تنسج خيوط أحداثها من موقف بين جبريل عليه السلام ورسول الله ﷺ، وأركان القصة وعناصرها مكتملة في هذه القصة التي ينقلها هذا الحديث الشريف فأشخاصها حقيقيون، وأحداثها واقعية، وبها العقدة وفيها الحبكة، وتتضمن الحوار الواقعي المقنع، وتتضمن كذلك لحظة التنوير أو الحل.

وفي هذه القصة الواقعية إرساء لبعض القواعد الشرعية، وتعليم المسلمين أمور دينهم، فأشخاص هذه القصة هم: جبريل عليه السلام، ورسول الله ﷺ، وعائشة رضي الله عنها، والأحداث تبدأ من المواعدة بين رسول الله ﷺ وجبريل: وقولها: "واعد" يدل على

---

(١) برقم (٨١/٢١٠٤). السياق للمنذري في ترغيبه (٤٥٤٣).

(٢) الوسيط في (س و ع).

(٣) الوسيط في (ج ر و).

المفاعلة: أي الوعد قائم بين اثنين حيث يتلقى رسول الله ﷺ من جبريل عليه السلام كلمات الوحي، وتعاليم ربه عز وجل، ويؤمر بتبليغ ذلك.

والعقدة تتمثل في تأخر جبريل عن موعده، فجاءت تلك الساعة ولم يأته!!.

وملابسات الحدث وآثار هذه العقدة تتجلى في حركة الرسول ﷺ التي تصور قلقه وتأثره لتأخر جبريل عليه السلام.

وهذه الحيرة تحولت إلى فعل حسي وهو ما عبرت عنه عائشة رضي الله عنها في قولها: "وكانت بيده عصا فطرحها من يده"، ولكن هذا الفعل المصور للقلق عند الشخصيات العادية، لم ينتج عنه القلق في تصرفات رسول الله ﷺ، لأنه يبلغ عن ربه، ولأنه يُوحَى إليه، ولأنه لا ينطق عن الهوى: وهذه هي آثار الرسالة، ودلائل النبوة، وعبَّر الرسول ﷺ عن اطمئنانه ورباطة جأشه؛ حيث قال في وثوق المؤمن واطمئنان النبوة: "وما يخلف الله وعده ولا رسله".

والمفاجأة التي تمثل ذروة الحدث هي: أنه وجد كلباً تحت السرير، فأمر به فأُخرج، ولم تقل الراوية: فأخرجه: ولكن بعد حوار مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حول ملابسات وجود ذلك الكلب الصغير، "أمر به فأخرج" ولم يحدد الذي أخرجه تنزيهاً للمسلم عن ملابسة ذلك الحيوان لأنه نجس، وطرد الكلب وإخراجه هو الحل أو لحظة التنوير في هذه القصة الحقيقية: حيث دخل جبريل عليه السلام، وهنا يحدث الحوار، وتبزغ الحقيقة الساطعة، وتؤسس القاعدة الإسلامية.

حين يفسر جبريل السبب في تأخره عن موعده، وهو وجود ذلك الكلب الذي لم يكن يعلم الرسول ﷺ بوجوده، ثم يقول جبريل عليه السلام في صيغة التوكيد المقولة التي جاءت في رواية ابن عمر رضي الله عنهما في الحديث السابق: "إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة"، وهذه هي الثمرة الطيبة التي تقطفها من شجرة هذا الحديث المباركة، وهي: قاعدة شرعية ثابتة راسخة ترشد كل مسلم إلى المنهج الصحيح. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٨٦).

الحديث رقم (١٦٨٩)

١٦٨٩- وعن أبي الهَيَّاجِ حَيَّانَ بن حُصَيْنٍ، قال: قال لي عَلِيُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أَلاَ أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ أَنْ لاَ تَدَعَ (صُورَةً)[1] إلاَّ طَمَسْتَهَا، وَلاَ قَبْراً مُشْرِفاً إلاَّ سَوَّيْتَهُ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

طمستها: استأصلت أثرها[3].

مشرفاً: عالياً[4].

الشرح الأدبي

ما أجمل هذه الوصية المنبثقة من مشكاة النبوة، ومن تعاليم المصطفى ﷺ، وهي وصية يُوصي بها، عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه حيانَ بن حصين.

وعليٌّ ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ، وأبو الحسن والحسين، سبطي رسول الله ﷺ، ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف الذي قيل على لسان علي رضي الله عنه وهو مستوحًى من كلام رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

ويبدأ الحديث بالاستفهام الذي يرغب في الاستماع، وهو مقرون بأداة الاستفتاح "ألا" وهي للتنبيه، والترغيب، والحث على الإصغاء، والاستجابة لما يُقال، وقوله: "أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ"، يحمل معنى الهداية والإرشاد، والتعبير بالبعث

---

(١) لفظ مسلم: (تمثالاً)، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (٩٣/٩٦٩). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٨٧).

(٣) النهاية في (ط م س).

(٤) الوسيط في (ش ر ف).

أعم وأبلغ وأشمل، لأن البعث فيه التنبيه من الغفلة، وفيه دلالة الإرسال لمهمة جادة، وفيه "الإيقاظ" حيث تقول العرب، بعث فلاناً من منامه، أي: أهبه، وجعله يهب من رقدته، ومن معاني البعث: الجيش، والنشر، ففي قول علي بن أبي طالب ﷺ "أبعثك"، إفصاح عن الرغبة في الهداية، وثبات الرجل على ما يوصيه به، ووصية علي ﷺ جاءت في جملتين موجزتين، وهما من تعاليم النبي ﷺ له، وصيغت الجملتان في أسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، وهذا الأسلوب يفيد الحصر، والاستقصاء، فلا يترك المسلم صورة إلا طمسها، ولا يترك قبراً مشرفاً إلا سواه بالأرض، وقوله: "مشرفاً": أي ظاهراً وعالياً يراه الناس، وهذا ما يقوم به كثير من الناس في البلدان الإسلامية، ويتنافسون في ذلك، ويتخذون من القبور بيوتاً.

ووصف القبر بأنه "مشرف" يتضمن دلالة حسية، ودلالة معنوية، فأما الحسية، فهي: العلو؛ لأن الشرف في اللغة هو العلو والمكان العالي، وأما الدلالة المعنوية فهي تتعلق بالنتائج المترتبة على هذا البناء العالي: حيث التفاخر بالقبور، والتنافس في تشييدها وطلائها؛ حتى تكون أحسن وأبهى من القبور المجاورة، وهذا ليس من سمات السلوك الإسلامي، وفي اللغة تتضمن كلمة الشرف هذه الدلالة، فالشرف: هو "المجد"، وهو التفاخر بالآباء الراحلين، أو الأحياء، وهو علو الحسب، وفي ظل هذه الدلالة ندرك سر العدول عن قوله: ولا قبراً عالياً، إلى التعبير الأدق والأبلغ والأشمل، وهو قوله: "ولا قبراً مشرفاً"، وكلمة "سويته"، مطابقة لمقتضى الحال، ومناسبة للمقام، لأنها تراعي أحوال المخاطبين: فالتسوية أخف وقعاً على النفس من قوله مثلاً: "هدمته"، لأن هدم القبور، غير تسويتها: فالمراد: ليس إزالة القبر، ولكن إزالة كل علو فيه، وعدم تجسيمه في أي بناء يميزه. والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- وجوب إتلاف الصور، وخاصة إذا كانت معظمة[1]، لأمر رسول الله ﷺ

---

(١) المبدع في شرح المقنع ١٨٤/٧، وشرح صحيح مسلم ٣٦/٧، ونيل الأوطار ١٣٠/٤، والتصوير في الشريعة، الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، ص ١٠.

بطمسها، وإذا قام شخص بإتلافها فإنه لا يضمن[١].

٢- الأمر بتسوية القبور التي عليها بناء، والمراد بالتسوية تقريبها من الأرض، والمنع من علوها، علواً فاحشاً[٢].

وعلى ذلك فالسنة أن القبر لا يرفع عن الأرض كثيراً، وإنما يرفع نحو شبر فقط. أما رفع القبور عن القدر المأذون فيه فهو حرام[٣]، وتبلغ الحرمة مداها إذا بنيت عليها القباب، وأحيطت بأنواع الزينة والزخارف[٤]، وأضيئت بالمصابيح، كما هو مشاهد الآن في أضرحة الأولياء، والصالحين.

ولعل السبب في التحريم هو ما يترتب على هذه الأمور من إفساد العقيدة، وصرف الناس عن التوجه إلى الله تعالى وحده دون واسطة.

ولو كان هذا الأمر جائزاً لفعله المسلمون على قبر خير خلق الله ﷺ ولكنهم لم يفعلوا، بل جعلوا قبره مساوياً للأرض لم يرتفع عنها إلا قليلاً، وهو ما قدره الفقهاء بشبر.

قال القاسم بن محمد بن أبي بكر: (دخلت على عائشة، فقلت: يا أماه اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما - يعني أبابكر وعمر- فكشفت لي عن ثلاثة قبور، لا مشرفة ولا لاطئة، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء)[٥].

---

(١) منار السبيل ٤٠٩/١.

(٢) منار السبيل ١٧١/١، وشرح فتح القدير ١٤١/٢، وشرح صحيح مسلم ٢٧/٧، والمحلى لابن حزم ٣٣/٥، ونيل الأوطار ١٣٠/٤-١٣١، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٢٩/٤.

(٣) نيل الأوطار ١٣٠/٤.

(٤) المرجع السابق، الموضع نفسه، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٢٩/٤.

(٥) الفقه الواضح للدكتور محمد بكر إسماعيل ٤٢٣/١، دار المنار، ط٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. والحديث أخرجه أبو داود ٣٢٢٠، والحاكم ٣٦٩/١ وصححه ووافقه الذهبي.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: السير على نهج النبي ﷺ في طمس كل صورة محرمة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تسوية القبور وبيان الحكمة من ذلك.

ثالثاً: من واجبات المدعو: الاستجابة لله ورسوله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: السير على نهج النبي ﷺ في طمس كل صورة محرمة:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبي الهياج حيان بن حصين: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رَسُول اللَّهِ ﷺ: أن لا تدع صورة إلا طمستها"، ويكون ذلك: "بإخراج الصورة عن وضعها المحرم إلى وضع تخرج فيه عن الحرمة، ولا يلزم إتلافها بالكلية، بل يكفي حطها إن كانت منصوبة فإن كان لابد من بقائها في مكانها، فيكفي قطع الرأس عن البدن، أو خرق الصدر أو البطن، أو حك الوجه من الجدار، أو محوه أو طمسه بطلاء يذهب معالمه، أو يغسل الصورة إن كانت مما يمكن غسله. وإن كانت في ثوب معلق أو ستر منصوب، فيكفي أن ينسج عليها ما يغطي رأسها"[١]، قال ابن عابدين: "ولو أن قطع الرأس عن الجسد بخيط -مع بقاء الرأس على حاله-، فلا ينفي الكراهة، لأن من الطيور ما هو مطوق، فلا يتحقق القطع بذلك"[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تسوية القبور وبيان الحكمة من ذلك:

هذا ما ورد في الحديث من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبي الهياج، "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟... ولا قبر مشرفاً إلا سويته"، وهذا ما أكده ثمامة بن شفى حيث قال: "كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم، برودس، فتوفى صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوى ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها"[٣].

قال القاضي عياض: "وقد جاء في ذكر الأمر بتسوية القبور آثار عن النبي ﷺ وأصحابه وعن العلماء، وجاء - أيضاً- أنها صفة قبره ﷺ وقبر أبي بكر

---

(١) الموسوعة الفقهية ١٢/١٢٥-١٢٦.

(٢) حاشية ابن عابدين ١/٤٣٦.

(٣) أخرجه مسلم ٩٦٨.

وعمر رضي الله عنهما، وجاء - أيضاً - أنها تسنم، وتسنيمها اختيار أكثر الفقهاء وجماعة أصحابنا وأبي حنيفة والشافعي، وحكى بعضهم فيه خلاف، وحمله بعضهم على الرفق، وجمعوا بين الأمرين بتسويتها وبين تسنيمها: أن تسويتها ألا يبني عليها بناء عالياً ولا تعظم، كما كانت قبور المشركين، وتكون لاطيةً بالأرض، ثم تسنم ليتميز أنه قبر.

وقد جاء عن عمر رضي الله عنه أنه هدمها وقال: ينبغي أن تسوى تسوية تسنيم"[١].

والتسنيم في اصطلاح الفقهاء: رفع القبر عن الأرض مقدار شبر أو أكثر قليلاً وفي النظم المستعذب: التسنيم أن يجعل أعلى القبر مرتفعاً ويجعل جانباه ممسوحين مسندين، وهو: أن يجعل منبسطاً متساوي الأجزاء، لا ارتفاع فيه ولا انخفاض كسطح البيت.

ولا خلاف بين الفقهاء في استحباب رفع التراب فوق القبر قدر شبر ولا بأس بزيادته عن ذلك قليلاً على ما عليه بعض فقهاء الحنفية ليعرف أنه قبر، فيتوقى ويترحم على صاحبه"[٢].

وقال د. محمد رواس قلعه جي في قوله: "فإذا وضع الميت في قبره وأهيل عليه التراب فإنه يستحب أن يرتفع القبر عن الأرض قدر شبر، لكي يعرف فلا يوطأ، ويمكن أن يجعل مسطحاً أو مسنماً دون أن يبني عليه، والتسنيم أفضل"[٣].

لقول سفيان التمار: "إنه رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسنماً"[٤].

وهذا إذا دفن المسلم في دار الإسلام، أما إن دفن المسلم في غير دار الإسلام، بأن دفن في بلد الكفار أو دار حرب، وتعذر نقله إلى دار الإسلام، فالأولى تسوية قبره بالأرض، وإخفاؤه أولى من إظهاره وتسنيمه خوفاً من أن ينبش فيمثل به، وفي ذلك

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٣٨/٣.

(٢) الموسوعة الفقهية ٣٤٢/١١ ومصادرها.

(٣) لموسوعة الفقهية الميسرة ١٥٤١/٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب: ٩٦، فوق حديث رقم ١٣٩١.

صيانة له عنهم. وألحق به الأذرعي: الأمكنة التي يخاف نبشها لسرقة كفنه أو لعداوة ونحوهما"[١].

وفي بيان الحكمة من أمر النبي ﷺ بتسوية القبور على النحو المبين، قال ابن القيم: (ومن أعظم مكايده - أي ابليس- التي كاد بها أكثر الناس، وما نجا منها إلا من لم يرد الله فتنته: ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه، وأوليائه من الفتنة بالقبور، حتى آل الأمر فيها إلى أن عبد أربابها من دون الله، وعبدت قبورهم واتخذت أوثاناً، وبنيت عليها الهياكل، وصورت صور أربابها فيها، ثم جعلت تلك الصور أجساداً لها ظل، ثم جعلت أصناماً وعبدت مع الله تعالى، وكان أول هذا الداء العظيم في قوم نوح، كما أخبر سبحانه عنهم في كتابه، حيث يقول: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ﴾[٢])[٣].

وقال أيضاً ابن القيم: "ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به ونهى عنه، وما كان عليه أصحابه رضي الله عنهم، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر مناقضاً له، بحيث لا يجتمعان أبداً، فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون عندها، ونهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد؛ مضاهاة لبيوت الله، ونهى عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها، ونهى عن أن تتخذ عيداً، وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر. وأمر بتسويتها وهؤلاء يبالغون في مخالفة ذلك ويرفعونها عن الأرض كالبيت ويعقدون عليها القباب"، إلى أن قال: "فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده من

---

(١) الموسوعة الفقهية، ٣٤٤/١١، ومصادرها.

(٢) سورة نوح، الآيات: ٢١-٢٤ .

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ١٨٢/١-١٨٣.

النهى عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه؟ ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره"، ثم أخذ يذكر تلك المفاسد، إلى أن قال: "ومنها: أن الذي شرعه النبي ﷺ عند زيارة القبور إنما هو تذكرة الآخرة، والإحسان إلى المزور بالدعاء له، والترحم عليه، والاستغفار له وسؤال العافية له؛ فيكون الزائر محسناً إلى نفسه وإلى الميت، فقلب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت، ودعاءه والدعاء به، وسؤاله حوائجهم، واستنزال البركات منه، ونصره لهم على الأعداء ونحو ذلك، فصاروا مسيئين إلى أنفسهم وإلى الميت، ولم يكن إلا بحرمانه بركة ما شرعه الله تعالى من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له"(١).

ثالثاً- من واجبات المدعو: الاستجابة لله ورسوله:

هذا ما يستفاد من الحديث في قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبي الهياج: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ"، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(٢)، قال القرطبي: "قال مجاهد والجمهور: المعنى: استجيبوا للطاعة، وما تضمنه القرآن من أوامر ونواه؛ ففيه الحياة الأبدية، والنعمة السرمدية"(٣). وقال تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٤)، قال السعدي: "يأمر تعالى عباده المؤمنين

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ١/١٩٥، ١٩٧، ١٩٨-١٩٩.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٩/٤٨٤.

(٤) سورة الأحقاف، الآيتان: ٣١-٣٢ .

بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي: الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه والإنكفاف عنه، والنهى عنه"[١].

(والعباد مأمورون بالاستجابة لله تعالى الذي يدعوهم من خلال هذه الرسالات التي أكرم الحق تبارك وتعالى بها عباده، إذ أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه ليعبدوه ويوحدوه سبحانه وتعالى، فكل أمة لها رسول - تفضلاً من الله وكرماً - حتى لا يكون للعباد عذر، ومقابل هذا الفيض الكبير يطلب منهم سبحانه وتعالى -وهو الغني عن العالمين- "أن يقبلوا عليه ولا يشركوا به أحداً)[٢].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٢٨٠.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، الهجاري، ٤٢٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: أسلوب الترهيب:

يعد الترهيب من أهم أساليب التربية، وقد رهبت أحاديث الباب من التصوير الذي فيه مضاهاة لخلق الله تعالى بالعذاب يوم القيامة وفي جهنم، وكذلك رهبت من اقتناء كلب في البيت أو تعليق صورة لأن ذلك يؤدي إلى عدم دخول الملائكة للبيت.

وللترهيب وعيد وتهديد بعقوبة، تترتب على اقتراف إثم أو اجتراح ذنب قد نهى الله عنه، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا دائمًا على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي[١]، فالترهيب هو العنصر الذي يمثل القوة الصادة عن الانحراف إلى سبيل الشر، التي ينهى عنها الإسلام، وذلك لأن إثارة المخاوف من سلوك سبيل ما، أو القيام بعمل ما، من شأنها أن تقلل من اندفاع الإنسان نحو ذلك السبيل أو ذلك العمل، وأن تضعف من قوته، وتجعله قلقًا حذرًا، حتى ولو غامر في الأمر، واستهان بالمخاوف، إلا أن محاذير سلوك سبيل الشر عواقب وخيمة لا يستهين العقلاء بها بحال من الأحوال، متى تبصروا بها حقًا، وعلى مقدار نمو الحذر من جهة من الجهات تخبو جذوة الأطماع والأهواء المتأججة نحوها، وبالتكرار والمعالجة المتتابعة تنصرف النفس انصرافًا نهائيًا، وتكتسب خلق الزهد والعفة عن المحارم، مهما كانت إغراءاتها آسرة، ومثيرة لرغباتها وأهوائها[٢].

ومن الملاحظ أن طائفة من الناس لا يصلحهم الإقناع الفكري المجرد، ولا تكفي لإصلاحهم وسيلة الترغيب، وإن أنجح علاجات الإصلاح بالنسبة إليهم إنما هي وسيلة الترهيب، فهم يتأثرون بالمخاوف أكثر من تأثرهم بالمرغبات، وذلك لأنهم قد يكونون ممن يؤثرون اللذات العاجلة مهما كانت ضئيلة على الخيرات الآجلة مهما كانت جليلة،

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٣١.

(٢) أسس الحضارة الإسلامية، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ص٢٥٥.

ومن أجل ذلك يضعف لديهم أثر الترغيبات بالثواب الجزيل على فعل الخير وترك الشر، لكنهم إذا مثلت المخاوف المحققة في نفوسهم تيقظوا وحذروا واستقاموا(١).

والرسول ﷺ الذي لم يغفل عن أي طريقة أو أسلوب يوجه الإنسان ويرشده إلى السلوك الذي تصلح به حياته الدنيوية والأخروية اعتمد فيها الترهيب كأسلوب تربوي لتصحيح مسار الإنسان وزجره عن كثير من السلوكيات الخاطئة والانحرافات السيئة، من خلال ما أخبر به من وعيد وعذاب يرتقب المخالفين والمنحرفين والمقصرين، فكان له أكبر الأثر في استقامة المخاطبين ووضعهم على جادة الصواب(٢).

ثانيًا: التربية بالملاحظة والمتابعة:

إن المربي الناجح هو من يقوم بملاحظة ومتابعة سلوك وتصرفات من يقوم بتربيتهم أو المسؤولين منه حتى يدلهم على الصواب ويجنبهم ويبعدهم عن ارتكاب الأخطاء أو ما يخالف أحكام الدين ويظهر هذا جليًا في هذا الباب في فعل النبي ﷺ مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما قدم عليها من سفر وقد سترت سهوة لها بقرام فيه تماثيل، فلما رآه ﷺ تلون وجهه وقال: «يَا عَائِشَةُ! أَشَدُّ النَّاسِ عَذابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ». قالَتْ : فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ».

كذلك من التربية بالملاحظة والمتابعة ذات الأهمية العظمى ملاحقة الولد وملازمته في التكوين العقدي والأخلاقي ومراقبته وملاحظته في الإعداد النفسي والاجتماعي، والسؤال المستمر عن وضعه وحاله في تربيته الجسمية وتحصيله العلمي.

ولاشك أن هذه التربية تُعد من أقوى الأسس في إيجاد الإنسان المتوازن المتكامل الذي يؤدي لكل ذي حق حقه في الحياة. والذي تدفعه إلى أن ينهض بمسئولياته، ويضطلع بواجباته على أكمل وجه وأنبل معنى، والذي تجعل منه مسلمًا حقيقيًا يكون الحجر الأساس لبناء القاعدة الإسلامية الصلبة التي بها يتحقق عز الإسلام، وبالاعتماد عليها تقوم الدولة الإسلامية قوية عتيدة، تضاهي الأمم بحضارتها ومكانتها وكيانها.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د/زياد محمود العاني، ص٢٥١.

والإسلام بمبادئه الشاملة، وأنظمته الخالدة حض الآباء والأمهات والمربين جميعًا إلى أن يهتموا بملازمة أولادهم ومراقبة أفلاذ أكبادهم... في كل ناحية من نواحي الحياة وفي كل جانب من جوانب التربية الشاملة[١].. ومما يدل على ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[٢].

قال الضحاك ومقاتل: حق على المعلم أن يعلم أهله، من قرابته وإمائه وعبيده، ما فرض الله عليهم، وما نهاهم الله عنه[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾[٤].

ومن الأحاديث قوله ﷺ: «والرَّجُلُ راعٍ في أهلهِ وَهوَ مَسؤولٌ عن رعيَّتهِ، وَالمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زَوجِها وَمَسؤولةٌ عن رَعيَّتِها، ....»[٥].

فعلى المربي أن يلحظ الولد ويلاحقه، ويلزم أدبه ويراقب حركاته وسكناته. حتى إذا أهمل حقًا أرشده إليه، وإذا قصر في واجب حضّه عليه، وإذا رأى منكرًا نهاه عنه وإذا فعل معروفًا شكر له صنيعه.

ومن الأمور التي لا يختلف عليها اثنان أن ملاحظة الولد ومراقبته لدى المربي هي من أفضل أسس التربية وأظهرها. ذلك لأن الولد دائمًا موضوع تحت مجهر الملاحظة والملازمة حيث المربي يرصد عليه جميع تحركاته وأقواله وأفعاله واتجاهاته.. فإن رأى خيرًا أكرمه وشجعه عليه، وإن رأى منه شرًا نهاه عنه وحذره منه، وبين له عواقبه الوخيمة، ونتائجه الخطيرة.. وبمجرد أن يغفل المربي أو يتغافل عن الولد، فإنه سينزع لا محالة إلى الانحراف، ويتوجه – ولا شك- نحو الزيغ والانحلال، فعندئذ يكون هلاكه المحقق، ودماره المحتوم!!.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٢٧.
(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/١٦٧.
(٤) سورة طه، الآية: ١٣٢.
(٥) أخرجه البخاري، ٨٩٣، ومسلم، ١٨٢٩.

ومعلمنا الأول، وهادينا الأكرم عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم كان يعطي لأمته القدوة الصالحة في حسن رعايته لأصحابه، وتفقده لهم، وسؤاله عنهم، ومراقبة أحوالهم، ومحاذرة مقصريهم، وتشجيع محسنيهم، والعطف على فقرائهم ومساكينهم، وتأديب الصغار منهم وتعليم الجهلة فيهم[1].

ثالثًا: من وسائل التربية: السماع:

إن الوسائل السمعية التي تعتمد على الاستماع أكثر من اعتمادها على الحواس الأخرى، تعتبر من وسائل التربية الإسلامية المفيدة وتظهر هذه الوسيلة في هذا الباب في قول ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار....»، وقوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صور صورة في الدنيا، كلف أن ينفخ فيها....إلخ».

وقول ابن مسعود رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ».

وقول أبي هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟...»، فالسماع وسيلة تربوية ينبغي توظيفها في تنمية الإيمان وطاعة الله عز وجل قال تعالى: ﴿وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾[2].

ومن التقنيات التي تستخدم الوسائل السمعية ما يلي:

١ - الإذاعة المدرسية: حيث تقدم من خلالها التلاوة النموذجية، وبعض الأحاديث وسير السلف الصالح.

٢ - الإذاعة العامة (الراديو) وتقدم من خلالها التلاوة أيضًا والتفسير والأحاديث واستضافة العلماء والبرامج الدينية الأخرى... وعلى المعلم توجيه الطلبة لمتابعة هذه البرامج.

٣ - المسجل: حيث يستمع الطالب إلى التلاوة والأناشيد والأحاديث الدينية المساعدة على تحقيق الأهداف من خلاله.

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٢٩.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.

٤ - مختبر اللغة: ويتم فيه التدريب على أداء القرآن الكريم[١].

وقد تكون وسيلة السمع: سمعية بصرية، وهي التي تعتمد على حاستي السمع والبصر معًا في إكساب الخبرات والمهارات للتلاميذ وتزيد معارفهم وتنمي قيمهم واتجاهاتهم ومن تلك الوسائل:

١ - التلفاز (التلفزيون) الذي يقدم صورة متحركة مرئية ومسموعة فتثير الدافعية في الطفل أو التلميذ وتزيد فيه الرغبة والرهبة (في البرامج الإسلامية الموجهة).

٢ - الحاسوب بحيث أصبحت هناك أنواع مختلفة، منها ما يعتمد استخدامها على السمع والبصر معًا ويستفاد منها في تقديم أنواع برامج الشريعة وغيرها[٢].

وبما أن هذه الوسائل السمعية البصرية أصبحت بداخل كل بيت بما تحمله من حسن وقبيح، وهادف وهادم للأخلاق، وخاصة الناشئة، تبرز أهمية دور المربين، وخاصة الوالدين في التوجيه والتصحيح والمتابعة والمراقبة للأولاد في استخدام هذه الوسائل، حتى لا تكون سببًا في انحرافهم، وضياع قيمهم وأخلاقهم بل ينبغي توظيفها فيما يفيد في تنمية المعلومات والإفادة من الثقافات، والتدرب على أحدث التكنولوجيات بما يتماشى مع القيم والأخلاق الإسلامية.

رابعًا: التربية بالحدث والمشاهدة:

التربية بالحدث والمشاهدة تعني استثمار الفرصة المناسبة لموقف معين، أو حدث طارئ، أو مشهد في توجيه موعظة مؤثرة تكون الفرصة المناسبة، أو الحدث الطارئ، أو المشهد المثير مفتاحًا لهذه الموعظة، وعاملاً نفسيًا دافعًا لتقبلها.

والحياة الدنيا حافلة بالأحداث والسلوكيات، والأعمال التي يقوم بها الإنسان، وهذه الأحداث والسلوكيات والأعمال، منها ما هو مقبول معتاد، ومنها ما هو غير مقبول يطرأ أحيانًا وينبغي تصحيحه، ومن واجب المربي، أن يُحسن كيفية استثمار الفرصة والحدث، لتصحيح السلوكيات الخاطئة، وتقويم المعوج منها وتصويبه[٣]. وقد

---

(١) انظر: طرق تدريس التربية الإسلامية، د. هدى على جواد الشمري، ص١٢١ ومراجعه.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٢، ١٣٣، ومراجعه.

(٣) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص٣٨٤.

كانت الأحداث في حياة الجماعة وسائل التربية لهذه الجماعة وأعمقها أثرًا فيها ففي كل حدث درس، وفي كل درس عبرة لا تنسى[١].

حتى كادت لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم من هذه التوجيهات السديدة والنصائح الرائعة، أو العتاب الحاني، الذي يتبع حدثًا معينًا أو اجتهادًا خاطئًا، أو تصورًا مخالفًا لمقتضيات الشرع وأساسات الدين.

وكذلك كان الرسول ﷺ يستثمر الحدث الطارئ، أو الفرصة المناسبة، أو المشهد، لتوجيه أصحابه وحثهم على التأمل والتدبر، والعظة والعبرة. لما يشاهدون أو يسمعون، ولا يدعه يمر دون تصويب رأي معين أو تعديل سلوك خاطئ والأمثلة في هذا الباب واضحة في موضعين:

الأول: حدث ومشهد رآه ﷺ عندما قدم من سفر على عائشة رضي الله عنها فوجدها تستر سهوة لها بقرام فيه تماثيل، فلم يترك ﷺ هذا المشهد دون تصحيح، بل صحح سلوك أم المؤمنين عائشة، بما يتفق مع أحكام الدين، فتلون وجهه ﷺ مما يدل على إنكاره وكراهيته لهذا الأمر، وقال: «يَا عَائِشَةُ! أَشَدُّ النَّاسِ عَذابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ». قالَتْ: فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ.

الثاني: المشهد والحدث الثاني هو عندما واعد جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ أن يأتيه في ساعة، فجاءت تلك الساعة ولم يأته، فعلم ﷺ أن هناك أمرًا منعه من المجيء لأنه كما قال: «ما يخلف الله وعده ولا رسله» وكان المانع من مجيئه جروًا وجده ﷺ تحت سريره، فأمر به فأخرج فجاءه جبريل عليه السلام فقال رسول الله ﷺ: «وعدتني، فجلست لك ولم تأتني، فقال منعني الكلب الذي كان في بيتك، إنا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة».

فما أكثر الأحداث والمشاهد في الحياة بل إن الحياة كلها أحداث ومشاهد والمربي الناجح يعمل على توظيف المشاهد والأحداث في تصحيح سلوكيات من يقوم بتربيتهم وحسن توجيههم.

❁ ❁ ❁

---

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١٥١/٢.

٣٠٦- باب تحريم اتخاذ الكلب إلا لصيد أو ماشية أو زرع

الحديث رقم (١٦٩٠)

١٦٩٠- عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: ((مَنِ اقْتَنَى كَلْباً إلاَّ كَلْبَ صَيْدٍ أوْ مَاشِيَةٍ، (فَإنَّهُ)[1] يَنْقُصُ مِنْ أجْرِهِ كُلَّ يَومٍ قِيرَاطَانِ)). متفق عليه[2].

وفي رواية[3]: (قِيرَاطٌ).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الماشية: هي: الإبل والبقر والغنم، وأكثر ما يستعمل في الغنم[4].

قيراطان: القيراط هنا مقدار معلوم عند الله تعالى، والمراد نقص جزء من أجر عمله[5].

الشرح الأدبي

إن التشريع الإسلامي يحرص على أن يظل المسلم نظيف البدن وطاهر الثوب والمكان، ولذلك يتوعد رسول الله ﷺ هؤلاء الذين يقتنون الكلاب للزينة لأو للمتاجرة فيها، أو للتسلية بأن الحق - سبحانه وتعالى- سينقص من أجرهم في حياتهم كل يوم قيراطين، والحديث يتسم بالدقة الأسلوبية، وليس فيه نزعة تصويرية

---

(١) (فإنه) لا توجد عندهما في هذه الرواية، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٨١)، ومسلم (١٥٧٤/٥١). أورده المنذري في ترغيبه (٤٥٤٠).

(٣) برقم (١٥٧٤/٥٣).

(٤) الوسيط في (م ش ي).

(٥) شرح صحيح مسلم ١٠٠٠.

كالتشبيه أو الاستعارة أو غير ذلك، وإنما صاغه رسول الله ﷺ في جملة واحدة شرطية، وهذه الصياغة تتوافق مع ما يرسيه الحديث من قاعدة شرعية، وهي تحريم اقتناء الكلاب إلا لحاجة ضرورية، وهي: الصيد أو حراسة الماشية أو الدور والمنشآت، ومن يخالف ذلك فعقوبته أن ينقص الله تعالى من أجره كل يوم قيراطين، "فالجزاء من جنس العمل" وصيغة الشرط تتضمن الإقناع، وتتضمن كذلك مساحة للاختيار.. وتفصيل ما فيه من الأجر والثواب، وكذلك تتضمن الدعوة إلى الإقلاع عن هذا العمل حتى لا ينقص الأجر الذي ينتظره.

والاستثناء الذي تضمنته الجملة الشرطية، ووقع في دائرتها: يرشد إلى أن الحكم ليس عاماً، حيث تطرأ حالات ومواقف فيها يباح للمسلم اتخاذ الكلب للصيد أو للحراسة.

وتأكيد جواب الشرط بـ"إن" المؤكدة، والتصريح بنقص الأجر كل يوم يُوحي بأن الأمر جد وواقع حقيقة، وليس من باب الترهيب فقط، وقوله: "ينقص من أجره كل يوم قيراطان"، كناية عن أن الإثم الحاصل باقتنائه الكلب يوازي قيراطين، فينقص من أجر عمله الصالح قدر ما يترتب عليه من الإثم: كل يوم. والله أعلم.

فقه الحديث

ويشتمل هذان الحديثان على الأحكام الفقهية الآتية:

١- إباحة اتخاذ الكلاب للصيد والماشية، وكذا الزرع، وغير ذلك من الأمور التي قد يؤدي استعمال الكلاب فيها إلى جلب نفع، أو دفع ضرر[1].

وإنما يباح اتخاذ هذه الكلاب ما لم يحصل الاتفاق على قتله، كالكلب العقور[2]، والأسود البهيم[3]، وإلا لم يبح.

---

(١) شرح فتح القدير ١١٨/٧، ١١٩، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ١٨٨/٦، وحاشية ابن عابدين ٢٢٧/٥، والتمهيد لابن عبدالبر ٢١٧/١٤-٢١٨، والفواكه الدواني ٩٤/٢، والمهذب للشيرازي ٢٦١/١، والمجموع للنووي ٢١٩/٩، والكافي في فقه الإمام أحمد ١٠/٢، والمغني لابن قدامة ١٧٣/٤، وكشاف القناع ١٥٤/٣.

(٢) فتح الباري ٧/٥، وكشاف القناع ١٥٣/٣.

(٣) كشاف القناع ١٥٣/٣.

٢- عدم جواز اتخاذ الكلاب لغير ما ذكر[١]، لأنه في هذه الحالة يكون مقتنياً ما لا منفعة فيه، واقتناء ما لا منفعة فيه يعد سفهاً فلا يجوز[٢].

٣- يجوز تربية الجرو[٣] الصغير لأجل المنفعة التي يؤول أمره إليها إذا كبر من صيد أو حراسة ماشية، أو حرث، لأنه قصد به ما يباح[٤]، فيكون قصده قائماً مقام وجود المنفعة به، قياساً على جواز بيع ما لا ينتفع به في الحال لكونه ينتفع به في المآل[٥].

وإن كان هناك وجه عند الشافعية[٦]، والحنابلة[٧] يرى عدم جواز تربية الجرو الصغير. والراجح: الرأي الأول لقوة دليله.

٤- أما عن سبب نقصان الأجر باقتناء الكلب، فقد حكى النووي الخلاف فيه فقال: (اختلف العلماء في سبب نقصان الأجر باقتناء الكلب، فقيل: لامتناع الملائكة من دخول بيته بسببه، وقيل: لما يلحق المارين من الأذى من ترويع الكلب لهم، وقصده إياهم وقيل: إن ذلك عقوبة له لاتخاذه ما نهى عن اتخاذه، وعصيانه في ذلك، وقيل: لما يبتلى به من ولوغه في غفلة صاحبه ولا يغسله بالماء والتراب. والله أعلم)[٨].

المضامين الدعوية[٩]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من اقتناء الكلب لغير حاجة.

ثانياً: من مهام المدعو: بيان الحكمة في الترهيب ونقصان الأجر من اقتناء الكلب لغير حاجة.

---

(١) شرح فتح القدير ١١٨/٧، والتمهيد ٢١٧/١٤، والمغني لابن قدامة ١٧٣/٤، والمجموع ٢١٩/٩، وكشاف القناع ١٥٤/٣.

(٢) المهذب ٢٦١/١، ٢١٩/٩.

(٣) كشاف القناع ١٥٤/٣، والمغني ١٧٣/٤، والمهذب ٢٦١/١، والمجموع ٢١٩/٩.

(٤) المراجع السابقة، المواضع نفسها.

(٥) فتح الباري ٧/٥.

(٦) المهذب ٢٦١/١، والمجموع ٢١٩/٩.

(٧) الكافي في فقه الإمام أحمد ١٠/٢، والمغني لابن قدامة ١٧٣/٤.

(٨) شرح صحيح مسلم ٢٧٣/٥.

(٩) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٩٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٩١).

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من اقتناء الكلب لغير حاجة:

هذا ما أشار إليه في قوله ﷺ "من اقتنى كلباً إلا كلب صيد أو ماشية فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطان، وأيضاً في قوله ﷺ: "فإنه ينقص من عمله كل يوم قيراط إلا كلب حرث أو ماشية".

قال ابن حجر: "يقال اقتنى الشيء إذا اتخذه للادخار"[1]، وقال النووي في قوله ﷺ: "نقص من عمله" فمعناه: "من أجر عمله. وأما القيراط هنا فهو مقدار معلوم عند الله تعالى والمراد: نقص جزء من أجر عمله، وأما اختلاف الرواية في قيراط وقيراطين فقيل: يحتمل أنه في نوعين من الكلاب أحدهما أشد أذى من الآخر، ولمعنى فيهما أو يكون ذلك مختلفاً باختلاف المواضع، فيكون القيراطان في المدينة خاصة لزيادة فضلهما والقيراط في غيرها أو القيراطان في المدائن ونحوها من القرى والقيراط في البوادي، أو يكون ذلك في زمنين، فذكر القيراط أولاً ثم زاد التغليظ فذكر القيراطين"[2].

قال ابن حجر: "يحتمل أن تكون العقوبة تقع بعدم التوفيق للعمل بمقدار قيراط مما كان يعمله من الخير لو لم يتخذ الكلب ..."، والمراد بالنقص أن الإثم الحاصل باتخاذه يوازي قدر قيراط أو قيراطين من أجر فينقص من ثواب عمل المتخذ قدر ما يترتب عليه من الإثم باتخاذه وهو قيراط أو قيراطان ...، وقال ابن التين المراد أنه لو لم يتخذه لكان عمله كاملاً، فإذا اقتناه نقص من ذلك العمل، ولا يجوز أن ينقص من عمل مضى، وإنما أراد أنه ليس عمله في الكمال عمل من لم يتخذه أ.هـ، وما ادعاه من عدم الجواز منازع فيه، فقد حكى الروياني في "البحر" اختلافاً في الأجر هل ينقص من العمل الماضي أو المستقبل، وفي محل نقصان القيراطين فقيل من عمل النهار قيراط ومن عمل

---

(١) فتح الباري ٩/٥٢٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٠٠٠

الليل آخر وقيل من الفرض قيراط ومن النفل آخر"[١]، وفي ذلك بيان على الترهيب من اقتناء الكلب لغير الأغراض المشروعة من صيد أو ماشية أو زرع.

ثانياً- من مهام المدعو: بيان الحكمة في الترهيب ونقصان الأجر من اقتناء الكلب لغير حاجة:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، وفي ذلك قال النووي: "واختلف العلماء في سبب نقصان الأجر باقتناء الكلب فقيل: لامتناع الملائكة من دخول بيته بسببه، وقيل: لما يلحق المارين من الأذى من ترويع الكلب لهم وصده إياهم، وقيل إن ذلك عقوبة له لاتخاذه ما نهى عن اتخاذه وعصيانه في ذلك، وقيل لما يبتلى به من ولوغه في غفلة صاحبه ولا يغسله بالماء والتراب"[٢].

فعلى الداعية أن يبين الحكمة ويظهرها لما في ذلك من حمل المدعوين على سرعة الامتثال لأمر الله ورسوله في عدم اقتناء الكلب لغير حاجة.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

هذا ما ورد في ترهيبه ﷺ: بنقص الأجر عند اقتناء الكلب لغير حاجة، "والترهيب من الأساليب الدعوية الهامة في إخافة المدعو وحمله على اجتناب ما رهب منه"[٣]. "ومما لاشك فيه أن النفس البشرية قد جبلت على كره الشر والرغبة في البعد عنه فكان الترهيب هو الأداة الهامة في حملها على الامتثال للأوامر والبعد عن النواهي)"[٤].

"وتظهر مكانة الترهيب وأهميته من أمر الله تعالى الصريح بتطبيقه في حقه جل ثناؤه. قال تعالى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[٥]. وقوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾[٦]. وقوله تعالى:

---

(١) فتح الباري ٩/٥-١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٠٠٠.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ١٦٠.

(٤) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، حمدان الهجاري، ٤٤٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ٤٠.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٧٥.

﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾[١]"[٢].

"والترهيب من أبرز أساليب المنهج العاطفي: فهو يغوص في النفس الإنسانية، ويخاطب فيها العاطفة والوجدان، ويهيج فيها عنصر الخوف، ومتى وجد الخوف في القلوب والنفوس قطع فيها دابر الشهوات واللذات"[٣]، "حتى تصير المعاصي والآثام المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سماً، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة"[٤].

"فالحاجة إلى الترهيب ضرورة لازمة للدعاة والمحتسبين عند الآخذ بأيدي الناس إلى الخير وإنقاذهم من التعرض للمعاصي المؤدية لسخط الله تعالى، مع مراعاة أن الترهيب عملية تضعف وتشتد حسب ضعف السبب وقوته، وإنها مراتب تبدأ بالقول لمن سمع وعقل وتدبر، وتنتهي بالعقوبة لمن عاند وجحد واستكبر"[٥].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٤٤.

(٢) الترهيب في الدعوة، د.رقية نياز، ٧٠.

(٣) المرجع السابق ٧٣.

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٥٦/٤.

(٥) الترهيب في الدعوة، د. رقية نياز، ٧٠.

الحديث رقم (١٦٩١)

١٦٩١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ أمْسَكَ كَلْباً، فَإنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَومٍ قِيرَاطٌ، إلاَّ كَلْبَ حَرْثٍ أوْ مَاشِيَةٍ)). متفق عليه[1].

وفي رواية لمسلم[2]: ((مَنِ اقْتَنَى كَلْباً لَيْسَ بِكَلْبِ صَيْدٍ، وَلاَ مَاشِيَةٍ وَلاَ أرْضٍ، فَإنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أجْرِهِ قِيرَاطَانِ كُلَّ يَوْمٍ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

الحرث: الزرع[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتفق في نصه مع الحديث السابق: مع التقديم والتأخير في بعض الألفاظ، وتغيير بعض الكلمات، وقد جاء في قالب الجملة الشرطية، مثل: الحديث السابق، ولكن فعل الشرط هنا "أمسك كلباً"، وفي الحديث السابق: "اقتنى كلباً"، ودلالة الفعلين واحدة، فقوله: "أمسك كلباً": أي على وجه القنية، كما قال العلماء.

وفي هذا الحديث: جاء جواب الشرط تالياً لجملة: فعل الشرط، وهو قوله: "فإنه ينقص من عمله...الخ"، وهو هنا مؤكد بـ"إن" إيحاء بوجوب الامتناع عن اقتناء الكلاب إلا لضرورة.

والنص هنا يحدد بأنه ينقص من عمله كل يوم قيراط، وفي الحديث السابق: قيراطان، وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه: يقول النص: ينقص من أجره قيراطان

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٢٢)، ومسلم واللفظ له (١٥٧٥/٥٩). أورده المنذري في ترغيبه (٤٥٤١).

(٢) برقم (١٥٧٥/٥٧). أورده المنذري في ترغيبه (٤٥٤١).

(٣) الوسيط في (ح ر ث).

كل يوم، وقد تأول بعض العلماء ذلك فقالوا: نقص القيراطين باعتبار كثرة الأقذار باتخاذ الكلب، ونقص القيراط باعتبار قلتها.

وجملة الاستثناء في هذا الحديث وردت في ختام الحديث للاحتراز من شبهة التعميم في كل الحالات والظروف.

وفي الحديث السابق ورد الاستثناء في قلب الحديث: بين الشرط والجواب حتى لا يتسرب أي ظن لدى السامع، بأنه لا يباح اقتناء الكلاب أبداً، مهما كانت الأسباب، فأتى بهذا الاستثناء منعاً لهذا الظن حتى تستريح نفس المسلم الذي يتخذ الكلاب للحراسة أو للصيد: أي لمهمة نافعة، وليس للزينة أو التسلية أو المهارشة أو المتاجرة أو المقامرة والمسابقات المخادعة اللاهية العابثة. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية الوقائية:

استخدم الإسلام أسلوب الوقاية للفرد المسلم وللأسرة والمجتمع، من خلال تحذيرات الرسول ﷺ من بعض السلوكيات الخاطئة التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك والمجتمع والدولة إلى الضعف والهوان، أو من خلال بعض التوجيهات التي تخص الفرد المسلم والمجتمع المسلم[1].

من هذه التوجيهات والتحذيرات تحريم اقتناء الكلاب إلا لصيد أو ماشية أو زرع، كما دلت أحاديث الباب، وقد ثبت طبيًا أن عدم اقتناء الكلاب فيه وقاية من كثير من الأمراض.

قال د. أحمد مصطفى متولي: (قال البروفيسور نلسون: عجبت لتعاليم الرسول ﷺ التي تنهى عن مخالطة الكلاب فلعابها يجب أن يبعد، والآنية التي تلعق يجب أن تغسل عدة مرات، والكلب لا يصح أن يدخل البيت ((لا تدخل الملائكةُ بيتًا فيهِ كلبٌ ولا صورةٌ))[2] فتعاليم الرسول ﷺ تقف وحدها من بين تعاليم الناس كلهم إلى يومنا هذا متميزة واضحة بأن هذا الكلب يجب أن يعامل هذه المعاملة، وقال لما اكتشف المجهر، وأخذنا ندرس الجراثيم والطفيليات جئنا نبحث عن الكلب فوجدنا الكلب يحمل أكثر من خمسين مرضًا طفيليًا، والقط لا يحمل بنفسه مرضًا واحدًا، ولكنه يتسبب في مرض طفيلي.

وقال د. جون هانفر: الكلب يحمل الكثير من الأمراض المعدية فهو يحمل ما يقارب خمسين مرضًا طفيليًا، وكثير منها يوجد في لعابه، بينما يعد القط من أطهر الحيوانات من الناحية الطبية، إذ هو لا يحمل من الجراثيم والميكروبات إلا ما يسبب مرضًا واحدًا فقط)[3].

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص ٢٥٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٢٥، ٣٣٢٢، ومسلم ٢١٠٦.

(٣) الموسوعة الأم في تربية الأولاد ٢/٥٤٦.

ومن حكم الإسلام لوقاية الأبدان تقريره نجاسة الكلب، فقد قال النبي ﷺ: ((إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيُرِقْهُ، ثُمَّ لْيَغْسِلْهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ إِحْدَاهُنَّ بِالتُّرَابِ))[1].

ومعنى ذلك ألا يأكل الإنسان من وعاء ولغ فيه الكلب ولوثه بفمه وأنفه ووضع فيه مختلف الجراثيم والأمراض.

وهذه معجزة علمية للإسلام سبق بها الطب الحديث الذي أثبت: أن الكلاب تنقل كثيرًا من الأمراض إلى الإنسان. جاء في مجلة "كوسموس" الألمانية تحت عنوان: "الأخطار التي تنشأ عن اقتناء الكلاب أو الاقتراب منها" للدكتور جرادفنتسر، قوله: إن ازدياد شغف الناس باقتناء الكلاب في هذا العهد الأخير يضطرنا إلى لفت الأنظار للأخطار التي تنجم عن ذلك، وخاصة إذا دفع اقتناؤها إلى مداعبتها وتقبيلها والسماح لها بلحس أيدي أصحابها وتركها تلعق فضلات الطعام من أوانيها "فكل ما ذكر مع نُبوّه عن الذوق السليم، ومنافاته للآداب لا يتفق وقوانين الصحة، فإن الأخطار التي تهدد صحة الإنسان وحياته بسبب هذا التسامح مما لا يستهان بها. فإن الكلاب تصاب بدودة شريطية تتعداها إلى الإنسان، وتصيبه بمرض عضال قد تصل إلى حد العدوان على حياته".

وقد ثبت أن جميع أجناس الكلاب حتى أصغرها حجمًا لا تسلم من الإصابة بهذه الديدان الشريطية.

وقد رؤي في إقليم فريزلند بهولنده حيث تستخدم الكلاب في الجر: أن في كل مائة منها ١٢ إصابة. ووجد في اسلانده شخص مصاب بهذه الآفة في كل ٤٣ شخصًا من أهاليها، وشوهد أن هذه النسبة تزيد في أستراليا إذ ثبت وجود شخص في كل ٣٩ شخصًا من سكانها، وثبت كذلك أنها كانت سببًا مباشرًا للكثير من الأمراض في الأقطار الأخرى.

---

(١) أخرجه البخاري ١٧٢، ومسلم ٢٧٩ واللفظ له.

ثم يقول: ومما تجب على الناس مراعاته: عدم مداعبة الكلاب وتعويد الأطفال التوقي منها، فلا تترك تلعق أيديهم، ولا يجوز إبقاء الكلاب بمحالّ نزهة الأطفال وميادين رياضتهم، ويجب أن لا تطعم الكلاب في الأواني المعدة لأكل الناس، وأن لا يسمح لها بدخول متاجر المأكولات والأسواق العامة أو المطاعم، وعلى وجه عام: يجب إبعادها عن كل ما له صلة بمأكل الإنسان ومشربه)[1].

ثالثًا - التربية بالترهيب:

من أساليب التربية التي يتضمنها هذا الباب التربية بالترهيب حيث رهب رسول الله ﷺ من اقتناء كلب إلا كلب صيد أو ماشية، وبين أن من يفعل ذلك ينقص من أجره كل يوم قيراطان وفي رواية قيراط.

وهذا ترهيب عظيم من اقتناء الكلاب في غير ما استثنى لأن الذي يفعل ذلك يكون قد ارتكب إثمًا كبيرًا ولحقه عقاب شديد. فقد بين رسول الله ﷺ مقدار القيراطين في حديث آخر رواه البخاري حيث قال: ((من شَهِدَ الجنازةَ حتَّى يُصلِّيَ فله قيراطٌ، ومن شَهدَ حتَّى تُدفَنَ كان له قيراطانِ. قيل: وما القيراطان؟ قال: مثلُ الجبَلَينِ العظيمينِ))[2].

فإذا اقتنى المسلم الكلب دون ما أبيح فكل يوم ينقص أجره مثل الجبلين العظيمين وهذا ترهيب عظيم يجعل المربي ينبه إلى خطورة هذا الفعل وتنافيه مع أحكام الدين.

ويستخدم المربي الترهيب كأسلوب تربوي مفيد في إصلاح سلوك من يقوم بتربيتهم (وأسلوب الترهيب هو وعد يصاحبه تهديد الإنسان بالعقوبة وتحذيره من الأعمال التي تؤدي إلى الوقوع في المعاصي التي تغضب الله.

وأسلوب الترهيب أسلوب تربوي جيد لا يمكن الاستغناء عنه في مجال التربية، وهو من أساليب التربية الإسلامية المهمة)[3].

۞ ۞ ۞

---

(١) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص ٤٤٥، ٤٤٦.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٢٥.

(٣) أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن بن عبدالوهاب البابطين، ط١، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦هـ، ص ٣٦.

٣٠٧- باب كراهية تعليق الجرس في البعير وغيره من الدواب

وكراهية استصحاب الكلب والجرس في السفر

الحديث رقم (١٦٩٢)

١٦٩٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: ((لاَ تَصْحَبُ المَلاَئِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ أوْ جَرَسٌ)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

رفقة: أي صحبة[٢].

الشرح الأدبي

إن المسلم تصحبه الملائكة في حلّه وترحاله، تحفظه من الشرور، وتحيطه بهالات من الهدى والنور، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٣].

والمسلم في سفره عليه أن يتسلح بالإيمان، وأن يتزود بزاد التقوى، فهو يبدأ سفره بدعائه لربه: "اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى"، وفي ظل العمل الصالح، والبر والتقوى تصحبه الملائكة هو ومَنْ معه، ولكن كما قال رسول الله ﷺ في هذا الحديث: "لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب أو جرس"، ومفتاح النص الذي أشار إلى السفر يتجلى في كلمتين، في الفعل المنفي "لا تصحب"

---

(١) برقم (٢١١٣/١٠٣). أورده المنذري في ترغيبه (٤٥٥٩).

(٢) الوسيط في (ر ف ق).

(٣) سورة الانفطار، الآية: ١٠-١٢.

وكلمة رفقة، فالفعل "لا تصحب" ينفي صحبة الملائكة للمسافرين: وهم رفقة أي جماعة مترافقة في السفر ومتحابة، وقيل: اختر الرفيق قبل الطريق.

والحديث جاء مجرداً من التأكيد، وبعض الظواهر الأسلوبية التي تثبت المعنى في الذهن مثل القسم والتكرار؛ لأن المعنى واضح، والمسلم يتلقى هذا التوجيه بالقبول، ولا ينكره، ولا يشك فيه، ولذلك جاء الحديث في جملة واحدة مبدوءة بـ"لا" النافية، وكلمة "رفقة" نكرة لإفادة العموم، فأي رفقة من رجال أو نساء، ومن أي جنس، وفي أي زمان أو أي مكان، هذه الرفقة التي تقتني كلباً أو تتخذ جرساً للتنبيه أو للإعلان عن دخول الأوقات: لاحظ لهم ولا نصيب من صحبة الملائكة: وهي ملائكة الرحمة، وقيل: ينبغي لمن رأى ذلك وعجز عن إزالته وعن تغييره وهو في صحبة من يقتني الكلب، ويستخدم الجرس: أن يقول: "اللهم إني أبرأ إليك مما فعله هؤلاء، فلا تحرمني ثمرة صحبة ملائكتك وبركتهم". والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديثين من الفقه: كراهة استصحاب الكلب، والجرس في الأسفار وهي كراهة تنزيهية[1].

والجمهور[2] على كراهة الأجراس على الإطلاق.

وذهب بعض الشافعية[3] إلى التفرقة بين الجرس الكبير، والجرس الصغير، فقالوا بكراهة الأول دون الثاني.

ويناقش هذا: بأن لفظ الحديث مطلق، فيدخل فيه كل جرس، كبيراً كان أو صغيراً فالتقييد بالجرس الكبير يحتاج إلى دليل[4].

---

(١) حاشية ابن عابدين ٣٩٨/٦، وحاشية الدسوقي ٣٣٩/٢، وإغاثة الطالبين ٨٣/٢، وشرح صحيح مسلم ٩٥/١٤، وكشاف القناع ١٧١/٥، والمغني لابن قدامة ٢١٧/٧، والفروع ٤٦٢/٥.

(٢) المراجع السابقة، المواضع نفسها.

(٣) شرح صحيح مسلم، الموضع نفسه.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٩٢/٥.

ولعل السبب في كراهة استصحاب الكلب، والجرس في الأسفار: أن الملائكة لا تصحب من كان معه ما ذكر[١]، أما الكلب فلقبح رائحته، والملائكة تكره الروائح الكريهة، أو لأن بعضها يسمى شيطاناً، كما جاء به الحديث[٢] والملائكة ضد الشياطين[٣].

وأما الجرس، فلأنه شبيه بالنواقيس، وقيل: سبب كراهية الأجراس، هو كراهية صوتها، ويؤيده الحديث الثاني رقم (١٦٩٣) والذي فيه أن "الجرس مزامير الشيطان"[٤].

وقيل: إن سبب كراهة استصحاب الجرس في الأسفار أنه يدل على صاحبه بصوته، وكان رسول الله ﷺ يحب ألا يعلم العدو حتى يأتيهم بغتة[٥].

المضامين الدعوية[٦]

أولاً: من موضوعات الدعوة: عدم اصطحاب كلب أو جرس في السفر.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحرص على عدم اصطحاب كلب أو جرس في السفر:

هذا ما أكد عليه في قوله ﷺ: "لاتصحب الملائكة رفقة فيها كلب أو جرس"، وقوله ﷺ: "الجرس مزامير الشيطان"، وقد نهى عن اقتناء الكلب لغير حاجة في صيد أو ماشية أو زرع.

وفي بيان الحكمة من ذلك قال القرطبي: "فذهبت طائفة: إلى أنه النجاسة وهو من حجج من قال بنجاسة الكلب. وتأيّد في ذلك بنضحه ﷺ موضع الكلب، فعن ميمونة رضي الله عنها: ((أن رسول الله ﷺ أَصْبَحَ يَوْماً وَاجِماً. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ لَقَدِ

---

(١) إغاثة الطالبين ٢/ ٨٣.

(٢) أخرجه مسلم ٥١٠، وفيه "الكلب الأسود شيطان".

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٢/٥.

(٤) شرح صحيح مسلم ٩٥/١٤، وفتح الباري ١٤٢/٦.

(٥) حاشية ابن عابدين ٣٩٨/٦، وعون المعبود ١٦٢/٧.

(٦) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٩٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٩٣).

اسْتَنْكَرْتُ هَيْئَتَكَ مُنْذُ الْيَوْمِ. قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: إنَّ جِبْرِيلَ كَانَ وَعَدَنِي أَنْ يَلْقَانِي اللَّيْلَةَ. فَلَمْ يَلْقَنِي. أَمَ وَاللّهِ مَا أَخْلَفَنِي قَالَ فَظَلَّ رَسُولُ اللّهِ يَوْمَهُ ذٰلِكَ عَلَىٰ ذٰلِكَ. ثُمَّ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ فُسْطَاطٍ لَنَا. فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ. ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ مَاءً فَنَضَحَ مَكَانَهُ ... إلخ))[1].

قلت: وهذا ليس بواضح، وإنما هو تقدير احتمال يعارضه احتمالات أُخر:

أحدها: أنها من الشياطين، "كما جاء في بعض الحديث"[2].

وثانيها: استخباث روائحها، واستقذارها.

وثالثها: النجاسة التي تتعلق بها؛ فإنها تأكلها وتتلطخ بها، فتكون نجسة بما يتعلق بها، لا لأعيانها. والمخالف يقول: هي نجسة الأعيان. وعلى ماقلناه: يصح أن يقال: إنه ﷺ شك في طهارة موضعه، لإمكان أن يكون أصابه من النجاسة اللازمة لها غالباً شيء، فنضحه، لأنَّ النضح طهارة للمشكوك فيه، فلو تحقق إصابة النجاسة الموضع لغسله، كما فعل ببول الأعرابي، ولو كان الكلب نجساً لعينه، لا لما يتعلق به: لما احتاج إلى غسله، كما لا يحتاج إلى غسل الموضع أو الثوب الذي يكون عليه عظم ميتة، أو نجاسة لا رطوبة فيها. وعلى هذا: فهذا الاحتمال أولى أن يعتبر، فإن لم يكن أولى فالاحتمالات متعارضة، والدَّسْتُ قائم، ولا نص حاكم"[3].

أما الجرس فقال فيه القرطبي: "ما يُعلَّق في أعناق الإبل مما له صلصلة، والذي يضرب به وهو بفتح الراء، وجمعه أجراس. فأما الجرس. فهو: الصوت الخفي. يقال: بفتح الجيم وكسرها.

وفيه ما يدل على كراهة اتخاذ الأجراس في الأسفار، وهو قول مالك وغيره. قلت: وينبغي ألا تقصر الكراهة على الأسفار، بل هي مكروهة في الحضر أيضاً، بدليل قوله ﷺ: الجرس مزامير الشيطان". ومزامير الشيطان مكروهة سفراً وحضراً، ثم: هذا يعم الكبير، والصغير منها. وقد فرق بعض الشاميين؛ فأجازوا الصغير، ومنعوا الكبير.

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٠٥.

(٢) أخرجه مسلم ٥١٠.

(٣) المفهم ٥/٤٢٢.

ووجه الفرق: أن الكبير به يقع التشويش على الناس، وبه تحصل المشابهة بالنصارى؛ فإنهم يستعملون النواقيس في سفرهم، وحضرهم"[١]. وهذا ما أيده النووي في قوله:

وأما الجرس هو: "اسم للصوت، فأصل الجرس بالإسكان الصوت الخفي، وأن الملائكة لا تصحب رفقه فيها أحدهما، والمراد بالملائكة ملائكة الرحمة والاستغفار لا الحفظة"، وقيل: سبب منافرة الملائكة للجرس أنه شبيه بالنواقيس أو لأنه من المعاليق المنهي عنها، وقيل سبب كراهة صوتها، وتؤيده رواية "مزامير الشيطان"[٢]"[٣].

قال ابن عثيمين: "والجرس معلوم وهو هذا الذي يُعلق على الدواب"[٤].

وقد أفرد البخاري لذلك باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل وأورد في ذلك قوله ﷺ: ((لا تَبقينَّ في رَقبةٍ بعيرٍ قلادة من وَتَرٍ أو قِلادةً إلاّ قُطِعَتْ))[٥].

قال ابن حجر: "في قوله: "وتر" نقلاً عن الداودي: هو ما ينتزع عن الجمال يشبه الصوف ...، قال ابن الجوزي: وفي المراد بالأوتار ثلاثة أقوال: أحدها أنهم كانوا يقلدون الإبل أوتار القسى لئلا تصيبها العين بزعمهم، فأمروا بقطعها إعلاماً بأن الأوتار لا ترد من أمر الله شيئاً ...، ثانياً: النهي عن ذلك لئلا تختنق الدابة بها عند شدة الركض ...، ولأن الدواب تتأذى بذلك ويضيق عليها نفسها ورعيها، وربما تعلقت بشجرة فاختنقت أو تعوقت عن السير. ثالثاً: أنهم كانوا يعلقون فيها الأجراس حكاه الخطابي وعليه يدل تبويب البخاري ...، والجرس بفتح الجيم والراء ثم مهملة معروف، وحكى عياض إسكان الراء، والتحقيق أن الذي بالفتح اسم الآلة وبالإسكان اسم الصوت. وروى مسلم من حديث العلاء بن عبدالرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه "الجرس مزمار الشيطان" وهو دال على أن الكراهية فيه لصوته لأن فيها شبهاً بصوت

(١) المرجع السابق ٤٣٤/٥، ٤٣٥.

(٢) أخرجه مسلم، ٢١١٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، ١٣٣٤

(٤) شرح رياض الصالحين، ١٧٦١/٢.

(٥) أخرجه البخاري، ٣٠٠٥، ومسلم، ٢١١٥.

الناقوس وشكله"[١].

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

هذا ما ورد في ترهيبه ﷺ من اصطحاب كلب في السفر لغير حاجة وضرورة، وكذلك ترهيبه ﷺ من تعليق الجرس في البعير أو اصطحاب ذلك في السفر، وقد علل النبي ﷺ ترهيبه في ذلك بعدم اصطحاب الملائكة لمن كان ذلك فعله، والترهيب (من الأساليب الدعوية الهامة التي يحسن بالداعية استخدامها في إخافة المدعو وتحذيره من عدم الاستجابة للحق أو عدم الثبات عليه)[٢].

ومما لا شك فيه (أن الترهيب أسلوب ناجع للنفس الإنسانية التي يتنازعها الخير والشر، والتي جبلت على حب السعادة، والنفور من الضيق والعذاب)[٣]. فعلى الداعية أن يفيد من هذا الأسلوب حسب الحاجة إليه.

---

(١) فتح الباري ٦/١٦٤، ١٦٥.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي، ١٩٩.

(٣) الدعوة الإسلامية: الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف، ٩٧.

الحديث رقم (١٦٩٣)

١٦٩٣- وعنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قال: ((الجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مزامير الشيطان: المزمار: الآلة التي يُزمَّر بها[٢].

الشرح الأدبي

إن الإيجاز من سمات البيان النبوي فهو: الكلام الذي قل لفظه وكثر معناه، وهذا الحديث تبيان لهذه الخاصية، فهو جملة واحدة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر، و"آل" في الجرس للجنس، أي: أي نوع من الأجراس بأية هيئة، وعلى أية صورة أو شكل.

وكلمات الحديث: "الجرس - مزامير - الشيطان" تموج بدلالات كثيرة، وتشع بمعان عدة، وقد استقرت في الأذهان مرتبطة ببعض المعاني والعادات والأعراف والتقاليد، ولكن حينما نتأمل الدلالات اللغوية لهذه الكلمات، ونتأمل موحياتها ندرك قيمة البيان النبوي، وندرك سر ربطه ﷺ بين الجرس، والمزامير، والشيطان.

فالجرس في اللغة: الصوت أو خَفيُّه، وقد تسكن الراء: فيقال ما سمعت له جرْساً، أو ما سمعت له حسا ولا جرسا، وقيل: "جَرَس" اسم كلب، والذي يُعلَّق في عنق البعير، وهو: ما يتخذه النصارى للإعلام عن عبادتهم وشعائرهم في كنائسهم، والجريسة: ما يُسرَق من الغنم بالليل.

والمزامير آلات تستعمل في الغناء، وقيل: زمَّر تزميرا: غَنَّى في القصب، وقيل: الزمارة، ما يزمر به: كالمزمار.

---

(١) برقم (٢١١٤/١٠٤). أورده المنذري في ترغيبه (٤٥٦٠).

(٢) النهاية في (ز م ر).

ومن معاني الزمارة: الزانية، وهو معنى شديد القبح، بغيض الدلالة، والمستزمر في اللغة هو: المنقبض المتصاغر، وهذه الدلالات التي تظل محصورة في دائرة الرفض ترتبط بدلالة لفظ الشيطان بكل موحياتها، فالشيطان نعت من القرآن بالرجيم، والمؤمن حينما يقرأ القرآن الكريم، يستعيذ بالله تعالى ويحتمي به من الشيطان الرجيم.

وهو مشتق من شطن: والشطن هو الحبل الطويل، ويوحى ذلك بالقيود والتكبيل، ويقال: بئر شطون أي بعيدة القعر، وكأن الشيطان يلقي بالإنسان في بئر سحيق القرار، وقيل: الشاطن هو الخبيث، والشيطان: هو كل عاتٍ متمرد من إنس أو جن أو دابة.

وقيل إن الشيطان مأخوذ: من شيط، فنقول: شاط يشيط: أي احترق، ومنه قولهم: شاط الدماء أي خلطها: كأنه سفك دم القاتل على دم المقتول.

وكل هذه الدلالات والإيحاءات المنبثقة من الدلالات اللغوية تكشف عن سر الجمال والإيجاز في هذا الحديث النبوي الواضح المشع بكثير من التوجيهات والإرشادات النبوية البليغة.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من أساليب التربية: التحذير:

أسلوب التحذير من أساليب التربية التي يستعين بها المربي للتحرز من إتيان فعل أو امتناع عنه لكونه سببًا في غضب الله تعالى وعذابه أو سببًا في إلحاق ضرر بالأمة والمجتمع المسلم مما يدفع باتجاه الاستعداد لتجنب حصول ذلك[1].

وقد ورد التحذير في هذا الباب في تحذير النبي ﷺ من اصطحاب كلب أو جرس في رفقة، لأن ذلك يمنع من مرافقة الملائكة لهم، فقال: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب أو جرس».

وبيّن ﷺ أن الجرس مزامير الشيطان.

ووجود الملائكة في أي مكان أو مع أي رفقة يكون سببًا لوجود الخير ووجود البركة وحلول الرحمة، ودفع الضرر والأذى فينبغي للمربي تحذير من يقوم بتربيتهم من اصطحاب أو اقتناء الأشياء التي تمنع وجود الملائكة معهم أو في بيوتهم.

وتتجلى بوضوح أهمية هذا الأمر في هذا الزمان الذي أصبح فيه اقتناء الكلاب واصطحابها صورة من صور التمدن والرفاهية محاكاة للغرب، وأصحاب العقول الخربة، والنفوس المريضة، وكذلك وجود آلات الزمر والطرب في كل مكان والتي هي مزامير للشيطان، بل يصل الأمر إلى التباهي بوجودها وتعلمها، واستخدامها في حين أنها مخالفة لتعاليم الدين، مسببة لعدم وجود الملائكة، فعلى المربين والآباء تحذير الأبناء وخاصة الذين ينجرفون وراء التقليد الأعمى، دون أن يعلموا أحكام الدين، لأنه يجب على المسلم أن يحافظ على قيمه ومبادئه، وأن يربي أبناءه عليها، كما يجب على القائمين على التربية والتوجيه أن يبينوا أهمية الحرص على السلوكيات والممارسات التي تتفق مع مبادئ الإسلام وتكون سببًا في استجلاب رحمة الله تعالى، فما أحوج الإنسان في كل لحظة إلى رحمة الخالق سبحانه.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٢٤٩.

٣٠٨- باب كراهة ركوب الجَلاَّلة

وهي البعير أو الناقة التي تأكل العَذِرَة

فإنْ أكلت علفاً طاهراً فطاب لَحمُهَا، زالت الكراهة

الحديث رقم (١٦٩٤)

١٦٩٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: نهَى رسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الجَلاَّلَةِ في الإبلِ أنْ يُرْكَبَ عَلَيْهَا. رواه أبو داود[١] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الجلالة: أي التي تأكل العذرة، ونحوها من الجِلَّة والبعر[٢].

الشرح الأدبي

إن للإبل، في حياة العرب والمسلمين دوراً رئيساً ومؤثراً: فهي سفن الصحراء، وهم يتخذون من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين، وخصها الحق سبحانه وتعالى بإرشاد الناس جميعاً إلى التأمل في خلقها، والسعي إلى اكتشاف أسرار قدرة الله تعالى فيها، وفي الفوائد التي يجنيها الناس من أكل لحومها، وشرب ألبانها، وكل ما تختزنه من أسرار وفوائد. تظهر للناس كلما تقدم العلم، واكتشف العلماء الأسرار الكثيرة الكامنة في خلق الإبل، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[٣].

وهذا الحديث يدعو إلى المحافظة على الإبل، وإلى الحرص على أن يكون طعامها من مصدر طيب، وهذه الدعوة جاءت في نهي صريح عن ركوب الإبل التي تأكل

---

(١) برقم (٢٥٥٨).

(٢) انظر: معجم لغة الفقهاء ١٤٤.

(٣) سورة الغاشية، آية: ١٧.

العذرة، وهي: الروث، والخرء، وغيرهما من النجاسات، وإذا كان النهي عن ركوب هذه الإبل التي قال عنها رسول الله ﷺ "الجلالة" لأنها تأكل النجاسات، فإن النهي عن لحومها يكون أشد، لأن لحمها سيفقد فوائده العديدة، ولبنها لن يكون صالحاً للشرب، والإفادات الكثيرة التي تشفى كثيراً من الأمراض، كما أفاد بذلك العلماء المتخصصون في مجال الأدوية والأغذية، وغير ذلك.

وفي الحديث تصريح وتلميح: فأما التصريح فهو يتمثل في منطوق الحديث، وهو: النهي عن ركوب الإبل التي تأكل النجاسات، وأما التلميح: فهو مفهوم الحديث وهو النهي عن أكل لحوم الإبل المتصفة بذلك: لأن اللحم لم يعد طيباً، وفي اللغة: كما جاء في القاموس المحيط: الجلالة: البقرة تتبع النجاسات، والجلّة: مثلثة، هي البعر أو للبعرة، فالجلالة: صفة مرتبطة بالغذاء الذي تأكله الإبل.

وفي هذا النهي: الصريح والخفي، حرص من رسول الله ﷺ على المؤمنين، وعلى صحة أبدانهم، وطهارة نفوسهم وقلوبهم، وقوة أجسادهم، والمحافظة على بيئتهم وحيواناتهم، وأطعمتهم، ولا غرو فهو بالمؤمنين رءوف رحيم، ﷺ.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة ركوب الجلالة من الدواب[١]، فلا يحج عليها ولا يعتمر ولا يغزُ، ولا ينتفع بها فيما سوى ذلك[٢].

ولعل السبب في كراهة ركوب الجلالة، أنها ربما عرقت، فيتأذى راكبها بذلك إذ قد يصيبه شيء من عرقها[٣].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥/ ٤٠، والتمهيد لابن عبدالبر ١٨٢/١٥، والمجموع للنووي ٣٢٥/٤، وفتح الباري ٦٤٨/٩، المبدع ٢٠٤/٩، والكافي في فقه الإمام أحمد ١٥/١، والمغني لابن قدامة ٩/ ٢٣٠.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥/ ٤٠.

(٣) البدائع ٥/ ٤٠، وعون المعبود ١٦٣/٧، ونيل الأوطار ٢٩٣/٨، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٤٤٧/٥، والمغني لابن قدامة ٩/ ٢٣٠، وكشاف القناع ١٩٤/٦.

وقد حمل جمهور الفقهاء[١] هذه الكراهة على أنها كراهةٌ تنزيهية.

وحملها بعض الشافعية[٢]، وأحمد في رواية[٣]، والظاهرية على التحريم[٤]، حتى إن ابن حزم قد ذهب إلى أن الحاج لو وقف بعرفات راكباً جلالة لم يصح حجة إن كان عالماً.

والراجح ما ذهب إليه الجمهور.

ومحل الكراهة إذا كانت لا تخلط، بأن كانت لا تأكل إلا العذرة، والجيف، أما إذا خلطت بأن كانت تأكل العذرة وغيرها، فليست جلالة، وبالتالي لا يكره ركوبها[٥].

وكذا الحال لو حبست أياماً[٦].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: اجتناب ركوب الجلالة من الإبل بلا حائل.

ثالثاً: من آداب المدعو: الانتهاء عما نهى عنه النبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

النهي من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على إرشاد المدعوين وتوجيههم إلى ما فيه صلاح لهم وخير في الدنيا والآخرة، وهذا ما ورد في الحديث من نهيه ﷺ عن ركوب الجلالة، وذلك من قول ابن عمر رضي الله عنهما: نهى رسول الله ﷺ عن الجلالة في الإبل أن يركب عليها.

---

(١) البدائع ٥/٤٠، والتمهيد ١٥/١٨٢، وفتح الباري ٩/٦٤٨، والمبدع ٩/٢٠٤.

(٢) فتح الباري ٩/٦٤٨.

(٣) المبدع ٩/٢٠٤.

(٤) المحلى ٧/١٨٧، وأيضاً: سبل السلام ٤/٧٧.

(٥) البدائع ٥/٤٠.

(٦) التمهيد لابن عبدالبر ١٥/١٧٩، وعون المعبود ١٠/١٨٦.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: اجتناب ركوب الجلالة من الإبل بلا حائل:

هذا ما نص على الحديث في قول ابن عمر رضي الله عنهما: "نهى رسول الله ﷺ عن الجلالة في الإبل أن يركب عليها".

"والجلالة: "الدابة التي تتبع النجاسات وتأكل الجلة، وهي البعرة والعذرة. وأصله من جل فلان البعر جلا التقطه فهو جال، وجلال مبالغة ومنه الجلالة، والمراد بالجلالة على ما نص الشافعية: كل دابة علفت بنجس ولو من غير العذرة، كالسخلة التي ارتضعت بلبن نحو كلبة أو أتان"[١].

"وقد كره رسول الله ﷺ ركوب الجلالة بلا حائل، وذلك لنص حديث ابن عمر رضي الله عنهما، كما نهى ﷺ عن أكل لحومها، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عنْ أكْلِ الْجَلاَّلَةِ وألْبَانِهَا»[٢].

وقال رضي الله عنه: "نهى رسول الله ﷺ عن الجلالة في الإبل: أن يركب عليها، أو يشرب من ألبانها"[٣]"[٤]، وفي بيان العلة من ذلك قال الخطابي: "... ويقال إن الإبل إذا اجتلت أنتن روائحها إذا عرقت، كما تنتن لحومها"[٥].

"ومن أجل ذلك يكره ركوب الجلالة إن ظهر النتن في عرقها، تحاشياً للمرء عن الرائحة الخبيثة، كما أنه يكره ذبحها للأكل حتى تحبس أياماً تطعم فيها الطعام النظيف، ليذهب أثر الطعام النجس من لحمها، ويقدر أهل الخبرة عدد هذه الأيام"[٦].

ثالثاً- من آداب المدعو: الانتهاء عما نهى عنه النبي ﷺ:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿وَمَآ

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٦٠/١٥ ومصادرها.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٧٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢١٥).

(٣) أخرجه أبو داود ٣٧٨٧، وقال الألباني: حديث صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣٢١٧).

(٤) الموسوعة الفقهية، ٢٦٢/١٥، ومصادرها.

(٥) معالم السنن ٣٨٩/٣، ٣٩٠.

(٦) الموسوعة الفقهية الميسرة، د.محمد رواس قلعه جي، ٦٣٦/١.

ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[١]، قال ابن كثير: أي: "مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهي عن شر"[٢].

وقال السعدي: (وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، وظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول ﷺ، يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول ﷺ على حكم شيء، كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله)[٣]، وقد أمر النبي ﷺ بذلك فقال: «... فإذا أمرتكم بشيء فائتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»[٤]. "واتباع أمر النبي ﷺ أمر واجب وفرض عين على الأمة كلها في عسرها ويسرها ومنشطها ومكرهها، ولا يصير المسلم مسلماً حتى يتبع الرسول ﷺ في جميع أقواله وأفعاله حسب علمه واستطاعته"[٥]، ومن مظاهر اتباع النبي ﷺ الانتهاء عما نهى عنه ﷺ.

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦٧/٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٧٨٩.

(٤) أخرجه البخاري ٧٢٨٨، ومسلم ١٣٣٧.

(٥) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف عثمان، ١٢٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على النظافة:

إن الإسلام دين النظافة، فهو يدعو إلى تربية المسلمين على الطهارة، وتنفيرهم من القاذورات والنجاسات[1].

لذا ورد في حديث الباب نهي رسول الله ﷺ عن ركوب الجلالة في الإبل لأنها تأكل النجاسات والقاذورات.

ومما يدل على حرص الإسلام على النظافة: أنه كره أكل الطيور التي تأكل النجاسات ما لم تُحبس وتأكل طاهرًا، وذلك لأن صحة الأجسام وجمالها ونضرتها من الأمور التي وجه الإسلام إليها عناية فائقة، واعتبرها من صميم رسالته، ولن يكون الشخص راجحًا في ميزان الإسلام، محترم الجانب إلا إذا تعهد جسمه بالتنظيف والتهذيب، وكان في مطعمه ومشربه وهيئته الخاصة بعيدًا عن الأدران المكدرة والأحوال المنفرة، وليست صحة الجسد وطهارته صلاحًا ماديًا فقط، بل إن أثرها عميق في تزكية النفس، وتمكين الإنسان من النهوض بأعباء الحياة، وما أحوج أعباء الحياة إلى الجسم الجلد والبدن القوي الصبور[2].

كرم الإسلام البدن، فجعل طهارته التامة أساسًا لابد منه لكل صلاة، وجعل الصلاة واجبة خمس مرات في اليوم، وكلف المسلم أن يغسل جسمه كله غسلاً جيدًا في أحيان كثيرة تلابسه غالبًا، وتلك هي الطهارة الكاملة، وفي الأحوال المعتادة اكتفى بغسل الأعضاء والأطراف التي تتعرض لغبار الجو، ومعالجة شتى الأشغال، أو التي يكثر الجسم إفرازاته منها:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾[3].

---

(١) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ١٨٩/٣.

(٢) انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي، ص١٤٨، ١٤٩.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦.

فعلى المربي أن يوجه من يقوم بتربيتهم إلى الاهتمام بالنظافة، والبعد عن النجاسات والقاذورات التي نبه الإسلام على البعد عنها حتى لا تكون مصدرًا للعلل والجراثيم والأوبئة.

فإن عناية الإسلام بالنظافة والصحة جزء من عنايته بقوة المسلمين المادية والأدبية، فهو يتطلب أجسامًا تجري في عروقها دماء العافية، ويمتلئ أصحابها فتوة ونشاطًا.

فإن الأجسام المهزولة لا تطيق عبئًا، والأيدي المرتعشة لا تقدم خيرًا، ومن أجل ذلك حارب الإسلام المرض، ووضع العوائق أمام جراثيمه حتى لا تنتشر، فينتشر معها الضعف والتراخي، والتشاؤم، وتستنزف فيها قوى البلاد والشعوب.

وقد وفر الإسلام أسباب الوقاية بما شرع من قواعد النظافة الدائمة[1].

والنظافة ليست خيرًا ماديًا ينعكس على سلامة الجسد وحسب، ولكن لإجراءات الطهارة والنظافة مغزاها، كما يشهد بذلك كثير من شعائر الدين الإسلامي، فالنظافة الظاهرة والباطنة تهدف أن يكون ظاهر المؤمن كباطنه نظيفًا، فالأمر هنا ليس متعلقًا بالذوق الجميل السليم وحده أو لعدم نفور الناس فقط، وليس متعلقًا بالصحة وحدها حتى يبقى المسلم صحيحًا قويًا، ولكنها تتصل بجوهر هام، يكاد أن يكون المحور الذي تدور حوله، ففي النظافة مظهر من مظاهر الإخلاص لمثل الطهر الأعلى وإقرار بالتفوق الإنساني على سائر المخلوقات[2].



(١) انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي، ص١٤٩-١٥٤.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د/عبدالجواد سيد بكر، ص٢٧٨.

٣٠٩- باب النهي عن البصاق في المسجد والأمر بإزالته منه إذا وجد فيه والأمر بتنزيه المسجد عن الأقذار

الحديث رقم (١٦٩٥)

١٦٩٥- عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (((**البُصاقُ**) [١] **فِي المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا**)) متفق عليه[٢].

والمرادُ بِدَفْنِهَا إذَا كَانَ المَسْجِدُ تُراباً أوْ رَمْلاً ونَحْوَهُ، فَيُوَارِيهَا تَحْتَ تُرَابِهِ. قالَ أبُو المحاسِنِ الرُّويَانِي مِنْ أصحابنا فِي كِتَابِهِ " البحر" وقِيلَ: المُرَادُ بِدَفْنِهَا إخْراجُهَا مِنَ المَسْجِدِ، أمَّا إذَا كَانَ المَسْجِدُ مُبَلَّطاً أَوْ مُجَصَّصاً، فَدَلَكَهَا عَلَيْهِ بِمَدَاسِهِ أَوْ بِغَيْرِهِ كَمَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الجُهَّالِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَفْنٍ، بَلْ زِيَادَةٌ فِي الخَطِيئَةِ وَتَكْثِيرٌ لِلقَذَرِ فِي المَسْجِدِ، وَعَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أنْ يَمْسَحَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِثَوْبِهِ أَوْ بِيَدِهِ أَوْ غَيرِهِ أَوْ يَغْسِلَهُ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

البصاق: ماء الفم إذا خرج منه[٣].

كفَّارتُها: مَحْوُها وسَتْرُها ومغفرتُها[٤].

الشرح الأدبي

إن للمسجد حرمته في الإسلام، فهو ملتقى جموع المسلمين، وهو مهوى أفئدة

---

(١) عندهما بلفظ: (البزاق)، والمثبت لفظ النسائي في المجتبى (٧٢٣)، وكذا عند المنذري، فتبعه عليه المؤلف.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٥)، ومسلم (٥٥٢/٥٥). أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٦).

(٣) القاموس في (ب ص ق).

(٤) النهاية في (ك ف ر).

المؤمنين، فيه يناجون ربهم، وإليه يبتهلون خاشعين، ويقعون بين يدي خالقهم راكعين ساجدين، يفتتحون صلاتهم بالتكبير، ويختمونها بالتسليم.

وهذا الحديث تحذير لكل مسلم أوَّاب، من إلحاق الأذى بالمصلين، وعدم الحرص على نظافة المساجد، وذلك بإلقاء القاذورات والفضلات التي تسبب الروائح الكريهة، وتنشر الجراثيم والأوبئة، فالمساجد بيوت الله تعالى. وكيف لمسلم أن يدنس مسجداً يذكر فيه اسم الله تعالى، وتقام فيه الصلوات وتستجاب فيه الدعوات، وتغدو الملائكة وتروح، والمؤمنون يصلون، وعلى ربهم يتوكلون.

وهذا التحذير النبوي يرد في جملتين اسميتين خاليتين من أدوات التوكيد، وألفاظه، لأن ما ذكره رسول الله ﷺ قاعدة شرعية ثابتة: لا مجال فيها للمراد ولا للشك ولا للإنكار، والجملتان اسميتان أولاهما: تشخص المشكلة، وتحدد الخطيئة وهي: "البصاق في المسجد خطيئة"، وثانيهما: تحل المشكلة... وتفتح الطريق للتوبة.. والتطهر من هذه الخطيئة؛ حيث قال الصادق الأمين "وكفارتها دفنها"،وتكفير دوام إثم هذه الخطيئة : دفنها، أي محو آثارها عن طريق الدفن في أرض المسجد إذا كانت أرضه غير مبلطة أو مفروشة بالسجاد وغيره، أو إخراجها من المسجد بأي وسيلة من وسائل النظافة التي تطورت في العصر الحديث.

واختيار لفظ "الكفارة" في هذا السياق يوحي بأن عدم نظافة المسجد معصية تحتاج إلى كفارة، والكفارة لا تكون إلا للتطهر والتخلص من المعصية والذنب، ولفظ "دفنها" فيه إيجاز: واستعارة تصريحية، لأنه شبه هذه القذارة بأنه مثل جثمان الميت الذي يتحلل ويتعفن، وتنتشر رائحته الكريهة المؤذية، ولابد من دفنه، والسياق هنا يحتم ذلك حتى لا تنتشر العدوى بين الناس، وحتى تظل المساجد نظيفة عامرة بالمؤمنين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم،وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: تحريم البصاق[١] ونحوه، كنخام في المسجد، وذلك لوجوب صيانة المسجد، وتنزيهه عن الأقذار، وإن بدره أو غلبه البصاق بصق في طرف ثوبه[٢].

أما من بصق في المسجد فقد ارتكب المحرم، وعليه أن يدفنه. وقد اختلفوا في دفنه: فالمشهور أن يدفنه في تراب المسجد، ورمله إن كان له تراب، أو رمل أو نحوهما فإن لم يكن أخذه بعود، أو خرقة أو نحوهما، أو بيده، وأخرجه من المسجد.

وقيل: المراد بالدفن إخراجها من المسجد مطلقاً، ولا يكفي دفنها في ترابه[٣].

وواضح من كلام الفقهاء أنهم يتكلمون عن المساجد في زمانهم، حيث كانت مفروشة، بالرمل، أو التراب، أما المساجد في هذا الزمان فقد أصبحت مبلطة مفروشة بفرش نظيفة، تتأثر بالوسخ والقذر، ويظهر فيها أثر النخامة والبصاق، وغير ذلك.

وعلى ذلك يتعين القول بمنع ذلك مطلقاً، سواء على الأرض، أو على الفرش، أو على الحيطان، فمن غلبه ذلك، فعليه أن يخرج من المسجد، ويفعل ذلك بالخارج، أو يبصق في منديله، أو حتى في طرف ثوبه، وذلك حتى يبقى المسجد نظيفاً[٤].

ويجب على من رأى من يبصق في المسجد الإنكار عليه بشرطه[٥].

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٣٧/٢، وحاشية ابن عابدين ٦٦١/١، وحاشية الدسوقي ٢٣٤/١، ومواهب الجليل ١١٥/٢، والمجموع للنووي ١١١/٤، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٩١/١، وفتح الوهاب للأنصاري ٩٣/١، وفتح المعين للمليباري ١٩٢/١، والمبدع ٤٨٩/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٠٢/٢، والكافي ١٧٣/١، وكشاف القناع ٣٨١/١.

(٢) فتح الوهاب ٩٣/١- ٩٤، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٩١/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٠٢/٢، والكافي لابن قدامة ١٧٣/١.

(٣) المجموع للنووي ١١١/٤- ١١٢.

(٤) في هذا المعنى: فصول ومسائل تتعلق بالمسجد لعبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، ص ٢٨، وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

(٥) المجموع ١١٢/٤، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٩١/١.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من ميادين الدعوة: المسجد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تنزيه المسجد عن الأقذار والعمل على نظافته.

ثالثاً: من واجبات الداعية: موافقة عمله قوله.

رابعاً: من أهداف الدعوة: تهيئة المساجد للعبادة.

أولاً- من ميادين الدعوة: المسجد:

هذا واضح من ذكر المساجد في الأحاديث الثلاثة، والمسجد هو "المكان المهيأ للصلوات الخمس"[2]، والمسجد له أهمية كبرى في الدعوة إلى الله، يدل على هذا أن رسول الله ﷺ: "بادر إلى بناء المسجد، لتظهر فيه شعائر الإسلام التي طالما حوربت، ولتقام فيه الصلوات التي تربط المرء برب العالمين، وتنقي القلب من أدران الأرض، ودسائس الحياة الدنيا.... وتم المسجد في حدود البساطة فراشه الرمال والحصباء وسقفه الجريد، وأعمدته الجذوع، وربما أمطرت السماء فأوحلت أرضه، وقد تفلت الكلاب إليه فتغدو وتروح. هذا البناء المتواضع الساذج هو الذي ربى ملائكة البشر ومؤدبي الجبابرة وملوك الدار الآخرة، في هذا المسجد أذن الرحمن لنبيٍّ يؤم بالقرآن خيرة من آمن به، أن يتعهدهم بأدب السماء من غبش الفجر إلى غسق الليل.

إن مكانة المسجد في المجتمع الإسلامي تجعله مصدر التوجيه الروحي والمادي فهو ساحة للعبادة ومدرسة للعلم، وندوة للأدب، وقد ارتبطت بفريضة الصلاة وصفوفها أخلاق وتقاليد هى لباب الإسلام، لكن الناس، لما أعياهم بناء النفوس على الأخلاق الجليلة، استعاضوا عن ذلك ببناء المساجد السامقة تضم مصلين أقزاماً، أما الأسلاف الكبار فقد انصرفوا عن زخرفة المساجد وتشييدها إلى تزكية أنفسهم وتقويمها فكانوا أمثلة صحيحة للإسلام.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٩٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٩٦، ١٦٩٧).

(٢) الموسوعة الفقهية ١٩٤/٢٧.

والمسجد الذي وجه الرسول ﷺ همته إلى بنائه قبل أى عمل آخر بالمدينة، ليس أرضاً تحتكر العبادة فوقها، فالأرض كلها مسجد، والمسلم لا يتقيد في عبادته بمكان. إنما هو رمز لما يكترث له الإسلام أعظم اكتراث ويتشبث به أشد تشبث، وهو وصل العباد بربهم وصلاً يتجدد مع الزمن، ويتكرر مع آناء الليل والنهار، فلا قيمة لحضارة تذهل عن الإله الواحد، وتجهل اليوم الآخر، وتخلط المعروف بالمنكر. والحضارة التي جاء بها الإسلام تذكّر أبداً بالله وبلقائه، وتمسك بالمعروف وتبغض في المنكر وتقف على حدود الله"[1].

وقال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: (قد أقبل رسول الله ﷺ بمجرد وصوله إلى المدينة المنورة واستقراره فيها، على إقامة مجتمع إسلامي راسخ متماسك، يتألف من هؤلاء المسلمين الأنصار والمهاجرين الذين جمعتهم المدينة المنورة، فكان أول خطوة قام بها في سبيل هذا الأمر بناء المسجد. ولا غرو ولا عجب فإن إقامة المسجد أول وأهم ركيزة في بناء المجتمع الإسلامي، ذلك أن المجتمع المسلم إنما يكتسب صفة الرسوخ والتماسك بالتزام نظام الإسلام وعقيدته وآدابه، وإنما ينبع ذلك كله من روح المسجد ووحيه...)[2].

وقال عبدالله البسام: "وكانت المساجد زمن عز الإسلام وقوته منارة العلم ومثابة العلماء، فيها تزدحم الحلقات، وتلقى المحاضرات، وتعقد الندوات، وتسمع المناظرات والمساجلات. فكان المسجد هو الأساس في الإسلام فقد كان من رسالته:

أولاً: إنه مكان للعبادات وإقامة الشعائر، فكان المسلمون يتلاقون فيه يجتمع قويهم بضعيفهم، وغنيهم بفقيرهم، وعالمهم بجاهلهم، فكان المحرومون من هذه المواهب يتلقونها ويأخذونها ممن من الله عليهم بها من إخوانهم العلماء والأقوياء والأغنياء والعقلاء.

ثانياً: كان المسجد هو الجامعة العلمية الذي تلقى فيه الدروس، وتعقد فيه

---

(١) فقه السيرة، محمد الغزالي، ١٧٧- ١٧٨.

(٢) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ٢١٣- ٢١٤.

الحلقات، فتجد علماء الشريعة وعلماء اللغة وعلماء الاجتماع، وتجد الوعاظ والمرشدين والموجهين، فيخرج التلميذ من المسجد عالماً تقياً زكياً حمل العلم الشرعي، وتحلى بالسلوك الإسلامي، فأخذ العلم شريعة وحقيقة وطريقة.

ثالثاً: كانت تعقد في المسجد رايات الجهاد، ويعين فيه القواد وتجهز الجيوش، وتتلقى أخبار الفتوح والانتصارات فتبلغ المسلمين من أعواد منابر المساجد.

رابعاً: كان المسجد كل شيء في حياة المسلمين، ذلك أن أساس حياتهم كانت قائمة على الدين، وكانت أمورهم تسير وفق أحكام الإسلام، ولما فصلوا الإسلام عن الحياة، وقصروه على العبادات، وأبعدوه عن مجال الحياة والسياسة ضعف أمر المسجد وهان شأنه، واستخف بمقامه، وصار لا ينتابه إلا الطبقة المحرومة من الجاه والمال والثقافة العصرية التي صار لها الشأن الأكبر في الأوساط العلمية، فهانوا وضعفوا.

فانصراف المسلمين عن المسجد وبعدهم عنه واستخفافهم بأمره وبعدهم عن القيام برسالته، والتخلي عن دوره، هو الذي حط من قدرهم، وهو الذي قلل من شأنهم، وهو الذي فرقهم فأضعفهم، فإذا كانوا يريدون العزة وإذا كانوا يرجون السيادة فليعيدوا إلى المسجد رسالته، وليهتموا بأمره، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، والله من وراء القصد وهو المستعان"[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تنزيه المسجد عن الأقذار والعمل على نظافته:

هذا واضح من قول النبي ﷺ كما في حديثي أنس وفي فعله ﷺ كما في حديث عائشة، وقد كان النبي ﷺ: يغضب عندما يرى شيئاً يقذر المسجد، قال أنس: إن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة فشق ذلك عليه حتى رؤى في وجهه، فقام فحكه بيده فقال: إن أحدكم إذا قام في صلاته، فإنه يناجي ربه، أو إن ربه بينه وبين القبلة، فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته، ولكن عن يساره أو تحت قدميه، ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه، ثم رد بعضه على بعض فقال: أو يفعل هكذا"[2].

---

(١) توضيح الأحكام ١/٥١٨، ٥١٩.

(٢) أخرجه البخاري ٤٠٥، واللفظ له، ومسلم ٥٥١.

قال ابن حجر: "قوله (حتى رؤى)، أى شوهد في وجهه المشقة، وللنسائي[١] فغضب حتى احمر وجهه، وللمصنف[٢] في الأدب من حديث ابن عمر: "فتغيظ على أهل المسجد"[٣].

ولهذا كان يثني النبي ﷺ على من يزيل النخامة من المسجد، فقال أنس بن مالك رضي الله عنه: رأى رسول الله ﷺ نخامة في قبلة المسجد فغضب حتى احمر وجهه، فقامت امرأة من الأنصار فحكتها وجعلت مكانها خلوقاً، فقال رسول الله ﷺ: ما أحسن هذا"[٤].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: "أتانا رسول الله ﷺ في مسجدنا هذا، وفي يده عرجون ابن طاب، فرأى في قبلة المسجد نخامة فحكها بالعرجون، ثم أقبل علينا، فقال: أيكم يحب أن يعرض الله عنه؟ قال: فخشعنا ثم قال: أيكم يحب أن يعرض الله عنه؟ فخشعنا، ثم قال: أيكم يحب أن يُعْرِض الله عنه؟ قلنا: لا أينا يارسول الله. قال: فإن أحدكم إذا قام يصلي فإن الله تبارك وتعالى قبل وجهه، فلا يبصقن قبل وجهه ولا عن يمينه، وليبصق عن يساره تحت رجله اليسرى، فإن عجلت به بادرة فليقل بثوبه هذا، ثم طوى ثوبه بعضه على بعض، فقال أروني عبيراً فقام فتى من الحي يشتد إلى أهله، فجاء بخلوق في راحته، فأخذه رسول الله ﷺ فجعله على رأس العرجون ثم لطخ به على أثر النخامة، فقال جابر: فمن هناك جعلتم الخلوق في مساجدكم[٥].

قال النووي: "الخلوق -بفتح الخاء- هو طيب من أنواع مختلفة يجمع بالزعفران وهو العبير على تفسير الأصمعي وهو ظاهر الحديث فإنه أمر بإحضار عبير فأحضر خلوقاً فلو لم يكن هو هو لم يكن ممتثلاً. وقوله: (يشتد) أي يسعى ويعدو عدواً شديداً. وفي هذا الحديث تعظيم المساجد وتنزيهها من الأوساخ ونحوها، وفيه استحباب تطييبها،

---

(١) أخرجه النسائي ٧٢٨، وابن ماجه٧٦٢، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٦١٦).

(٢) أخرجه البخاري ٦١١١، وفيه "فتغيظ"فقط وليس فيه "على أهل المسجد"..

(٣) فتح الباري ١/٦٠٥ ط الريان.

(٤) أخرجه النسائي ٧٢٨، وابن ماجه ٧٦٢، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٦١٦).

(٥) أخرجه مسلم ٣٠٠٨.

وفيه إزالة المنكر باليد لمن قدر وتقبيح ذلك الفعل باللسان"[١].

كما قال النبي ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي، حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ. وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لاَ تُدْفَنُ»[٢].

قال النووي: "هذا ظاهره أن القبح والذم لا يختص بصاحب النخاعة، بل يدخل فيه هو وكل من رآها لا يزيلها بدفن أو حك ونحوه"[٣].

وقد قال النووي عن البزاق في المسجد: "واعلم أن البزاق في المسجد خطيئة مطلقاً سواء احتاج إلى البزاق أو لم يحتج بل يبزق في ثوبه، فإن بزق في المسجد فقد ارتكب الخطيئة وعليه أن يكفر هذه الخطيئة بدفن البزاق، هذا هو الصواب أن البزاق خطيئة كما صرح به رسول الله ﷺ. وقال القاضي عياض[٤] فيه كلام باطل حاصله أن البزاق ليس بخطيئة إلا في حق من لم يدفنه، وأما من أراد دفنه فليس بخطيئة، واستدل له بأشياء باطلة. فقوله هذا غلط صريح مخالف لنص الحديث ولما قاله العلماء نبهت عليه لئلا يغتر به"[٥]. وقال ابن حجر: "وحاصل النزاع أن هنا عمومين تعارضا، وهى قوله" البزاق في المسجد خطيئة"، وقوله: "وليبصق عن يساره أو تحت قدمه". فالنووي يجعل الأول عاماً ويخص الثاني به إذا لم يكن في المسجد، والقاضي بخلافه يجعل الثاني عاماً ويخص الأول لمن لم يرد دفنها، وقد وافق القاضي جماعة ... ويشهد له ما رواه أحمد بإسناد حسن من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعاً قال: "من تنخم في المسجد فليغيب نخامته أن تصيب جلد مؤمن أو ثوبه فتؤذيه"[٦]. وأوضح منه في المقصود ما رواه أحمد أيضاً والطبراني بإسناد حسن من حديث أبي أمامة مرفوعاً. قال: "من تنخع في

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٣٢/١٨/٩ .

(٢) أخرجه مسلم ٥٥٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤٢/٥/٣.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٨٤/٢، ٤٨٥.

(٥) شرح صحيح مسلم ٤٠/٥/٣- ٤١.

(٦) أخرجه أحمد ١٧٩/١ رقم ١٥٤٣، وقال محققو المسند: إسناده حسن ١٢٢/٣.

المسجد فلم يدفنه فسيئة، وإن دفنه فحسنة"[١]. فلم يجعل سيئة إلا بقيد عدم الدفن، ونحوه حديث أبي ذر عند مسلم مرفوعاً، قال: "وجدت في مساوئ أعمال أمتي النخاعة تكون في المسجد لا تدفن"[٢]، قال القرطبي[٣]: فلم يثبت لها حكم السيئة لمجرد إيقاعها في المسجد بل به وبتركها غير مدفونة انتهى"، وروى سعيد بن منصور عن أبي عبيدة بن الجراح أنه تنخم في المسجد ليلة فنسى أن يدفنها حتى رجع إلى منزله فأخذ شعلة من نار ثم جاء فطلبها حتى دفنها ثم قال: الحمد لله الذي لم يكتب على خطيئة الليلة. فدل على أن الخطيئة تختص بمن تركها لا بمن دفنها. وعلة النهي ترشد إليه وهي تأذي المؤمن بها. ومما يدل على أن عمومه مخصوص جواز ذلك في الثوب ولو كان في المسجد بلا خلاف. وعند أبي داود[٤] من حديث عبدالله بن الشخير «أنه صلى مع النبي ﷺ فبصق تحت قدمه اليسرى ثم دلكه بنعله» إسناده صحيح وأصله في مسلم[٥]. والظاهر أن ذلك كان في المسجد فيؤيد ما تقدم. وتوسط بعضهم فحمل الجواز على ما إذا كان له عذر كأن لم يتمكن من الخروج من المسجد والمنع على ما إذا لم يكن له عذر وهو تفصيل حسن"[٦].

وقال ابن عثيمين عن المساجد المعاصرة: "أما مساجدنا الآن فكما ترون مفروشة كفارة ذلك أن يمسحها بمنديل حتى تزول"[٧].

ثالثاً- من واجبات الداعية: موافقة عمله قوله:

فالنبي ﷺ نهى عن البصاق في المسجد وأخبر أنه خطيئة كما أخبر أن كفارتها

---

(١) أخرجه أحمد ٢٢٢٣/٣٦، والطبراني في الكبير ٨٠٩١- ٨٠٩٤، وقال محققو المسند: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.

(٢) أخرجه مسلم ٥٥٣.

(٣) المفهم ١٦١/٢.

(٤) أخرجه أبي داود ٧٨٣، وانظر تتمة تخريجه في صحيح ابن حبان، رقم ٢٢٧.

(٥) صحيح مسلم ٥٥٤.

(٦) فتح الباري ٦١٠/١، ط الريان.

(٧) شرح رياض الصالحين ١٧٦٤/٢.

دفنها، كما قال ﷺ: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر"، ولم يكتف بهذا ﷺ فقط، بل إنه ﷺ أيضاً لما رأى في جدار القبلة ما يقذر من مخاط ونحوه أزاله بأن حكه، ولاشك أن هذا يعطي الدعاة صورة لما ينبغي أن يكونوا عليه من أن يوافق عملهم قولهم، وكثيرة هى الأحاديث التي أخبرت أن النبي ﷺ أزال من المسجد ما يستقذر من بزاق ونحوه[1]، من ذلك حديث عبدالله بن الشخير رضي الله عنه، قال: صليت مع رسول الله ﷺ فرأيته تنخع، فدلكها بنعله[2]، ومن ذلك أيضاً قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ تعجبه العراجين يمسكها بيده، فدخل يوماً المسجد وفي يده منها واحدة، فرأى نخامة في قبلة المسجد، فحتها به حتى أنقاها ثم أقبل على الناس مغضباً...[3].

قال ابن حجر: "وفي الأحاديث المذكورة من الفوائد الندب إلى إزالة ما يستقذر أو يتنزه عنه من المسجد، وتفقد الإمام أحوال المساجد وتعظيمها وصيانتها"[4].

"إن سيرته ﷺ الطاهرة كانت أعلى ما تكون عليه سيرة أفضل البشر، ومن أفضل سيرته وأعلاها أنه بعدما أوحى إليه لم يأمر أتباعه وأصحابه بأمر إلا وقد سبقهم إلى العمل به: فدعا الناس إلى ذكر الله ومحبته، ولو راقبت حياته نفسها لرأيتها ملائمة لهذه الدعوة، لأنه لم تكن تمض عليه ساعة من نهار أو ليل إلا وهو يذكر الله بقلبه ويحمده بلسانه، فكان لسانه رطباً بذكر الله لا يفتر عنه طرفة عين، فإذا أكل أو شرب ذكر اسم الله، وإذا فرغ من ذلك حمد الله، وإذا أخذ مضجعه أو استيقظ من نومه ذكر الله، وإذا نهض أو جلس سبح الله أو حمده، وإذا لبس جديداً شكر الله، حتى إن أذكاره ودعواته التي حفظها الناس عنه في مختلف الأحوال شغلت حيزاً واسعاً من كتب الحديث... ومن قرأ هذه الأدعية يقضي العجب ويوقن بأنه ﷺ كان يحب

---

(١) انظر صحيح البخاري، الأحاديث: ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٤، وصحيح مسلم، الأحاديث: ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٥٤، وصحيح ابن حبان، الأحاديث: ٢٢٦٥- ٢٢٧١.

(٢) أخرجه مسلم، ٥٥٤.

(٣) أخرجه ابن حبان، ٢٢٧٠، وقال محققه: إسناده حسن، وانظر تتمة تخريجه هناك.

(٤) فتح الباري، ٦١٢/١، ط الريان.

الله ويخشاه ويهاب جلاله، فكان كما وصف الله في القرآن عباده الصالحين: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾[(١)]، وكما شهدت عائشة بأنه ﷺ كان يذكر الله ولا يغفل عن ذكره أبداً[(٢)].

وأمر الناس بالصلاة وحضهم على إقامتها والمحافظة عليها أشد المحافظة، فماذا تحسبون الرسول كان يعمل في نفسه بما كان يأمر به غيره؟ إنه ﷺ كان يقيم الصلاة ويحافظ عليها أكثر من غيره ... كان عامة المسلمين يصلون سبع عشرة ركعة المكتوبة عليهم، وكان هو ﷺ يصلي في اليوم والليلة خمسين إلى ستين ركعة من المكتوبة، والنوافل ..."[(٣)].

وروى مسلم أنه ﷺ: لما نهى عن الربا في خطبة حجة الوداع قال: ((وأَوَّلُ رِباً أُضَعُ رِبَاناً، ربا عباسِ بنِ عبدِ المطلبِ، فإنه موضوع كله))[(٤)].

وروى البخاري ومسلم، أنه ﷺ قال: حين شفع عنده في حد السرقة: ((وَايْمُ اللّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))[(٥)].

(فهذا منه ﷺ ظاهر في المحافظة على مطابقة الفعل للقول بالنسبة إليه وإلى قرابته، وهكذا ينبغي لمن تصدى لدعوة الناس، فهذا أمر مطلوب من الداعية، إذ هو علامة صدقة في دعوته؛ وهو السبيل لوضع البركة في قوله وتيسير قبوله في نفوس مستمعيه)[(٦)].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩١.

(٢) أخرجه مسلم ٣٧٣ بلفظ: كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه.

(٣) الرسالة المحمدية: السيد سليمان الندوي، مكتبة دار الفتح بدمشق، ط٣، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ١٧١-١٧٢، وانظر تتمة كلامه النفيس هناك.

(٤) أخرجه مسلم ١٢١٨.

(٥) أخرجه البخاري ٣٤٧٥، ومسلم ١٦٨.

(٦) المفتي في الشريعة الإسلامية: الدكتور عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعة، ط٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨، دون بيانات أخرى، ٣٠-٣٢، بتصرف.

رابعاً- من أهداف الدعوة: تهيئة المساجد للعبادة:

هذا واضح من قول ﷺ "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هى لذكر الله تعالى وقراءة القرآن"، وهذا الحديث فيه قصة: قال أنس: ((بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ: مَهْ مَهْ[1]. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: لاَ تُزْرِمُوهُ[2]. دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هـذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هذَا الْبَوْلِ وَلا الْقَذَرِ. إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرآنِ، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ. قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ))[3].

قال النووي: "فيه احترام المسجد وتنزيهه عن الأقذار ... وفيه صيانة المساجد وتنزيهها عن الأقذار والبصاق، ورفع الأصوات والخصومات والبيع والشراء وسائر العقود، وما في معنى ذلك"[4]. أى صونها عن كل ما يشغل المصلين عن الصلاة، وصيانتها عن كل ما يعوق تعميرها بالعبادة والطاعة. ولهذا فإن رسول الله ﷺ أمر ببناء المساجد في الدور، وأن تنظف وتطيب[5]. وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالمساجد أن نصنعها في دورنا ونصلح صنعتها ونطهرها[6].

وقد قال الله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾[7]، قال ابن كثير: "أمر الله تعالى برفعها أى بتطهيرها من الدنس واللغو والأفعال والأقوال التي لا تليق فيها ... وقال قتادة: هذه هى المساجد أقر الله

---

(١) هى كلمة زجر، ومعناه: اسكت، شرح مسلم النووي ١٩٦/٣/٢، ط دار عالم الكتب.

(٢) أي لا تقطعوا عليه بوله، النهاية في غريب الحديث، ص ٣٩٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٥.

(٤) شرح مسلم ١٩٤/٣/٢، ط دار عالم الكتب.

(٥) أخرجه أبو داود ٤٥٥، والترمذي ٥٩٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٦).

(٦) أخرجه أبو داود ٤٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٧).

(٧) سورة النور، آية: ٣٦.

سبحانه ببنائها ورفعها وأمر بعمارتها وتطهيرها ... وقد وردت أحاديث كثيرة في بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطييبها وتبخيرها"[١]، وقال القاسمي: "قال السيوطي في الإكليل، في هذه الآية الأمر بتعظيم المساجد وتنزيهها عن اللغو والقاذورات، وفيها استحباب ذكر الله والصلاة في المساجد"[٢].

كما رغب سبحانه في عمارة المسجد بأن أثبت لمن فعل ذلك الإيمان، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٣].

قال أبو عبدالله القرطبي: "قد أثبت الإيمان في الآية لمن عمّر المساجد بالصلاة فيها وتنظيفها وإصلاح ما وَهى منها"[٤].

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/٦٢.

(٢) محاسن التأويل ١٢/٢١٤.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٤/٨/٩٠.

الحديث رقم (١٦٩٦)

١٦٩٦- وعن عائشة رضي الله عنها : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ رَأَى في جِدَارِ القِبْلَةِ مُخَاطاً، أَوْ بُزَاقاً، أَوْ نُخَامَةً، فَحَكَّهُ. متفق عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

مُخاطاً: ما يسيل من الأنف[٢].

بزاقاً: هو البصاق وهو ماء الفم إذا خرج منه[٣].

نخامة: ما يدفعه الإنسان من صدره أو أنفه من بلغم ونحوه[٤].

الشرح الأدبي

هذا الحديث تطبيق عملي لما ورد النهي عنه في الحديث السابق: فالبصاق في المسجد خطيئة: ورسول الله ﷺ في هذا الحديث رأى تلك الخطيئة التي لم يدفنها صاحبها، وذلك منكر تجب إزالته، ويجب تغييره، ورسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة، وكل أفعاله وأقواله سنن مأثورة يجب التأسي بها: ولذلك قام بتغيير هذا المنكر بيده الشريفة في تواضع جم. ومحبة لله تعالى ولدينه، وحرص على طهارة المسجد ونظافته.

والحديث ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: وتبدأ الحديث بالتوكيد حيث قالت: "أن رسول الله" حتى لا يتشكك أي سامع أو متلق في الخبر، وحتى لا يستغرب البعض ذلك: ويتساءل في دهشة، كيف يقوم رسول الله بذلك، وهو نبي الأمة، وخاتم الأنبياء: ودفعاً لهذه الخواطر التي

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧) واللفظ له، ومسلم (٥٤٩).

(٢) مختار الصحاح في (م خ ط).

(٣) القاموس المحيط في (ب ز ق).

(٤) معجم لغة الفقهاء ٤٤٦١.

يمكن أن تخالط تفكير بعض الناس: أكدت عائشة رضي الله عنها الخبر. لإزالة أي لبس، وأي طائف من الإنكار والشك، والتعبير بقولها: رأى في جدار القبلة مخاطاً أو بزاقاً أو نخامة فحكه، يفيد بأن هذا المخاط كان ظاهراً... وجافاً، لأن التعبير بالفعل "حكه" يفصح عن ذلك، وتحديد بأن ذلك كان في القبلة: يضاعف من إثم هذا الذي قام بذلك، والبزاق يدل على الكثرة: ففي القاموس المحيط: بزق الأرض: أي بذرها، والبذر يوحي بالكثرة، ورذاذ البزاق ينتشر في أكثر من جهة، والمخاط: هو السائل من الأنف؛ وقيل مخاط الشيطان: هو الذي يتراءى في عين الشمس للناظر في الهواء بالهاجرة؛ والنخمة، والنخامة: هي النخاعة، ويقال: تنخم أي دفع شيئاً من صدره أو أنفه، والعطف بالفاء في قولها: "فحكه"، يرشد إلى إسراع رسول الله ﷺ في إزالة القذر من المسجد، والمسارعة لتطهيره.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه:

١- وجوب إزالة ما يستقذر[1]، وما يتنزه عنه، ويتقزز منه من المسجد، وإذا كان رسول الله ﷺ يحك البصاق من المسجد، فكنسه، وتنظيفه، وكسوته يدخل في معنى ذلك[2].

٢- يستحب تطييب محل القذر بعد إزالته من المسجد[3].

٣- أما ما يفعله كثير من الناس إذا بصق، أو رأى بصاقاً ركله بأسفل مداسه الذي داس به النجاسة، والأقذار فحرام، لأنه تنجيس للمسجد وتقذير له وعلى من رأى من يفعل ذلك الإنكار عليه بشرطه[4].

المضامين الدعوية[5]

---

(١) التمهيد ١٥٤/١٤، والمجموع للنووي ١١٢/٤، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٩١/١، وكشاف القناع ٣٨٢/١، والمغني لابن قدامة ٩٦/١.

(٢) التمهيد لابن عبدالبر ١٥٤/١٤.

(٣) المجموع للنووي ١١٢/٢، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٩١/١، وكشاف القناع ٣٨٢/١، والمغني ٩٦/١.

(٤) المجموع ١١٢/٢.

(٥) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٦٩٧)

١٦٩٧- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((**إنَّ هذِهِ المَسَاجِدَ لاَ تَصلُحُ لِشَيءٍ مِنْ هَذَا: البَوْلِ وَلاَ القَذَرِ**[1]، **إنَّمَا هي لِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَقِراءةِ القُرآنِ**)) أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: سبقت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

القذر: الوسخ[3].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف الذي يحذر من تلويث المساجد، ويدعو إلى نظافتها، وتطهيرها من كل دنس؛ لأنها تعمر بذكر الله وقراءة القرآن، نجد أن الحديث يبدأ بالتوكيد في جملته الأولى وهي: جملة اسمية تعطي دلالة الاستمرار والثبات فالمساجد في كل عصر، وفي كل مكان لها حرمتها ومهابتها، ويجب أن تظل نظيفة، واسم الإشارة في قوله: "هذه المساجد" يفيد التحديد، والتمييز الكامل، ولم يقل "إن المساجد"، ولكن قال: "إن هذه المساجد"، و"آل" في المساجد للجنس أي كل مسجد، وخبر "إن" هو الجملة الفعلية "لا تصلح لشيء من هذا"، والفعل مضارع مسبوق بالنفي: والمضارعية تفيد استمرار المحافظة على المساجد وهي لا تصلح لشيء من القذارات، والتعبير بقوله: "لشيء: يرشد إلى وجوب صيانة المساجد من القاذورات والبول: مهما قل أو كان ضئيلاً لأن النجاسة قليلها مثل كثيرها.

---

(١) لفظ مسلم: (للبول والقذر).

(٢) برقم (١٠٠/٢٨٥).

(٣) المصباح المنير في (ق ذ ر).

وقوله: "من هذا البول" لمزيد من التحديد عن طريق اسم الإشارة، وهو هنا ليس للتمييز ولكن للتحقير والتنفير، والدعوة إلى تجنب تلويث المساجد بأقل شيء منه.

والجملة الثانية في الحديث، تجيب على سؤال ينشأ في الذهن الخالي من المعرفة: لأي شيء تصلح المساجد؟ فقال رسول الله ﷺ -موضحاً وظيفة المساجد ودورها في الإسلام-: "إنما هي لذكر الله تعالى: وقراءة القرآن"، وهذه الجملة صيغت في أسلوب القصر، عن طريق "إنما" وهذه الصياغة ترشد إلى تحديد وظيفة المساجد، وتقصر وظيفتها ودورها على ذكر الله تعالى، وقراءة القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[1]. وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[2].

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: حرمة التبول وإدخال شيء من النجاسات إلى المسجد: أما من على بدنه نجاسة، أو به جرح، فإن خاف تلويث المسجد حرم عليه الدخول، وإن أمن لم يحرم[3].

المضامين الدعوية[4]

---

(١) سورة الجن، آية: ١٨.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٦- ٣٧.

(٣) المجموع للنووي ٢/٢٠٠، وشرح الزرقاني على الموطأ ١/١٩٠- ١٩١.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٩٥).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - من وسائل التربية: المسجد:

يعد المسجد أول وسائل التربية الإسلامية وأهمها لأن أول عمل قام به رسول الله ﷺ عندما وصل المدينة بناء المسجد، لأن المسجد هو الذي يضم شتات المسلمين، يجمعون فيه أمرهم، ويتشاورون لتحقيق أهدافهم، ودرء المفاسد عنهم، والتعاون لمجابهة المشكلات، وصد العدوان عن عقيدتهم، وعن أنفسهم، وأموالهم، بل هو المعقل الذي يلجؤون فيه إلى بارئهم، يستمدون منه السكينة والقوة والعون، ويعمرون قلوبهم بشحنة جديدة من الطاقات الروحية، بها يمنحهم الله صبرًا وبأسًا وإقدامًا ووعيًا وتبصرًا ورباطة جأش، وبعد نظر، وتفاؤلاً ونشاطًا[1].

وقد أولت الشريعة الإسلامية المسجد كوسيط تربوي أهمية خاصة وجاءت أحاديث الباب لتؤكد هذه الأهمية حيث نهى النبي ﷺ عن البصاق في المسجد، وأمر بإزالته منه إذا وجد فيه، وأمر بتنزيه المسجد عن الأقذار تكريمًا وإجلالاً لشأن المسجد، ورفعًا لشأنه عن وجود الأوساخ والقاذورات به.

وقد كان للمسجد في صدر الإسلام وظائف جليلة أهمل المسلمون اليوم عددًا منها، ولكن التاريخ يؤكد أن المسجد عندما يأخذ مكانه الطبيعي الذي بني من أجله، وأراده الله له، يصبح من أعظم المؤثرات التربوية في نفوس الناشئين، فيه يرون الراشدين مجتمعين على الله، فينمو في نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم، والاعتزاز بالجماعة الإسلامية، وفيه يسمعون الخطيب والدروس العلمية، فيبدؤون بوعي العقيدة الإسلامية وفهم هدفهم من الحياة، وما أعدهم الله له في الدنيا والآخرة.

وفيه يتعلمون القرآن ويرتلونه، فيجمعون بين النمو الفكري والحضاري بتعلم القراءة، ودستور المجتمع الإسلامي، والنمو الروحي وهو الارتباط بخالقهم.

وفيه يتعلمون الحديث والفقه، وكل ما يحتاجون من نظم الحياة الاجتماعية كما

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص ١٠٨.

أراد الله أن ينظمها للإنسان، ومن هداية الله وسنة رسوله.

ويتعلمون العلوم المتممة لذلك كاللغة والتاريخ الإسلامي وغيرها، ولكن ما يدعو المسلمين إلى المسجد هو الالتقاء على طاعة الله.

فالمسجد على هذا يعلّم الناشئين أن كل أمور الحياة تابعة للارتباط بالله، وصادرة عن هدف التربية الإسلامية الشامل الذي هو إخلاص العبودية لله، وينغرس هذا المعنى في نفس الناشئ عفوًا من غير قصد ولا تكلف[1].

ثانيًا - من أساليب التربية: الممارسة العملية:

يعد أسلوب الممارسة العملية من الأساليب التربوية الناجحة والذي له العديد من الآثار والفوائد التربوية كإتقان العمل[2].

وتعود الدقة وتوخي صحة النتائج، وشعور الإنسان بالمسؤولية عن صحة العمل، وحب العمل واستبعاد الغرور، وترك الكسل والتوكل[3].

وقد تجلت الممارسة العملية في هذا الباب في فعل النبي ﷺ عندما رأى في قبلة المسجد مخاطًا أو بزاقًا أو نخامة فحكهُ بنفسه فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ رأى في جدار القبلة مخاطًا، أو بزاقًا، أو نخامة، فحكه. وهو بذلك مارس ﷺ التربية الإسلامية ممارسة عملية.

ولاشك أن أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية وذلك لأن الإسلام دين عمل، شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم وقائمًا على أساسه، وهو دين يجعل العمل أساسًا للنجاح والخسران في الدنيا والآخرة. فإن كان خيرًا فخير وصلاح وفوز ونجاح، وإن كان شرًا فشر وخسران.

ويطالب الإسلام كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة، أو ما يتعلق بشؤون الحياة الدنيا. بل وكل تعاليم

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠٩، ١١٠.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ١٧٧.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص ٢١٧.

الإسلام إنما جاءت لكي تنفذ وتطبق على الواقع ولا يكون المسلم مسلمًا إسلامًا حقيقيًا إلا إذا مارسها وأداها عمليًا[١].

ومما لاشك فيه أن النبي ﷺ هو الذي علمنا مبادئ التربية الإسلامية، وأن نمارس ما نتعلم وأن نعمد إلى تعليم وتربية المتعلمين والمتربين بالأسلوب العملي فكل معلم يمارس العمل المراد تعليمه ثم يتابعه المتعلم، أو يمارس كل متعلم العمل أمام معلمه، ثم يناظره المعلم ويصحح أخطاءه[٢].

وكان رسولنا الكريم ﷺ مربيًا وهاديًا بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به[٣].

ثالثًا - التربية على نظافة المساجد:

اهتم الدين الإسلامي بالنظافة اهتمامًا كبيرًا ودعا إلى نظافة المسلم ونظافة كل ما يحيط به ومن الأشياء التي حبب الرسول ﷺ في نظافتها وطهارتها من الأنجاس والأقذار المسجد الذي فيه اجتماع المؤمنين في خمس أوقات في الليل والنهار، وأمر المصلين بالتزين والتطيب عملاً بقوله تعالى: ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[٤])[٥].

وقد جاءت أحاديث الباب ناهية عن البصاق في المسجد، وآمرة بإزالته منه إذا وجد فيه، وآمرة بتنزيه المسجد عن الأقذار، فقال ﷺ: "البصاق في المسجد خطيئة..." وعندما رأى ﷺ في جدار القبلة مخاطًا، أو بزاقًا، أو نخامة حكه أي أزاله بنفسه.

وقال ﷺ "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر...".

وللمسجد منزلة عظيمة في نفوس المسلمين، إذ كان الملجأ الأمين الذي يلجأون إليه في تطهير نفوسهم وتزكيتها، فهو إلى جانب كونه مكانًا للعبادة وتأدية الفرائض

---

(١) أصول التربية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٠.

(٣) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ٢٢٥.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٥) انظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية ٥٠/٦٧.

الخمس اليومية، فإنه المؤسسة التي تدار فيها أمورهم وشؤونهم الخاصة والعامة، ما دق منها وما جلّ، حتى غدا المدرسة الأولى التي تخرج فيها كبار الصحابة والفاتحين، وكان على مر العصور يختار له الموقع المناسب في القرى والمدن والأحياء(١).

وتأكيدًا لأهمية المساجد ومنزلتها في الإسلام؛ لأنها بيوت الله التي يمارس فيها المسلمون عبادتهم واتصالهم برب العالمين يجب أن يحافظ على نظافتها وطهارتها.

ويعد المسجد بعد البيت الركن الثاني الذي يسهم في تعليم الطفل وتوجيهه بشكل صحيح وسليم، فمن المفيد إذًا أن نعلم أطفالنا منذ نعومة أظفارهم الحفاظ على الطهارة في كل مكان، وعندما يرى المسجد النظيف الطاهر وينتبه إلى حرص المسلمين على طهارته، واستيائهم من كل شخص لا يهتم بنظافة بيت الله، فإنه يدرك أهمية الطهارة وضرورة المحافظة على النظافة في أي مكان وجد فيه(٢).



---

(١) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية ٥٠/٦٨.

(٢) المرجع السابق ٥٠/٧٠.

٣١٠- باب كراهة الخصومة في المسجد ورفع الصوت فِيهِ ونشد الضالة والبيع والشراء والإجارة ونحوها من المعاملات

الحديث رقم (١٦٩٨)

١٦٩٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّه سمعَ رسُولَ اللَّهِ ﷺ، يقولُ: ((مَنْ سَمِعَ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي المَسْجِدِ فَلْيَقُلْ[1]: لا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ، فإنَّ المَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهذَا)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ينشد ضالة: يطلب ما ضاع من البهائم[3].

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الأول في باب: كراهة الخصومة في المسجد، ورفع الصوت فيه، ونشد الضالة والبيع والشراء والإجارة ونحوها من المعاملات.

والحديث في بنائه اللغوي يتكون من ثلاث جمل لغوية متنوعة: الأولى شرطية وهي قوله ﷺ: "من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل": والثانية: هي مقول القول، وهي: جملة دعائية إنشائية "لا ردها الله عليك"، والثالثة: جملة خبرية مؤكدة مستأنفة لبيان علة الدعاء على هذا الذي لم يرع حرمة المساجد... وجعل منها ميدانًا لقضاء

(١) لفظ مسلم: (فقولوا)، والمثبت لفظ أبي داود (٤٧٣)، وابن ماجه (٧٦٧)، تبع المؤلف فيه المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (٧٩/٥٦٨). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤١).

(٣) انظر: شرح مسلم ٤٢٢، والوسيط في (ن ش ر).

الحاجات الدنيوية، وشوش على المصلين، والحديث بناء لغوي متماسك، وذلك نستكشفه من خلال المقاربة الدلالية حيث نتوصل إلى علاقة العلامات، والكلمات والجمل بالأشياء وبحالات الأشياء والمعنى المراد توصيله، وهذا البناء المتماسك في الحديث يتجلى من خلال المقاربة النحوية، وهي تسعى إلى اكتشاف علاقة العلامات فيما بينها، والكلمات في الجملة أو الجمل، وفي مقاطع الجمل، كما يرى علماء اللغة.

وتترابط جمل الحديث الثلاث: فالجملة الشرطية تفصح عن ارتكاب مخالفة وهي نشدان الضالة في المسجد: أي الإعلان عن ضياع حيوان أو غيره في المسجد أمام المصلين، وفي مكبر الصوت: وهو أمر يشغل المصلين عن العبادة وعن ذكر الله، وهذه المخالفة التي جسمها فعل الشرط: يأتي جواب الشرط ليعلن في حسم حل هذه المشكلة، في قوله: "فليقل" ولكن المعنى لم يتم، وتأتي الجملة الثانية وهي مقول القول: المأمور به، وهي كما قلت: جملة دعائية: تمثل عقابًا من الله تعالى ومن رسوله ﷺ لهذا الذي لم يرع حرمة المساجد "لا ردها الله عليك" والجملة الثالثة لا تخرج عن دائرة ما سبق في المعنى والمبني، حيث علل رسول الله ﷺ سبب هذه العقوبة المتمثلة في الدعاء على من اتخذ من المسجد وسيلة للإعلان عن ضالته: فقال مؤكدًا: "فإن المساجد لم تبن لهذا"، واسم الإشارة جُعل للقريب حتى لا يشم منه رائحة التعظيم أو التمييز، وإنما لتحديد الأمر الذي كان سببًا في ارتكاب المخالفة، والله اعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه أنه يكرهُ نشد الضالة في المسجد[1]، لما في ذلك من صرف المسجد عن مهمته التي بني لأجلها، وهي العبادة والذكر، والصلاة، وتعلم العلم ونحو ذلك[2].

---

(١) شرح فتح القدير ١٤/٦، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٤/٦، والزرقاني على الموطأ ٥٠٣/١، والمجموع للنووي ٢٠٠/٢، وروضة الطالبين ٢٢٤/١١، والكافي في فقه الإمام أحمد ٢٥٣/٢، وكشاف القناع ٢١٦/٤، والمغني لابن قدامة ١٨٤/٤.

(٢) عون المعبود ٩٧/٢، والدين الخالص للسبكي ٢٥٢/٣.

ويسن لمن يسمع شخصًا ينشد ضالته، أن يقول له: لا وجدتها، ولا ردها الله عليك[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: تنزيه المسجد عن نشدان الضالة وعن البيع والشراء، وعن إنشاد الشعر وعن رفع الأصوات فيه ونحو ذلك.

ثانيًا: من آداب المدعو: القيام بدوره في إنكار المنكر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تعهد الإمام أحوال المساجد والعمل على صيانتها وتعظيمها.

رابعًا: من آداب الداعية: إعذار أهل الجهل بالحكم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تنزيه المسجد عن نشدان الضالة وعن البيع والشراء، وعن إنشاد الشعر وعن رفع الأصوات فيه ونحو ذلك:

١- أما نشدان الضالة قال النبي ﷺ: "مَنْ سَمِعَ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ، فَلْيَقُل: لاَ رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ. فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهذَا". كما قال ﷺ: "لرجل نشد جملاً أحمر في المسجد: لا وجدت"، كما نهى ﷺ عن أن تنشد الضالة في المسجد.

قال ابن الأثير: "الضالة: هي الضائعة من كل ما يقتني من الحيوان وغيره"[٣]، وقال ابن الأثير كذلك: يقال: "نشدت الضالة فأنا ناشد، إذا طلبتها، وأنشدتها فأنا منشد إذا عرفتها... وهو من النشيد: رفع الصوت"[٤]، أي أن العلة في ذلك هو رفع الصوت بالسؤال عما ضل من مال ونحوه، وهذا مناف لما بنيت المساجد لأجله[٥].

---

(١) كشاف القناع ٤/٢١٦.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٩٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٩٩، ١٧٠٠، ١٧٠١، ١٧٠٢).

(٣) النهاية في (ض ل ل).

(٤) النهاية في (ن ش د).

(٥) انظر: أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية: د. إبراهيم بن صالح الخضيري، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ٣/٧٩.

لكن من ناحية أخرى فإن أمام من ينشد الضالة أن يقف عند باب المسجد خارجه وينشد ضالته، فيكون جمع بين إعلام المصلين بضالته الضائعة، وعدم ارتكاب النهى بنشدانها في المسجد[١].

قال عبدالله البسام: "الحديث يدل على تحريم نشدان الضالة في المسجد، ووجوب الدعاء عليه بهذا الدعاء، وإعلامه باستحقاقه الدعاء حيث اتخذ المسجد لنشدان الضوال، وإشغال المصلين والمتعبدين بأعمال الدنيا، ظاهره أنه لو خرج عند باب المسجد فنشدها، فإنه لا يحرم لأنه ليس من المسجد. وفيه بيان وظيفة المسجد بأنها الصلاة وذكر الله وتلاوة كتابه والمذاكرة في الخير ونحو ذلك"[٢].

٢- النهى عن البيع والشراء في المسجد، وهذا واضح في قوله ﷺ: «إذا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ "أي يشتري" فِي المَسجِدِ فَقُولُوا: لا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ»، وفي نهيه ﷺ عن الشراء والبيع في المسجد كما في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، وذلك لأن المساجد إنما بنيت لذكر الله تعالى، ولم تبن للمتاجرة، ولأن المساجد بنيت للآخرة، والأسواق بنيت للدنيا، ولكل ما خصص له"[٣]. قال القرطبي: "وروى أن عيسى ابن مريم عليه السلام أتى على قوم يتبايعون في المسجد فجعل رداءه مخراقًا"[٤]. ثم جعل يسعى عليهم ضربًا ويقول: يا أبناء الأفاعي، اتخذتم مساجد الله أسواقا هذا سوق الآخرة"[٥]. وقال ابن قدامة: "ورأى عمران القصير رجلاً يبيع في المسجد فقال: هذا سوق الآخرة، فإن أردت التجارة فاخرج إلى سوق الدنيا"[٦].

قال عبدالله البسام: "إنما بنيت المساجد لطاعة الله وعبادته، فيجب أن تجتنب

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، للشيخ ابن عثيمين، ١٧٦٧/٢.

(٢) توضيح الأحكام ٥٢٧/١.

(٣) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية ٧٨/٣.

(٤) المخراق: منديل أو نحوه يلوى فيضرب به أو يفزع به في لعبة للصبيان. الوسيط في (خ ر ق).

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٠/١٢/٦.

(٦) المغنى لابن قدامة ٢٨٣/٦.

أحوال الدنيا"[١].

٣- إنشاد الأشعار في المسجد: وهذا واضح من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: نهى رسول الله ﷺ عن الشراء والبيع في المسجد، وأن تنشد فيه ضالة أو ينشد فيه شعر. قال القرطبي: "أما تناشد الأشعار فاختلف في ذلك، فمن مانع مطلقا، ومن مجيز مطلقاً. والأولى التفصيل، وهو أن يُنظر إلى الشعر فإن كان مما يقتضي الثناء على الله عز وجل أو على رسوله ﷺ أو الذبّ عنهما كما كان شعر حسان[٢]، أو يتضمن الحض على الخير والوعظ والزهد في الدنيا والتقلّل منها، فهو حسن في المساجد وغيرها. وما لم يكن كذلك لم يجز؛ لأن الشعر في الغالب لا يخلو عن الفواحش والكذب والتزين بالباطل، ولو سلم من ذلك فأقل ما فيه اللّغْوُ والهَذَر، والمساجد منزهة عن ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ ﴾[٣]. وقد يجوز إنشاده في المسجد؛ كقول القائل:

إذا سقط السماء بأرض قوم   رَعَيناه وإن كانوا غِضابًا

فهذا النوع وإن لم يكن فيه حَمْد ولا ثناء يجوز؛ لأنه خالٍ عن الفواحش والكذب[٤]. وقال الدكتور إبراهيم بن صالح الخضيري: "وأما أن يكون "أي الشعر" مباحًا فهو كالكلام المباح، ويجوز إلقاؤه في المسجد حيث لا ضرر منه"[٥]. وقال ابن حجر: "يحمل النهى على تناشد أشعار الجاهلية والمبطلين، والمأذون فيه ما سلم من ذلك، وقيل: المنهي عنه إذا كان التناشد غالبًا على المسجد حتى يتشاغل به مَنْ فيه"[٦].

---

(١) توضيح الأحكام ٥٢٩/١.

(٢) أخرجه البخاري ٤٥٣، ومسلم ٢٤٨٥، قول رسول الله ﷺ لحسان: ياحسان أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيده بروح القدس، وأخرجه البخاري ٣٥٣١، ومسلم ٢٤٨٧، عن عائشة: إنه كان ينافح عن النبي ﷺ.

(٣) سورة النور، آية: ٣٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٧١/١٢/٦. وانظر: المجموع شرح المهذب للنووي، ١٤٢/٢.

(٥) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية ٦٥/٣، وانظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، ١٧٦٨/٢.

(٦) فتح الباري ٦٥٣/١، ط الريان.

وقال عبدالله البسام: "الشعر كلام قبيحه قبيح ومليحه مليح ويقاس على الشعر كل كلام، فما كان منه خير ومصلحة للدين فهو مرغوب منه، وما لا فائدة منه أو فيه مضرة فإن بيوت الله تنزه عن ذلك. كما أنه لابد من مراعاة عدم إشغال المصلين والذاكرين والتالين كتاب الله تعالى، فتراعى حالهم، ولا يشوش عليهم، فإن أصل بناء المساجد لإقامة الصلاة وذكر الله تعالى"[١].

٤- رفع الأصوات في المسجد: "وهذا واضح من قول عمر بن الخطاب للرجلين الذين رفعا أصواتهما: "لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ. قال ابن هبيرة: "فيه من الفقه أن رفع الصوت في المسجد في غير ذكر الله هو الذي نهى عنه عمر، لأن المساجد إنما بنيت ليذكر فيها اسم الله عز وجل، ولأن أحد ملوك الدنيا إذا رفع الصوت في داره بغير حمده والثناء عليه، عُدَّ ذلك من سوء الأدب"[٢].

قال الدكتور إبراهيم بن صالح الخضيري: "رفع الصوت بالأذان وبقراءة الكتب النافعة للتعليم وبالقراءة للقرآن بصوت مرتفع حين لا يتأذى به أحد كل هذا مشروع.

وأما رفع الصوت بالقراءة مع حصول التشويش أو رفع الصوت بالكلام المباح فإن ذلك مكروه، وقد حكى ابن عابدين[٣] الإجماع على استحباب ذكر الجماعة في المساجد، إلا أن يشوش جهرهم على نائم أو قارئ. ويدل لهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما: ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ إلا بالتكبير، متفق عليه[٤].

وذكر القرطبي عن مالك: كراهية رفع الصوت مطلقًا بالمسجد[٥]. ولعل مراد مالك

---

(١) توضيح الأحكام ٥٢٦/١، وانظر: الاستذكار لابن عبدالبر، ٢٣٧/٦، موسوعة شروح الموطأ.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٧٩/١.

(٣) حاشية ابن عابدين "رد المحتار على الدر المختار"، محمد أمين بن عمر عابدين، ١٢٥٢هـ، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة خاصة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

(٤) أخرجه البخاري ٨٤١، ٨٤٢، ومسلم ٥٨٣.

(٥) المفهم للقرطبي (المحدّث) ١٧٤/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٢/١٢/٦. للقرطبي المفسر وهو تلميذ المحدث وقد نقله عنه.

مسجد النبي ﷺ فإنه ينبغي غض الصوت فيه، لأن حرمته ﷺ حيًا كحرمته ميتًا.

لكن ارتفاع الصوت بالحق لاشيء فيه. ودليل هذا أن كعب بن مالك تقاضى عبدالله بن أبي حدرد دينًا كان له عليه، فسمع رسول الله ﷺ أصواتهما، وخرج إليهما من بيته. ثم حكم بينهما[1] ولم ينكر عليهما رفع أصواتهما، لأنها ارتفعت بحق. ولأنهما كانا يريدان أن يحكم بينهما رسول الله ﷺ.

وأما الكلام المباح فإنه لا يجوز رفع الصوت فيه بجميع المساجد، ودليل هذا: عن السائب بن يزيد قال: "كنتُ قائمًا في المسجدِ فحصَبَني رَجلٌ، فنظرْتُ فإذا عمرُ بنُ الخَطّابِ فقال: اذهبْ فأْتِني بهذينِ، فجِئْتُهُ بهما. قال: مَن أنتُما - أو مِن أين أنتما -؟ قالا: مِن أهلِ الطائفِ. قال: لو كنتُما من أهلِ البلدِ لأوجَعْتُكما، ترفعانِ أصواتَكما في مَسجِدِ رسولِ اللّهِ ﷺ!"[2]. فهذا يدل في ظاهره أنه خاص بمسجد رسول الله ﷺ إلا أنه يشمل المساجد كلها"[3]، وقال الشاطبي: "وأما ارتفاع الأصوات في المساجد فناشئ عن بدعة الجدال في الدين، فإن من عادة قراءة العلم وإقرائه وسماعه أن يكون في المساجد، ومن آدابه أن لا ترفع فيه الأصوات في غير المساجد. فما ظنك به في المساجد؟"[4].

وقال ابن كثير: "وقد روى ابن ماجه وغيره من حديث ابن عمر مرفوعًا، قال: خصال لا تنبغي في المسجد: لا يتخذ طريقًا ولا يشهر فيه سلاح ولا ينبض فيه بقوس[5] ولا ينثر فيه نبل ولا تمرّ فيه بلحم نيئ، ولا يضرب فيه حد، ولا يقتص فيه من أحد ولا يتخذ سوقًا"[6]. وعن واثلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ قال: «جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ

---

(١) أخرجه البخاري ٤٧١، ومسلم ١٥٥٨.

(٢) أخرجه البخاري ٤٧٠.

(٣) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية ٣/٧١-٧٢.

(٤) الاعتصام: الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، ٧٩٠هـ، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص ٢٣٨.

(٥) انبض في قوسه: أصاتها أو حرك وترها لترنّ، القاموس المحيط في (ن ب ض).

(٦) أخرجه ابن ماجه، ٧٤٨، وضعفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه، ١٦٣).

صِبْيَانَكُمْ وَمَجَانِينَكُمْ وَشِرَاءَكُمْ[١] وَبَيْعَكُمْ وَخُصُوماتِكُمْ وَرَفْعِ أَصْوَاتِكُمْ وَإِقَامَةِ حُدُودِكُمْ وَسَلِّ سُيُوفِكُمْ وَاتَّخِذُوا عَلَى أَبْوَابِهَا الْمَطَاهِرَ وَجَمِّرُوهَا فِي الْجُمَعِ»[٢].

أما أنه "لا يتخذ طريقًا " فقد كره بعض العلماء المرور فيه إلا لحاجة إذا وجد مندوحة عنه، وفي الأثر "إن الملائكة لتتعجب من الرجل يمر بالمسجد لا ليصلي فيه". وأما أنه لا يشهر فيه بسلاح ولا ينبض فيه بقوس ولا ينثر فيه نبل"، فلما يخشى عن إصابة بعض الناس به، لكثرة المصلين فيه، ولهذا أمر رسول الله ﷺ، إذا مر أحد بسهام أن يقبض على نصالها[٣] لئلا يؤذي أحدًا، كما ثبت ذلك في الصحيح[٤]، وأما النهي عن المرور باللحم النيئ فيه فلما يخشى من تقاطر الدم منه كما نهيت الحائض عن المرور فيه إذا خافت التلويث، وأما أنه "لا يضرب فيه حد أو يقتص" فلما يخشى من إيجاد نجاسة فيه من المضروب أو المقطوع، وأما أنه لا يتخذ سوقًا فلما تقدم من النهي عن البيع والشراء فيه، فإنه إنما بني لذكر الله والصلاة فيه كما قال النبي ﷺ لذلك الأعرابي الذي بال في طائفة[٥] المسجد «إن المساجد لم تبن لهذا، إنما بنيت لذكر الله والصلاة فيها» ثم أمر بسجل[٦] من ماء فأهريق على بوله[٧].

وفي الحديث الثاني «جنبوا مساجدكم صبيانكم» وذلك لأنهم يلعبون فيه ولا يناسبهم، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى صبيانًا يلعبون في المسجد ضربهم بالمخفقة وهي الدرة، وكان يعس[٨] المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه أحدًا.

«ومجانينكم» يعني لأجل ضعف عقولهم وسخر الناس بهم، فيؤدي إلى اللعب فيها،

---

(١) في المطبوع من سنن ابن ماجه: شراركم، ولفظ "شراءكم" وقع أيضًا في الدر المنثور، ١١/٧٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٧٥٠، وضعفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه ١٦٤).

(٣) النصال: مفردها نصل: وهو حديدة السهم والرمح والسيف. القاموس المحيط في (ن ص ل).

(٤) أخرجه البخاري ٤٥٢، ومسلم ٤٥٢.

(٥) الطائفة من الشيء: القطعة منه. القاموس المحيط في (ط و ف).

(٦) السجل: الدلو العظيمة مملوءة، القاموس المحيط في (س ج ل).

(٧) أخرجه مسلم ٢٨٤.

(٨) أي يطوف بالليل، النهاية في (ط و ف).

ولما يخشى من تقذيرهم المسجد ونحو ذلك ...

«وخصوماتكم» يعني: التحاكم والحكم فيه، ولهذا نص كثير من العلماء على أن الحاكم لا ينتصب لفصل الأقضية في المساجد، بل يكون في موضع غيره، لما فيه من كثرة الحكومات والتشاجر والعياط[1] الذي يناسبه، ولهذا قال بعده «ورفع أصواتكم» ... وقوله «واتخذوا على أبوابها المطاهر» يعني المراحيض التي يستعان بها على الوضوء وقضاء الحاجة. وقد كانت قريبًا من مسجد رسول الله ﷺ آبار يستقون منها فيشربون ويتطهرون ويتوضؤون وغير ذلك.

وقوله «وجمروها في الجُمَع» يعني بخروها في أيام الجمع لكثرة اجتماع الناس يومئذ"[2].

ثانيًا- من آداب المدعو: القيام بدوره في إنكار المنكر:

هذا واضح من طلب النبي من الصحابة رضوان الله عليهم، أن يقولوا لمن ينشد ضالة في المسجد" لا ردها عليك فإن المساجد لم تبن لهذا" وفي رواية "فقولو: لا ردها الله عليك"، وإذا رأوا من يبيع أو يشترى في المسجد أن يقولوا: لا أربح الله تجارتك.، وقد قال النبي ﷺ لرجل ينشد جملاً أحمر:"لا وجدت، إنما بنيت المساجد لما بنيت له".

قال النووي: "قوله ﷺ: "إنما بنيت المساجد لما بنيت له" معناه لذكر الله تعالى والصلاة والعلم والمذاكرة في الخير ونحوها ... وقوله ﷺ: "لا وجدت"، وأمر أن يقال مثل هذا، فهو عقوبة له على مخالفته وعصيانه، وينبغي لسامعه أن يقول لا وجدت فإن المساجد لم تبن لهذا، أو يقول لا وجدت، إنما بنيت المساجد لما بنيت له كما قاله رسول الله ﷺ"[3].

قال أبو العباس القرطبي: قوله: "فليقل: لا ردها الله عليك" دعاء على الناشد في المسجد بعدم الوجدان، فهو معاقبة له في ماله على نقيض مقصودة"[4].

---

(١) جاء في القاموس المحيط ٦٧٩: التعيط: الجلبة والصياح.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦٣/٦، ٦٤.

(٣) شرح صحيح مسلم ٥٧/٥/١٣ .

(٤) المفهم ١٧٤/٢.

وقال عبدالله البسام: "هذا دعاء عليه بنقيض قصده وهو نوع من أنواع التعزير، ومعنى قبوله "لا أربح الله تجارتك" أي لا يجعلها نافعة ناجحة"[١].

وقال ابن عثيمين: "الذي يسمع إنسانًا يبيع ويشتري ماذا عليه؟ قال النبي ﷺ قولوا: "لا أربح الله تجارتك"، ادعوا عليه بأن الله يخسره ولا يربحه، بأن الله لا يربح تجارته ولكن الرسول ﷺ قال فيه، "فإن المساجد لم تبن لهذا" يحتمل أن هذه الكلمة يضيفها القائل إلى قوله، ويحتمل أنها تعليل للحكم من النبي ﷺ، وأنها لا تقال. لكن إذا كان في قولك إياها تطييب لقلبه، فهذا قولها حسن يعني تقول: لا أربح الله تجارتك، فإن المساجد لم تبن لهذا"، يعني للبيع والشراء، ما بنيت للبيع والشراء، بنيت للصلاة والذكر وقراءة القرآن، وطلب العلم، وما أشبه هذا، فإذا كان قولك: إن المساجد لم تبن لهذا" تطييبًا لقلبه حتى لا يغضب عليك، أنا إذًا دعوت عليك، فقد دعوت عليك لأمر من الرسول ﷺ، وأمر الرسول ﷺ مطاع كأمر الله ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[٢]، فأقول: "لا أربح الله تجارتك"، فإن المساجد لم تبن لهذا حتى يطيب قلبه. كذلك أيضًا إنشاد الضالة... ندعو عليه "أى منشد الضالة"، بأن الله لا يردها عليه ولا يعثر عليها، لا ردها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا"[٣].

ولا شك أن هذا القول من المدعوين إنكار على من فعل ذلك في المسجد من نشدان الضالة أو البيع أو الشراء، "والنهى عن المنكر من فروض الكفاية التي يجب على المسلمين أن يقوموا بها ويأثمون إذا تركوها جميعا، ويسقط الحرج عن الباقين إذا قام به بعضهم، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٤]"[٥].

---

(١) توضيح الأحكام ١/٥٢٧-٥٢٩.

(٢) سورة التغابن، آية: ١٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٦٧-١٧٦٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٥) الموسوعة الفقهية ٤١/٤٠٧، وانظر: مصنف عبدالرزاق ١/٤٣٨، رقم ١٧١٥.

ولاشك أن قيام المدعو بدوره في إنكار المنكر يشعر فاعل المنكر، بأن المجتمع المحيط به من المدعوين غير راض عن فعله وغير متقبل له، ومن ثم يكون هذا دافعًا له إلى الكف عن فعله والإقلاع عنه، وهذا ما يسمى بالردع العام الاجتماعي، فكم من منكر اختفى بسبب إنكار المدعوين له، وكم من منكر شاع بسبب سكوت المدعوين عنه.

وقد أخرج مالك في الموطأ: "أنه بلغه أن عطاء بن يسار كان إذا مر عليه بعض من يبيع في المسجد، دعاه فسأله: ما معك؟ وما تريد؟ فإن أخبره أنه يريد أن يبيعه، قال: عليك بسوق الدنيا، فإنما هذا سوق الآخرة"[١].

قال ابن عبدالبر: "ففيه أن ذلك الزمان كان فيه من عوام أهله من يبيع ويشترى في المسجد، ولكنه كان فيه من ينكر ذلك، وكان عطاء بن يسار منهم، ولا يزال الناس بخير ما أنكر فيهم ولم يتوطئوا عليه، فإن تواطئوا عليه هلكوا. وكان عطاء بن يسار فاضلاً قاضيًا واعظًا، من حملة العلم ورواة الثقات.

وأما قوله في المسجد: إنه سوق الآخرة. فمأخوذ من قوله عز وجل: ﴿تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾[٢]. وهي أعمال البر الزاكية، ولا عمل أفضل من الصلاة وانتظارها، ولزوم المساجد من أجلها"[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تعهد الإمام أحوال المساجد والعمل على صيانتها وتعظيمها:

هذا واضح من هذه الأحاديث، وقد وقع ذلك من فعل النبي ﷺ كما في حديث بريدة رضي الله عنه أن رجلاً نشد في المسجد فقال: من دعا إلى الجمل الأحمر؟ فقال رسول الله ﷺ: لا وجدت، إنما بنيت لما بنيت له"، وكما وقع ذلك من عمر بن

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٤٢٥، موسوعة شروح الموطأ ٢٣٥/٦.

(٢) سورة فاطر، آية: ٢٩.

(٣) الاستذكار ٢٣٥/٦، موسوعة شروح الموطأ.

الخطاب ﵁ عندما قال للرجلين: "لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ".

وقد كان النبي ﷺ يغضب عندما يجد نخامة أو بصاقًا في القبلة، ويقوم بحكها بنفسه، وقد جاءت بذلك أحاديث كثيرة، منها عن أنس بن مالك ﵁ أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة فحكها بيده، ورؤى منه كراهية، أو رؤى كراهيته لذلك وشدته عليه، وقال: إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنما يناجي ربه، أو ربه بينه وبين قبلته، فلا يبزقن في قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه، ثم أخذ طرف ردائه فبزق فيه ورد بعضه على بعض. قال: أو يفعل هكذا"[(١)].

قال ابن حجر: "وفي الأحاديث المذكورة من الفوائد الندب إلى إزالة ما يستقذر أو يتنزه عنه من المسجد، وتفقد الإمام أحوال المساجد وتعظيمها وصيانتها"[(٢)].

وقد كان عمر بن الخطاب ﵁ حريصًا على هذا أشد الحرص، من ذلك أنه بنى رحبة في ناحية المسجد تسمى البطيحاء وقال: من كان يريد أن يلغط أو ينشد شعرًا أو يرفع صوته فليخرج إلى هذه الرحبة"[(٣)].

قال القرطبي: "وهذا يدل على أن عمر كان يكره إنشاد الشعر في المسجد، ولذلك بنى البطيحاء خارجه"[(٤)].

وعن نافع أن عمر كان إذا خرج إلى الصلاة نادى في المسجد: "إياكم واللغط، وإنه كان يقول: ارتفعوا في المسجد"[(٥)]. وعن ابن عمر أن عمر كان يجمّر المسجد في كل جمعة"[(٦)]. وقال ابن كثير: "وقد كان عمر بن الخطاب ﵁ إذا رأى صبيانًا يلعبون في

---

(١) أخرجه البخاري ٤١٧، ومسلم ٥٥١.

(٢) فتح الباري ٦١٢/١. ط الريان.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٤٢٦، بلاغًا عن عمر بن الخطاب ﵁، ٢٣٦/٦، موسوعة شروح الموطأ.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٢/١٢/٦.

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٤٣٨/١، رقم ١٧١٣، وفي سنده انقطاع لأن نافعًا لم يدرك ذلك الزمان كما قال ابن حجر في الفتح ٦٦٨/١.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٦٣/٢، وأبو يعلي ١٩٠، وقال محقق مسند أبي يعلى: إسناده ضعيف، أ.هـ. ويقال: أجمرت الثوب وجمرته إذا بخرته بالطيب، القاموس المحيط في (ج م ر).

المسجد ضربهم بالمخفقة وهى الدرة، وكان يعس المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه أحدًا"[١].

وإنما يجب على الإمام أو من يقوم مقامه، ذلك، لأن المساجد أحب البقاع إلى الله سبحانه وتعالى، كما جاء في الحديث: "أحب البلاد إلى الله مساجدها. وأبغض البلاد إلى الله أسواقها"[٢].

قال النووي: (لأنها "أي المساجد" بيوت الطاعة وأساسها على التقوى، "و" لأنها "أي الأسواق" محل الغش والخداع والربا والأيمان الكاذبة وإخلاف الوعد والإعراض عن ذكر الله، وغير ذلك مما في معناه"[٣].

ولذلك كان "من أجل الأعمال وأعظمها منزلة عند الله عمارة المساجد، بيوت الله وأحب البقاع إليه، عمارة حسيه بالبناء والترميم والتنظيف، وعمارة معنوية بالصلاة فيها وتلاوة القرآن والذكر والدعاء ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[٤]. التي جعلت عمارتها من أبين الأدلة على صدق الإيمان ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية[٥]، لقد أشاد الإسلام بفضل عمارة المساجد وما تعود به زيارتها على النفوس من أثر فعال، وأضافها الله إلى نفسه إضافة تشريف فقال: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[٦]، ولا غرابة فعمارة المساجد كالمرآة الصافية لعكس أحوال الناس، وبيان مدى رغبتهم في الخير"[٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦٤/٦.

(٢) أخرجه مسلم، ٦٧١.

(٣) شرح مسلم ١٧٤/٥/٣، .

(٤) سورة النور، آية: ٣٦.

(٥) سورة التوبة، آية: ١٨.

(٦) سورة الجن، آية: ١٨.

(٧) رسالة إلى أئمة المساجد والمؤذنين والمأمومين: جمع وتحقيق: عبدالله بن جارالله بن إبراهيم الجارالله، ط١/١٤٠٨هـ/١٩٨٨م/ص١١.

رابعًا- من آداب الداعية: إعذار أهل الجهل:

وهذا واضح من قول عمر للرجلين الذين رفعا أصواتهما في مسجد رسول الله ﷺ من أين أنتما؟ فقالا: من أهل الطائف. فقال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ، وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه، عن نافع عن ابن عمر قال: سمع عمر رجلاً رافع صوته، فقال: ممن أنت؟ قال من ثقيف، قال من أى الأرض؟ قال: من أهل الطائف. قال: أما إنك لو كنت من أهل بلدنا لأوجعتك ضربًا. إن مسجدنا هذا لا يرفع فيه الصوت"[(١)].

قال ابن حجر: "وفيه المعذرة لأهل الجهل بالحكم إذا كان مما يخفي مثله"[(٢)].

قال ابن هبيرة: "فيه من الفقه أن الغريب الذي لا يعرف مقدار شرف المسجد معذور حتى يعرف، ... وفيه أيضًا من الفقه ان أرسل إليهما ولم يذهب بنفسه، وفي ذلك دليل على جواز الاستنابة في إنكار المنكر. وفيه أيضًا أن عمر أحسّ بأنهما غريبان فأراد أن يستدعيا إليه، فيعلما أنه سيد وآمر، فيصيرا إلى قوله"[(٣)].

ومن هذا القبيل ما رواه معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، قال: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ الله فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللّهِ ﷺ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللّه مَا كَهَرَنِي[(٤)] وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: «إِنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ. إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرآنِ». أو كما قال رسول الله ﷺ: قلت: يارسول الله إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام..." الحديث[(٥)].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٤٣٨/٢ رقم ١٧١٢.

(٢) فتح الباري ٦٦٨/١، ط الريان.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٧٩/١.

(٤) أي ما انتهرني. شرح صحيح مسلم للنووي ٢١/٥/٣.

(٥) أخرجه مسلم٥٣٧.

(فالجهل عذر في حق الله تعالى في المنهيات دون المأمورات، والأصل فيه حديث معاوية بن الحكم لما تكلم في الصلاة، ولم يؤمر بالإعادة لجهله بالنهي)[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: "قال السيوطي: كل من جهل تحريم شيء مما يشترك فيه غالب الناس لم يقبل منه دعوى الجهل إلا أن يكون قريب عهد الإسلام أو نشأ ببادية بعيدة يخفي فيها مثل ذلك، كتحريم الزنى والقتل والسرقة والخمر والكلام في الصلاة، والأكل في الصوم"[٢].

وقال الدكتور محمد رواس قلعه جي: (يعذر بالجهل من كان مقيمًا في مكان لا يبلغه فيه الخبر صحيحًا، لأنه لا تكليف إلا بعد البلاغ، لقوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[٣]. وعلى هذا فإن البدوي المنقطع عن الناس إن جهل افتراض الحج عليه يعذر بجهله، وأرى أنه لا يعذر المسلم المقيم في ديار الكفر بجهله بأركان الإسلام ومبادئه، لتوفر المراكز الإسلامية فيها، ولوصول الإذاعات إليه، ولإمكانه السؤال عما يجهله من أمر دينه، نظرًا لسهولة الاتصال.

آثار الجهل: يترتب على الجهل عدة آثار هي:

١- سقوط الإثم: فمن شرب الخمر جاهلاً تحريمه، لا إثم عليه، ومن قبل هدية وهو يجهل أنها مسروقة فلا إثم عليه.

٢- ترتب الإثم: يترتب الإثم بالرضى بالجهل بما وجب عليه العلم به من أحكام الشريعة أو أحوال الصناعة، وبالعمل بما يجهل حله، أو منع ما يجهل تحريمه.

٣- سقوط العقوبة دون الضمان فيما يستحق الضمان: فمن شرب مشروبًا وهو يجهل أنه خمر فلا عقوبة عليه، ومن تزوج امرأة ودخل بها وهو لا يعلم أنها ذات زوج، فنكاحه فاسد، ويجب عليه الصداق بما أصاب منها، ويلحق به نسب الولد، ولا حد عليه، ومن خرق ثوبًا يظن أنه لا مالك له، فعليه ضمانه ولا عقوبة عليه.

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٠٢/١٦.

(٢) الموسوعة الفقهية ١٩٩/١٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٩.

٤- اعتبار التصرف باطلاً إن كان من قبيل ترك الواجبات، وصحيحًا إن كان من قبيل فعل المنهيات، فمن تكلم في صلاته جاهلاً النهي عن الكلام في الصلاة، فصلاته صحيحة.

٥- عدم الحنث بفعل ما حلف عليه جاهلاً أنه هو المحلوف عليه، فمن حلف أن لا يتصدق على فلان، فأتاه فلان يطلب صدقة، فأمر له بها، وهو لا يعلم أنه هو الذي حلف أن لا يعطيه، لا يحنث.

٦- وجوب التحري: إن جهل الحقيقة المترددة بين أمرين وجب عليه أن يتحراها في أحدهما، فمن كان عنده ماء طاهر وماء نجس، وثياب طاهرة وأخرى نجسة، وجهل أيتها طاهرة وأيتها نجسة، وجب عليه أن يتحراها، وإن جهل وقت الصلاة، أو وقت الصيام وجب عليه أن يتحراه، ومن جهل جهة القبلة ولم يوجد من يخبره بها، وجب عليه أن يتحراها، والمستحاضة إن جهلت وقت عادتها وجب عليها أن تتحراها، وهكذا.

٧- الحجر: كل من تعاطى أمرًا جاهلاً به، ويتعدى أثره إلى الآخرين يحجر عليه ويمنع من تعاطيه، كالطبيب الجاهل، والمفتي الجاهل، ونحوهما"[١].

---

(١) الموسوعة الفقهية الميسرة، ١/٦٨٨، ٦٨٩.

الحديث رقم (١٦٩٩)

١٦٩٩- وعنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي المَسْجِدِ، فَقُولُوا: لا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ[1] ضَالَّةً فَقُولُوا: لا رَدَّهَا[2] اللهُ عَلَيْكَ)) رواه الترمذيُّ[3]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ينشد ضالَّة: يطلب ما ضاع منه[4].

الشرح الأدبي

إن نص هذا الحديث يتآزر في دلالته مع الحديث السابق: وفيه مزيد من التوضيح والبيان، وتحقق في هذا النص وفي كل نصوص الحديث الشريف المعايير التي حددها العلماء للنص المتماسك في بنائه، والمشع بدلالته.

والحديث النبوي: من أفصح ما جاءت به العربية بعد كتاب الله عز وجل، والمعايير التي قال بها العلماء كثيرة ومنها القصدية، وهي: تعبير عن هدف النص، والمقبولية وتتعلق بموقف المتلقي والمخاطب الذي يقر بأن المنطوقات اللغوية تكون نصًا متماسكًا، والإخبارية تتعلق بتحديد جدة النص وإفادته، والموقفية، وتتعلق بمناسبة النص للموقف، والتناصّ ويختص بالتعبير عن تبعية النص لنصوص أخرى أو تداخله معها.

---

(١) لفظ الترمذي زيادة: (فيه).

(٢) لفظ الترمذي: (ردّه).

(٣) برقم (١٣٢١) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وفي الترغيب: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصححه ابن خزيمة (١٣٠٥)، وابن حبان (الإحسان ١٦٥٠)، وقال الحاكم (٥٦/٢): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٢).

(٤) اللسان في (ن ش د).

وهذا الحديث يتلاقى مع كل أحاديث هذا الباب في معناه ومبناه، فهو يتكون من أربع جمل تتناسق فيما بينها في المعاني والمباني في اتساق وتآلف، فالأولى شرطية والثانية دعائية، والثالثة شرطية والرابعة: دعائية، وجملة فعل الشرط موحدة في الجملتين الأولى والثالثة، حيث يقول ﷺ: "إذا رأيتم" في بداية الجملتين، وتعرض الجملة الأولى موقفًا وهو صورة من يبتاع أو يبيع في المسجد.

وفي هذه الجملة إيجاز بالحذف حيث حذف متعلق الفعل الأول ودل عليه ما بعده والتقدير من يبيع في المسجد أو يبتاع في المسجد، وفي هذه العبارة تنازع بين الفعلين على معمول واحد وهو "في المسجد"، وهذا التنازع اللغوي يفصح عن التنازع البشري بين البائع والمشتري، وما ينتج عن ذلك من آثار غير محمودة تضر بالمصلين، وتفسد عليهم عبادتهم، وجملة فعل الشرط موحدة كذلك في الجملتين: وهي قوله: "فقولوا": وقيل: الأمر بالقول: ندبًا وليس وجوبًا.

وتأمل صيغة الأمر وهي للجمع، فكل من بالمسجد مأمورون بأن يدعوا على من اتخذ من المساجد ميدانًا لقضاء حاجاته الدنيوية، فكلهم يقول له: لا أوقع الله الربح في تجارتك: لكونك أتيت بها في محل المتاجر الأخروية، دون محلها من الأسواق وخارج المساجد، وحذف من الجملة الثانية قوله: "في المسجد" لدلالة الأول عليه، والله أعلم.

فقه الحديث

تشتمل هذه الأحاديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- كراهة نشد الضالة في المسجد، وجواز الدعاء على من يفعل ذلك بعدم وجدانها. وقد مر بيان هذا الحكم في الحديث (١٦٩٨).

٢- حكم البيع والشراء في المسجد: اختلف الفقهاء في حكم البيع والشراء ونحوهما في المسجد على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الحنابلة في رواية[1] ويرون أن البيع والشراء في المسجد

---

(١) منار السبيل ٢٩١/١، والمبدع ٨٢/٣، وكشاف القناع ٣٦٦/٢، والفروع ٤٧٧/٤.

حرام قلّ المبيع أو كثر، احتاج إليه أو لا.

قال أحمد: (إن هذه بيوت الله لا يباع فيها ولا يشترى) ورأى عمران القصير رجلاً يبيع في المسجد فقال: يا هذا، إن هذا سوق الآخرة فإن أردت البيع فاخرج إلى سوق الدنيا[1].

واستدلوا على ذلك بأحاديث الباب التي تنهى عن البيع والشراء في المسجد، والنهي حقيقة في التحريم[2].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[3]، والمالكية[4]، والشافعية[5]، والحنابلة في وجه عندهم[6]، ويرون أن البيع، والشراء ونحوهما في المسجد مكروه وحملوا النهي الوارد في الأحاديث على الكراهة.

الرأي الثالث: وقد نسبه بعض العلماء[7] إلى بعض أصحاب الشافعي، وحاصله أن البيع والشراء في المسجد جائز بلا كراهة.

ولكن الأحاديث الواردة بالنهي ترده.

الترجيح: والراجح من هذه الآراء هو الرأي الأول الذي يرى حرمة البيع والشراء ونحوهما في المسجد، وذلك لأن النهي حقيقة في التحريم، وحمله على الكراهة يحتاج إلى قرينة صارفة، وهي غير موجودة هنا[8].

على أننا إذا رجحنا القول بحرمة البيع والشراء في المسجد، إلا أن العقد يعد

---

(١) كشاف القناع ٢/٣٦٦.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٣٠.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢/٣٢٧.

(٤) التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٦/١٤، وشرح الزرقاني على الموطأ ١/٥٠٣.

(٥) روضة الطالبين ١١/٢٢٤، والمجموع ٢/٢٠٠، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٤/١٩٤.

(٦) الفروع ٤/١٨٤، والمغني لابن قدامة ٤/١٨٤.

(٧) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٣٠.

(٨) المرجع السابق الموضع نفسه.

صحيحًا منتجًا لآثاره[1]، خلافًا لبعض الحنابلة[2].

٣- النهي عن إنشاد الشعر في المسجد، والمنهي عنه ما كان على سبيل التفاخر والهجاء، ومدح من لا يستحق المدح، وذم من لا يستحق الذم.

أما ما فيه أمر بمعروف، ونهي عن منكر، وبيان لأحكام الدين، وترغيب في العمل بها ومدح من يستحق المدح، وذم من يستحق الذم، وحث على الزهد والمكارم فجائز[3].

المضامين الدعوية[4]

(١) سبل السلام ١/١٥٥، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٣٠، ومنار السبيل ١/٢٩١، ونيل الأوطار ٢/١٦٧.

(٢) كشاف القناع ٢/٣٦٦، وفيه (فإن فعل -أي باع واشترى في المسجد- فباطل).

(٣) كشاف القناع ٤/٢١٦، والمهذب ٢/١٧٧، وشرح صحيح مسلم ١٥/١٤، والدين الخالص ٣/٢٦٠.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧٠٠)

١٧٠٠- وعن بُرَيْدَةَ ﷺ: أنَّ رَجُلاً نَشَدَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى الجَمَلِ الأَحْمَرِ؟ فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((لا وَجَدْتَ؛ إنَّمَا بُنِيَتِ المَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨١).

غريب الألفاظ:

نَشَد ضالَّة: طلب ضَالَّته التي فقدها[٢].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث يسرد مشهدًا واقعيًا عمليًا من سيرة المصطفى ﷺ، يؤكد ما أمرنا به رسول الله ﷺ في الحديثين السابقين. وهو الدعاء على كل من ينشد ضالة في المسجد، أو يبيع أو يبتاع في المسجد، فالرسول ﷺ هو الذي دعا على هذا الرجل الذي نادى في المسجد، وقال: "من دعا إلى الجمل الأحمر".

والحديث يبدأ بتأكيد الخبر على لسان أبي بريدة ﷺ: حتى لا يتشكك من في قلبه مرض، والتأكيد في إطار الجملة الاسمية: أن رجلاً نشد في المسجد ضالة، وتنكير كلمة "رجلاً" لإفادة الشيوع وتعميم الحكم، فليس المراد تحديد رجل بعينه: وإنما معرفة الحكم، والاهتداء إلى السلوك الصحيح في مثل هذه المواقف، وتقديم "المسجد" على "ضالة"، للاهتمام، وللتنبيه على أن المراد ليس النهي عن الإعلان عن ضياع الحيوان، وإنما النهي عن اتخاذ المسجد ميدانًا لمثل هذا الأمر، فالمساجد لم تبن لهذا، وعليه أن يعلن خارج المسجد، والاستفهام في قوله: "من دعا": استفهام حقيقي،

---

(١) برقم (٥٦٩/٨٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٣).

(٢) اللسان في (ن ش د).

ووصف الجمل بالأحمر لمزيد من التحديد والتعرف على لون الجمل وهيئته، وقول رسول الله ﷺ: "لا وجدت" يفصح عن رفض رسول الله ﷺ لهذا السلوك، وفي العبارة إيجاز بالحذف، والتقدير: لا وجدت "الجمل الأحمر" وكأن هذا الحذف اللغوي: إيذان باستجابة الدعاء على الرجل، وأن يظل الجمل مفقودًا في الحياة المادية، كما هو غير موجود في البناء اللغوي، وذلك من الأسرار الكامنة في كنوز السنة النبوية، ومن خبيئات البيان النبوي الحكيم.

والجملة الأخيرة في الحديث تتسم بالإيجاز والإيحاء والإشعاع الدلالي والبلاغي.

حيث جاءت في أسلوب القصر وهو للحصر والاستقصاء عن طريق "إنما"، ومع القصر التأكيد، والإيجاز وتأمل هذه الأسرار التعبيرية المشعة بفيوضات التعليم النبوية، والتوجيهات الإسلامية في قوله: "إنما بنيت المساجد لما بنيت له"، أي: من الصلاة والذكر ونشر العلم. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٩٨).

الحديث رقم (١٧٠١)

١٧٠١- وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّهِ ﵁: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنِ الشِّراءِ والبَيْعِ فِي المَسْجِدِ، وَأَنْ تُنْشَدَ فيهِ ضَالَّةٌ؛ أَوْ يُنْشَدَ فيهِ شِعْرٌ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

تُنشَد فيه ضالَّة: يطلب ما ضاع من البهائم ونحو ذلك[2].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث يتناص مع الأحاديث السابقة فكلها تتموج في دائرة واحدة وهي: حفظ حرمة المساجد، وتخصيصها للعبادة والذكر وطلب العلم.

ويبدأ الحديث بالتأكيد لتوثيق الخبر، لأن النص ليس من كلام رسول الله ﷺ لفظاً ولكن بالمعنى.

وفي إطار مظلة التوكيد تتحرك ثلاثة جمل إخبارية متدثرة بالنهي الصادر من رسول الله ﷺ، فالجملة الأولى: نهى عن الشراء والبيع في المسجد، وهذا أمر صريح، ونهي واضح: لأن البيع والشراء يثيران الجدل والتنازع، وعلو الصوت، والمساومات، وأحياناً يلجأ الطرفان إلى الخداع والكذب، وهذا لا يليق بمكانة المسجد وهو بيت الله عز وجل.

والجملة الثانية: تتضمن إيجازاً بالحذف: والتقدير: ونهى عن أن تنشد فيه ضالة أي في المسجد، والحذف والإيجاز من سمات بلاغة النبوة، والبناء للمجهول في الفعل: تنشد

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠٧٩)، والترمذي (٣٢٢).

(٢) النهاية في (ن ش د).

"إفادة تعميم النبي ﷺ على كل مسلم ينشد ضالته، فالنهي ليس متعلقاً بشخص دون آخر، ولا بعصر دون عصر، ولا بحادثة محددة أو بموقف معين، وإنما هي قاعدة شرعية ثابتة لا يصح تغافلها في أي زمن.

وأما الجملة الثالثة: فهي تتعلق بالشعر المنهي عنه: وهو شعر اللهو والعبث، والهجاء، والتعريض بالإسلام والمسلمين، والخوض في الأعراض، وإضعاف الهمم، ولذلك قال العلماء: في تفسير هذا النهي المتعلق بإنشاد الشعر في المساجد أي شعر غير مشتمل على نحو توحيد أو على مدح الرسول ﷺ أو نحوه من مطلوبات العلوم، وقال رسول الله ﷺ: الشعر بمنزلة الكلام، فحسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام"[١].

وقال: الخليل بن أحمد: كان الشعر أحب إلى رسول الله ﷺ من كثير من الكلام"[٢].

وقيل: إنه: في صدر حياته قبل البعثة حضر سوق عكاظ مع القوم، وشهد حلقات الشعر والخطابة، وروى عنه أنه سمع عمرو بن كلثوم ينشد معلقته المشهورة في سوق عكاظ، كما يقول صاحب كتاب الأغاني. وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه: "جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية، وهو ساكت، فربما تبسم معهم"[٣].

وقد حث النبي ﷺ شعراء الإسلام من الصحابة على التصدي للمشركين، والدفاع عن الإسلام، فعن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ: "إن الله عز وجل قد أنزل في الشعر ما أنزل، فقال: إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل"[٤].

وأنشد حسان بن ثابت في المسجد أمام رسول الله ﷺ ودعا له النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ٨٦٥ (صحيح الأدب المفرد، الألباني ٦٦٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥٢/١٥/٨.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٨٥٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٢٨٦).

(٤) أخرجه أحمد، ٢٧١٧٤، وقال محققو المسند حديث إسناده صحيح على شرط الشيخين ١٤٨/٤٥.

بالتأييد ، فعن أبي هريرة أن عمر مرَّ بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه فقال: "قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة ﵁ ، فقال: أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: أجب عني اللهم أيده بروح القدس، قال: اللهم نعم"[١].

المضامين الدعوية[٢]

(١) أخرجه البخاري، ٣٢١٢، ومسلم، ٢٤٨٥.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٩٨).

الحديث رقم (١٧٠٢)

١٧٠٢- وعن السائب بن يزيد الصحابي ﷺ قَالَ: كُنْتُ[1] فِي المَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، فَقَالَ: مِنْ أيْنَ[2] أنْتُمَا؟ فَقَالاَ: مِنْ أهْلِ الطَّائِفِ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أهْلِ البَلَدِ، لأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ! رواه البخاري[3].

ترجمة الراوي:

السائب بن يزيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٨٣).

غريب الألفاظ:

فحصبني: أي رماني بالحصباء وهي صغار الحجر[4].

الشرح الأدبي

هذا الحديث هو خاتمة باب" كراهة الخصومة في المساجد" وهو يسرد مشهداً واقعياً: من المشاهد التي تتوالى وتتجمع لتكون هذه السلسلة الذهبية من مشاهد تاريخ الرسالة المحمدية، ووقائع حياة الصحابة ﷺ مع رسول الله ﷺ وحمايتهم للرسالة وللرسول ﷺ، وهذا المشهد حوار بين عمر بن الخطاب والسائب بن يزيد ﷺ في القسم الأول من الحديث ثم ينتقل الحوار إلى ميدان آخر وهو ميدان، الزجر والتأديب، وتوجيه بعض المسلمين الغافلين إلى ضرورة المحافظة على حرمة مسجد رسول الله ﷺ، وعدم رفع الأصوات فيه وفي كل مسجد وفي مقدمة ذلك: المسجد الحرام والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى.

---

(١) عند البخاري زيادة: (قائمًا).

(٢) (أين) لا توجد عند البخاري.

(٣) برقم (٤٧٠).

(٤) فتح الباري ٦٦٨/١، والوسيط في (ح ص ب).

والعطف بالفاء في أغلب جمل الحديث أفصح عن توالي أحداث هذا المشهد الحقيقي، وذلك يرشد إلى ضرورة تغيير المنكر وعدم التمهل والتأني في ذلك، ولنتأمل هذه الأفعال المتواليات في سرعة وحرص على القضاء على الخصومة التي نشأت في المسجد: "كنت في المسجد، فحصبني رجل فنظرت: فإذا عمر: فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، فقال من أين أنتما: فقالا: من أهل الطائف، فقال".

وإن حرف الفاء هنا أضفى على جو الحديث طبيعة الإسراع وعدم التريث في القضاء على المنكر وذلك استجابة من عمر ﷺ لأمر رسول الله ﷺ وتعليماته في هذا المجال: "من رأى منكم منكراً فليغيره... إلخ"[1] الحديث.

والحوار من سمات البيان النبوي، وقد جاء الحوار في هذا الحديث على مستويين: أو في موقعين: أحدهما بين عمر بن الخطاب والسائب بن يزيد ﷺ، وثمرته أن السائب ﷺ أتى بالمتخاصمين إلى عمر بن الخطاب ﷺ.

والثاني بين ابن الخطاب ﷺ والاثنين المتنازعين واللذين علت أصواتهما في المسجد وهما من الطائف، وسؤال عمر ﷺ لهما "من أين أنتما..." للتعرف عليهما، لأنهما من سلوكهما بدا أنهما غريبان، لا يعرفان مكانة المسجد النبوي، وتأمل موقف عمر ﷺ الحكيم اللين: وهو الشديد في الحق الذي لا يلين ولا يفرط في حق من حقوق الله، حينما قالا له: "من أهل الطائف"، لم يعاقبهما، بل نبههما إلى مراعاة حرمة مسجد رسول الله ﷺ، وقال لهما في أسلوب الشرط الذي يوحي بالعقوبة، ولكنها عقوبة معلقة نظراً لظروفهما وغربتهما وعدم معرفتهما بالسلوك الواجب اتباعه في المساجد، فقال: "لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما"، ولو حرف امتناع لامتناع، فقد امتنع جواب الشرط وهو العقوبة لامتناع الشرط، وهو أنهما ليسا من أهل المدينة، ثم ينالهما في نهاية الحديث السبب الذي من أجله كانا سيعاقبان، وهو "ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ": وهذا استفهام إنكاري يفيض بكثير من المعاني والتوجيهات التي فطن لها السامعون، وهذان الغريبان، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم ٤٩.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١-كراهة رفع الصوت في المساجد، ولو بالقرآن الكريم، أو الذكر وذلك خشية التشويش على المصلين، أو الذاكرين، أما إن شوش على المصلين، والذاكرين كان رفع الصوت حراماً[١].

وأجاز أبو حنيفة، ومحمد بن سلمة من أصحاب مالك رفع الصوت فيه، بالعلم، والخصومة، وغير ذلك مما يحتاج إليه الناس، لأنه مجمعهم ولابد لهم منه[٢].

٢-وفيه المعذرة لأهل الجهل بالحكم إذا كان مما يخفى مثله[٣]، إذ امتنع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ضرب الرجلين اللذين رفعا أصواتهما في المسجد لما علم أنها غريبان، جاهلان للحكم.

المضامين الدعوية[٤]

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٣٣٥/١، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٧٤/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥٥/٥، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٤٥٨/٤. وفي المسالة تفصيل. انظر: الموسوعة الفقهية ٢٠٧/٣٧-٢٠٨.

(٣) فتح الباري ٥٦١/١.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٩٨).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على مراعاة حرمة المساجد:

المساجد بيوت الله في الأرض، أضافها المولى تبارك وتعالى إلى نفسه فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[1] وأضافها المصطفى ﷺ إلى ربه في قوله: ((لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ))[2] إن هذه المساجد بيوت الله أذن أن يرفع فيها اسمه وهي محل التسبيح والصلاة وقراءة القرآن، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾[3].

والمساجد بما أن الله أضافها إلى نفسه وأضافها النبي ﷺ إلى ربه، وأذن الله أن ترفع، لها حرمة ولها أحكام واحترام وتعظيم[4].

ينبغي للمربي أن يعمل على إيضاحها وبيان أهمية مراعاتها، صيانةً وتنزيهًا للمساجد منها: كراهة الخصومة في المسجد ورفع الصوت فيه ونشد الضالة والبيع والشراء والإجارة ونحوها من المعاملات، كما دلت أحاديث الباب؛ فالمسجد له من الاحترام والقدسية ما يجعل المربي حريصًا على ترسيخها في النفوس، وتوظيف الأساليب التربوية المناسبة لتعميق هذه القدسية وهذا الاحترام وأن يبين للمتربين تلك الآداب التربوية، لأن المساجد تختلف عن الأماكن العامة.

فالمساجد بنيت للعبادة والذكر والعلم، فلا يجوز التشويش على المصلين فيها برفع الصوت والخصومة، كذلك يبين المربي لمن يقوم بتربيتهم، أن البيع والشراء ونشد

---

(١) سورة البقرة، آية: ١١٤.

(٢) أخرجه البخاري ٩٠٠، ومسلم ٤٤٢.

(٣) سورة النور، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٧٦٦/٢.

الضالة في المسجد منهي عنه، بل يجوز لمن رأى ذلك أن يدعو على الفاعل لأنه ارتكب معصية بانتهاك حرمة المسجد وخصوصيته. فالمساجد أسواق الآخرة فمن آدابها تنزيهها عن أمور الدنيا ومما لا علاقة له بالآخرة.

فالمساجد بنيت لمصالح المسلمين في الدنيا والآخرة فلا يجوز تحويلها لمصلحة شخص أو حزب أو طائفة، وعلى المربي أن يستحث المتربين على الإكثار من ذكر الله تعالى، والتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وغيرها من الأذكار، وكذلك قراءة القرآن، وتدارس الحديث النبوي وعلم الفقه، وسائر العلوم الشرعية[1]. ويبين لهم فضل وثواب تلك الأعمال مما يساعد على ترسيخ تلك الآداب الشرعية والتربوية في النفوس. فشرف المسجد وفضله ينأيان به عن أن يكون محلاً لخصومة أو رفع صوت أو بيع وشراء ونشد ضالة ونحوها من المعاملات التي مكانها خارج المسجد لا داخله.

ثانيًا - التربية بالرفق:

إن التربية بالرفق من الأساليب التربوية الناجحة والمؤثرة والتي يحرص عليها المربي في التعامل مع من يريد تربيتهم وهدايتهم؛ لأن الرفق ولين الجانب يفتحان العقول، ويستميلان القلوب حتى يستطيع المربي أن يعمق المعاني التربوية العظيمة للقيم النبيلة التي يسعى المصلحون لغرسها في القلوب[2].

وتتجلى مظاهر الرفق في هذا الباب في فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث لم يعاقب من رفعا صوتهما في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما" حيث رفق بهما لجهلهما بحرمة المسجد؛ فالجاهل يحتاج إلى أن يعلم أمور دينه برفق ولين - قبل أن يعاقب على الخطأ فيها - حتى يقبل عليها، ويتقبلها بقلب سليم فعلى المربي أن يعلم من يقوم بتربيتهم بكل رفق ولين، فمن المشاعر النبيلة التي يجب أن يتحلى بها المربي، الرفق بالطلبة والرأفة بهم والعطف عليهم والرحمة بهم. أما المعلم الذي يتجرد من خلق الرحمة، فإنه يكون فظًا عتيًا غليظًا قاسيًا؛ مما يؤدي إلى

---

(١) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ص ١٩٢-١٩٤.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص ٣٦٦.

نفور الطلبة وتمردهم؛ فالرفق والرحمة يؤديان إلى استجلاب قلوب الطلبة ودفعهم إلى الطاعة برغبة ذاتية والإقبال على التعلم بطواعية والاستفادة من التعليم بكل طاقاتهم، وتقبل النصح والتوجيه والنقد من المعلم دون تذمر، بل إن الطلبة يتقبلون العقاب من المعلم المحبوب بنفس راضية، وقلوب صافية؛ لأنهم يعرفون أنه يعاقبهم على منافعهم ومصالحهم وليس انتقامًا منهم[(١)].

ثالثًا - أسلوب الأحداث الجارية:

يتعرض الناس في حياتهم دومًا للأحداث التي تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديرهم وخارجة عن إرادتهم، والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدىً بغير عبرة وبغير توجيه وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها.

ومزية الأحداث - كأسلوب تربوي - أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال فيكون من الحكمة - هنا - استخدام الدواء عند حدوث الداء[(٢)].

ويظهر هذا الأسلوب في هذا الباب عندما استغل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حدث رفع اثنين من أهل الطائف صوتهما في مسجد رسول الله ﷺ وقال لهما: "لو كنتما من أهل البلد، لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله...".

وهو بذلك يوجه من علا صوتهما ويبين لهما خطأ هذا الفعل مستغلاً هذا الحدث في تربيتهما، والتربية بالأحداث تعرف بقوة تأثيرها وشدة سيطرتها على النفس والفكر، لأنها تثير الانتباه الذي يجمع الفاعلية النفسية حول ظاهرة ما، عن طريق الحس، إن كانت هذه الظاهرة خارجية، وعن طريق التأمل، إن كانت داخلية[(٣)].

❁ ❁ ❁

---

(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان، ص ٩٨، ٩٩.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ١٩٦، ١٩٧.

(٣) سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفرة، ص ٥٧٢.

٣١١- باب نهي من أكل ثوماً أَوْ بصلاً

أَوْ كراثاً أَوْ غيره مِمَّا لَهُ رائحة كريهة عن دخول المسجد قبل زوال رائحته إلاَّ لضرورة

الحديث رقم (١٧٠٣)

١٧٠٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ أكَلَ مِنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ -يعني: الثُّومَ- فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا)). متفق عَلَيْهِ[1].

وفي روايةٍ لمسلم[2]: ((مساجدنا)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن المسلم يجب أن يكون نظيفاً، حريصاً على إزالة أي رائحة تؤذي المسلمين وهو ذاهب للمسجد، أو إلى أي اجتماع عام، وبعض أنواع الطعام تظل رائحته في فم آكله، وتؤذي كل من يتحدث معه أو يجلس بجواره، ولذلك سمى رسول الله ﷺ "اللبن والتمر بالأطيبين" لأنهما لا يؤذيان أحداً برائحتهما ولهما فوائد جمة، وأما الثوم إذا أكل نيِّئاً تبقى رائحته، وتؤذى كل من يجلس بجوار آكل الثوم من المصلين، ولذلك جاء أسلوب الرسول ﷺ متسماً بالشدة، وهو ينهي كل من أكل الثوم عن الاقتراب من المسجد.

والحديث جملة واحدة تمثل قاعدة من قواعد السلوك الإسلامي. وهذه الجملة شرطية وشرطيتها تفيد أن آكل الثوم ليس ممتنعاً، ولكنه منهي عنه حالة دخول المسجد، وإذ أُكل نيّئاً، وجملة فعل الشرط تضمنت اسم الإشارة، "هذه" والمشار إليه

---

(١) أخرجه البخاري (٨٥٣) واللفظ له، ومسلم (٥٦١/٦٨). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٥).

(٢) برقم (٥٦١/٦٩). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٥).

الشجرة، وقيل في تحديدها: يعني الثوم، وهذا التحديد الإشاري فيه دقة وتحذير من رسول الله ﷺ بعدم الإصغاء إلى هذا التحذير، ولذلك جاء التعبير في جواب الشرط بقوله: "فلا يقربن"، ولم يقل: فلا يدخلن، وفي ذلك إرشاد بضرورة الابتعاد عن المسجد، وعدم مصافحة المصلين أو المشي حتى باب المسجد، منعاً للأذى الذي ينفر الناس، ويشغلهم عن صلاتهم.

وصيغة الجمع في قوله: "مسجدنا" للاستغراق والتعميم، والمراد: كل مساجد المسلمين، ويؤيد ذلك، رواية مسلم: "مساجدنا" وقد ثبت أنه ﷺ كان يترك الثوم دائماً لأنه يتوقع مجيء الملائكة والوحي كل ساعة، وقال العلماء: فينبغي لمحبة النبي ﷺ موافقته في ترك الثوم ونحوه، وكراهة ما كان يكرهه، فإن من أوصاف المحب الصادق أن يحب ما أحب محبوبه، ويكره ما يكرهه.

فقه الحديث

وتشتمل هذه الأحاديث من الفقه على تنزيه المسجد، وصيانته عن الروائح الكريهة، إذ نهى رسول الله ﷺ من أكل ثوماً، أو بصلاً أو كراثاً عن دخول المساجد.

وقد اختلف في النهي هل هو للتحريم، أو للكراهة؟

فذهب المالكية[1]، وبعض الحنابلة[2] إلى أنه النهي للتحريم.

وذهب الشافعية[3]، وبعض الحنابلة[4] إلى أنه للكراهة.

ويقاس على الثوم والبصل، والكراث، ما له رائحة كريهة يتأذى بها المسلمون

---

(١) التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٨٣/٢، والفواكه الدواني ٢١٩/٢.

(٢) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٠٤/٢.

(٣) روضة الطالبين ٢٩٧/١، وفتح الوهاب ١٠٩/١.

(٤) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٠٤/٢ وفيه: (يكره حضور المسجد لمن أكل ثوماً أو بصلاً، أو فجلاً أو نحوه. حتى يذهب ريحه على الصحيح من المذهب).

كالدخان، وصاحب البخر الذي تنبعث من فمه رائحة كريهة، ومن به جرحٌ منتن، وصاحب الثياب القذرة، وغير ذلك، لأن في ذلك إيذاء للناس وإضراراً بهم، وهو محرم، وما أدى إلى الحرام فهو حرام[١].

وليس المراد بالتحريم تحريم أكل البصل والثوم، وإنما المراد تحريم دخول المسجد على من أكلهما نيئين من أجل الروائح الكريهة، أما إذا كان مطبوخاً فلا يشمله النهي لذهاب تلك الرائحة منه[٢]، ولقول عمر رضي الله عنه "فمن أكلهما فليمتهما طبخاً".

والأظهر أن النهي عام في كل المساجد لوجود الأذى، خلافاً لمن خص النهي بالمسجد النبوي بالمدينة[٣].

ويلحق بالمساجد مجامع الصلاة، وغيرها كمصلى العيد، والجنائز، ومجامع العلم، والذكر، الولائم، ولا يلحق بها الأسواق، ونحوها[٤].

وفي الأحاديث دليل على منع آكل الثوم ونحوه من دخول المساجد حتى وإن كانت خالية، لعموم الأحاديث، ولأن المساجد مسكن الملائكة وهي تتأذى بما يتأذى منه بنو آدم[٥].

المضامين الدعوية[٦]

أولاً: من موضوعات الدعوة: نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو غيره مما له رائحة كريهة عن دخول المسجد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تأذى الملائكة مما يتأذى منه بنو آدم.

---

(١) حاشية ابن عابدين ٦٦١/١، الفقه الواضح للدكتور محمد بكر إسماعيل ٣٥٦/١.

(٢) الدين الخالص ٢٤٨/٣، وأيضاً: التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٨٣/٢.

(٣) حاشية ابن عابدين ٦٦١/١، وشرح صحيح مسلم ٤٨/٥.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤٨/٥، والفقه الواضح ٣٥٦/١، والدين الخالص ٢٤٨/٣.

(٥) الفواكه الدواني ٢١٩/٢-٢٢٠، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٢٠٤/٢، وشرح صحيح مسلم ٤٨/٥، والدين الخالص ٢٤٩/٣.

(٦) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٠٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٠٤، ١٧٠٥، ١٧٠٦).

ثالثاً: من مهام الداعية: تغيير المنكر باليد إن قدر على ذلك.

رابعاً: من أهداف الدعوة: سد كل طريق يؤدي إلى أن يتأذى المسلم من أخيه المسلم.

خامساً: من موضوعات الدعوة: يسر الشريعة الإسلامية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو غيره مما له رائحة كريهة عن دخول المسجد:

وهذا واضح من هذه الأحاديث، وحديث ابن عمر رضي الله عنهما عند مسلم: "أن رسول الله ﷺ قال في غزوة خيبر: من أكل من هذه الشجرة -يعني الثوم- فلا يأتين المساجد"[١].

قال النووي: "هذا تصريح بنهي من أكل الثوم ونحوه عن دخول كل مسجد"[٢].

قال ابن حجر: " أن القول المذكور صدر منه ﷺ عقب فتح خيبر فعلى هذا فقوله مسجدنا يريد به المكان الذي أعد ليصلي فيه مدة إقامته هناك أو المراد بالمسجد الجنس والإضافة إلى المسلمين، أي فلا يقربن مسجد المسلمين، ويؤيده رواية أحمد[٣] عن يحيى القطان فيه بلفظ "فلا يقربن المساجد" ونحوه لمسلم[٤] وهذا يدفع قول من خص النهي بمسجد النبي ﷺ"[٥].

وقال النووي: "إن هذا النهى إنما هو عن حضور المسجد لا عن أكل الثوم والبصل ونحوهما، فهذه البقول حلال بإجماع من يعتد به ...، قال العلماء: ويلحق بالثوم والبصل والكراث كل ما له رائحة كريهة من المأكولات وغيرها، قال القاضي[٦]: ويلحق به من أكل فجلاً وكان يتجشى"[٧].

---

(١) أخرجه مسلم٥٦١، وهو عند البخاري ٨٥٣ بنحوه.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤٩/٥/٣ .

(٣) أخرجه أحمد ٢/٢١ رقم ٤٧١٥ بلفظ: "من أكل من هذه الشجرة، فلا يأتين المساجد" وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) صحيح مسلم ٦٨-٥٦١.

(٥) فتح الباري ٣٤٠/٢، ط الريان.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٩٧/٢

(٧) شرح صحيح مسلم ٤٩/٥/٣-٥٠.

وقال ابن عثيمين: "وكذلك قال العلماء: من كان به رائحة أسنان كريهة أو ما أشبه ذلك، فإنه لا يقرب المسجد حتى يزيل هذه الرائحة، لأن العلة قائمة وهى تأذي الملائكة بالروائح الكريهة"(١)، وقال ابن المرابط: "ويلحق به من له بخر في فيه (أى فمه) أو به جرح له رائحة"(٢).

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث زجر عن أذى الناس بكل حال، وأمر بتحسين الأدب في حضور مواطن الصلاة من تعاهد الإنسان نفسه بترك ما يؤذي ريحه"(٣).

وقال النووي: "قال القاضي(٤): وقاس العلماء على هذا مجامع الصلاة غير المسجد كمصلى العيد والجنائز ونحوها من مجامع العبادات، وكذا مجامع العلم والذكر والولائم ونحوها. ولا يلتحق بها الأسواق ونحوها"(٥). لكن ابن حجر قال: "لكن قد علل المنع في الحديث بترك أذى الملائكة وترك أذى المسلمين، فإن كان كل منهما جزء علة اختص النهى بالمساجد وما في معناها. وهذا هو الأظهر وإلا لعمّ النهي كل مجمع كالأسواق، ويؤيد هذا البحث قوله في حديث أبي سعيد عند مسلم(٦) "من أكل من هذه الشجرة شيئاً فلا يقربنا في المسجد"(٧).

والخلاصة أن كل من كان به رائحة كريهة يتأذى بها الناس فعليه أن لا يدخل المسجد حتى لا يكون سبباً للأذى سواء للملائكة أو للناس، ومن ثم يكون سبباً في التشويش على الناس في صلاتهم وذكرهم، وإنما شرعت المساجد لذكر الله تعالى كما قال ﷺ: "إنما هى لذكر الله تعالى وقراءة القرآن"(٨). كما أن امتناع من كان

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٧٧٠/٢.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥٠/٥/٣. وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٩٧/٢.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٠٨/٤.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٩٧/٢

(٥) شرح صحيح مسلم ٥٠/٥/٣. وانظر: المفهم للقرطبي المحدث، ١٦٦/٢.

(٦) صحيح مسلم ٥٦٥/٧٦.

(٧) فتح الباري ٣٤٣/٢/ .

(٨) أخرجه مسلم ٢٨٥.

هذا صفته عن دخول المسجد من تعظيم المساجد، قال القرطبي: "ومما تصان عنه المساجد وتنزه عنه الروائح الكريهة والأقوال السيئة وغير ذلك، وذلك من تعظيمها"[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تأذى الملائكة مما يتأذى منه بنو آدم:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: "ومن أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم"، قال النووي: "قال العلماء في هذا الحديث دليل على منع أكل الثوم ونحوه من دخول المسجد وإن كان خالياً، لأنه محل الملائكة ولعموم الحديث"[٢].

وقد كان النبي ﷺ لا يأكل الثوم ونحوه لأنه كان يناجي الملائكة وحرصاً على ألا يؤذيهم، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا -أو قال: فليعتزل مسجدنا- وليقعد في بيته، وأتى النبي ﷺ بقدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحاً، فسأل فأخبر بما فيها من البقول، فقال: قربوها. إلى بعض أصحابه كان معه فلما رآه كره أكلها قال: كل، فإني أناجي من لا تناجي"[٣]. وقال ابن حجر: "أي الملائكة وفي حديث أبي أيوب عند ابن خزيمة وابن حبان[٤] من وجه آخر " أن رسول الله ﷺ أرسل إليه بطعام فيه خضرة فيه بصل أو كراث فلم يَرَ فيه أثر رسول الله ﷺ فأبى أنْ يأكل، فقال له رسول الله ﷺ: ما منعك أن تأكل؟ قال: لم أر أثر يدك فيه يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: أستحيي من ملائكة الله، وليس بمحرم". ولهما[٥] من حديث أم أيوب قالت: نزل علينا رسول الله ﷺ فتكلفنا له طعاماً فيه بعض البقول، فذكر الحديث نحوه، وقال فيه: كلوا فإني لست كأحد منكم، إني أخاف أن أوذي صاحبي"[٦]، وفي صحيح ابن حبان كذلك: "فيها ريح الثوم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٧/١٢/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥١/٥/٣.

(٣) أخرجه البخاري ٨٥٥، ومسلم ٧٣-٥٦٤.

(٤) أخرجه ابن حبان ٢٠٩٢، وقال المحقق إسناده صحيح، وانظر: تتمة تخريجه هناك.

(٥) أخرجه ابن حبان ٢٠٩٣، وقال المحقق: إسناده حسن في الشواهد.

(٦) فتح الباري ٣٤٢/٢، .

ومعي ملك"[١].

والملائكة السياحون يتبعون مجالس الذكر[٢]، قال ابن القيم: "فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالى فيه، كما أخرجا في الصحيحين من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله ملائكة فضلا[٣] يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم تعالى - وهو أعلم بهم - ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك، قال فيقول: هل رأوني؟ قال فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تحميداً وتمجيداً وأكثر لك تسبيحاً... الحديث، وفيه: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم. إنما جاء لحاجة. قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم"[٤].

ثم قال ابن القيم: "فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين، وكل مضاف إلى شكله وأشباهه. وكل امرئ بصير إلى ما يناسبه"[٥].

وقال ابن حجر: "وفي الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين وفضل الاجتماع على ذلك. وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالى به عليهم، إكراماً لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر وفيه محبة الملائكة بني آدم واعتناؤهم بهم"[٦].

كما أن الملائكة السياحين هم الذين يبلغون النبي ﷺ من أمته السلام[٧]، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((إن لله في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني من

---

(١) أخرجه ابن حبان ٢٠٩٤، وقال المحقق: إسناده حسن.

(٢) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ١١٧.

(٣) أي أنهم ملائكة زائدون عن الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق، فهؤلاء السيارة لا وظيفة لهم، وإنما مقصودهم حلق الذكر، شرح صحيح مسلم للنووي، ١٦/١٧/٩".

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٠٨، ومسلم ٢٦٨٩.

(٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٣٤٤-٣٤٥.

(٦) فتح الباري ١١/٢١٣ .

(٧) انظر أصول الإيمان ١١٨.

أمتي السلام))[١].

وقد قال النبي ﷺ: ((لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ))[٢].

قال النووي: "قال العلماء: سبب امتناعهم من بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة، وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى، وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات، ولأن بعضها يسمى شيطاناً كما جاء به الحديث[٣]. والملائكة ضد الشياطين، ولقبح رائحة الكلب والملائكة تكره الرائحة القبيحة ولأنها منهي عن اتخاذها فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه واستغفارها له وتبريكها عليه وفي بيته ودفعها أذى الشيطان. وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلون بيتاً فيه كلب أو صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والاستغفار، وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ولا يفارقون بني آدم في كل حال لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها. قال الخطابي: وإنما لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة مما يحرم اقتناؤه من الكلاب والصور، فأما ما ليس بحرام من كلب الصيد والزرع والماشية والصورة التي تمتهن في البساط والوسادة وغيرهما فلا يمتنع دخول الملائكة بسببه. والأظهر أنه عام في كل كلب وكل صورة وأنهم يمتنعون من الجميع لإطلاق الأحاديث"[٤].

ثالثاً- من مهام الداعية: تغيير المنكر باليد إن قدر على ذلك:

هذا واضح من قول عمر بن الخطاب "لقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحها من الرجل في المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع"، قال النووي: "هذا فيه إخراج من وجد منه ريح الثوم والبصل ونحوهما من المسجد، وإزالة المنكر باليد لمن أمكنه"[٥]. وقال ابن

---

(١) أخرجه أحمد ١/٣٨٧ رقم ٣٦٦٦، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم ١٨٣/٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٣٢٢، ومسلم ٢١٠٦.

(٣) أخرجه مسلم ٥١٠.

(٤) شرح صحيح مسلم ٧/١٤/٨٨-٩٠.

(٥) شرح صحيح مسلم ٣/٥/٥٥.

عثيمين: "البقيع قريب من المسجد النبوي، لكن يبعده إلى البقيع تعزيراً له وإلا فيكفي أن يخرجه من باب المسجد، لكن من أجل التعزير كان يخرجه إلى هذا المكان الذي هو بعيد نوعاً ما"(١).

وقال القرطبي: "قال العلماء: إذا كانت العلة في إخراجه من المسجد أنه يتأذى به، ففي القياس أن كل من تأذى به جيرانه في المسجد بأن يكون ذَرِب اللسان(٢) سفيهاً عليهم، أو كان ذا رائحة قبيحة لا تَرِيمه(٣) لسوء صناعته، أو عاهة مؤذية كالجذام وشبهه. وكل ما يتأذى به الناس كان لهم إخراجه ما كانت العلة موجودة فيه حتى تزول وكذلك يجتنب مجتمع الناس حيث كان لصلاة أو غيرها كمجالس العلم والولائم وما أشبهها، مَن أكل الثُّوم وما في معناه، مما له رائحة كريهة تؤذي الناس. ولذلك جمع بين البصل والثوم والكراث، وأخبر أن ذلك مما يتأذى به. قال أبو عمر بن عبد البر(٤): وقد شاهدت شيخنا أبا عمر أحمد بن عبد الملك بن هشام أفتى في رجل شكاه جيرانه واتفقوا عليه أنه يؤذيهم في المسجد بلسانه ويده فشُوورِ فيه؛ فأفتى بإخراجه من المسجد وإبعاده عنه، وألا يشاهد(٥) معهم الصلاة؛ إذ لا سبيل مع جنونه واستطالته إلى السلامة منه، فذاكرته يوماً أمره وطالبته بالدليل فيما أفتى به من ذلك وراجعته فيه القول؛ فاستدل بحديث الثُّوم، وقال: هو عندي أكثر أذى من آكل الثوم، وصاحبه يُمنع من شهود الجماعة في المسجد"(٦).

وقال ابن القيم: "إن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف كما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٧٦٨/٢-١٧٦٩.

(٢) ذرب اللسان: فاسد اللسان بذيئه. القاموس المحيط في (ذ ر ب).

(٣) أي لا تفارقه، انظر الوسيط في (ر ي م).

(٤) التمهيد ٣٤٩/٢، "موسوعة شروح الوطأ"

(٥) في نسخة: يشهد كما في حاشية المحقق على تفسير القرطبي.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٧/١٢/٦-٢٦٨، وقد نقله عن ابن عبدالبر في التمهيد، ٣٤٩/٢ (موسوعة شروح الوطأ). كما نقل بعضه عن شيخه القرطبي المحدث صاحب المفهم، ١٦٦/٢.

منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والوُلاَة بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابةُ رسولَ الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: ((لا، ما أقاموا الصلاة))[١] وقال: ((مَنْ رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعَنَّ يداً من طاعته))[٢] ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر؛ فطلب إزالته فتولّد منه ما هو أكبر منه؛ فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عَزَمَ على تغيير البيت وردِّهِ على قواعد إبراهيم، ومَنَعه من ذلك - مع قدرته عليه - خشيةُ وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حَديثي عهدٍ بكفرٍ، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد؛ لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظمَ منه كما وجد سواء.

فإنكار المنكر أربع درجات: الأولى: أن يزول ويخلفه ضده، الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته، الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه؛ فالدرجتان الأوليَاَنِ مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة.

فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحبّ إلى الله ورسوله كَرَمْيِ النشّاب[٣] وسباق الخيل ونحو ذلك، وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مُكاءَ وتَصْدية[٤]، فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيراً

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٥٤.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠٥٣، ومسلم ١٨٤٩.

(٣) النشّاب: النَّبْل. القاموس المحيط في (ن ش ب).

(٤) المكاء: الصفير بالفم، أو تشبيك الأصابع والنفخ فيها. والتصدية: التصفيق، القاموس المحيط في (م ك ا) وفي (ص د ا).

من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك فكان ما هم فيه شاغلاً لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكُتُب المجون ونحوها وخِفْتَ من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فَدَعْهُ وكتبه الأولى، وهذا باب واسع.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول: مررت أنا وبعضُ أصحابي في زمن التَّتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم مَنْ كان معي، فأنكرتُ عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمرُ عن قتل النفوس وسَبْي الذرية وأخذ الأموال فَدَعْهم"[1].

رابعاً- من اهداف الدعوة: سد كل طريق يؤدي إلى ان يتأذى المسلم من أخيه المسلم:

وهذا واضح من النهي لآكل الثوم أو البصل والكراث أو ما في معناه مما له رائحة من دخول المسجد، وذلك حتى لا يؤذي المصلين والملائكة، وقد جاء هذا صريحاً في قوله ﷺ: "من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم".

قال ابن عبدالبر: "روى النهى عن أكل الثوم بألفاظ متقاربة المعاني عن النبي ﷺ جماعة منهم: عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، وحذيفة وابن عمر وجابر وأنس وأبو سعيد والمغيرة ومعقل بن يسار... اختلف العلماء في معنى هذا الحديث فقال بعضهم: إنما خرج النهى عن مسجد النبي ﷺ من أجل جبريل عليه السلام ونزوله فيه على النبي ﷺ، وقال آخرون، وهم الأكثرون: مسجد النبي ﷺ وسائر المساجد غيره في ذلك سواء وملائكة الوحى في ذلك وغيرها سواء. لأنه قد أخبر أنه يتأذى منه بنو آدم، وقال: "إن الملائكة تتأذى بما يتأذى منه بنو آدم". وقال: "يؤذينا بريح الثوم"[2]، ولا يحل أذى الجليس المسلم حيث كان"[3].

وقا د. إبراهيم بن صالح الخضيري: "والمتأمل لحال الناس اليوم يجد أنهم لا يؤتون

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٤/٣- ٥، ط دار الجيل.

(٢) أخرجه مالك ٢٩ عن سعيد بن المسيب مرسلاً، وانظر: كلام ابن عبدالبر في التمهيد، ٢٣٥/٢.

(٣) التمهيد ٢٣٦/٢-٢٢٨، موسوعة شروح الموطأ.

المساجد قدرها، ولا يعطونها القيمة التي أراد الله أن تكون فيها، فتراهم يأتون المساجد وروائحهم خبيثة منتنة، وثيابهم قد تحتوي على قاذورات فيها روائح تؤذي المسلمين، وهذا أمر يجب أن يأخذه أئمة المساجد ومن يتولى تعليم الناس أمور دينهم بعين الاعتبار وأن يحذروهم من التهاون بهذه القضية.

والمتأمل للأحاديث المتقدمة يجد أن الدين الإسلامي دين يسر ودين طهارة وكمال احتوى جميع ما يحتاجه البشر وراعى شعورهم وقدر تكافل الجماعة المؤمنة.

والمتأمل لتشريعات الإسلام في كل جانب من جوانب الحياة يجد أن هذا الدين العظيم لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وقد جاء لها بحكم أدركه من أدركه، وخفى على من قصرت عقولهم عن إدراك أسرار الشريعة الإسلامية وحين يحرص الإسلام على رعاية الجماعة المؤمنة فإنما يدل هذا على أن الإسلام يبني أمة قوية متماسكة الأركان. يرعى غنيها فقيرها، وحين تكون مجالسهم في المساجد وغيرها صافية من الكدر فإن ذلك عامل من عوامل الألفة، ولعمري إن المؤمن ليدرك أن الإسلام أكبر نعمة أنعمها الله على البشرية، فلندعُ إلى ذلك ما أمكننا... ومن هذا نعلم اهتمام الإسلام بمشاعر المسلمين، ورعاية حقوقهم والحفاظ على المساجد من الأذى"[1].

خامساً- من موضوعات الدعوة: يسر الشريعة الإسلامية:

هذا يتضح من هذه الأحاديث على النحو التالي:

١- أن هذه البقول لم تحرم رغم أن لها رائحة كريهة يتأذى منها الناس، وقد سأل أبو أيوب ﷺ النبي ﷺ عن الثوم: أحرام هو؟ قال: "لا ولكني أكرهه"[2]، وجاء في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ: " يا أيها الناس إنه ليس لي تحريم ما أحل الله لي، ولكنها شجره أكره ريحها"[3]، وقال النووي: "هذه البقول حلال بإجماع من يعتد به"[4].

---

(١) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية ١٨٩/٣-١٩١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٥٣.

(٣) أخرجه مسلم ٥٦٥.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤٩/٥/٣.

وهذا من تيسير الإسلام، وذلك لكثرة فوائد الثوم والبصل، قال الدكتور صالح بن أحمد رضا: "يؤكد الأطباء اليوم على ما في الثوم والبصل من المنافع الكثيرة التي تمضي إلى بدن الإنسان لتمده بمواد نافعة تكون سبباً بإذن الله تعالى في زوال كثير من الأمراض والأسقام، ومن هنا ندرك السر في أحاديث رسول الله ﷺ المتعلقة بهاتين البقلتين، حيث نجد أنه بالرغم من نفرته منهما وعدم أكلهما أو أكله طعاماً توجدان هما أو إحداهما فيه، وأمره من أكلهما بعدم اقترابه من جماعة المسلمين ومساجدهم، إلا أنه لم يحرمهما، بل على العكس من ذلك، فإنه أباح أكلهما للمؤمنين ولكنه من أجل ألا يكون الإنسان متسبباً في إيذاء الناس والملائكة، أمر من أكلهما بعدم دخول المسجد، فالأمر يعود إلى الإنسان نفسه، فعليه أن يعمل جهده ألا يأكلهما قبيل الذهاب إلى الصلاة، ووقت الصلاة معلوم لكل مسلم، أو يحاول أن يذهب إلى المسجد وليس في فمه أثر لريح هاتين النبتتين"[١].

٢- أن من أَكَل هذه البقول وتمكن من إزالة روائحها الكريهة، فإنه يجوز له أن يدخل المسجد، قال ابن عثيمين: "يجوز إذا أكل ما يذهب الرائحة إذهاباً كاملاً، ولا صار يخرج من المعدة رائحة فلا بأس، لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً"[٢].

٣- يجوز دخول المسجد مع أكل هذه البقول إذا أمات رائحتها بالطبخ. وهذا واضح من قول عمر بن الخطاب: "فمن أكلهما فليمتهما طبخاً"، قال ابن هبيرة: "فيه كراهية أن يتعرض الإنسان لأكل الثوم والبصل وكل ما يجري مجراهما في نتن الريح لئلا يتأذى به جلساؤه وإخوانه وإلا أن يميته بالطبخ"[٣]. وقد قال النبي ﷺ "إن كنتم لابد آكليهما فأميتوهما طبخاً"، يعني البصل والثوم"[٤]. قال النووي: "معناه من راد أكلهما فليمت رائحتهما بالطبخ، وإماتة كل شيء كسر قوته وحدته[٥]، وقال ابن

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ١/ ٣٣٠.
(٢) شرح رياض الصالحين ٢/ ١٧٧٠.
(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٥٣/١.
(٤) أخرجه أبو داود ٣٨٢٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٤٢).
(٥) شرح صحيح مسلم، ٥٥/٥/٣.

عثيمين: "إنه إذا طبخهما راحت الرائحة وحصلت الفائدة"[1].

٤- يجوز دخول المسجد لمن أكل ثوماً أو بصلاً بسبب مرض يُداوي منه أو نحو ذلك ودليل ذلك حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: أكلت ثوماً فأتيت مصلى النبي ﷺ وقد سبقت بركعة، فلما دخلت المسجد وجد رسول الله ﷺ ريح الثوم، فما قضى رسول الله ﷺ صلاته، قال: "من أكل من هذه الشجرة فلا يقربنا حتى يذهب ريحها أو ريحه، فلما قضيت الصلاة جئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يارسول الله والله لتعطيني يدك، قال: فأدخلت يده في كم قميصي إلى صدري فإذا أنا معصوب الصدر، قال: "إن لك عذراً"[2]، وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر إسقاط الحرج عن آكل ما وصفنا نيئاً مع شهوده الجماعة إذا كان معذوراً من علة يداوى بها[3].

كل هذا يؤكد يسر الشريعة الإسلامية، جاء في الموسوعة الفقهية: "اليسر وانتفاء الحرج صفتان أساسيتان في دين الإسلام وشريعته، والتيسير مقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية، ويدل على هذا الأصل آيات كثيرة في كتاب الله تعالى، وأحاديث نبوية صحيحة وأجمعت الأمة عليه"[4].

وقال الدكتور القرضاوي: "إن التيسير روح يسري في جسم الشريعة كلها كما تسري العصارة في أغصان الشجرة الحية"[5].

---

(١) شرح رياض الصالحين، ١٧٧٠/٢.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٨٢٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي ٣٢٤١).

(٣) صحيح ابن حبان، الحديث ٢٠٩٥، وينظر تتمة تخريجه هناك.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢١٣/١٤.

(٥) الخصائص العامة للإسلام ١٧٧، وانظر: الإحكام والتقرير لقاعدة المشقة تجلب التيسير. عدنان محمد أمامة. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

الحديث رقم (١٧٠٤)

١٧٠٤- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: ((مَنْ أَكَلَ مِنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ فَلاَ يَقْرَبَنَّا، وَ[١] لاَ يُصَلِّيَنَّ مَعَنَا)) متفق عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يشع بتوجيهات المصطفى ﷺ التي توهجت في الحديث السابق، ولكن الألفاظ تختلف، وكذلك يتضمن هذا الحديث تشديداً أكثر، وتنفيراً أشد من هذا الذي أطلق عليه العلماء "الأبخر" وهو صاحب الرائحة الكريهة بسبب الطعام وغيره: وقالوا: على الإمام أن يمنع الأبخر من مخالطة الناس دفعاً لأذى ريحه عنهم.

وصياغة هذا الحديث تتفق في مبناها مع الحديث السابق: حيث صيغ في قالب: الشرط والجواب، وصدر الحديث الذي تمثله أداة الشرط: وجملة فعل الشرط متوافقة تماماً مع الحديث السابق، "من أكل من هذه الشجرة"، يعني الثوم، وجواب الشرط هنا أكثر توضيحاً، وأكثر صراحة في التنفير من أكل الثوم "نيّئاً" حيث قال: "فلا يقربنا ولا يصلين معنا".

ولنتأمل، دلالة الفعل وهي الاقتراب، فآكل الثوم ممنوع من الاقتراب من مجلس رسول الله ﷺ لأنه يؤذيه ويؤذي الصحابة رضي الله عنهم، ويؤذي الملائكة، ويؤذي جبريل المكلف بالوحي، والتأكيد في هذا الفعل يضاعف من حجم النهي والتحذير، وصيغة الجمع في ضمير الإسناد "نا" وهي للمتكلم الجمع: ترشد إلى أنه يمنع اقترابه من أي مجلس يجتمع فيه المسلمون للذكر والدعاء والمشورة والاستغفار والصلاة، والجملة

---

(١) لفظ البخاري: (أو)، والمثبت لفظ المنذري.

(٢) أخرجه البخاري (٨٥٦) واللفظ له، ومسلم (٥٦٢/٧٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٦).

المعطوفة على جملة الشرط، "ولا يُصلِّينَّ معنا"، تُجلي الأمر أكثر، وتحدد المقصود، واقتران الفعل هنا بنون التوكيد الثقيلة يوحي بأن الأمر لا تهاون فيه، وقال العلماء: خصت الصلاة بالذكر: مع تناول ما قبله لذلك: لأن عدم الاقتراب يفيد عدم الصلاة بالأولى: قيل للاهتمام بأمر الصلاة، ودفعاً لسلب الخشوع عن المصلي ليأتي بها على الكمال المطلوب.

المضامين الدعوية(١)

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧٠٥)

١٧٠٥- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ أكَلَ ثُوماً أَوْ بَصَلاً فَلْيَعْتَزِلنا، أَوْ[1]: فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا)) متفق عَلَيْهِ[2].

وفي روايةٍ لمسلم[3]: ((مَنْ أكَلَ البَصَلَ، والثُّومَ، والكُرَّاثَ، فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإنَّ المَلاَئِكَةَ تَتَأذَّى مِمَّا يَتَأذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ)).

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الكراث: بَقْلة معروفة، وهي خبيثة الريح[4].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث حدد الطعام المنهي عنه حالة دخول المسجد، أو الاقتراب من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الأطعمة "الثوم والبصل والكُراث" والحديث يتفق في صياغته مع الحديثين السابقين، حيث صيغ في قالب الشرط والجواب. وهذا القالب الأسلوبي يوحي بأن الاقتراب ليس ممنوعاً، ولكنه مشروط بعدم أكل الثوم والبصل والكراث، وجواب الشرط هنا يمثل تصعيداً في موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من آكل الثوم والبصل، ففي الحديث الأول قال: "فلا يقربن مسجدنا"، وفي الثاني صرَّح وحدَّد الأمر وقال: "ولا يصلين معنا"، بعد أن قال: "ولا يقربنا"، وهذه مرحلة أشد من الأولى: لأنه هناك قال: "ولا يقربن مسجدنا"، أما هنا فقد نهى عن الاقتراب من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم، وفي هذا الحديث جاء النهي أكثر شدة ووضوحاً حيث أمر

---

(١) عند البخاري زيادة: (قال).

(٢) أخرجه البخاري (٨٥٥) واللفظ له، ومسلم (٥٦٤/٧٣). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٧).

(٣) برقم (٥٦٤/٧٤). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٧).

(٤) ينظر: المصباح المنير ٦٤٠.

ذلك الشخص الذي أكل الثوم والبصل وكل من على شاكلته: أن يعتزل جماعة المسلمين، وأن يعتزل المسجد، وفي الرواية الأخرى، تعليل لهذا الأمر الصارم؛ "لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنوا آدم".

وروى أبو داود في سننه عن عائشة أنها سئلت عن البصل فقالت: (إن آخر طعام أكله رسول الله ﷺ فيه بصل)[١]، ولذلك قال بعض العلماء إن هذه الأطعمة ليست محرمة بل هي مكروهة كراهة تنزيه، وليست محرمة.

ويتضمن جواب الشرط في قوله: "فليعتزل مسجدنا..." حكماً: وهو وجوب اعتزال المسجد ولو في غير أوقات الصلاة لمن كانت رائحته كريهة من أكل الثوم والبصل وغيرها من الأطعمة التي تسبب ذلك، لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم. والله أعلم.

المضامين الدعوية[٢]

(١) أخرجه أبوداود ٣٨٢٩، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٨٢٥).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٠٣).

الحديث رقم (١٧٠٦)

١٧٠٦- وعن عمر بن الخطاب ﵁: أنَّه خَطَبَ يومَ الجمُعَةِ، فَقَالَ في خطبته: ثُمَّ إنَّكُمْ أيُّهَا النَّاسُ تَأكُلُونَ شَجَرتَيْنِ مَا[1] أرَاهُمَا إلاَّ خَبِيثَتَيْنِ[2]: البَصَلَ، وَالثُّومَ. لَقَدْ رَأَيْتُ رسولَ اللَّه ﷺ، إذَا وَجدَ ريحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ في المَسْجِدِ أمَرَ بِهِ، فَأُخْرِجَ إلَى البَقِيعِ، فَمَنْ أكَلَهُمَا، فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخاً. رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

البقيع: هو: مقبرة أهل المدينة المنورة، وهي اليوم داخل المدينة المنورة، بجوار المسجد النبوي الشريف شرقاً[4].

فليمتها طبخا: أي من أراد أكلها فليمت رائحتها بالطبخ وإماتة كل شيء كسر قوته وحدته[5].

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الأخير في باب: نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً، عن دخول المسجد، ويتسم هذا الحديث في صياغته وأسلوبه بأنه جزء من خطبة لعمر بن الخطاب ﵁، وهو يتأسى برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله، ويحث على تجنب أكل الثوم والبصل.

وأسلوب الحديث يتسق مع خصائص أسلوب الخطب، والمواعظ والوصايا: من حيث

---

(١) لفظ مسلم: (لا)

(٢) عند مسلم زيادة: (هذا)، وهي لا توجد عند المنذري في ترغيبه.

(٣) برقم (٥٦٧/٧٨). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٩).

(٤) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٧٧.

(٥) شرح مسلم ٤٢٢.

الشرح والتفصيل بعد الإجمال، والتدليل على ما قال، والاستشهاد بمواقف رسول الله ﷺ.

ولنتأمل الظواهر الأسلوبية في هذا الحديث، فهو يبدأ بقوله: "ثم" وفي ذلك اتساق مع جو الخطبة؛ لأن هذا الكلام الآتي متمم لكلام سبق في الخطبة، فالعطف هنا ليس على مجهول، ولكن على معلوم دل عليه قول الراوي: "إنه خطب يوم جمعة فقال في خطبته"، وبعد العطف بـ"ثم" الذي يوحى بالتمهل والتفكر يأتي التأكيد... والخطاب الجَمْعي في "إنكم"، ثم النداء الذي ينبئ عن الاهتمام والحث على اتباع سنة رسول الله ﷺ في قوله: "أيها الناس".

وفي قوله: "تأكلون شجرتين" مجاز مرسل علاقته الكلية: حيث أطلق الكل وأراد الجزء، فالمراد ليس أكل الشجرتين، ولكن: الأكل من الشجرتين، وأكل ثمارهما: الثوم والبصل.

وأسلوب القصر في قوله "لا أراهما إلا خبيثتين"، يؤكد انطباق هذا الوصف عليهما، نظراً لخبث رائحتهما، وتأذى الناس من هذه الرائحة.

والتأكيد المشعر بالقسم في قوله: "لقد رأيت رسول الله ... إلخ"، يرشد إلى أهمية التدليل والتوثيق في إطلاق الأحكام الشرعية، والفعل "رأيت" بمعنى: أبصرت وشاهدت، فالدليل يقيني مشاهد، وليس ظناً أو تخميناً أو رأياً شخصياً، وأسلوب الشرط في قوله: "إذا وجد ريحهما... إلخ الحديث" يفيد بأن هذه وقائع حقيقية؛ لأن عمر رضي الله عنه رأى وأبصر ذلك، وأداة الشرط "إذا" تدل على التحقق.

وقوله "أخرج إلى البقيع"، إرشاد إلى أن صاحب الرائحة الكريهة لا يتحمل إيذاءه أحد لخبث هذه الرائحة، ومكانُه هذا المكان المعزول عن الأحياء؛ لأن الأموات في حضرة ربهم، لا يشعرون به، وقيل إن في ذلك مبالغة في الإبعاد عن المسجد وتنظيفه، وتنزيهه عن الروائح الرديئة.

والجملة الأخيرة شرطية مكونة من أداة الشرط، وفعل الشرط، وجواب الشرط، وهي تقدم حلاً لمن أراد أن يأكل من هذين الطعامين، "قال فليمتهما طبخاً": أي ليمت رائحتهما بإنضاجهما وطبخهما مع غيرهما من الطعام: وفي قول عمر رضي الله عنه تأييد لمن قال

بعدم حرمة أكل الثوم والبصل: ولكن إذا زالت رائحتهما زال القيد، وامتنع النهي، وفي قوله: "فليمتهما طبخاً": استعارة مكنية تثير الانتباه وتدعو للتأمل والبحث عن منفذ، لأن في هذين الطعامين فوائد صحية عديدة كما قال الأطباء، فإذا زالت رائحتهما لم يمتنع أكلهما. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٠٢).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على النظافة:

يهتم ديننا الحنيف بالنظافة والطهارة اهتمامًا بالغًا، إلى الحد الذي يجعلها جزءًا من الإيمان، ومطلبًا تقوم عليه العبادة؛ فالإسلام حريص على صحة وسلامة المسلم، ولا يقصر النظافة على نظافة البدن، بل يتعدى ذلك إلى نظافة كل ما شأنه أن يجلب نفعًا، أو يدفع ضررًا، تمشيًا مع القاعدة العامة "لا ضرر ولا ضرار" فنظافة الظاهر ونظافة الباطن، ونظافة المأكل والمشرب، ونظافة الملبس والبدن، ونظافة المكان والبيئة والمجتمع، ونظافة الجو واليابسة والماء، ونظافة كل شيء كبر أو صغر، كل ذلك أمر يطالبنا به ديننا الإسلامي ويحثنا عليه؛ لما لذلك من انعكاسات إيجابية، صحية وجمالية، على المستوى الفردي والجماعي والإنساني[1].

ومن احترام الإسلام للمسلم نهيه عن أكل الأشياء التي تكون مظنة الروائح الكريهة مثل: الثوم أو البصل، ذاك أن نتن الأفواه من هذه الأطعمة يؤذي الآخرين، ويُنفّر من آكلها، وقد أسقط الإسلام سنة الجماعة عن تناول هذه المأكولات[2]، كما دلت على ذلك أحاديث الباب.

كما أسقط سنة الجماعة عن الذين أصيبوا بعلل تجعل روائح فمهم أو جسمهم كريهة، وهذا الأدب الكريم صيانة محمودة للمرضى والأصحاء. فقد اهتم الإسلام بنظافة الفم، وطيب رائحته لمن أراد أن يصلي مع الجماعة.

وعناية الدين بتطهير الفم وتجلية الأسنان، وتنقية ما بينها لا نظير لها في وصايا الصحة القديمة والحديثة[3]، قال رسول الله ﷺ: ((لَوْلا أَن أَشقّ على أُمّتي لأَمَرْتَهُم بالسِوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاة))[4].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ٥٤.

(٢) خلق المسلم، محمد الغزالي، ص ١٥١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ١٥١.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٧).

وقال ﷺ: ((السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ))[١] فينبغي على المربين والآباء توجيه الصغار إلى العناية بنظافة أفواههم وأجسادهم، وبعدهم عن كل الأشياء التي تنفر الناس من رائحتهم أو هيئاتهم.

ثانيًا - التربية على البعد مما يؤذي الملائكة:

الملائكة تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم، وذلك ثابت بالأحاديث الصحيحة عنه ﷺ، فهم يتأذون من الرائحة الكريهة، وكذا الأقذار والأوساخ.

ومن هذه الروائح التي يتأذون منها الثوم والبصل والكراث، ومما لا شك فيه أن الروائح الخبيثة كالدخان، وروائح الخمور بأنواعها تأخذ نفس الحكم، والملائكة تتأذى منها أيضًا، كالثوم والبصل والكراث وذلك واضح في قوله ﷺ "من أكل البصل، والثوم، والكراث، فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم" والملائكة تتأذى من الكلاب التي تقبع في البيوت ولا تدخلها كذلك تتأذى من الصور[٢]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا تدخل الملائكةُ بيتًا فيهِ كلبٌ ولا صورةٌ))[٣].

قال النووي: (قال العلماء: سبب امتناعهم من بيت فيه صورة، كونها معصية فاحشة، وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى، وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات، ولأن بعضها يسمى شيطانًا كما جاء به الحديث والملائكة ضد الشياطين، ولقبح رائحة الكلب والملائكة تكره الرائحة القبيحة)[٤].

فعلى المربي توجيه من يقوم بتربيتهم إلى الامتناع عن أكل البصل والثوم عند حضور المساجد حتى يذهب ريحها، لأن هذا فيه طاعة لله ورسوله قبل أن يكون أذية للمؤمنين والملائكة قال رسول الله ﷺ: "من أكل من هذه الشجرة - يعني الثوم، فلا يقربن

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣/١ رقم ٧، وقال محققو المسند: صحيح لغيره.

(٢) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص ٢٩٥.

(٣) أخرجه البخاري ٣٢٢٥، ٣٣٢٢، ومسلم ٢١٠٦.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٣٣٠.

مسجدنا".

وقال ﷺ: "من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزل مسجدنا" وفي رواية لمسلم: "من أكل البصل، والثوم، والكراث، فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم".

ويلحق بالثوم والبصل والكراث، كل رائحة خبيثة تؤذي المصلين (كالدخان والروائح الخبيثة التي تنبعث من الجسد أو الملابس، فليحذر المصلي من أذية إخوانه المؤمنين فتتأذى الملائكة فيأثم)[1].



(١) انظر: مجالس المؤمنين في مصالح الدنيا والدين باغتنام مواسم رب العالمين، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب، ٢٢٠/١، ٢٢١.

٣١٢- باب كراهة الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب

لأنَّه يجلب النوم فيفوت استماع الخطبة ويخاف انتقاض الوضوء

الحديث رقم (١٧٠٧)

١٧٠٧- عن مُعاذ بن أنس الجُهَنِيِّ ﵁: أنَّ النبيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الحِبْوَةِ يَومَ الجُمعَةِ وَالإمَامُ يَخْطُبُ. رواه أَبُو داود، والترمذيُّ[1]، وقالا: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

معاذ بن أنس الجُهَني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٧).

غريب الألفاظ:

الحبوة: هي: أن يقيم الجالس ركبتيه ويقيم رجليه إلى بطنه بثوب يجمعها به مع ظهره ويشد عليهما ويكون إليتاه على الأرض[2].

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الأوحد في هذا الباب: وهو يُعنى بهيئة المسلم ... وطريقة جلوسه وهو في المسجد يستمع لخطبة الجمعة، حيث يجب على المسلم أن يَعُدَّ نفسه ذهنياً وشعورياً وجسمياً، فيصفوا ذهنه، ويرق شعوره، ويطهر بدنه، ويجلس في هيئة المنتبه اليقظ؛ لأنه من زوار الله في بيته، وبيوت الله في الأرض المساجد.

ويبدأ الحديث بالتأكيد في قول: الراوي الأعلى: "إن النبي ﷺ نهى عن الحبوة يوم الجمعة... إلخ"، وهذا التأكيد يرد في صدر الرواية حتى يهتم المسلمون بهذا الأمر، ولا يظنونه من أفعال الهيئات التي لا تدخل في أقوال الصلاة ولا أفعالها، وهذه الجلسة المنهي عنها تسبب الكسل.. وربما تجلب النوم في المسجد، وتشي بعدم اهتمام المسلم بما

---

(١) أخرجه أبو داود (١١١٠)، والترمذي (٥١٤) ولفظهما سواء. وصحّحه ابن خزيمة (١٨١٥)، وقال الحاكم (٢٨٩/١): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) النهاية في (ح ب و).

يقوله الخطيب، وهي "الحبوة"، بضم الحاء، أو بكسرها، والاحتباء في الجلوس: هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما فيه مع ظهره ويشده عليهم، وقد يكون الاحتباء باليد عوض الثوب، وفي اللغة يقولون: حبا الرجل: أي مشى يديه وبطنه، وقالوا: احتبى بالثوب: أي: اشتمل أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة أو نحوها، وقيل: رمى فأحبى أي: وقع سهمه دون الغرض، وفي هذا المدلول اللغوي إشارة إلى أن المحتبي يوم الجمعة والإمام يخطب، يُحْرم من ثواب الصلاة الكامل، فهو مثل من رمى سهماً، ولم يظفر بصيده المطلوب، ولا غرضه المقصود، والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على حكم الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب وقد اختلف الفقهاء في حكمه على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الجمهور من الحنفية[١]، والمالكية[٢]، ونقله ابن المنذر عن الشافعي[٣] وهو الصحيح عند الحنابلة[٤]، ويرون أن الاحتباء لا بأس به، ولا يكره.

واستدلوا على ذلك بما روى يعلى بن شداد بن أوس قال: شهدت مع معاوية بيت المقدس، فجمع بنا، فنظرت، فإذا جل من في المسجد أصحاب رسول الله ﷺ فرأيتهم محتبين والإمام يخطب[٥].

قال ابن قدامة: (وفعله ابن عمر وأنس، ولم نعرف لهم مخالفاً، فكان إجماعاً)[٦].

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم

(٢) مواهب الجليل ١٧٦/٢.

(٣) المجموع للنووي ٤٩٦/٤.

(٤) الفروع ٩٤/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٢٩٦/٢، والمغني لابن قدامة ٨٧/٢.

(٥) أخرجه أبو داود ١١١١ وفي إسناده سليمان بن عبدالله بن الزبرقان لين الحديث. قاله الحافظ ابن حجر في التقريب ٣٢٦/١.

(٦) المغني لابن قدامة ٨٨/٢.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه بعض الحنابلة[١]، وبعض الشافعية[٢]، ويرون أن الاحتباء يوم الجمعة، والإمام يخطب مكروه.

واستدلوا على ذلك بحديث الباب، إذ فيه نهى النبي ﷺ عن الحبوة، غير أنهم حملوا النهي على الكراهة، وذلك لأنه يجلب النوم ويعرض طهارته للانتقاض، كما أنه يمنع من سماع الخطبة[٣].

والراجح:

هو ما ذهب إليه أصحاب الرأي الأول الذين يرون عدم كراهة الاحتباء، أما حديث النهي، فهو وإن كان الترمذي قد حسنه، إلا أن الإمام النووي قال: (في إسناده ضعيفان، فلا نسلم حسنه)[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية خطبة الجمعة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب:

هذا واضح من الحديث: "أن رسول الله ﷺ نهى عن الحبوة يوم الجمعة والإمام يخطب. قال ابن الأثير: (الاحتباء: هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليها، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب، وإنما نهى عنه، لأنه إذا لم يكن عليه إلا ثوب واحد ربما تحرك أو زال الثوب فتبدو عورته)[٥].

---

(١) الفروع ٩٤/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٩٦/٢، والمغني ٨٨/٢.

(٢) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٨٨/٢.

(٣) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٨٨/٢، والمغني لابن قدامة ٨٨/٢.

(٤) المجموع للنووي ٤٩٧/٤، وانظر أيضاً في بيان ضعف هذا الحديث: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٣٧/٣.

(٥) النهاية في غريب الحديث، ص ١٨٥. وجاء في الموسوعة الفقهية الميسرة، ٦٥: الاحتباء هو جلوس المرء على أليتيه ونصب ساقيه وضمهما إلى صدره.

وقال الخطابي: "إنما نهى عن الاحتباء في ذلك الوقت لأنه يجلب النوم ويعرض طهارته للانتقاض، فنهى عن ذلك وأمر بالاستيفاز في القعود لاستماع الخطبة والذكر وفيه دليل على أن الاستناد يوم الجمعة في ذلك المقام مكروه، لأنه بعلة الاحتباء أو أكثر"[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية ما يلي: "الاحتباء خارج الصلاة مباح إن لم يرافقه محظور شرعي آخر ككشف العورة مثلاً، والأولى تركه وقت الخطبة وعند انتظار الصلاة، لأنه يكون متهيئاً للنوم والوقوع وانتقاض الوضوء. وهو مكروه في الصلاة لما ورد من النهى عنه[٢]، وما فيه من مخالفة الوضع المسنون في الصلاة[٣].

لكن قال النووي: "الاحتباء يوم الجمعة لمن حضر الخطبة والإمام يخطب نقل ابن المنذر عن الشافعي: أنه لا يكره ... ونقله ابن المنذر عن ابن عمر وابن المسيب والحسن البصري وعطاء وابن سيرين وأبي الزبير وسالم بن عبدالله وشريح القاضي وعكرمة بن خالد ونافع ومالك والثوري والأوزاعي وأصحاب الرأى وأحمد وإسحاق وأبي ثور. قال: وكره ذلك بعض أهل الحديث[٤]"[٥].

لكن المباركفوري قال: "أحاديث الباب وإن كانت ضعيفة لكن يقوي بعضها بعضاً، ولا شك في أن الحبوة جالبة للنوم، فالأولى أن يحترز عنها يوم الجمعة في حال الخطبة، هذا ما عندي والله تعالى أعلم"[٦].

---

(١) معالم السنن: الخطابي: حمد بن محمد "٣٨٨هـ"، مطبوع مع مختصر سنن أبي داود للمنذري، وتهذيب السنن لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة بيروت، وهي ط مصورة، ٢١/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٧، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ عن اشتمال الصماء، وأن يحتبي الرجل في ثوب واحد، ليس على فرجه منه شيء. وأخرجه مسلم ٢٠٩٩.

(٣) الموسوعة الفقهية ٦٦/٢.

(٤) انظر هذه الآثار في مصنف عبدالرزاق ٢٥٤/٣، ومصنف ابن أبي شيبة ١١٨/٢-١١٩. وانظر كذلك نيل الأوطار ٦١٤-٦٢٥.

(٥) المجموع شرح المهذب ٣١٩/٤.

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٨٦/١.

وقال ابن عثيمين: "قد نهى النبي ﷺ عنها والإمام يخطب يوم الجمعة لسببين: الأول: أنه ربما تكون هذه الحبوة سبباً لجلب النوم إليه فينام عن سماع الخطبة، والثاني: أنه ربما لو تحرك لبدت عورته، لأنه غالب لباس الناس فيما سبق الأزر والأردية، ولو تحرك أو انقلب لبدت عورته، وأما إذا أَمِن ذلك، فإنه لا بأس بها. لأن النهي إذا كان لعلة معقولة فزالت العلة فإنه يزول النهى)[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: اهمية خطبة الجمعة:

هذا يستنبط من النهى عن الاحتباء والإمام يخطب، نظراً لما قد تؤدي هذه الهيئة من الجلوس إلى النوم، فيفوت الاستماع إلى الخطبة، فيفوت المقصود من الاجتماع يوم الجمعة، "فالخطبة -كما يقول ابن القيم- يقصد بها: الثناء على الله وتمجيده والشهادة له بالوحدانية ولرسوله ﷺ بالرسالة، وتذكير العباد بأيامه وتحذيرهم من بأسه ونقمته، ووصيتهم بما يقربهم إليه وإلى جنابه، ونهيهم عما يقربهم من سخطه وناره، فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها"[2].

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالسعى إلى صلاة الجمعة عند النداء إليها، كما وبخ قوماً انصرفوا عن النبي ﷺ وهو يخطبهم، كل هذا يدل على أهمية الخطبة وصلاة الجمعة، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[3].

قال الطاهر بن عاشور: "جعل الله يوم الجمعة للمسلمين عيد الأسبوع فشرع لهم اجتماع أهل البلد في المسجد وسماع الخطبة ليعلموا ما يهمهم في إقامة شؤون دينهم

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٧١.

(٢) زاد المعاد ١/٣٩٨.

(٣) سورة الجمعة، الآيات: ٩-١١.

وإصلاحهم، قال القفال: لما جعل الله الناس أشرف العالم السفلى لم يخف عظم المنة وجلالة قدر موهبته لهم فأمرهم بالشكر على هذه الكرامة في يوم من الأيام السبعة ليكون في اجتماعهم في ذلك اليوم تنبيه على عظم ما أنعم الله به عليهم، ولكل أهل ملة معروفة يوم من الأسبوع معظّم، فلليهود يوم السبت، وللنصارى يوم الأحد وللمسلمين يوم الجمعة...

ولما جعل يوم الجمعة يوم شكر وتعظيم احتيج فيه إلى الاجتماع الذي تقع به شهرته، فجمعت الجماعات لذلك، واحتيج فيه إلى الخطبة تذكيراً بالنعمة وحثاً على استدامتها، ولما كان مدار التعظيم إنما هو على الصلاة، جعلت الصلاة لهذا اليوم وسط النهار ليتم الاجتماع ولم تجز هذه الصلاة إلا في مسجد واحد ليكون أدعى للاجتماع أ. هـ كلام القفال... والسعي: أصله الاشتداد في المشي وذكر الله فسر بالصلاة وفسر بالخطبة، بهذا فسره سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، قال أبو بكر بن العربي: "والصحيح أنه الجميع أوله الخطبة"[1]، قلت: وإيثار "ذكر الله"، هنا دون أن يقول: إلى الصلاة، كما قال: "فإذا قضيت الصلاة" لتتأتى إرادة الأمرين الخطبة والصلاة، وفيه دليل على وجوب الخطبة في صلاة الجمعة وشرطيته ... وجملة "وتركوك قائماً"، تفظيع لفعلهم إذ فرطوا في سماع وعظ النبي ﷺ أي تركوك قائماً على المنبر، وذلك في خطبة الجمعة، والظاهر أنها جملة حالية، أى ترك في حال الموعظة والإرشاد فأضاعوا علماً عظيماً بانفضاضهم إلى التجارة واللهو، وهذه الآية تدل على وجوب حضور الخطبة في صلاة الجمعة، إذ لم يقل: وتركوا الصلاة. وأمر الله نبيه ﷺ أن يعظهم بأن ما عند الله من الثواب على حضور الجمعة خير من فائدة التجارة ولذة اللهو، وكذلك ما أعد الله من الرزق للذين يؤثرون طاعة الله على ما يشغل عنها من وسائل الارتزاق، جزاء لهم على إيثارهم جزاء في الدنيا قبل جزاء الآخرة، فرب رزق لم ينتفع به الحريص عليه، وإن كان كثيراً، ورب رزق قليل ينتفع به صاحبه

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي ١٨٠٥/٤.

ويعود عليه بصلاح"[١].

وقال عبدالله البسام: "قال الشيخ عبدالرحمن السعدي: الشارع من حكمته ومحاسن شرعه شرع للمسلمين الاجتماعات لأنواع العبادات من الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة ومصلى العيد، ومشهد الحج في البقاع المقدسة، ففي هذه الاجتماعات من الحكم والأسرار ما يفوت الحصر فمنها:

١- إظهار دين الله تعالى وإعلاء كلمته.

٢- إظهار شعائر الإسلام وبيان جمالها.

٣- إظهار محاسن الإسلام وجمال تشريعاته.

٤- تعارف المسلمين وتآلفهم.

٥- التعرف على بلدانهم وأحوالهم وآمالهم وآلامهم.

٦- التشاور وتبادل الآراء النافعة.

٧- التعاون على الحق والتآزر على الدين.

٨- اجتماع كلمة المسلمين ووحدة صفهم، وتوحيد هدفهم نحو الخير.

وغير ذلك مما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾[٢].

فاجتماع المسلمين في عباداتهم خير وبركة وإصلاح وفلاح قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[٣].

اسأل الله تعالى أن يوحد كلمة المسلمين، ويأخذ بيدهم إلى السداد، وأن يجمع قلوبهم على الحق، وأن يعزهم بدينه فهو القادر على ذلك، وهو نعم المولى ونعم النصير"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٢٢٢/٢٨/١١-٢٣٠، بتصرف كبير.

(٢) سورة الحج، آية: ٢٨.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٤) توضيح الأحكام ٣١٨/٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على احترام مجلس العلم:

يجب على المتعلمين احترام مجلس العلم، ويقصد بمجلس العلم المفهوم الشامل لكل مكان يلقى فيه العلم، سواء جثا الطلاب على ركبهم بين يدي شيوخهم في حلقات تحفيظ القرآن الكريم، أو في دروس المساجد، أو جلسوا على المقاعد في الفصول الدراسية أو قاعات المحاضرات الجامعية، فكل تلك الأماكن تعد من مجالس العلم ما دام يذكر فيها اسم الله تعالى ويدرس فيها ما ينفع الطلاب والطالبات من العلوم المختلفة التي لها أثرها في حياتهم حيث تربطهم بالله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ.

وتكمن أهمية احترام مجلس العلم لأنه موضع تحفه الملائكة ويدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: ((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُم الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللهُ فيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ أَبْطأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))[1][2].

وخطبة الجمعة مجلس علم لجميع المسلمين الصغير والكبير، يقصد بها الثناء على الله وتمجيده، والشهادة له بالوحدانية، ولرسوله بالرسالة، وتذكير العباد بأيامه، وتحذيرهم من بأسه ونقمته، ووصيتهم بما يقربهم إليه، وإلى جنانه، ونهيهم عما يقربهم من سخطه وناره، فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها[3]، فهي مجلس علم نافع ينبغي الحرص على الاستماع لها والتيقظ إلى موضوعها، لذا نهى النبي ﷺ عن الاحتباء والإمام يخطب لأنه يجلب النوم فيفوت استماع الخطبة، وهذا يتنافى مع احترام مجلس العلم ويدل على ذلك حديث الباب عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه أن النبي ﷺ "نهى عن الحبوة يوم الجمعة والإمام يخطب" قال ابن القيم: (نهى ﷺ عن الاحتباء يوم

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٢) آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص ٧٢.

(٣) زاد المعاد، ابن القيم، ٣٩٨/١.

الجمعة، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى النوم)[١].

فعلى المسلم في جلوسه لسماع الخطبة أن يكون على هيئة تساعده على اليقظة والنشاط وأن يكون ملتزمًا بآداب مجلس العلم قال ابن جماعة في "تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم": وعلى الطالب أن يجلس بين يدي الشيخ جلسة الأدب كما يجلس الصبي بين يدي المقرئ، أو يجلس متربعًا بتواضع وخشوع ويصغي إلى الشيخ ناظراً إليه ويقبل بكليته عليه، متعقلاً لقوله، بحيث لا يحوجه إلى إعادة الكلام مرة ثانية، ولا يلتفت من غير ضرورة، ولا ينظر إلى يمينه أو شماله أو فوقه بغير حاجة، ولا يستند بحضرة الشيخ إلى حائط، ولا يعطي الشيخ ظهره أو جنبه، ولا يكثر التنحنح من غير حاجة، وإذا عطس خفض صوته وستر وجهه بمنديل أو نحوه، إذا تثاءب ستر فاه بعد رده جهده"[٢].

جمع ابن جماعة في هذه الوصايا ما فيه كفاية للمتعلمين والمتعلمات مما يجدر بهم فعله مع أساتذتهم ليتحقق المقصود من العملية التربوية بقيام كل من العالم والمتعلم بواجبه نحو الآخر خير قيام. ولنعلم أن جلوس الطالب في مجلس العلم له آداب كثيرة اقتبسها العلماء، من سنة المصطفى ﷺ ينبغي على طالب العلم تعلمها والالتزام بها سواء أكان طلب العلم في المساجد والمدارس أو المعاهد والجامعات أو أي مكان آخر يتلقى فيه العلم[٣].

ثانيًا - من أهداف التربية: تحصيل المسلم لثواب الجمعة كاملاً:

يوم الجمعة فضله عظيم للمسلمين، فقد فضله الله تعالى على باقي أيام الأسبوع، وهو العيد الأسبوعي للمسلمين، وفيه فريضة الجمعة، ولقاء الجمعة، وفيه ساعة إجابة، لا يصادفها مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له[٤]. وقد حرص النبي ﷺ على

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٦٢٤.

(٢) نقلًا عن آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص ٧٧.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٧٧-٧٩، وانظر: أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ٢٨٢-٢٨٥.

(٤) الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي، ص ٢٣.

تحصيل المسلم لثواب يوم الجمعة كاملاً فنهى ﷺ عن الحبوة يوم الجمعة والإمام يخطب؛ لأن الاحتباء يجلب النوم فيفوت استماع الخطبة، ويخاف انتقاض الوضوء، وضياع الثواب في هذا اليوم العظيم الذي له مزية على سائر الأيام، لأن الله تعالى جعل لأهل كل ملة يومًا يتفرغون فيه للعبادة، ويتخلون فيه عن أشغال الدنيا، فيوم الجمعة يوم عبادة، وهو في الأيام كشهر رمضان في الشهور، وساعة الإجابة كليلة القدر في رمضان، ولهذا من صح له يوم جمعته وسلم، سلمت له سائر جمعته، ومن صح له رمضان وسلم، سلمت له سائر سنته، ومن صحت له حجته وسلمت له، صح له سائر عمره، فيوم الجمعة ميزان الأسبوع، ورمضان ميزان العام، والحج ميزان العمر(١).

فعلى المربي بيان المعاني التربوية المهمة التي تدفع المسلم إلى الحرص على تحصيل ثواب الجمعة.



---

(١) زاد المعاد، ابن القيم، ١/٣٩٨.

٣١٣- باب نهي من دخل عَلَيْهِ عشر ذي الحجة وأراد أنْ يضحي عن أخذ شيء من شعره أوْ أظفاره حَتَّى يضحّي

الحديث رقم (١٧٠٨)

١٧٠٨- عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ، فَإذَا أَهَلَّ هِلاَلُ ذِي الحِجَّةِ، فَلاَ يَأخُذَنَّ من شَعْرِهِ وَلاَ مِنْ أظْفَارِهِ شَيْئاً حَتَّى يُضَحِّيَ)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

الذبح: ما يذبح من الأضاحي وغيرها من الحيوان[٢].

الشرح الأدبي

إن النبي ﷺ حريص على أمته، يأخذ بأيديهم إلى النجاة في ظل ما يتلقاه من الوحي، وما يؤمر به من تبليغ عن ربه عز وجل.

والنهي في هذا الحديث ليس نهياً يحرم الإنسان من متعة، ولكنه نهي يجلب للمسلم المغفرة والمثوبة، وزيادة الأجر؛ لأن الذي يضحي يغفر الله له، وتشمل المغفرة جميع أجزاء بدنه، ومن هنا كان حرص رسول الله على أن لا يزيل المضحي شيئاً من شعره أو أظفاره إلا بعد أن يذبح الأضحية أو الهدى، حتى يعم الثواب جميع أجزاء البدن، وتشمل المغفرة كل مكونات الإنسان المادية والمعنوية .

والحديث يبدأ بما يوحي بالاختيار وعدم الإلزام، فقال: "من كان له ذبح يذبحه"،

---

(١) برقم (٤٢/١٩٧٧).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم ١٢٥٧، والوسيط في (ذ ب ح).

وفي هذا التعبير إيجاز بالحذف، والتقدير "يريد ذبحه"، والجملة الثانية في الحديث تجيب على سؤال كامن في صدر كل سامع، وكأنه يقول: ماذا يفعل؟؟ ويجيب رسول الله ﷺ موضحاً الفعل المندوب فعله، وليس الواجب، وتجيء إجابته، في صيغة الشرط مرتبطة بزمان مبارك، وهو العشر الأوائل من ذي الحجة، وأفضل الأعمال تكون في هذه الأيام وتلك الليالي.

وتتضمن جملة الشرط بعض أسرار التعبير البلاغية التي تفصح عن بلاغة النبوة التي خضعت الأفكار لآيتها، وحُسرت العقول دون غايتها، ومن هذه الأسرار، أداة الشرط: "إذا"، وهي للتحقق، والإتيان بها في هذا السياق إيحاء من الرسول ﷺ لكل مسلم قادر بأن يضحي، فالأضحية خير وبركة، وتنفيذ للسنة المطهرة، ومن أسرار التعبير البلاغية بناء الفعل "أُهَّل"، للمجهول لأن كل مسلم يعتقد ويعلم يقيناً بأن الفاعل هو الله، فهو يصرف الليل والنهار، وبيده مقاليد الأمور.

والهلال: اسم للقمر ثلاثة أيام في أول الشهر، وسمي بذلك من باب اقتران ظهوره بالإهلال أي رفع الصوت عند رؤياه، والناس يفعلون ذلك فرحاً وابتهاجاً وشكراً لله على نعمه.

وجواب الشرط: اقترن بنون التوكيد الثقيلة، "فلا يأخذن" لمزيد من التذكير والتنبيه للحصول على الثواب والمغفرة، وعدم الأخذ ليس على الوجوب ولكنه للندب، وعلى الرغم من ذلك فالفعل يجيء مؤكداً للترغيب في ذلك، وللفوز بالمغفرة الشاملة التي يرجوها رسول الله لأمته التي يحبها ويحرص عليها، وهي خير أمة أخرجت للناس. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: نهي من أراد أن يضحي إذا دخل عليه عشر ذي الحجة أن يأخذ شيئاً من شعره، أو أظفاره حتى يضحي.

وقد اختلف الفقهاء في هذه المسألة على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه سعيد بن المسيب، وإسحاق[١]، وربيعة[٢]، والحنابلة في وجه عندهم[٣]، وبعض أصحاب الشافعي[٤]، ويرون أنه يحرم عليه إذا دخل ذو الحجة أن يأخذ شيئاً من شعره وأظفاره حتى يضحي.

واستدلوا على ذلك: بحديث الباب، وفيه النهي عن أخذ شيء مما ذكر، وظاهر النهي التحريم[٥].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه المالكية[٦]، وجمهور الشافعية[٧]، ووجه عند الحنابلة[٨] أن ذلك مكروهٌ وليس محرماً.

وحملوا النهي الوارد من الحديث على الكراهة، إذ أقل ما يحمل عليه النهي الكراهة[٩].

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الحنفية[١٠]، ويرون أنه لا يكره شيء من ذلك.

واستدلوا على ذلك: بأن المضحي لا يكره له شيء من الوطء، واللباس، فلا يكره له حلق الشعر وتقليم الأظافر، كما لم يرد أن يضحي[١١].

الترجيح: بعد عرض آراء الفقهاء أرى أن الراجح هو ما ذهب إليه أصحاب الرأي الثاني القائلين بالكراهة لورود النهي عن ذلك، وأقل ما يحمل عليه النهي الكراهة.

---

(١) المبدع ٣/٢٩٩، وشرح صحيح مسلم ٣/١٣٨، وعون المعبود ٧/٣٤٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ٣/١٣٨، وعون المعبود ٣/٢٩٩.

(٣) المحرر ١/٢٥١، والفروع ٣/٤٠٦، والمبدع ٣/٢٩٩.

(٤) عون المعبود ٧/٣٤٦.

(٥) المبدع ٣/٢٩٩، وشرح صحيح مسلم ٣/١٣٨.

(٦) التمهيد لابن عبدالبر ١٧/٢٣٤، ومواهب الجليل ٣/٢٤٤.

(٧) المهذب للشيرازي ١/٢٣٨، وشرح صحيح مسلم ١٣/١٣٨.

(٨) المحرر ١/٢٥١، وشرح العمدة ١/٣٩٢، والفروع ٣/٤٠٦، والمبدع ٣/٢٩٩.

(٩) المغني لابن قدامة ٩/٣٤٦، ومواهب الجليل ٣/٢٤٤.

(١٠) عون المعبود٧/٣٤٦.

(١١) المغني لابن قدامة ٩/٣٤٦.

ومن الجدير بالذكر، أنه يستوي في الكراهة أن يزيل شعره بحلق أو تقصير أو نتف، أو إحراق، أو أخذ بنورة، ويستوي في ذلك شعر الإبط والشارب، والعانة، والرأس، وغير ذلك من شعور البدن.

ولعل الحكمة من النهي: أن يبقى كاملَ الأجزاء ليعتق من النار[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الأضحية والترغيب فيها.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الآداب التي ينبغي للمضحي اتباعها عند دخول العشر الأول من ذي الحجة.

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الأضحية والترغيب فيها:

قال النبي ﷺ: "مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ"، قال النووي: (ذِبْح -هو بكسر الذال- أي حيوان يريد ذبحه فهو فِعْل بمعنى مفعول كحمل بمعنى محمول، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَهُ بِذِبْحٍ ﴾[2])[3]. وما أمر به الشرع وما ندب إليه فإن المسلم يعمله، سواء عرف الحكمة أم لا يعرف، لكنه قد يسأل سائل: ما الحكمة من الأضحية؟

جاء في الموسوعة الفقهية: "الأضحية عرفها اللغويون بتعريفين:

أحدهما: الشاة التي تذبح ضحوة، أى وقت ارتفاع النهار والوقت الذي يليه، وهذا المعنى نقله صاحب اللسان عن ابن الأعرابي. وثانيهما: الشاة التي تذبح يوم الأضحى. وهذا المعنى ذكره صاحب اللسان أيضاً.

أما معناها في الشرع: فهي ما يذكى تقرباً إلى الله تعالى في أيام النحر بشرائط مخصوصة، فليس من الأضحية ما يذكى[4] لغير التقرب إلى الله تعالى: كالذبائح التي

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٣٨.

(٢) سورة الصافات، آية: ١٠٧.

(٣) شرح صحيح مسلم ٧/ ١٣/ ١٥٠، .

(٤) التذكية: إزهاق روح الحيوان ليتوصل إلى حل أكله، فتشمل الذبح والنحر بل تشمل العقر أيضاً، كما لو شرد الثور أو البعير فطعن برمح أو نحوه مع التسمية ونيه التضحية، كما هو موضح في الذبائح، حاشية الموسوعة الفقهية، ٥/ ٧٤.

تذبح للبيع أو الأكل أو إكرام الضيف، وليس منها ما يذكى في غير هذه الأيام، ولو للتقرب إلى الله تعالى، وكذلك ما يذكى بنيه العقيقة عن المولود أو جزاء التمتع أو القران في النسك أو جزاء ترك واجب أو فعل محظور في النسك، أو يذكى بنية الهدى... والأضحية مشروعة إجماعاً بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[1]، قيل في تفسيره: صل صلاة العيد وانحر البُدْن[2].

وأما السنة فأحاديث تحكي فعله ﷺ لها، وأخرى تحكي قوله في بيان فضلها والترغيب فيها والتنفير من تركها.

فمن ذلك ما صح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: "ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ. ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ. وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا"[3].

وأحاديث أخرى منها قوله ﷺ: "من كان له سعة ولم يضح فلا يقربن مصلانا"[4].

وقد شرعت التضحية في السنة الثانية من الهجرة النبوية، وهي السنة التي شرعت فيها صلاة العيدين وزكاة المال.

وأما حكمة مشروعيتها فهي شكر الله تعالى على نعمة الحياة، وإحياء لسنة إبراهيم الخليل عليه السلام، حين أمره الله عز اسمه بذبح الفداء عن ولده إسماعيل عليه السلام، في يوم النحر. وأن يتذكر المؤمن صبر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وإيثارهما طاعة الله ومحبته على محبة النفس والولد – كانا سبب الفداء ورفع البلاء. فإذا تذكر المؤمن ذلك اقتدى بهما في الصبر على طاعة الله وتقديم محبته عز وجل على هوى النفس وشهوتها.

---

(١) سورة الكوثر، آية: ٢.

(٢) البدن: بضم الباء وسكون الدال، جمع بدنة. وهى الواحدة من الإبل ذكورها وإناثها، وسميت بذلك لضخامة بدنها، وربما أطلقت البدنة على الواحدة من كل من الإبل والبقر. حاشية الموسوعة الفقهية، ٧٥/٥.

(٣) أخرجه البخاري ٥٥٥٨، ومسلم ١٩٦٦.

(٤) أخرجه أحمد ٣٢١/٢ رقم ٨٢٧٣، وابن ماجه ٣١٢٣، من حديث أبي هريرة، وحسنة الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٥٣٢) لكن محققي المسند قالوا: إسناده ضعيف... وحسنه الألباني فأخطأ. وانظر تتمة تخريجه في مسند أحمد ٢٤/١٤.

وقد يقال: أى علاقة بين إراقة الدم وبين شكر المنعم عز وجل والتقرب إليه؟.

والجواب من وجهين:

أحدهما: إن هذه الإراقة وسيلة للتوسعة على النفس وأهل البيت وإكرام الجار والضيف، والتصدق على الفقير، وهذه كلها مظاهر للفرح والسرور بما أنعم الله به على الإنسان. وهذا تحدث بنعمة الله تعالى كما قال عز اسمه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[١].

ثانيهما: المبالغة في تصديق ما أخبر به الله عز وجل من أنه خلق الأنعام لنفع الإنسان وأذن في ذبحها ونحرها لتكون طعاماً له. فإذا نازعه في حل الذبح والنحر منازع تمويهًا بأنهما من القسوة والتعذيب لذي روح تستحق الرحمة والإنصاف، كان رده على ذلك أن الله عز وجل الذي خلقنا وخلق هذه الحيوانات، وأمرنا برحمتها والإحسان إليها. أخبرنا وهو العليم بالغيب أنه خلقها لنا وأباح تذكيتها، وأكد هذه الإباحة بأن جعل هذه التذكية قربة في بعض الأحيان"[٢].

ثانياً- الآداب التي ينبغي للمضحي اتباعها عند دخول العشر الأول من ذي الحجة:

وهذا واضح من الحديث، وله روايات عند مسلم: "إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحي فلا يمس من شعره وبشره شيئاً"[٣]. والبشرة: "ظاهر جلد الإنسان"[٤]. وفي رواية أخرى: "إذا دخل العشر وعنده أضحية يريد أن يضحي فلا يأخذن شعراً ولا يقلمن ظفراً"[٥]. وفي رواية "إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره"[٦].

وقال النووي: "قال أصحابنا: والمراد بالنهى عن أخذ الظفر والشعر والنهى عن إزالة

---

(١) سورة الضحى، آية: ١١.

(٢) الموسوعة الفقهية ٥/٧٤-٧٦.

(٣) صحيح مسلم ٣٩-١٩٧٧.

(٤) معجم لغة الفقهاء ٨٨.

(٥) صحيح مسلم ٤٠-١٩٧٧.

(٦) صحيح مسلم ٤١-١٩٧٧.

الظفر بقلم أو كسر أو غيره، والمنع من إزالة الشعر بحلق أو تقصير أو نتف أو إحراق أو أخذه بنورة[١] أو غير ذلك، وسواء شعر الإبط والشارب والعانة والرأس وغير ذلك من شعور بدنه. قال إبراهيم المروزي وغيره من أصحابنا: حكم أجزاء البدن كلها حكم الشعر والظفر ودليله الرواية السابقة: «فلا يمس من شعره وبشره شيئاً».

قال أصحابنا: والحكمة في النهي أن يبقى كامل الأجزاء ليعتق من النار، وقيل التشبه بالمحرم، قال أصحابنا: هذا غلط لأنه لا يعتزل النساء ولا يترك الطيب واللباس وغير ذلك مما يتركه المحرم"[٢].

لكن ابن القيم قال: "إن تحريم النساء والطيب واللباس أمر يختص بالإحرام، لا يتعلق بالضحية، وأما تقليم الظفر وأخذ الشعر فإنه من تمام التعبد بالأضحية، وقد تقدم حديث عبدالله بن عمرو أول الباب، وقوله ﷺ: "تأخذ من شعرك وأظفارك وتقص شاربك وتحلق عانتك، فتلك تمام أضحيتك عند الله عز وجل"[٣]. فأحبَّ النبي ﷺ توفير الشعر والظفر في العشر ليأخذه مع الضحية فيكون ذلك من تمامها عند الله. وقد شهد لذلك أيضاً أنه ﷺ شرع لهم إذا ذبحوا عن الغلام عقيقته، "أن يحلقوا رأسه"[٤]. "فدل على أن حلق رأسه مع الذبح أفضل وأولى"[٥].

---

(١) النورة: بضم النون وفتح الراء، حجر كلسي يطحن ويخلط بالماء ويطلى به الشعر فيسقط. معجم لغة الفقهاء، ص ٤٦٠.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٥٠/١٣/٧، قلت: والمسألة فيها خلاف بين الفقهاء، انظر: التمهيد لابن عبدالبر ٢٥٨/١٠-٢٦٢، موسوعة شروح الموطأ. والمفهم للقرطبي المحدث، ٣٨٢/٤، وسبل السلام ٨٦٩، ط بيت الأفكار الدولية، والموسوعة الفقهية ٩٥/٥.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٧٨٩، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٥٩٥).

(٤) أخرجه أبو داود ٢٨٣٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٢٤٦٢).

(٥) تهذيب السنن ٩٩/٤، وانظر شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ١٧٧١/٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالتوجيه المباشر:

التربية بالتوجيه المباشر وسيلة من وسائل التربية الهامة، وهي طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين[1].

ويظهر هذا الأسلوب في هذا الباب في توجيه النبي ﷺ المباشر لمن دخل عليه عشر ذي الحجة وأراد أن يضحي بعدم أخذ شيء من شعره أو أظفاره حتى يضحي، فقال ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ فَإِذَا أَهَلَّ هِلاَلُ ذِي الحِجَّةِ فَلاَ يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعْرِهِ وَلاَ مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا حتى يُضَحِّيَ».

وأسلوب التوجيه المباشر من وسائل التربية المفيدة خاصة في مخاطبة عقل الطفل، وتبيين الحقائق له، وترتيب المعلومات الفكرية ليحفظها مع فهمها، مما يجعل الطفل أشد قبولاً، وأكثر استعداد للتلقي، وهكذا علمنا رسول الله ﷺ أن نتوجه إلى الطفل في كثير من المناسبات بالخطاب المباشر بصراحة ووضوح.

ومن ذلك حديث ابن عباس الذي قال فيه: ««كُنْتُ خَلْفَ النبيِّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلاَمُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كِلِمَاتٍ...»[2].

فالرسول ﷺ يباشر إلى الموضوع الذي يريده، فيقول للطفل الناشئ: «إني أعلمك» فالرسول ﷺ يعلم الطفل «كلمات» مختصرة مفيدة، لا طول فيها، ولا ملل، وهذا انسجام مع طبيعة الطفل الفكرية، التي تتطلب الكلمات القصيرة، الموجزة الجامعة، الغنية بالمعاني والأفكار.

وإذا تأملنا في طبيعة الكلمات التي وجهها الرسول ﷺ وجدناها تشكل للطفل قواعد فكرية، عقدية أساسية في حياته الحاضرة، وفي شبابه المرتقب بعد حين، فلنقرأ هذه الكلمات، ونشاهد:

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د/زياد محمود العاني، ص٢٨٤.

(٢) أخرجه الترمذي، ٢٥١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٠٤٣).

«احْفَـظِ الله يَحْفَظْـكَ، احْفَـظِ الله تجِـدْهُ تجاهَـكَ، إذَا سَـأَلْتَ فَاسْـأَلِ الله، وَإذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله، وَاعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَإنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُف»[١].

أرأيت إلى جمال هذا الخطاب المباشر الذي ابتدأ في شدّ انتباه الطفل بكلمة «يا غلام» التي تثير انتباه الطفل، وتشعره بنشوة اهتمام الآخرين به، مثلما يشعر الشباب عند ما يسمعون النداء «يا شباب».

ثم هل رأيت بيانًا جامعًا شاملاً، يخاطب عقل الطفل من هذا الخطاب؟ وهل قرأت، أو سمعت مثل هذه القواعد الكلية التي تؤسس فكر وعقل الطفل، لتكون مرتكزًا له في مواجهة الحياة؟.

كذلك فإن الرسول ﷺ ليرشد الطفل بخطابه المباشر إلى طريقة عملية، ليتخلص من أدران أمراض القلب كالحسد، والبغضاء، والحقد، والكيد، وذلك بتسلسل فكري عجيب[٢].

ويرى المربون أن في أسلوب التوجيه المباشر مجالاً كبيرًا للمعلمين في تنشئة طلابهم على ما فيه خيرهم وصلاحهم وتوجيههم إلى ما فيه رقي مجتمعهم وأمتهم، ومن المفيد أن يبتعد المعلمون في نصحهم وعظاتهم عن أسلوب الأوامر والنواهي، وعليهم استخدام الذكاء واللباقة في النصح والإرشاد حتى لا ينفروا المتعلمين[٣].

۞ ۞ ۞

---

(١) نفس الحديث السابق.

(٢) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د/عبدالباسط محمد السيد، ص٩٧، ٩٨.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، د/محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٤.

٣١٤- باب النهي عن الحلف بمخلوق

كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان والأمانة، وهي من أشدها نهياً

الحديث رقم (١٧٠٩)

١٧٠٩- عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: **((إنَّ الله تَعَالَى يَنْهَاكُمْ أنْ تَحْلِفُوا بِآبائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفاً، فَلْيَحْلِفْ باللهِ، أَوْ لِيَصْمُتْ))** متفق عَلَيْهِ[1].

وفي رواية في الصحيح[2]: **((فَمَنْ كَانَ حَالِفاً فَلاَ يَحْلِفْ إلاَّ باللهِ، أَوْ لِيَسْكُتْ))**.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن المسلم محاط بسياج نوراني متوهج بالتوجيهات الإلهية، والبشارات النبوية، ومحدد بالمعالم التي تؤطر السلوك الإسلامي، قولاً وفعلاً واستقبالاً للأحداث، وتناغماً معها أو رفضاً لها في ظل هذه المعالم التي أوصى بها رسول الله ﷺ ومن هذه المعالم: أن لا يحلف المسلم بغير الله، وأن لا يقسم بمخلوق حتى ولو كان له فضل ومزية عند خالقه، كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء.

ولأهمية هذا المعلم من معالم السلوك الإسلامي، يبدأ الحديث بالتأكيد بـ"إن"، واسمها "لفظ الجلالة" (الله) الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وقوله "تعالى": في هذا

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٨) واللفظ له، ومسلم (١٦٤٦/٣).

(٢) لم أقف عليه في الصحيح بهذا اللفظ، وإنما عند مسلم بعد حديث (١٦٤٦/٤، بدون رقم) بلفظ: (من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله، وكانت قريش تحلف بآبائها، فقال: لا تحلفوا بآبائكم). وأخرجه أبوداود (٣٢٤٤) عن ابن عمر، عن عمر مرفوعًا بلفظ: (فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليسكت).

السياق يرشد إلى أن الله هو الكبير المتعالي، فقد تعالى شأنه، وجل قدره، وفي ذلك إشارة إلى أنه وحده الذي يُحلف به ولا سواه، فغيره مخلوق عاجز. وهو الخالق القوي القاهر القادر الاستمرار، وخبر "إن" جملة فعلية فعلها مضارع يتوهج بدلالة الاستمرار وعدم الانقطاع، فالنهي مستمر عن الحلف بغير الله، واقتران أداة الخطاب الدالة على الجمع بالفعل ينهى مع الفاعل المستتر "المعلوم" وهو الله يضاعف من تأكيد النهي؛ لأن الناهي هو الله والنهي للوجوب.

وقوله: "أن تحلفوا"، مصدر مؤول: والتقدير: "عن الحلف بآبائكم"، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى: فالمصدر المؤول، يوحي بثقل هذا الفعل المخالف المُحَرَّم، وهو "الحلف بالآباء"، وصيغة المضارع فيها إيحاء بـ"أن" الزمن لا ينقطع، وبأن عدم الحلف بالآباء أو بغيرهم من المخلوقات يجب أن يكون سلوكاً مستمراً وملازماً للمسلم الملتزم بتعاليم الشرع، وثوابت العقيدة في كل وقت وحين.

الجملة الأخيرة في الحديث تضع القاعدة الواجب اتباعها في ظلال المنهج الإسلامي، وهي جملة شرطية: تجيب على تساؤل ينشأ في نفس المتلقي، وبماذا يكون الحلف؟؟

وقول رسول الله تحمل دلالة الاختيار.. لأن عدم الحلف أولى، أما إذا اضطر الإنسان إلى ذلك فالمنهج الصحيح هو: "فمن كان حالفاً فليحلف بالله: أو ليصمت وفي رواية: "أو ليسكت"، واللام في جواب الشرط للأمر، والأمر للوجوب: لأن الحلف بغير الله حرام، وربما يؤدي إلى الكفر، نسأل الله المغفرة والاهتداء إلى الصراط المستقيم، والمنهج القويم. آمين.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: حكم الحلف بالآباء، وغيرهم من المخلوقين(١) على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه بعض المالكية(٢)، وبعض الحنابلة(٣)، ويرون أن

---

(١) هذا إذا لم يحلف بملة غير الإسلام، أو بشيء من المعبودات سوى الله، كاللات والعزى ونحو ذلك، أما إذا حلف بهذه الأشياء فلا خلاف في التحريم، بل إن اعتقد تعظيم هذه الأشياء فإنه يكفر. انظر: الفواكه الدواني ١/٤٠٩، ومواهب الجليل ٣/٢٦٤.

(٢) الفواكه الدواني ١/٤٠٩، ومواهب الجليل ٣/٢٦٤.

(٣) المبدع ٩/٢٦٢، ٢٦٣، ومنار السبيل ٢/٣٨٤.

الحلف بغير الله حرام.

واستدلوا بالنهي الوارد في أحاديث الباب.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أحلف بغيره صادقاً)[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (لأن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك)[٢].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الحنفية[٣]، وبعض المالكية[٤]، والشافعية[٥] وبعض الحنابلة[٦]، ويرون أن الحلف بغير الله مكروه.

وحملوا النهي الوارد في الحديث على الكراهة.

الترجيح:

ولعل الأظهر من القولين التحريم، وذلك للنهي الوارد في أحاديث الباب، وهو يقتضي التحريم، ولا قرينة تصرفه إلى الكراهة.

المضامين الدعوية[٧]

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهى عن الحلف بغير الله عز وجل.

ثانياً: من آداب المدعو: إفراد الله جلّ وعَلا بالتعظيم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الحلف بالبراءة من الإسلام.

---

(١) انظر: المبدع ٢٦٣/٩، وقد نقل ذلك عن ابن عمر رضي الله عنه أيضاً، وليس بهذه المقولة الترخيص في الحلف بالله كاذباً، وإنما مراده المبالغة في النهي عن الحلف بغير الله. انظر: المبسوط للسرخسي ٢١٥/٣٠.

(٢) انظر في نقل ذلك عنه: المبدع ٢٦٣/٩.

(٣) المبسوط للسرخس ٢٤/١٧، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٣٠١/٤، والبدائع ٨/٣.

(٤) مواهب الجليل ٢٦٤/٣، وكفاية الطالب الرباني ٢٤/٢، والفواكه الدواني ٤٠٩/١.

(٥) المهذب ٢٩/٢، ومغني المحتاج ٣٢٠/٤.

(٦) المبدع ٢٦٢/٩-٢٦٣، ومنار السبيل ٣٨٤/٢، والكافي فقه الإمام أحمد ٣٧٦/٤.

(٧) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٠٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧١٠، ١٧١١، ١٧١٢، ١٧١٣).

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الحلف بغير الله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهى عن الحلف بغير الله عز وجل:

هذا واضح من هذه الأحاديث: فمنها: "إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت، وفي رواية "من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت"، وقوله ﷺ: " لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم".

قال ابن هبيرة: "والسر في ذلك أن الحالف يحلف لغيره على قول يقوله له ليصدقه، أو ليعزم هو على نفسه باليمين ليثبت عليها، وذلك إنما يتم له المقصود فيه إذا حلف بأعز الأشياء عنده، فإذا حلف بغير الله فقد قال بلسان حاله: إن هذا الذي حلفت به أعز عندي من ربي عز وجل، والمؤمن أعز الأشياء في قلبه ربه عز وجل. فكيف يحلف بغيره لمن يريد أن يصدقه في يمينه؟!"[١].

قال ابن حجر: "قال العلماء: السر في النهى عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة إنما هى لله وحده...، وفي الحديث من الفوائد الزجر عن الحلف بغير الله، وإنما خص في حديث عمر بالآباء لوروده على السبب المذكور، أو خص لكونه كان غالباً عليه، ... ويدل على التعميم قوله: "من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله"[٢]، يقول ابن القيم عن حقيقة الأيمان والنذور: "الأيمان والنذور عقود يعقدها العبد على نفسه يؤكد بها ما ألزم به نفسه من الأمور بالله ولله، فهى تعظيم للخالق ولأسمائه ولحقه وأن تكون العقود به وله، وهذا غاية التعظيم فلا يعقد لغير اسمه ولا بغير القرب إليه، بل إن حلف فباسمه تعظيماً وتبجيلاً وتوحيداً وإجلالاً، وإن نذر فله توحيداً وطاعة ومحبة وعبودية، فيكون هو المعبود وحده والمستعان به وحده"[٣].

"وكان الناس في الجاهلية يحلفون بالله وبمعبوداتهم كاللات والعزى، وبما يعظمونه من المخلوقات مما لا يعبدون كالآباء والأمهات والكعبة وبما يحمدونه من

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٠٥/١.

(٢) فتح الباري ٥٣٣/١١.

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ٥/٢.

الأخلاق كالأمانة، وفي صدر الإسلام بطل تعظيمهم للأصنام ونحوها مما كانوا يعبدونه من دون الله، فبطل حلفهم بها إلا ما كان سبق لسان، واستمر حلفهم بما يحبونه ويعظمونه من المخلوقات، فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك وأمرهم بالاقتصار على الحلف بالله تعالى"[1].

كما جاء في الموسوعة الفقهية: "إن صيغة اليمين بحرف القسم وما يقوم مقامه[2] تتحصر شرعاً في اليمين بالله. فالحلف بغيره بحرف القسم وما يقوم مقامه لا يعتبر يميناً شرعية، ولا يجب بالحنث فيه كفارة، ومن أمثلته: أن يحلف الإنسان بأبيه أو بابنه أو بالأنبياء أو بالملائكة عليهم السلام أو بالعبادات، كالصوم والصلاة، أو بالكعبة أو بالحرم، أو بزمزم، أو بالقبر والمنبر أو غير ذلك من المخلوقات، سواء أتى الحالف بهذه الألفاظ عقب حرف القسم أم أضاف إليها كلمة "حق" أو "حرمة"، أو نحو ذلك، وسواء أكان الحلف بحرف من حروف القسم أم بصيغة ملحقة بما فيه من هذه الحروف، مثل لعمرك ولعمري وعمرك الله[3]، وعلى عهد رسول الله لأفعلن كذا. وقد ورد النهى عنه في عدة أحاديث: منها قوله ﷺ: من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله..."[4].

"إنما نهى النبي ﷺ عن الحلف بالآباء لما فيه من تعظيمهم بصيغ الأيمان؛ لأن العادة جارية بأن الحالف منا إنما يحلف بأعظم ما يعتقده. وإذا كان ذلك:فلا أعظم عند المؤمن من الله تعالى. وإنما جرى ذكر الآباء هنا لأنه هو السبب الذي أثار الحديث حين سمع النبي ﷺ عمر يحلف بأبيه. وقد شهد لهذا المعنى قوله: "من كان حالفاً فلا

(١) الموسوعة الفقهية ٢٤٧/٧.

(٢) حروف القسم هى: الباء والواو والتاء. أما الباء فهي الأصل مثالها: أقسم بك يارب لأفعلن كذا. وتليها الواو وتليها التاء ولا تدخل إلا على لفظ الجلالة... ويقوم مقام باء القسم حروف أخرى وهى الهاء والهمزة واللام، أما الهاء فمثالها: ها الله بفتح الهاء ممدودة ومقصورة أما الهمزة: فمثالها: آلله، وأما اللام فقد أفاد صاحب البدائع، أن من قال "لله" بلام الجر بدل الباء، كانت صيغته يميناً. الموسوعة الفقهية، ٢٥٣/٧.

(٣) العمر في هذا المثال معناه: اعتقاد بقاء الله. فقول القائل: عمرك الله. معناه أحلف باعتقادك أن الله عز وجل باق، ولا شك أن الاعتقاد صفة للمخاطب وليس صفة لله تعالى. حاشية الموسوعة الفقهية، ٢٦٤/٧.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٦٣/٧-٢٦٤.

يحلف إلا بالله" وهذا حصر، وعلى ما قررناه فظاهر النهي التحريم. ثم هذا النهي وإن كان ظاهره التحريم فيتحقق فيما إذا حدث بملة غير الإسلام، أو بشيء من المعبودات دون الله تعالى، أو ما كانت الجاهلية تحلف به كالدُمي[1]، والدماء، والأنصاب. فهذا لا يشك في تحريمه. وأما الحلف بالآباء، والأشراف، ورؤوس السلاطين، وحياتهم ونعمهم وما شاكل ذلك فظاهر هذا الحديث يتناولهم بحكم عمومه، ولا ينبغي ان يختلف في تحريمه. وأما ما كان معظماً في الشرع مثل: والنبي ﷺ، والكعبة، والعرش، والكرسي، وحرمة الصالحين: فأصحابنا يُطلقون على الحلف بها الكراهة. وظاهر الحديث وما قدمناه من النظر في المعنى يقتضي التحريم. والله تعالى أعلم. فإن قيل: كيف يحكم بتحريم الحلف بالآباء والنبي ﷺ قد حلف بذلك لما قال: "أفلح وأبيه إن صدق"؟، وكيف يُحكم بتحريم الحلف بغير الله وقد أقسم الله تعالى بغيره فقال: "والضحى"، "والشمس"، "والعاديات"، "والنازعات"، وغير ذلك مما في كتاب الله تعالى من ذلك؟ فالجواب:

أما عن قوله ﷺ: "أفلح وأبيه": فقد تقدم في الإيمان[2]. وحاصله: أن ذلك يحتمل أن يكون صدر منه قبل أن يوحى إليه بهذا النهي. ويحتمل أن يكون جرى هذا على لسانه من غير قصد للحلف به، كما يجري في لغو اليمين؛ الذي هو": لا والله، بلى والله.

وأما عن قسم الله تعالى بتلك الأمور فمن وجهين:

أحدهما: أن المقسم به محذوف. تقديره: ورب الضحى. ورب الشمس، ونحو ذلك. قاله أكثر أئمة المعاني.

وثانيهما: أن الله تعالى يقسم بما يريد كما يفعل ما يريد، إذ لا حكم عليه، ولا حاكم فوقه، ونحن المحكوم عليهم، وقد أبلغنا حكمه على لسان نبيه ﷺ فقال: "من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"، و "من كان حالفاً فلا يحلف

(١) قال محققو المفهم: في حاشية إحدى النسخ: الدمي: جمع دمية، وهو الصنم. قاله الجوهري.
(٢) أخرجه مسلم ١١.

إلا بالله". فيجب الانقياد، والامتثال لحكم ذي العزة والجلال.

"وقوله: "من كان حالفاً فليحلف بالله" لا يفهم منه قصر اليمين والجائزة على الحلف بهذا الاسم فقط، بل حكم جميع أسماء الله تعالى حكم هذا الاسم. فلو قال: والعزيز، والعليم، والقادر، والسميع، والبصير؛ لكانت يميناً جائزة. وهذا متفق عليه. وكذلك الحكم في الحلف بصفات الله تعالى. كقوله: وعزة الله، وعلمه، وقدرته، وما أشبه ذلك مما يتمحض فيه الصفة لله تعالى، ولا ينبغي أن يختلف في هذا النوع أنها أيمان كالقسم الأول. وأما ما يضاف إلى الله تعالى مما ليس بصفة له كقوله: وخلق الله، ونعمته، ورزقه، وبيته: فهذه ليست بأيمان جائزة، لأنه حلف بغير الله عز وجل. على ما تقدم. وبين هذين القسمين قسم آخر متردد بينهما، فاختلف فيه لتردده، كقوله: وعهد الله، وأمانته، وكفالته، وحقه. فعندنا: أنها أيمان ملحقة بالملحق بالقسم الأول؛ لأنها صفات. وعند الشافعي: ليست بأيمان. ورأى: أنها من القسم الثاني"[١].

ثانياً- من آداب المدعو: إفراد الله جل وعلا بالتعظيم:

هذا واضح من النهي عن الحلف بالآباء، وعدم جواز الحلف إلا بالله. قال ابن حجر: "قال المهلب: كانت العرب تحلف بآبائها وآلهتها، فأراد الله نسخ ذلك في قلوبهم لينسيهم ذكر كل شيء سواه ويبقى ذكره، لأنه الحق المعبود فلا يكون اليمين إلا به، والحلف بالمخلوقات في حكم الحلف بالآباء"[٢]. وقد ورد عن الصحابة رضي الله عنهم استنكار الحلف بغير الله تعالى، قال ابن تيمية[٣]: وقال عبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلى من أن أحلف بغير الله صادقاً"[٤].

---

(١) المفهم ٦٢١٠٦٢٣/٥.

(٢) فتح الباري ٥٣٥/١١.

(٣) مجموع الفتاوى ١٥٠/١ ط العبيكان، ٢٠٤/١ ط ابن قاسم.

(٤) أخرجه عبدالرزاق ١٥٩٢٩ من طريق وبرة قال: قال عبدالله - لا ادري ابن مسعود أو ابن عمر- لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقاً.

وقال عبدالله بن الزبير: إن عمر قال له: وقد سمعه يحلف بالكعبة: لو أعلم أنك فكرت فيها قبل أن تحلف لعاقبتك، احلف بالله فأثم أو ابرر[١].

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ يقول: قال لي رسول الله ﷺ: إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم. قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي ﷺ ذاكراً ولا آثراً[٢].

قال القرطبي: أي لم يقع مني الحلف بها ولا تحدثت بالحلف بها عن غيري. وأثرت الحديث: نقلته عن غيرك"[٣].

ولأجل إفراد الله بالتعظيم والإجلال، نهى النبي ﷺ عن الحلف بالأمانة، فقال: "من حلف بالأمانة فليس منا"، قال الطيبي: قال القاضي البيضاوي: "أى من ذوي أسوتنا بل هو من المتشبهين بغيرنا، فإنه من ديدن أهل الكتاب، ولعله أراد به الوعيد عليه، فإنه حلف بغير الله"[٤]. قال الخطابي: "هذا يشبه أن تكون الكراهية فيها من أجل أنه إنما أمر أن يحلف بالله وبصفاته، وليست الأمانة من صفاته، وإنما هى أمر من أمره. وفرض من فروضه فنهوا عنه، لما في التسوية بينها وبين أسماء الله عز وجل وصفاته"[٥].

وقال ابن الأثير: "والأمانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والأمان"[٦].

وكذلك من أجل تعظيم الله وإفراده بالإجلال أمر النبي ﷺ من حلف باللات والعزى أن يقول لا إله إلا الله، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق"[٧].

---

(١) المحلى: ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ٤٥٦هـ، اعتنى به حسان عبدالمنان، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ص ١٠٦، وعزاه لعبد الرزاق في مصنفه.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٤٧، ومسلم ١٦٤٦.

(٣) المفهم ٥/٦٢٣.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ٧/٢٧.

(٥) معالم السنن ٤/٣٥٨.

(٦) النهاية في غريب الحديث ٤٨.

(٧) أخرجه البخاري ٦٦٥٠، ومسلم ١٦٤٧.

قال النووي: "إنما أمر بقول: لا إله إلا الله، لأنه تعاطى تعظيم صور الأصنام حين حلف بها"[١]. وقال البغوى: "فيه دليل على أنه لا كفارة على من حلف بغير الإسلام، بل يأثم به ويلزمه التوبة، لأنه جعل عقوبته في دينه، ولم يوجب في ماله شيئاً، وإنما أمره بكلمة التوحيد، لأن اليمين إنما تكون بالمعبود، فإذا حلف باللات والعزى فقد ضاهى الكفار في ذلك، فأمر بأن يتداركه بكلمة التوحيد"[٢].

وقال الطيبي: "إنما قرن القمار بذكر الأصنام تأسياً بالتنزيل في قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ ﴾[٣]، فمن حلف بالأصنام فقد أشرك بالله في التعظيم، فوجب تداركها بكلمة التوحيد[٤]، ومن دعا إلى المقامرة وافقهم في لعبهم فأمر بكفارة ذلك بالتصدق"[٥].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث ما يدل على أن الكفارات تكون لها مناسبة بالخطايا؛ فإنه لما حلف بيمين تتضمن إثبات آلهة كانت كفارته نفي ما حلف به وإثبات التوحيد لله عز وجل، ولما كانت الخطيئة الثانية من حيث طلب المال بوجه حرام، وهو القمار، كانت الكفارة بإخراج شيء من المال، فكانت الحسنة المالية ماحية أثر الأمنية المالية"[٦].

وقال ابن قدامة: "إن من حلف بغير الله فقد عظم غير الله تعظيماً يشبه تعظيم الرب تبارك وتعالى، ولهذا سمي شركاً، لكونه أشرك غير الله مع الله تعالى في تعظيمه بالقسم به فيقول: لا إله إلا الله توحيداً لله تعالى وبراءة من الشرك"[٧].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١١١/١١/٦، .

(٢) شرح السنة ١٠/١٠.

(٣) سورة المائدة، آية: ٩٠.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ٢١/٧.

(٥) فتح الباري ٥٣٧/١١، وقد تصرف ابن حجر في عبارة الطيبي في شرح المشكاة، ١٢/٧، فنقلتها بتصرف ابن حجر.

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٢٥/٦.

(٧) المغنى ٤٣٨/١٣.

ويقول ابن القيم عن تعظيم الله عز وجل: "من أعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير لك من الناس وقلبك خال من تعظيم الله وتوقيره، فإنك توقر المخلوق وتجعله أن يراك في حال لا توقر الله أن يراك عليها، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[1]، أي لا تعاملونه معاملة من توقرونه. والتوقير: العظمة، ومنه قوله تعالى ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾[2]، قال الحسن: "ما لكم لا تعرفون لله حقاً ولا تشكرونه؟"، وقال مجاهد: لا تبالون عظمة ربكم، وقال ابن زيد: لا ترون لله طاعة، وقال ابن عباس: لا تعرفون حق عظمته. وهذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم لو عظموا الله وعرفوا حق عظمته- وحّدوه وأطاعوه وشكروه. فطاعته سبحانه واجتناب معاصيه والحياء منه بحسب وقاره في القلب. ولهذا قال بعض السلف: ليعظم وقار الله في قلب أحدكم أن يذكره عندما يستحيي من ذكره. فيقرن اسمه به كما تقول: قبح الله الكلب والخنزير والنتن ونحو ذلك، فهذا من وقار الله.

ومن وقاره أن لا عدل به شيئاً من خلقه لا في اللفظ بحيث يقول: والله وحياتك، ما لي إلا الله وأنت، وما شاء الله وشئت.

ولا في الحب والتعظيم والإجلال، ولا في الطاعة، فتطيع المخلوق في أمره ونهيه كما تطيع الله، بل أعظم، كما عليه أكثر الظلمة والفجرة، ولا في الخوف والرجاء، ويجعله أهون الناظرين إليه، ولا يستهين بحقه ويقول: هو مبني على المسامحة ولا يجعله على الفضلة ويقدم حق المخلوق عليه، ولا يكون الله ورسوله في حد وناحية، والناس في ناحية وحدٌ. فيكون في الحد والشق الذي فيه الناس دون الحد والشق الذي فيه الله ورسوله، ولا يعطي المخلوق في مخاطبته قلبه ولبه، ويعطي الله في خدمته بدنه ولسانه دون قلبه وروحه، ولا يجعل مراد نفسه مقدماً على مراد ربه. فهذا كله من عدم وقار الله في القلب، ومن كان كذلك فإنه الله لا يلقى له في قلوب الناس وقاراً ولا هيبة، بل

---

(١) سورة نوح، آية: ١٣.

(٢) سورة الفتح، آية: ٩.

يسقط وقاره وهيبته من قلوبهم، وإن وقّروه مخافة شره فذلك وقار بغض لا وقار حب وتعظيم، ومن وقار الله أن يستحيي من اطلاعه على سره وضميره فيرى ما يكره، ومن وقاره أن يستحي منه في الخلوة أعظم مما يستحيى من أكابر الناس"[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الحلف بالبراءة من الإسلام:

هذا واضح من حديث بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من حلف فقال إني بريء من الإسلام فإن كان كاذباً فهو كما قال، وإن كان صادقاً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً. قال الخطابي: "فيه دليل على أن من حلف بالبراءة من الإسلام فإنه يأثم ولا يلزمه الكفارة، وذلك لأنه إنما جعل عقوبتها في دينه ولم يجعل في ماله شيئاً"[٢].

وصورة الترهيب من الحلف بالبراءة من الإسلام جاءت في الموسوعة الفقهية[٣] تحت: تعليق الكفر من أقسام اليمين التعليقية: وهو أن يعلق الكفر على ما لا يريده الإنسان بقصد تأكيد المنع منه أو الحث على نقيضه أو الإخبار بنقيضه. ومن أمثلة الكفر المعلق على الشرط: أن يخبر الإنسان عن نفسه أنه إن فعل كذا أو إن لم يفعل كذا أو إن حصل كذا، أو إن لم يحصل كذا، أو إن لم يكن الأمر كذلك. فهو يهودي أو نصراني أو مجوسي أو كافر أو شريك الكفار أو مرتد، أو بريء من الله أو من رسول الله أو من القرآن أو كلام الله أو الكعبة أو القبلة أو بريء مما في المصحف أو بريء مما في هذا الدفتر إذا كان في الدفتر شيء من القرآن ولو البسملة، أو بريء من المؤمنين أو من الصلاة أو الصيام أو الحج. ومنها أن يخبر عنه نفسه أنه يعبد الصليب أو يستحل الخمر أو الزنى إن لم يفعل ذلك[٤].

وقد ذكر ابن عثيمين صورة لحديث بريدة رضي الله عنه فقال ما محصله: "قال رجل: إن

---

(١) الفوائد ٢٦٧-٢٦٨.

(٢) معالم السنن ٣٥٨/٤.

(٣) انظر المجلى في الفقه الحنبلي: د. محمد سليمان عبدالله الأشقر، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٥١٧/٢، ٥١٨.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٧٢/٧-٢٧٥.

فلاناً قدم اليوم، وصل اليوم وكان مسافراً. فقال له صاحبه: لا ما وصل. قال الأول: هو يهودي إن كان لم يقدم. "أى إن الأول: قال: أنا يهودي إن كان لم يقدم"، فإن كان لم يقدم وكان القائل كاذباً" فهو كما قال عن نفسه: "أنا يهودي". وإن قدم المسافر وصدق كلام القائل فإنه لن يرجع إلى الإسلام سالماً"[١].

وقد ورد كذلك التحذير من الحلف بملة غير الإسلام فقد قال النبي ﷺ: "من حلف بملة سوى الإسلام كاذباً متعمداً فهو كما قال"[٢]. قال ابن حجر: "الملة بكسر الميم وتشديد اللام: الدين والشريعة، وهى نكرة في سياق النفى فتعم جميع الملل من أهل الكتاب كاليهودية والنصرانية، ومن لحق بهم من المجوسية[٣] والصائبة[٤] وأهل الأوثان والدهرية[٥] والمعطلة[٦]، وعبدة الشياطين والملائكة وغيرهم"[٧]. قال الطيبي: قال البيضاوي: الحلف بغير الإسلام مثل أن يقول الرجل: إن فعل كذا فهو يهودي أو بريء من الإسلام"، وقوله: "فهو كما قال": ظاهره أنه يختل بهذا الحلف إسلامه، ويصير كما قال: ويحتمل أن يعلق ذلك بالحنث، لما روى بريدة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: "من قال: إني بريء من الإسلام، فإن كان كاذباً فهو كما قال. وإن كان صادقاً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً"، ولعل المراد به التهديد والمبالغة في الوعيد، لا الحكم بأنه صار يهودياً أو بريئاً من الإسلام. وكأنه قال: فهو مستحق لمثل عذاب ما قال، ونظيره قوله ﷺ:

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين ١٧٧٣/٢، وقد تصرفت في العبارة لزيادة الإيضاح والفهم.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٦٣، ومسلم ١١٠.

(٣) المجوس، قوم يعبدون النار والشمس والقمر. معجم لغة الفقهاء، ٣٧٧.

(٤) قوم يقولون إن نبيهم يحيى عليه السلام ويؤمنون بالإله الواحد الذي له ثلاثمائة وستون شخصاً يفعلون فعل الإله كالبرق والمطر، وأن الكواكب مسكن الملائكة. ولذلك فإنهم يعظمونها ولهم صلاة خاصة يؤدونها في اليوم ثلاث مرات. عند طلوع الشمس وعند استوائها وعند غروبها. معجم لغة الفقهاء ٢٤٠.

(٥) الدهرى: الذي ينكر اليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وثواب وعقاب، معجم لغة الفقهاء ١٨٨.

(٦) التعطيل: هو نفي صفات الله تعالى، كمن زعم أن الله تعالى لا يتصف بصفة. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ٧٨.

(٧) فتح الباري ٥٣٧/١١-٥٣٨.

"من ترك صلاة فقد كفر"[١]، أي استوجب عقوبة من كفر"[٢].

وقال النووي: "فيه بيان غلظ تحريم الحلف بملة غير الإسلام كقوله: هو يهودي أو نصراني إن كان كذا..، وقوله ﷺ "كاذباً" ليس المراد به التقييد والاحتراز من الحلف بها صادقاً، لأنه لا ينفك الحالف بها عن كونه كاذباً، وذلك لا بد أن يكون معظماً لما حلف به، فإن كان معتقداً عظمته بقلبه فهو كاذب في ذلك، وإن كان غير معتقد ذلك بقلبه فهو كاذب في الصورة لكونه عظمه بالحلف به، وإذا علم أنه لا ينفك عن كونه كاذباً حمل التقييد بـ"كاذباً" على أنه بيان لصورة الحالف، ويكون التقييد خرج على سبب، فلا يكون له مفهوم، ويكون من باب قول الله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾[٥])[٦].

وقال ابن حجر: "قال القاضي عياض[٧]: إن الحالف المتعمد إن كان مطمئن القلب بالإيمان وهو كاذب في تعظيم ما لا يعتقد تعظيمه، لم يكفر وإن قاله معتقداً لليمين بتلك الملة لكونها حقاً كفر. وإن قالها لمجرد التعظيم لها احتمل، قلت: "أي القائل ابن حجر": وينقدح بأن يقال إن أراد تعظيمها باعتبار ما كانت قبل النسخ لم يكفر أيضاً ... ولهذه الخصلة "أي الحلف بغير ملة الإسلام". في حديث ثابت بن الضحاك شاهد من حديث بريدة أخرجه النسائي وصححه [الحاكم][٨] من طريق الحسين بن واقد عن

---

(١) الحديث أخرجه مسلم ٨٢، من حديث جابر مرفوعاً: "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة".

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٧/٢١-٢٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١١٢.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

(٥) سورة النساء، آية: ٢٣.

(٦) شرح صحيح مسلم ١/٢/١٢٥-١٢٧.

(٧) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١/٣٨٩.

(٨) سقط من المطبوع من فتح الباري، والحديث صححه الحاكم في المستدرك، ٤/٢٩٨، وأخرجه أحمد ٥/٣٥٥ رقم ٢٣٠٠٦، ٢٣٠١٠، وقال محققو المسند: إسناده قوي، وانظر تتمة تخريجه في مسند أحمد ٣٨/١١٤-١١٥ وهو حديث من أحاديث الباب.

عبدالله بن بريدة عن أبيه رفعه: "من قال إني بريء من الإسلام فإن كان كاذباً فهو كما قال، وإن كان صادقاً لم يعد إلى الإسلام سالماً"(١)، وهو يؤيد التفصيل الماضي ويخصص بهذا عموم الحديث الماضي، ويحتمل أن يكون المراد بهذا الكلام التهديد والمبالغة في الوعيد لا الحكم، وكأنه قال فهو مستحق مثل عذاب من اعتقد ما قال، ونظيره: "من ترك الصلاة فقد كفر"، أي استوجب عقوبة من كفر، وقال ابن المنذر: قوله: "فهو كما قال"، ليس على إطلاقه في نسبته إلى الكفر بل المراد أنه كاذب ككذب المعظم لتلك الجهة"(٢).

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الحلف بغير الله:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"، وقد حمل بعض العلماء الكفر أو الشرك هنا لا على حقيقتهما ولكن على سبيل المبالغة في الزجر والتغليظ. قال ابن حجر: "والتعبير بقوله فقد "كفر أو أشرك" للمبالغة في الزجر والتغليظ في ذلك، وقد تمسك به من قال بتحريم ذلك"(٣).

وقال الترمذي: "وفسر هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن قوله "فقد كفر أو أشرك" على التغليظ، والحجة في ذلك حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ سمع عمر يقول: "وأبي وأبي فقال: ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم"(٤)، وحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: "من قال في حلفه واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله"(٥)، هذا مثل ما روى عن النبي ﷺ أنه قال:"إن الرياء شرك"(٦). وقد فسر بعض أهل العلم هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾(٧)،

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود ٣٢٥٨، والنسائي٦/٧، وابن ماجه ٢١٠٠. وهو حديث من أحاديث الباب.

(٢) فتح الباري ٥٣٩/١١، .

(٣) فتح الباري ٥٣١/١١، .

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٤٦، ومسلم ١٦٤٦.

(٥) أخرجه البخاري ٦٦٥٠، ومسلم ١٦٤٧.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٣٩٨٩ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه بلفظ "إن يسير الرياء شرك...." وضعفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٦٣).

(٧) سورة الكهف، آية: ١١٠.

قال: لا يرائى"[١]. ولكن النووي في شرح مسلم يبين أن هذا الكفر كفر نعمة، فقال: " إن كان الحالف به معظماً لما حلف به مجلاً له كان كافراً وإن لم يكن معظماً بل كان قلبه مطمئناً بالإيمان فهو كاذب في حلفه بما لا يحلف به، ومعاملته إياه معاملة ما يحلف به، ولا يكون كافراً خارجاً عن ملة الإسلام، ويجوز أن يطلق عليه اسم الكفر، ويراد به كفر الإحسان وكفر نعمة الله تعالى، فإنها تقتضي أن لا يحلف هذا الحلف القبيح، وقد قال الإمام أبو عبدالرحمن عبدالله بن المبارك فيما ورد من مثل هذا مما ظاهره تكفير أصحاب المعاصي: إن ذلك على جهة التغليظ والزجر عنه، وهذا معنى مليح، ولكن ينبغي أن يضم إليه ما ذكرناه من كونه كافر النعم"[٢].

وقال المناوي في تفسير الشرك المذكور في الحديث: "أى فَعل فِعل أهل الشرك أو تشبه بهم إذا كانت أيمانهم بآبائهم وما يعبدون من دون الله، أو فقد أشرك في تعظيم من لم يكن له أن يعظمه، لأن الإيمان لا يصلح إلا بالله، فالحالف بغيره معظم غيره مما ليس له، فهو يشرك غير الله في تعظيمه، ورجحه ابن جرير"[٣].

وقال ابن الملقن: "قال الماوردي: "قوله: "فقد أشرك" فيه تأويلان أحدهما: فقد أشرك بين الله وبين غيره في التعظيم، وإن لم يصر من المشركين الكافرين. وثانيهما: صاراً كافراً به إن اعتقد لزوم يمينه بغير الله، كاعتقاد لزومها بالله"[٤].

لكن علماء المذهب الحنبلي يرون أن من حلف بغير الله فقد وقع في الشرك دون أن يفصلوا التفصيل السابق من كونه يقصد التعظيم أو خرج الكلام مخرج الزجر والتغليظ ونحو ذلك مما سبق ذكره.

يقول الدكتور محمد سليمان عبدالله الأشقر في كتابه "المجلّى" في الفقه الحنبلي: "الحلف بغير الله تعالى حرام، فمن حلف بمخلوق، كنبي من الأنبياء، أو ولي من

---

(١) سنن الترمذي ٣٦٣ بعد الحديث ١٥٣٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٢٧/٢/١.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد المدعو بعبدالرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، وهى طبعة مصورة، ١٢٠/٦.

(٤) البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ٤٦١/٩.

الأولياء، أو بالكعبة، أو بحياة أبيه أو أمه، أَثِم، ولم تتعقد يمينه، لما ورد "أن ابن عمر رأى رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك". وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((أن النبي أدركه وهو يحلف بأبيه فقال: إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت))[1]. وقال ابن مسعود: (لأن أحلف بالله تعالى كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً)[2]. ابن تيمية: (لأن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أهون من سيئة الشرك)[3].

ولا كفارة في الحلف بغير الله تعالى، لأن الكفارة وجبت في الحلف بالله تعالى حفظاً لأسمائه وصفاته، وغير الله تعالى لا يساويه. ولأن الحلف بغير الله تعالى شرك، وكفارته التوحيد، لحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((من حَلَفَ منكم فقال في حَلِفِهِ باللاتِ والعُزَّى فليقُل لا إلهَ إلاّ الله))[4][5].

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٠٨، ومسلم ١٦٤٦.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١٨٣/٩، ٨٩٠٢، وقال الهيثمي في المجمع ١٧٧/٤: رجاله رجال الصحيح.

(٣) الاختيارات الفقهية ٣٢٧.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٥٠، ومسلم ١٦٤٧.

(٥) المجلى في الفقه الحنبلي ٥١٨/٢، ٥١٩، وانظر: منار السبيل في شرح الدليل: إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان، ١٣٥٣هـ، حققه أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ١٠٧٤/٣، ١٠٧٥، والملخص الفقهي الدكتور/صالح بن فوزان الفوزان، ٦٠١/٢، ٦٠٢، ط دار العاصمة. وتوضيح الأحكام الشيخ عبدالله البسام، ٨٢/٦، ٨٣.

الحديث رقم (١٧١٠)

١٧١٠- وعن عبد الرحمان بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **((لاَ تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي، وَلاَ بِآبَائِكُمْ))** رواه مسلم[1].

(الطَّواغِي): جَمْعُ طَاغِيَةٍ، وهِيَ الأصنَامُ. وَمِنْهُ الحَدِيثُ: **((هـٰذِهِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ))**[2] أيْ: صَنَمُهُمْ وَمَعْبُودُهُمْ. وَرُوِيَ فِي غير مسلم[3]: **((بِالطَّوَاغِيتِ))** جَمعُ طَاغُوت، وَهُوَ: الشَّيْطَانُ وَالصَّنَمُ.

ترجمة الراوي:

عبدالرحمن بن سمرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٧٤).

الشرح الأدبي

يتكون هذا الحديث في بنائه اللغوي من جملة واحدة، وهي جملة فعلية: تبدأ بالنهي الصريح، "لا" ناهية جازمة: والجزم يعني: القطع والحسم، فالوظيفة النحوية للجزم: هي تسكين الفعل، وقطع حركته، أو اجتثاث الحرف الأخير منه، وهو: النون الدالة، على الجمع هنا، ولكن الدلالة التي تنبثق من سياق الحديث هي: النهي الجازم الحاسم عن الحلف بغير الله، وواو الجمع، تشير إلى كل مسلم على وجه الأرض في كل زمان ومكان، فالجماعة المسلمة التي دلت عليها هذه العلامة اللغوية، "واو الجماعة"، مطالبة بالانتهاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ والطواغي: جمع طاغية، وهي الأصنام، والرواية الأخرى، الطواغيت، وهي جمع طاغوت، وفي اللغة: الطاغوت تتسع دلالته، فهو اللات والعزى، والكاهن، والشيطان، وكل رأس ضلال، والأصنام، وكل ما عبد من دون الله، ومردة أهل الكتاب، وقد أطلق على كعب بن

---

(١) برقم (١٦٤٨/٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧١١٦) بلفظ: (وذو الخلصة طاغية دوس).

(٣) النسائي في المجتبى (٣٧٧٤)، والكبرى (٤٦٩٧).

الأشرف اليهودي لقب الطاغوت، لأنه من مردة أهل الكتاب، وأطلق لقب الجبت على "حُيي بن أخطب"، كما جاء في القاموس المحيط، مادة طغو.

وقوله: ولا بآبائكم فيه إيجاز بالحذف: والتقدير، "ولا تحلفوا بآبائكم".

وقال العلماء في التفريق بين النهي في الموقفين: النهي عن الحلف بالأول الطواغي: على سبيل التحريم، وعن الثاني على سبيل التنزيه. ففيه سر من أسرار الجمال اللغوي، وهو استعمال اللفظ الموضوع للنهي في حقيقته ومجازه، وقيل إنه مستعمل في معنى مجازي عام لهما هو طلب الترك لذينك، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧١١)

١٧١١- وعن بُريدَةَ رضي الله عنه : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ: ((مَنْ حَلَفَ بالأمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا)) حديث صحيح، رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨١).

الشرح الأدبي

إن البيان النبوي يقتبس أشعته الهادية من وهج البيان القرآني العظيم، فهو كما يقول الرافعي: إن لم يكن من الوحي ولكنه جاء من سبيله،وأن لم يكن له منه دليل فقد كان هو من دليله، وألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه،ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، والحديث يتسم بالإيجاز فهو جملة لغوية واحدة، ولكنها تتضمن أسراراً تعبيرية متعددة، وظواهر فنية أسلوبية تفصح عن بلاغة النبوة، وفصاحة خاتم الأنبياء والمرسلين.

ومن هذه الأسرار التعبيرية: مجيء الحديث في قالب الشرط والجواب، فالجزاء من جنس العمل، وهذا القالب اللغوي يتواءم مع سياق الحديث والمراد منه، فلكل مقام مقال، والمبنى وعاء المعنى، لأن العقاب الذي تضمنه الحديث وهو "فليس منا" متوقف على نوعية السلوك الصادر عن الحالف بغير الله.

وأداة الشرط "من" وهي "للعاقل" فالذي يقسم ويحلف يعي ما يقول، وجواب الشرط: جملة فعلية فعلها ناسخ، وهو قوله: "فليس منا"، والنسخ هنا أدى وظيفته النحوية، وهي نسخ حركة أعراب المبتدأ والخبر، وهذا النسخ النحوي يتسق مع النسخ الدلالي، وهو نسخ عمل هذا الذي حلف بغير الله... فعقابه هو الخروج من دائرة الجماعة المسلمة،إلى أن يعود إلى جماعته، ويتوب إلى رشده.

---

(١) برقم (٣٢٥٣). وقال الحاكم (٢٩٨/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٥٦).

ولفظ "الأمانة" من الألفاظ التي تتعدد معانيها في هذا السياق، وتدل على ثراء اللغة العربية، فاللفظ كالمصباح المتوهج المشع بالنور في كل اتجاه، ولفظ الأمانة هنا: المراد به الفرائض، مثل الحج والصوم والزكاة وغيرها، وهذه الدلالة مستمدة من البيان القرآني، حيث يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾[1]، وقال السيوطي نقلاً علن الخطابي: فنهوا عن ذلك: لما يوهمه الحلف بها. أي: بالأمانة من مساواتها لأسماء الله وصفاته. والله أعلم.

فقه الحديث

في الحديث من الفقه ما يأتي:

١- كراهة الحلف بالأمانة: وهو ما ذهب إليه جمهور الحنابلة[2]، ولعل سبب الكراهة أنه أُمر أن يحلف بالله تعالى أو بأسمائه، أو بصفة من صفاته، والأمانة ليست كذلك، وإنما هي فرض من فروضه على عباده، فنهى عنها حتى لا يسوّى بينها وبين أسماء الله تعالى وصفاته[3].

وذهب الظاهرية[4] وبعض الحنابلة[5] إلى أن الحلف بالأمانة محرم.

٢- هل يعد الحلف بالأمانة يميناً؟: اختلف الفقهاء في ذلك على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الحنفية[6]، والمالكية[7]، والحنابلة[8]، ويرون أن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢ .

(٢) المبدع ٢٥٧/٩ ، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٦/١١، وكشاف القناع ٢٣١/٦ ، والمغني لابن قدامة ٢٤٥/٩.

(٣) عون المعبود ٥٨/٩.

(٤) المحلى لابن حزم ٣٢/٨.

(٥) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٦/١١، وكشاف القناع ٢٣١/٦.

(٦) شرح فتح القدير ٧٦/٥.

(٧) مواهب الجليل ٢٦٥/٣.

(٨) كشاف القناع ٢٣١/٦ ، والمغني لابن قدامة ٢٤٥/٩ ، والمبدع ٥٧/٩.

الحلف بالأمانة يمين، بحيث تجب عليه الكفارة عند الحنث.

واستدلوا على ذلك بأن النهي الوارد في الأحاديث يقتضي فقط منع الحلف بها، ولا يقتضي منع كونها يميناً تجب فيها الكفارة عند الحنث[1].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الظاهرية[2]، ويرون أن الحلف بالأمانة ليس يميناً، واليمين بها معصية، وليس فيها كفارة، وليس فيها إلا التوبة، والاستغفار.

وظاهر من كلام ابن حزم أنه اعتبر الحلف بالأمانة معصية أكبر من أن تجبر بالكفارة.

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الشافعية[3]، ويرون حمل ذلك على النية، فإن نوى بحلفه بالأمانة اليمين كان هذا الحلف يميناً، بحيث يكفر عنه حال الحنث، أما إن نوى بالحلف بها عدم اليمين، فلا يعد الحلف بها يميناً.

والراجح:

هو رأي الجمهور لعدم التلازم بين النهي عن الحلف بها، وكونه يميناً تجب فيها الكفارة عند الحنث.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) شرح فتح القدير ٧٦/٥.

(٢) المحلى لابن حزم ٣٢/٨.

(٣) طرح التثريب ٢٦٥/٧.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٠٩).

الحديث رقم (١٧١٢)

١٧١٢- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ حَلَفَ فَقَالَ: إنِّي بَرِيءٌ مِنَ الإسْلاَمِ، فَإنْ كَانَ كَاذِباً، فَهُوَ كمَا قَالَ، وإنْ كَانَ صَادِقاً، فَلَنْ يَرْجِعَ إلَى الإسْلاَمِ سَالِماً)). رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨١).

الشرح الأدبي

إن ألفاظ الحديث وجمله محددة ودالة، ومقنعة، فرسول الله ﷺ يحدد موقفاً، ويصدر حكماً؛ لأن الإنسان موكل بمنطقه، ومحاسب على ما ينطق، ولذلك حذر رسول الله من عثرات اللسان وزلاته فقال: ((من يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت)) [2].

والحديث يبدأ بهذه الجملة الإخبارية: من حلف فقال: "إني بريء من الإسلام".

ومقول القول: جاء مؤكداً، وهو جملة اسمية تتكون من إن واسمها وخبرها ومتعلق الخبر.

ومضمون هذه الجملة يفصح عن تأثيم قائل هذا القول، وتصدير الجملة بإن الناسخة يمكن أن يشي ويرمز إلى أن عمل هذا القائل منسوخ ومردود عليه، ولذلك قال العلماء: إن قصد العزم على الكفر فهو كافر في الحال، لأنه صاغ كلامه في ثوب التوكيد، وإن قصد الامتناع من ذلك المحلوف عليه أبداً ولم يقصد شيئاً فلا كفر، لكنه لفظ شنيع قبيح يستغفر الله تعالى من إثمه ويأتي بالشهادتين ندباً، وتأمل، وراء

---

(١) برقم (٣٢٥٨). وقال الحاكم (٤/٢٩٨): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٣٠٧١): إسناده صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٥٧).

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٧٥، ومسلم ٤٧.

قولهم: لفظ شنيع قبيح، وهو من حصائد الألسن التي تكب الناس في النار على وجوههم، ولذلك جعل الرسول ﷺ: إمساك اللسان من أبواب النجاة.

والجملتان الباقيتان في الحديث: شرطيتان، وأداة الشرط فيهما: "إن" وهي ليست للتحقق؛ لأن الرجل موقفه غير واضح فربما يكون صادقاً وربما يكون كاذباً فيما قال، ولكل افتراض نتيجته وعاقبته، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

ولذلك قدم رسول الله افتراض كذبه للتهديد والتشديد والوعيد، حتى لا تجري هذه الصيغ القبيحة على ألسنة العامة والجهلة وأدعياء الثقافة والحمقى من المفكرين الجهلاء.

وهو كما قال: "إن كان كاذباً" في حلفه أي أن الإسلام بريء منه، "وإن كان صادقاً" فلن يرجع إلى الإسلام سالماً، وتأمل دلالة الفعل يرجع، وما يوحي من خروج عن الإسلام ثم الرجوع إليه بسبب هذه الجملة الشنيعة القبيحة، "ولن يرجع سالماً" هذا التعبير فيه كناية عن أن هذا الحالف، قد أصابه الإثم، ولحقه الضرر، ووقع في الشبهات، وهو في حاجة إلى إصلاح ما انكسر من شعوره وعلاقته بدينه وربه، فهو قد أصبح مريضاً يحتاج إلى الاستشفاء، وهو الاهتداء إلى الصراط المستقيم، وإمساك اللسان، وسلامة العقيدة والنطق بالشهادتين. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه:

١- تحريم الحلف بالبراءة من الإسلام، سواء أكان صادقاً في يمينه أو كاذباً لما في ذلك من الاستخفاف بالإسلام[1].

٢- هل الحلف بالبراءة من الإسلام يُعد يميناً؟: اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين:

---

(١) شرح فتح القدير ٧٤/٥، والمدونة ١٠٦/٣، ومغني المحتاج ٣٢٤/٤، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢١٤/٤، والمغني لابن قدامة ٤٠٠/٩-٤٠١، وعون المعبود ٦١/٩-٦٢.

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه المالكية[١]، والشافعية[٢]، وأحمد في رواية[٣]، ويرون أن الحلف بالبراءة من الإسلام لا يعد يميناً، ولا يلزمه الكفارة إذا حنث وبه قال الليث، وأبو ثور، وابن المنذر[٤].

واستدلوا على ذلك: بأن الحالف في هذه الحالة لم يحلف بالله، ولا بصفة من صفاته وبالتالي لا تلزمه كفارة[٥].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الحنفية[٦]، والإمام أحمد في رواية[٧]، ويرون أن الحلف بالبراءة من الإسلام يعد يميناً، وبالتالي تجب عليه الكفارة إذا حنث وبه قال الثوري والأوزاعي، وإسحاق وجماعة[٨].

والراجح:

الرأي الأول، لقوة دليله، ولأن الوجوب من الشارع، ولم يرد في هذه اليمين نص[٩].

المضامين الدعوية[١٠]

(١) المدونة ٢/١٠٦.

(٢) مغني المحتاج ٤/٣٢٤، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٤/٢١٤.

(٣) المغني لابن قدامة ٩/٤٠٠-٤٠١.

(٤) المغني ٩/٤٠٠.

(٥) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٦) شرح فتح القدير ٥/٧٤.

(٧) المغني لابن قدامة ٩/٤٠١.

(٨) المغني ٩/٤٠١، وعون المعبود ٩/٦١.

(٩) المغني لابن قدامة ٩/٤٠١.

(١٠) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٠٩).

الحديث رقم (١٧١٣)

١٧١٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلاً يقُولُ: لاَ وَالكَعْبَةِ، فَقَالَ ابنُ عُمَرَ: لاَ تَحْلِفْ بغَيْرِ اللهِ، فَإنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: ((مَنْ حَلَفَ بِغَيرِ اللهِ، فقد كَفَرَ أَوْ أشْرَكَ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

وفَسَّرَ بَعْضُ العُلَمَاءِ قولَهُ: ((كفَرَ أَوْ أشْرَكَ)) عَلَى التَّغْلِيظِ، كما روي أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: ((الرِّياءُ شِرْكٌ[2])) [3].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف من المشاهد الواقعية، والحوارات الحقيقية التي توضح بجلاء بعض المواقف والأحكام، ويأتي ذلك الحديث ختاماً لباب: النهي عن الحلف بغير الله، واختياره في هذا الختام: للإفادة بأن ما ورد من أحاديث سابقة في هذا الباب لم تكن مجرد وصايا أو مواعظ أو نواهٍ مجردة، وإنما هي علاج لمواقف يخوضها بعض الناس، وبيان للمنهج الصحيح الذي يجب أن يتبعه المسلمون في أيمانهم وأقسامهم، وكذلك تدليل واقعي على ما يرتكبه بعض المخالفين الذين يحلفون بالمخلوقات، والمعنويات، والفرائض.

---

(١) برقم (١٥٣٥). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٣٥٨)، وقال الحاكم (٥٢/١): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال في (١٨/١): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد احتجا بمثل هذا الإسناد وخرجاه في الكتاب، وليس له علة ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٥٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩) من حديث معاذ بلفظ: (إنَّ يسيرالرياء شرك). قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (٣٢٧٠): ضعيف، فيه عيسى بن عبد الرحمن، وهو الزرقي متروك.

(٣) هذا الكلام بنصه للترمذي عقب الحديث، اختصره المؤلف.

والحديث هنا يرصد ويروي مشهداً حوارياً بين رجل يحلف بغير الله، ويقول: "لا والكعبة"، ولم يتمهل ابن عمر رضي الله عنهما، ولم يسكت ولكن بادر مسرعاً فقال: وتأمل ما أحدثه العطف بحرف الفاء هنا من تصوير لغيرة ابن عمر رضي الله عنهما وإسراعه في تقويم هذا الانحراف القولي الذي يقود إلى الانحراف العقدي، فقال: موجهاً: النهي الحاسم الجازم إلى ذلك الرجل، "لا تحلف بغير الله".

ثم يعلل هذا النهي تعليلاً منطقياً مقنعاً مؤيدًا بالدليل الثابت: محصناً بالتوكيد، والإقرار بالسماع من رسول الله: فقوله: "فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول": من أقوى القرائن والأدلة: لأنه لم يرو هذا القول: عن راوٍ، ولم ينقله عن أحد، ولكنه سمعه ووعاه وحفظه وأداه كما سمعه، والحكم الذي قاله رسول الله ﷺ سمعه ابن عمر رضي الله عنهما، ونقله إلى كل مسلم، ورد في صيغة الشرط والجواب، وهو أسلوب مناسب للمقام، ومتسق مع الحدث، فمن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك، وقيل: إن الكفر أو الشرك هنا محمول على التغليظ من ترك ذلك والتنفير منه.

وقال العلماء، النهي على سبيل التحريم إن قصد بها تعظيماً لها في الجملة، فإن قصد تعظيمها كتعظيم الله تعالى: "كفر"، وإن جرى على لسانه القسم بها بقصد إدغام الكلام كره، وإن جرى عليه من غير قصد فلا كراهة بل هو من لغو اليمين[1].

والله أعلم.

المضامين الدعوية[2]

(١) دليل الفالحين، ٤.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٠٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية العقدية:

إن العقيدة الإسلامية هي الأساس الأول من أسس التربية في الإسلام من حيث كون العقيدة الإسلامية قاعدة تنبني عليها كل حركة وكل سكنة من حركات وسكنات المسلم في حياته، ولذا فإنها والحالة تلك تكون مقياسًا حتميًا لكل سلوك يسلكه سواء كان سلوكًا دنيويًا أو كان سلوكًا أخرويًا، بحيث يقبل ويأخذ ما وافق العقيدة، ويرد ويرفض كل ما خالف العقيدة الإسلامية، بالإضافة إلى ضرورة الكفر بما خالف العقيدة الإسلامية ومعاداته، وإعلان البراء من أوليائه قال عز وجل: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] كما أن غرس العقيدة الإسلامية في نفس المسلم بوصفه عملاً رئيسًا من مهام المربي المسلم يجعل سلوك الفرد متفقًا مع أهداف التربية الإسلامية[2]؛ فعلى المربي أن يحارب السلوكيات والأقوال التي تخالف العقيدة الإسلامية ومنها الحلف بغير الله كالحلف بالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والروح والرأس ونعمة السلطان وتُرْبة فلان - أي قبره - والأمانة وغيرها من الأشياء التي تخالف العقيدة الإسلامية، لأن الحلف بغير الله تعالى شرك كما قال ﷺ: "من حلف بغير الله، فقد كفر أو أشرك".

وقد كثر من الناس اليوم من يحلف بغير الله، كمن يحلف بالأمانة أو يحلف بالنبي ﷺ، أو يقول، وحياتي، وحياتك يا فلان... وما أشبه هذه الألفاظ، وقد سمعنا ما ورد في الأحاديث من النهي عن الحلف بغير الله عز وجل، واعتباره كفرًا وشركًا، لأن الحلف بالشيء تعظيم له، والذي يجب أن يعظم ويحلف به هو الله عز وجل،

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي، ص ٨٦.

والحلف بغيره شرك وجريمة عظمى[1] ينافي العقيدة الإسلامية؛ فعلى المربي أن يقوم بتربيتهم لهذا وتوجيههم إلى البعد عن هذه العوائد الجاهلية.

قال ﷺ: "إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا، فليحلف بالله، أو ليصمت"، وقال ﷺ: "لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم" وقال ﷺ: "من حلف بالأمانة فليس منا"... أحاديث الباب التي تحرم الحلف بغير الله وتنهى عنه. وتأمرنا إذا أردنا أن نحلف أن نقتصر على الحلف بالله وحده ولا نحلف بغيره.

فالحلف بغير الله مسألة تعد من أهم المسائل التي ينبغي أن يعنى بها المربون لأجل تقوية العقيدة في النفوس، وتعظيم الله في نفوس المسلمين.

ثانيًا - التربية بالترهيب:

لقد رهب النبي ﷺ من الحلف بغير الله فقال: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" وقال ﷺ: "من حلف بالأمانة فليس منا"، وقال ﷺ: "من حلف فقال: إني بريء من الإسلام، فإن كان كاذبًا، فهو كما قال، وإن كان صادقًا، فلن يرجع إلى الإسلام سالمًا" والترهيب هو وعد يصاحبه تهديد الإنسان بالعقوبة، وتحذيره من الأعمال التي تؤدي إلى الوقوع في المعاصي التي تغضب الله تعالى.

وأسلوب الترهيب أسلوب تربوي جيد لا يمكن الاستغناء عنه في مجال التربية وخاصة تربية الطفل، وهو من أساليب التربية الإسلامية المهمة[2]، التي استخدمها رسول الله ﷺ في المواقف التي تحتاج إلى بيان الوعيد أو التهديد بالعقوبة، لمن يعمل عملاً لا يوافق الشريعة الإسلامية، ويغضب الله تعالى[3].

والمربي الناجح هو الذي يجيد استخدام أسلوب الترهيب كأسلوب تربوي يخدم عملية التربية في تخويف وتهديد من يقوم بتربيتهم من السلوكيات والأفعال التي تخالف الدين، وتغضب رب العالمين.

۞ ۞ ۞

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح الفوزان، ص ١٣٥.

(٢) أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن البابطين، ص ٣٦.

(٣) المرجع السابق ٣٨.

٣١٥- باب تغليظ اليمين الكاذبة عمداً

الحديث رقم (١٧١٤)

١٧١٤- عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيرِ حَقِّهِ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ)) قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ عز وجل: ﴿إنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ [آل عمران: ٧٧]. متفق عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

لقد نهى الإسلام عن تحصيل المال بالطرق التي لا خير فيها صيانة لها عن الشر والفساد، وحفظاً لمال الغير عن السرقة والانتهاب، وجعل أخذ المال دون رضا صاحبه وطيب نفسه أكلاً له بالباطل يجب التحرز منه: فقال رسول الله ﷺ: "كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه"[٢][٣].

وهذا الحديث الشريف ينبه إلى صورة من صور أكل أموال الناس بالباطل وهذا التنبيه جاء في صورة وعيد، وإنذار بالعقوبة المغلطة وهي غضب الله سبحانه وتعالى على من حلف على مال امرئٍ مسلم بغير حقه، ليأخذه بيمينه الكاذبة.

وقد ورد هذا المضمون الذي يغلظ العقوبة، ويحرم اليمين الكاذبة عمداً، في صيغة لغوية متسقة مع هذا المضمون الذي يتضمن النتيجة المترتبة على المقدمة، وهذه الصيغة هي صيغة الجواب والشرط، فالمقدمة هي فعل الشرط: حيث يحلف الرجل على مال

---

(١) اخرجه البخاري (٧٤٤٥)، ومسلم (١٢٨/٢٢٢) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٣١).

(٢) اخرجه مسلم، ٢٥٦٤.

(٣) التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. عبدالعال أحمد عبدالعال، ص٢٣٥.

امرئ مسلم بأنه من حقه وبأنه يخصه كذباً، ولذلك قال رسول الله مؤكداً أن هذه اليمين كاذبة "بغير حقه".

إن هذه المقدمة: تقود إلى نتيجة متوائمة مع طبيعتها: وهي: غضب الحق سبحانه وتعالى على هذا الكاذب المحتال، ولذلك جاء جواب الشرط في قوله: "لقي الله وهو عليه غضبان"، والمراد من الغضب هنا: إما غايته وهي الانتقام أو إرادة الغضب من باب المجاز المرسل، واقتران الجواب بالحال.

والآية القرآنية سيقت للتدليل على تحقق الغضب الإلهي، وموقع جملة، "وهو عليه غضبان"، يشارك في ترسيخ هذا الدليل، ويمهد له: فالجملة: حالية أي أن هذا العبد سيواجه ربه وهو مغضوب عليه، فهو من الذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من اليمين الكاذبة عمداً.

ثانياً: من أهداف الدعوة: الحفاظ على الحقوق.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: اجتناب الكبائر.

رابعاً: من حقوق المدعو: السؤال عما يشغله.

خامساً: من فقه الداعية: استخدام الألفاظ المعبرة عن المعنى تعبيراً موحياً.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من اليمين الكاذبة عمداً:

هذا واضح من هذه الأحاديث: فحديث ابن مسعود رضي الله عنه: "من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان"، وحديث إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه: "من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة". كما عدّ النبي صلى الله عليه وسلم أن اليمين الغموس من الكبائر، وجاء تفسيرها في الحديث"الذي يقتطع

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٧٧ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧١٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧١٥، ١٧١٦).

مال امرئ مسلم، يعني بيمين هو فيها كاذب، فدل ذلك على تغليظ الحلف كذباً متعمداً، (ومن صوره اقتطاع حق مال امرئ مسلم كذباً عامداً" فاليمين الغموس، كما جاء في الموسوعة الفقهية، هى المحلوفة على ماض مع كذب صاحبها وعلمه بالحال ومن صورها: والله ما فعلت كذا وهو يعلم أنه فعله. أو والله لقد فعلت كذا وهو يعلم أنه لم يفعله، أو: والله ما لك على دين وهو يعلم أن للمخاطب ديناً عليه)[١].

ولتغليظ أمر الحلف كذباً عمداً، قال ابن مسعود: (كنا نعد الذنب الذي لا كفارة له اليمين الغموس أن يحلف الرجل على مال أخيه كاذباً، ليقتطعه)[٢].

وحديث ابن مسعود بلفظ من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر، لقى الله وهو عليه غضبان، ونزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣]،[٤]، قال النووي: "التقييد بكونه فاجراً لابد منه، ومعناه: هو آثم. ولا يكون آثماً إلا إذا كان متعمداً عالماً بأنه غير محق"[٥].

وقال ابن دقيق العيد: "يمين الصبر"[٦]: هى التي يصبر فيها نفسه على الجزم باليمين و"الصبر": الحبس: فكأنه يحبس نفسه على هذا الأمر العظيم، وهى اليمين الكاذبة، ويقال لمثل هذه اليمين "الغموس" أيضاً، وفي الحديث وعيد شديد لفاعل ذلك، وذلك لما

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٨٢/٧-٢٨٣. بتصرف يسير. وجاء في معجم لغة الفقهاء: اليمين الغموس: اليمين الفاجرة، وهى أن يحلف على أمر وهو يعلم أنه كاذب، وهي بذلك تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار، معجم لغة الفقهاء، ص٢٨٤.

(٢) قال ابن حجر: رواه آدم بن أبي إياس في مسند شعبة وإسماعيل القاضي في الأحكام عن ابن مسعود، وقال: ولا مخالف له من الصحابة، فتح الباري، ٥٥٧/١١، .

(٣) سورة آل عمران، آية: ٧٧.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٧٦، ومسلم ١٣٨.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٦٣/٢/١ .

(٦) اليمين الغموس يقال لها الزور والفاجرة وسميت في الأحاديث يمين صبر ويميناً مصبورة. سبل السلام للصنعاني، ٨٨٠ط بيت الأفكار الدولية.

فيها من أكل المال بالباطل ظلماً وعدواناً والاستخفاف بحرمة اليمين بالله، وهذا الحديث يقتضي تفسير هذه الآية بهذا المعنى. وفي ذلك اختلاف بين المفسرين، ويترجح قول من ذهب إلى هذا المعنى بهذا الحديث، وبيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر يحصل للصحابة بقرائن تحف القضايا"[١].

وقد ورد الترهيب والوعيد لمن حلف كاذباً في حق الغير مطلقاً، فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة" الحديث، وفيه "المنفق سلعته بالحلف الفاجر"[٢]، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضى، وإن لم يعطه منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر، فقال: والله الذي لا إله غيره، لقد أعطيت بها كذا وكذا فصدقه رجل. ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَـٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾[٣]،[٤].

قال ابن حجر: "قال الخطابي: خص وقت العصر بتعظيم الإثم فيه، وإن كانت اليمين الفاجرة محرمة في كل وقت. لأن الله عظم شأن هذا الوقت بأن جعل الملائكة تجتمع فيه وهو وقت ختام الأعمال، والأمور بخواتيمها فغلظت العقوبة فيه لئلا يقدم عليها تجرؤاً، فإن من تجرأ عليها فيه اعتادها في غيره، وكان السلف يحلفون بعد العصر، وجاء ذلك في الحديث أيضا"[٥].

ثانياً- من أهداف الدعوة: الحفاظ على الحقوق:

هذا واضح من هذه الأحاديث، وأشدها دلالة على ذلك حديث أبي أمامة إياس ابن

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٥٢-٣٥٣.

(٢) أخرجه مسلم ١٠٦.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٧٧.

(٤) أخرجه البخاري ٢٣٥٨ وهذا لفظه، ومسلم ١٠٨.

(٥) فتح الباري، ٢٠٣/١٣، .

ثعلبة الحارثي رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: " من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة"، فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: وإن كان قضيباً من أراك.

قال النووي: (قوله ﷺ: "حق امرىء" يدخل فيه من حلف على غير مال كجلد الميتة والسرجين[1] وغير ذلك من النجاسات التي ينتفع بها، وكذا سائر الحقوق التي ليست بمال كحد القذف ونصيب الزوجة في القسم وغير ذلك. وأما قوله ﷺ: "فقد أوجب الله تعالى له النار وحرم عليه الجنة" ففيه جوابان:

أحدهما: أنه محمول على المستحل لذلك إذا مات على ذلك، فإنه يكفر ويخلد في النار.

والثاني: معناه فقد استحق النار ويجوز العفو عنه، وقد حرم عليه دخول الجنة أول وهلة مع الفائزين.

وأما تقييده ﷺ بالمسلم فليس يدل على عدم تحريم حق الذمي، بل معناه أن هذا الوعيد الشديد وهو أنه يلقى الله تعالى وهو عليه غضبان، لمن اقتطع حق المسلم، وأما الذمي فاقتطاع حقه حرام، ... وقال القاضي عياض[2]: تخصيص المسلم لكونهم المخاطبين وعامة المتعاملين في الشريعة، لا أن غير المسلم بخلافه، بل حكمه حكمه في ذلك، والله أعلم.

ثم إن هذه العقوبة لمن اقتطع حق المسلم ومات قبل التوبة، أما من تاب فندم على فعله ورد الحق إلى صاحبه وتحلل منه وعزم على أن لا يعود فقد سقط عنه الإثم، والله أعلم ... وفيه بيان غلظ تحريم حقوق المسلمين، وأنه لا فرق بين قليل الحق وكثيره لقوله ﷺ: "وان كان قضيباً من أراك")[3].

وقد أخبر النبي ﷺ أن المسلم أخو المسلم فلا يظلمه، فقال ﷺ: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ..."[4]، وقال ﷺ: "لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا

---

(١) السرجين: الزبل وهو من روث الحيوانات، انظر: معجم لغة الفقهاء ٢٠٤-٢٠٧.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٣٤/١١.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٦٣/٢/١، وانظر: فتح الباري ٥٦٣/١١-٥٦٤ .

(٤) أخرجه البخاري ٢٣٣٢، ومسلم ٢٥٨٠.

تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا. ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه"[١].

وقال ﷺ: «لَتُؤَدُّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»[٢].

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أضَرَّ به، وَمَنْ شَاقَّ مُسْلِماً شَاقَّ شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ»[٣].

قال عبدالله البسام: (ما يؤخذ من الحديث:

١- أذية المسلم وغيره بغير حق حرام سواء أكانت الأذية في بدنه أو عرضه أو ماله أو ولده أو أهله أو أي شيء يلحقه الضرر به، فمن أدخل الضرر على مسلم أو ذمي أو معاهد جازاه الله تعالى من جنس عمله، بأن يدخل عليه المضرة والمشقة.

٢- جاء في الحديث الذي أخرجه مالك في الموطأ أن النبي ﷺ قال: "لا ضرر ولا ضرار"[٤]، وهذا الحديث جعله علماء الأصول قاعدة شرعية عامة كبرى استقوا منها عدداً كثيراً من المسائل الفرعية[٥].

ومعناه: نفي الضرر من الرجل لأخيه ابتداء وجزاء.

فالحديث: "لا ضرر ولا ضرار" وأخوه "حديث الباب" نص في تحريم الضرر بأنواعه كلها، لأن النفي -بلا- للاستغراق فيفيد تحريم جميع أنواع الضرر، لأنه الظلم الذي حرمه الله تعالى على نفسه وجعله بين عباده محرماً.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٨٢.

(٣) أخرجه أحمد ٤٥٣/٣ رقم ١٥٧٥٥، وقال محققو المسند: حديث حسن بشواهده أهـ وانظر تتمة تخريجه في مسند أحمد ٣٤/٢٥.

(٤) أخرجه أحمد ٣١٣/١ رقم ٢٨٦٥، وقال محققو المسند: حسن أهـ وانظر شواهده في تخريج المسند ٥٥/٥-٥٦، وانظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، ٢٠٧/٢-٢١٠.

(٥) انظر جمهرة القواعد الفقهية في المعاملات المالية، د. علي أحمد الندوي، ١٣٩/١-١٧١.

٣- الضرر بحق جائز كإقامة الحدود والعقوبات والإكراه على استخلاص الحقوق المستحقة الواجبة.

٤- المضارة المحرمة هي المضارة المقصودة، أما غير المقصودة فلا تحرم. قال شيخ الإسلام: المضارة معناها القصد والإرادة أو على فعل فيه ضرر، فمتى قصد الإضرار أو الفعل بالإضرار من غير حاجة فهو مضار.

وأما إذا فعل الضرر المستحق للحاجة لا لقصد الضرر فليس بمضار، ومن ذلك قوله ﷺ لصاحب النخلة التي تضر صاحب الحديقة لما طلب صاحبها المعاوضة عنها بعدة طرق فلم يفعل قال: "إنما أنت مضار"[1]، ثم أمر بقلعها، دل على أن الضرر محرم لا يجوز تمكين صاحبه منه"[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: اجتناب الكبائر:

هذا واضح من الحديث: "الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس"، وقال ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يارسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات"[3]. وقال ﷺ: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر

---

(١) عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أنه كان له عضد من نخل في حائط رجل من الأنصار، قال: ومع الرجل أهله، قال: فكان سمرة يدخل إلى نخله فيتأذى به ويشق عليه، فطلب إليه أن يبيعه فأبى، فطلب إليه ان يناقله فأبى، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فطلب إليه النبي ﷺ أن يبيعه فأبى فطلب إليه أن يناقله فأبى، قال: فهبه له ولك كذا وكذا" أمراً رغبه فيه فأبى. فقال: انت مضار. فقال رسول الله ﷺ للأنصاري: اذهب فاقلع نخله.

أخرجه أبو داود ٣٦٣٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٧٨٥).

قال الخطابي في معالم السنن: "رواه أبو داود" عضدا وإنما هو عضيد من نخيل، يريد نخلاً لم تبسق ولم تطل، قال الأصمعي: إذا صار للنخلة جذع يتناول منه المتناول فتلك النخلة العضيد جمعه عضيدات. وفيه من العلم: أنه أمر بإزالة الضرر عنه، وليس في هذا الخبر انه قلع نخله، ويشبه أن يكون انه إنما قال ذلك ليردعه به عن الإضرار. معالم السنن،" ٢٤٠/٥.

(٢) توضيح الأحكام ٣٤٢/٦، ٣٤٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٨٥٧، ومسلم ٨٩.

"ثلاثاً"، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور، أو قول الزور[1]. قال ابن حجر: "قوله ﷺ: "أكبر الكبائر" ليس على ظاهره من الحصر بل "من" فيه مقدرة، فقد ثبت في أشياء أخر أنها من أكبر الكبائر"[2]، ثم ذكر الأحاديث الواردة في أكبر الكبائر، فبلغت عشرين كبيرة، وبعد إسقاطه المتداخل منها بلغت ثلاث عشرة"[3].

أما عن تعريف الكبيرة فقال ابن حجر: "قال ابن عبدالسلام في "القواعد": لم أقف لأحد من العلماء على ضابط الكبيرة لا يسلم من الاعتراض، والأولى ضبطها بما يشعر بتهاون مرتكبها بدينه إشعاراً دون الكبائر المنصوص عليها. قلت: وهو ضابط جيد"[4]، لكن ابن حجر قال في موضع آخر من فتح الباري: "ومن أحسن التعاريف قول القرطبي في "المفهم"[5]: كل ذنب أطلق عليه بنص كتاب أو سنة أو إجماع أنه كبيرة أو عظيم أو أخبر فيه بشدة العقاب أو علق عليه الحد أو شدد النكير عليه فهو كبيرة. وعلى هذا فينبغي تتبع ما ورد فيه الوعيد أو اللعن أو الفسق من القرآن أو الأحاديث الصحيحة والحسنة ويضم إلى ما ورد فيه التنصيص في القرآن والأحاديث الصحاح والحسان على أنه كبيرة، فمهما بلغ مجموع ذلك عرف منه تحرير عدها"[6].

والذي يهمنا هنا كون الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس من الكبائر.

فأما الإشراك بالله[7]، فقال ابن القيم مبيناً كونه من الكبائر المهلكة: "حقيقة

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٥٣، ٥٩٧٦، ومسلم ٨٧.

(٢) فتح الباري ٤١١/١١، .

(٣) الموسوعة الفقهية ١٥٣/٣٤، وفتح الباري ٤١١/١٠، ١٨٣/١١.

(٤) فتح الباري ٤١١/١٠.

(٥) المفهم ٢٨٤/١

(٦) فتح الباري ١٨٤/١٢، .

(٧) قال ابن دقيق العيد، في إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٣٦١: يحتمل أن يراد به مطلق الكفر فيكون تخصيصه بالذكر لغلبته في الموجود، لاسيما في بلاد العرب. فذكر تنبيهاً على غيره. ويحتمل أن يراد به: خصوصه، إلا أنه يرد على هذا الاحتمال: أنه قد يظهر أن بعض الكفر أعظم قبحاً من الإشراك، وهو كفر التعطيل، فبهذا يترجح الاحتمال الأول.

الشرك هو التشبه بالخالق وتشبيه المخلوق به، هذا هو التشبيه في الحقيقة... فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، فإن من خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق، وجعل ما لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فضلاً عن غيره، شبيهاً لمن له الأمر كله، فأزمة الأمور كلها بيديه ومرجعها إليه، فمن شاء كان وما لم يشألم يكن، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، بل إذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد، فمن أقبح التشبيه تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات، ومن خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والتوبة والتوكل والاستعانة، وغاية الذل مع غاية الحب، كل ذلك يجب عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون له وحده، ويمتنع عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون لغيره، فمن جعل شيئاً من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثيل له ولا ند له، وذلك أقبح التشبيه وأبطله، ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة ..."[1].

أما قتل النفس التي حرم الله قتلها، فقد وردت آيات وأحاديث كثيرة تعظم من أمر القتل وتبين الوعيد الشديد على ذلك، من هذا حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أول ما يقضي بين الناس في الدماء"[2]. قال النووي: "فيه تغليظ أمر الدماء، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، وهذا لعظم أمرها وكثير خطرها"[3]، وقال ابن حجر: " وفي الحديث عظم أمر الدم، فإن البداءة إنما تكون بالأهم، والذنب يعظم بحسب عظم المفسدة وتفويت المصلحة، وإعدام البنية الإنسانية غاية في ذلك، وقد ورد

---

(١) الداء والدواء ٢٠٨-٢٠٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٣٣، ومسلم ١٦٧٨.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٧٤/١١/٧، ط دار عالم الكتب.

في التغليظ في أمر القتل آيات كثيرة وآثار شهيرة يأتي بعضها في أول (كتاب الديات"[١].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[٢]، قال ابن كثير: "أى ومن قتل نفساً بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية، فكأنما قتل الناس جميعاً لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس، ومن حرم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار ... وقال سعيد بن جبير: "من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعاً، ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم دماء الناس جميعاً"[٣].

وأما عقوق الوالدين فقال ابن دقيق العيد: "عقوق الوالدين معدود من أكبر الكبائر في هذا الحديث، ولاشك في عظم مفسدته، لعظم حق الوالدين"[٤]. وقال ابن حجر: "والعقوق - بضم العين المهملة- مشتق من العق، وهو القطع، والمراد به صدور ما يتأذى به الوالد من ولده من قول أو فعل إلا في شرك أو معصية ما لم يتعنت الوالد. وضبطه ابن عطية بوجوب طاعتهما في المباحات فعلاً وتركاً، واستحبابها في المندوبات، وفروض الكفاية كذلك. ومنه تقديمها عند تعارض الأمرين وهو كمن دعته أمه ليمرضها، مثلاً بحيث يفوت عليه فعل واجب إن استمر عندها ويفوت ما قصدته من تأنيسه لها، وغير ذلك لو تركها وفعله وكان مما يمكن تداركه مع فوات الفضيلة كالصلاة أول الوقت أو في الجماعة"[٥].

وقال ابن دقيق العيد: "قال شيخنا الإمام أبو محمد بن عبدالسلام: وقد حرم على

---

(١) فتح الباري ٣٩٧/١١، ط السلفية.

(٢) سورة المائدة، آية: ٣٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٩٢/٣، وانظر: الداء والدواء، لابن القيم ٢٢٥-٢٣٠.

(٤) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٦١.

(٥) فتح الباري ٤٠٦/١١ .

الولد السفر إلى الجهاد بغير إذنهما، لما يشق عليهما من توقع قتله، أو قطع عضو من أعضائه ولشدة تفجعهما على ذلك، وقد ألحق بذلك كل سفر يخافان فيه على نفسه أو على عضو من أعضائه"[١].

وأما اليمين الغموس من الكبائر: "لما فيها من أكل المال بالباطل ظلماً وعدواناً والاستخفاف بحرمة اليمين بالله"[٢].

وقال القرطبي المفسر: "قد جمع هذا الحالف الكذب واستحلال مال الغير، والاستخفاف باليمين بالله تعالى، والتهاون بها وتعظيم الدنيا. فأهان ما عظمه الله وعظم ما حقره الله وحسبك، ولهذا قيل: إنما سميت اليمين الغموس غموساً، لأنها تغمس صاحبها في النار"[٣].

رابعاً- من حقوق المدعو: السؤال عما يشغله:

هذا واضح من سؤال الأعرابي النبي ﷺ فقال: "يارسول الله: ما الكبائر؟، قال: الإشراك بالله، قال: ثم ماذا؟، قال: اليمين الغموس...". الحديث. فإن هذا الأعرابي يغلب على الظن أنه سمع عن الكبائر وعن الوعيد الشديد على فعلها، فأراد أن يسأل النبي ﷺ عنها حتى يتجنبها ولا يقارفها. قال ابن القيم عن انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر، فقال: "وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم والأئمة على أن من الذنوب كبائر وصغائر، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾[٥]، وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ، ص ٣٦١.

(٢) المرجع السابق ص ٣٥٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٨/٦/٣.

(٤) سورة النساء، آية: ٣١.

(٥) سورة النجم، آية: ٣٢.

ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر"[١]،[٢].

خامساً- من فقه الداعية: استخدام الألفاظ المعبرة عن المعنى تعبيراً موحياً:

هذا واضح في قوله ﷺ: "اليمين الغموس"، فقد عبر عن اليمين الكاذبة عمداً باليمين الغموس، قال ابن حجر: "قيل سميت بذلك لأنها تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار"[٣].

ومن هذا القبيل: ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ قال: "من الكبائر شتم الرجل والديه"، قالوا: يارسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه"[٤]، قال النووي: "فيه دليل على أن من تسبب في شيء جاز أن ينسب إليه ذلك الشيء، وإنما جعل هذا عقوقاً؛ لكونه يحصل منه ما يتأذى به الوالد تأذياً ليس بالهين"[٥].

ومن هذا القبيل أيضاً ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا. فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ. أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ. ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[٦].

قال النووي: "معناه أن هذا حقيقة المفلس وأما من ليس له مال ومن قلّ ماله فالناس يسمونه مفلساً، وليس هو حقيقة المفلس، لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته. وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته. وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث، فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت

---

(١) أخرجه مسلم ٢٣٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الداء والدواء ١٩٢، وانظر: الموسوعة الفقهية ١٤٨/٣٤.

(٣) فتح الباري ٥٥٥/١١، .

(٤) أخرجه البخاري ٥٩٧٣، ومسلم ٩٠.

(٥) شرح صحيح مسلم ٩٠/٢/١، ، وانظر: فتح الباري ٤٠٣/١٠-٤٠٤.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٨١.

حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه، ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه"[١].

ولا شك أن استخدام الداعية للألفاظ المعبرة عن المعنى تعبيراً موحياً يجعل الرسالة الدعوية تصل إلى المدعوين وفيها من التأثير ما فيها، مما يسهل قبولهم لها ويسرع بامتثالهم إياها. وهذا هو مقصود الداعية من دعوته.

(١) شرح صحيح مسلم ٨/١٦/١٢٧-١٣٨، .

الحديث رقم (١٧١٥)

١٧١٥- وعن أَبي أُمَامَة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ. وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ)) فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً يَا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: ((وإنْ (كَانَ) [1] قَضِيباً مِنْ أرَاكٍ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

ابو امامة بن ثعلبة الحارثي الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٤).

غريب الألفاظ:

قضيباً من أراك: أي عوداً من شجر المسواك[3].

الشرح الأدبي

إن الحفاظ على مال الغير من المسلمين والذميين واجب شرعي، والمسلم أولى من غيره في هذا الباب؛ لأن حقه في الحفاظ على ماله لا يسقط بأي حال من الأحوال، ولذلك تضمن هذا الحديث مثل السابق عليه عدة ظواهر أسلوبية وفنية تساعد في جلاء المعنى، وترسيخه في النفوس، ومن هذه الظواهر الأسلوبية، بداية الحديث بالتوكيد، حيث يؤكد الراوي الخبر ويقول: "إن رسول الله ﷺ قال": وهذا التأكيد لأهمية الخبر ومضمونه في الحديث.

ورسول الله ﷺ يصوغ بيانه الشريف في إطار أسلوب الشرط والجواب، وأداة الشرط "من" وفعل الشرط "اقتطع حق امرئ مسلم"، وجواب الشرط: "فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة".

---

(١) (كان) لا توجد عند مسلم، والزيادة من النسائي في المجتبى (٥٤١٩)، تبع المؤلف فيه المنذري.

(٢) برقم (١٣٧/٢١٨)، وتقدم برقم (٢١٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٤٦).

(٣) النهاية في (ق ض ب)، والوسيط في (أ ر ك).

ولنتأمل صيغة الافتعال في قوله: "اقتطع" والمراد قطع أو أخذ، ولكن هذه الصيغة تومئ إلى الإكراه والاغتصاب، وكأن هذا الذي أخذ حق غيره يقتطع جزءاً من جسد صاحب الحق، والتعبير بقوله: "حق امرئ مسلم" عبر بحق ليعم المال وغيره من ممتلكات الإنسان الخاصة، ولذلك عدل عن قوله: "مال" إلى "حق" لإفادة أن هذا المال وغيره من اختصاص صاحبه، ولا حق لغيره فيه.

وقيل إن تخصيص الحق بالمرء المسلم لا يبيح أخذ مال الذمي بغير حق؛ فالعقوبة تطارد من يفعل ذلك، ومن أسرار التعبير البلاغية، مجيء جواب الشرط مقترناً بقد.. لتأكيد العقوبة وتغليظها، والتعبير بقوله: "أوجب الله له النار"، أشد في تغليظ العقوبة، والسخرية من الحالف كذباً من قوله: "أدخله الله النار"، وتزداد العقوبة تغليظاً وتأكيداً: بالجملة الثانية المعطوفة على جواب الشرط في قوله: "وحرم الله عليه الجنة".

ومن أسرار التعبير وجمالياته: هذا الحوار الصادق بين رسول الله وأحد الصحابة، وقد جاء الحوار في صيغة الجواب والشرط مقروناً بالاستفهام في كلام الرجل، وحذف جواب الشرط في السؤال والجواب، وذلك للعلم به، لأن العقوبة أوجبها الله وهي دخول النار: وتحريم الجنة.

ولنتأمل هذا السؤال الحقيقي وإن كان شيئاً يسيراً يارسول الله؟، وهو سؤال فيه حيرة ودهشة وقلق، ويأتي جواب رسول الله محدداً وواضحاً يزيل أي لبس ويجلو أي شبهة "وإن كان قضيباً" من أراك، وجواب الشرط محذوف والتقدير: فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧١٦)

١٧١٦- وعن عبد اللهِ بن عمرو بن العاصِ رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**الكَبَائِرُ: الإشْرَاكُ باللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، واليَمِينُ الغَمُوسُ**)). رواه البخاريُّ[1].

وفي روايةٍ لَهُ[2]: أنَّ أعْرابياً جَاءَ إِلَى النبيِّ ﷺ، فَقَالَ: يا رسولَ اللهِ مَا الكَبَائِرُ؟ قَالَ: ((**الإشْرَاكُ باللهِ**)) قَالَ: ثُمَّ مَاذا؟ قَالَ: ((**اليَمِينُ الغَمُوسُ**)) قلتُ: وَمَا اليَمِينُ الغَمُوسُ؟ قَالَ: ((**الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ!**)) (يعني بيَمِينٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ)[3].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

اليمين الغموس: اليمين الفاجرة، وهي أن يحلف على أمر وهو يعلم أنه كاذب، وهي بذلك تغمس، صاحبها في الإثم، ثم في النار[4].

الشرح الأدبي

يقدم هذا الحديث الشريف في أسلوب واضح محدد أربعة أنواع من الكبائر، وليست الكبائر محصورة في هذه الأربعة، وإنما جيء بها هنا لشدة أمرها وغلظها.

والكبائر جمع كبيرة، وهو جمع أقصى، على وزن مفاعل، والكبيرة -كما قال العلماء- ما توعد عليه بالعذاب أو الغضب في الكتاب والسنة.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي، ودلالات الألفاظ وموحياتها في هذا الحديث الشريف، فقوله: "الكبائر" مبتدأ ...، وهو يحتاج إلى خبر لتتم فائدة الكلام، وفي رواية أخرى: بُدىء الحديث بسؤال من أعرابي: "ما الكبائر؟" وخبر المبتدأ في هذه الرواية: هو

---

(١) برقم (٦٦٧٥)، ومسلم (٦٩٢٠)، وتقدم برقم (٣٣٨). أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٣٥، و٣٦٧٩).

(٢) البخاري برقم (٦٩٢٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٣٥).

(٣) لفظ البخاري: (هو فيها كاذب)، بدل: (يعني: بيمين هو كاذب).

(٤) معجم لغة الفقهاء ٤٨٤.

بقية الحديث: وهو أخبار معطوفة.

ونلاحظ أنها جاءت على نسق واحد في البناء اللغوي، حيث المصادر المضافة إلى متعلقاتها، وهي: "الإشراك، وعقوق، وقتل": وكل مصدر مضاف إلى ما بعده وكأن هذه المخالفة هي مصدر الكبيرة ومنبعها، وأما اليمين فقد وصفت بالغموس، وفي ذلك تميز في تركيب هذه الجملة؛ لأن الناس يمكن أن يستهينوا بذلك الأمر، فتميز التركيب اللغوي، لإثارة الانتباه واليقظة.

وحين نتأمل دلالة الألفاظ التي تمثل مصادر الكبائر لغة ومعنى في الحديث الشريف، نجد أن الفعل أشرك، وهو مأخوذ من المصدر إشراك: ذكر في القرآن الكريم وما يشتق منه، مائة وثمانية وستين مرة، وقد أخذ هذا المصطلح من معنى الشركة: أي مخالطة الشريكين وهو المعنى الأساسي ولكن مصطلح" الشرك بالله أو المشرك" لم يعرف إلا بعد نزول القرآن الكريم، والمشرك أبعد في الضلالة من الكافر؛ لأن أساس العقيدة الإسلامية هو التوحيد، والمشرك يحتاج للعودة إلى دين الله الخالص أن يكفر أولاً بآلهته، وأن يؤمن ثانياً بالله عز وجل وحده لا شريك له[1]، ولذلك جاء الإشراك في مقدمة الكبائر، "وعقوق الوالدين": من الكبائر: لأنه يلغي حقهما من البر والرعاية ومدلول عق في اللغة: شق، وكأنه يشق عصا الطاعة، والعقة في اللغة، حفرة عميقة في الأرض، وكأن من يعق والديه يُلقي بهما في حفرة عميقة من الإهمال والحسرة والأحزان، وفي ذلك معصية لله عز وجل ومخالفة لقوله سبحانه: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾[2].

وأما وصف اليمين بالغموس: فذلك له إيحاء ودلالة عميقة تصور فداحة الجرم الذي ارتكبه ذلك الحالف كذباً، وقد وصفت اليمين الغموس بذلك، لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار.

---

(١) انظر: التطور الدلالي: بين لغة الشعر ولغة القرآن، د. عودة خليل أبو عودة.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

والدلالة اللغوية تتفق مع الدلالة في الحديث الشريف، لأن الغموس في اللغة هو الأمر الشديد الغامس في الشدة، وهو الناقة لا يستبان حملها، والغميس: هو الليل المظلم، والظلمة، والشيء الذي لم يظهر للناس[1]، ولم يعرف بعد، فتأمل ما خلف وما وراء وصف اليمين الكاذبة بالغموس، من إيحاءات ودلالات وأسرار وذلك من دلائل بلاغة النبوة، وفصاحة المصطفى ﷺ.

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر: القاموس المحيط، في "غ م س" وفي "ع ق".

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧١٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - الترهيب من اليمين الكاذبة:

جاءت أحاديث الباب مرهبة من اليمين الكاذبة والكذب لذاته محرم، وهذا الكذب إذا قرن باليمين، واليمين تعظيم الله عز وجل فإذا كان على كذب صار فيه شيء من تنقص لله عز وجل حيث جعل اسمه مؤكدًا لأمر كذب، ولذلك كان الحلف بالله كاذبًا عند بعض أهل العلم من اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار[1].

فعلى المربي أن يرهب من يقوم بتربيتهم من اليمين الكاذبة - أي الحلف بالله كذبًا - لأنها من كبائر الذنوب التي تؤول بصاحبها إلى النار.

فمن حلف على شيء كاذبًا ألجأته إليه الخصومة. وحمله عليه الجحود والمكابرة في الحق، وهو بها محدث في دينه حدثًا، وفاتق فيه فتقًا وخارج عن الحق خروجًا - من حلف هذه اليمين ليسلب به مال إنسان أو حقه. ويحول بينه وبينه لقي الله في القيامة وهو عليه غضبان. فينتقم على كذبه واستيلائه على مال غيره، بهذه الطريقة الخاطئة، واليمين الفاجرة. ويدخل ناره ليتخذ له فيها منزلاً، يصلى سعيره، ويقاسي جحيمه، فإن كان الذي اقتطع ماله أخًا مسلمًا كان الجرم أكبر، والعقاب أعظم فإن واجب المسلم نحو المسلم مساعدته على استرداد حقوقه، واسترجاع ماله؛ أما أن يقتطع قطعة من ماله ظلمًا وعدوانًا ويكذب في سبيلها ويمتهن اسم الله لسلبها فذلك ما ينافي الإيمان؛ وبهذا التحليل عرفت أن ذكر المسلم لا يراد به التخصيص؛ وقصر الحكم عليه؛ وإباحة أموال غيره ممن لا يدين بدينه؛ بل ذكره لتفظيع الجريمة، وأن أخوة الإسلام تستدعي الصدق؛ والتزام الحق؛ وكذلك كلمة "يمين" في قوله: من حلف على يمين صبر يراد بها المحلوف عليه وسمي يمينًا لتعلقه بها، أو تقول "على" زائدة والمعنى من حلف يمين صبر.

الكذب في نفسه جريمة لأنه قلب للحقائق، وتعمية على الناس؛ وإضلال لهم عن

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، ابن عثيمين، ٢١٨/٢.

الحقيقة؛ وداعية فقد الثقة في المعاملة والمحادثة، فإن انضم إليه تأكيده بالأيمان الكاذبة الفاجرة؛ التي فيها امتهان أسماء الله المقدّسة، وصفاته العالية كانت الجريمة أكبر، فإذا أضيف إلى ذلك قطع الحقوق عن أربابها. والحيلولة بينهم وبينها كان فحش الجريمة نهاية. فإن كان إلى ذلك وقوعها على أخيك في الدِّين وتربك في العقيدة كان الفحش نهاية النهاية؛ وأقصى الغاية؛ فلا تعجب أن يكون العقاب غضب الجبار؛ وأن يكون المتبوأ النار؛ فإياك واليمين الفاجرة؛ وإياك ومال أخيك؛ واحترم للقضاء مكانته، ولبارئك أسماءه وصفاته؛ ولا تبتغ بها عرضًا من الدنيا؛ غناؤه قليل؛ وعقباه جحيم؛ واقرأ الآية المرة تلو المرة؛ وعد بأولها على آخرها وبآخرها على أولها لترى عظم الجريمة؛ وشدة العقوبة[1].

ثانيًا - التربية بالخوف من الظلم:

الظلم حرام قليله وكثيره، وأكل حق الغير بغير وجه باب من أبواب الظلم، وقد ذكر رسول الله ﷺ أن من اقتطع حق مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وفي ذلك تخويف من الظلم.

فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وفي الدنيا نزاع وعداوة، ومتلفة وخسارة والطمع عقبه الندم[2]، فعلى المربي أن يحذر المسلم من الظلم، فلا يدنس نفسه الطاهرة برجسه ويعتدي على حق أحد بظلمه بالقول أو الفعل، فمن أشنع الصفات وأقبحها، وأجرئها على الله: أن يظلم المسلم أخاه المسلم، فهو بهذا يرتكب إثمًا مبينًا وجرمًا عظيمًا، فليحذر عاقبته فإنها وخيمة، ودعوة المظلوم مستجابة، ولو كان المظلوم فاجرًا ففجوره على نفسه، قال رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن: ((وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ))[3][4].

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ٨٠، ٨١ والمراد بالآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ سورة آل عمران، آية: ١٧٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٦٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤٤٨، ومسلم ١٩.

(٤) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح الصغير، ص ٢١٢.

ثالثًا - من مصادر التربية: القرآن الكريم:

القرآن الكريم منبع هداية وإرشاد، ويحتوي على آيات تهدي للحق، وعلى تعاليم تعمق الوعي الأخلاقي، وتدعم القيم والمسؤولية الاجتماعية، وتزكي النفوس، وتحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[1] ويتضمن القرآن الكريم عديداً من القيم والمثل العليا والحكم البالغة التي تقدم إلى النفس غذاءً كاملاً، لذا يعد القرآن الكريم الإطار المرجعي لكافة شؤون المسلمين، ومنبعًا رئيسًا للفكر التربوي الإسلامي تشتق منه التربية الإسلامية أهدافها[2].

وقد استخدم النبي ﷺ القرآن الكريم مصدرًا تربويًا للمسلمين عندما قال: "من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه، لقي الله وهو عليه غضبان" ثم قرأ مصداقه من كتاب الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ إلى آخر الآية[3]؛ فالقرآن الكريم هو الأصل الأول، والأصل الرئيسي الذي ينبغي أن تستمد منه التربية الإسلامية [4].

رابعًا - التربية على الكسب الحلال:

لقد اهتم الإسلام بالكسب المعيشي اهتمامًا كبيرًا، فبين المهن والمكاسب المحرمة التي ينبغي صد جميع الوسائل المفضية إليها، ومن ذلك المكاسب المبنية على الحلف الكاذب الذي حذرت منه أحاديث الباب حيث قال ﷺ: "من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه، لقي الله وهو عليه غضبان...". وقال ﷺ: "من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة" ... "وإن كان قضيبًا من أراك" وعندما سئل عن اليمين الغموس؟ قال: "الذي يقتطع مال امرئ مسلم".

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٩.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب، وآخرين.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٧٧.

(٤) أصول التربية، د. سعيد إسماعيل علي، ص ٢٧.

كما حرم الإسلام صناعة الخمور، والمخدرات، والأعمال الربوية، وغيرها من المحرمات التي بينتها كتب الفقه الإسلامي.

فينبغي تجنب المكاسب المبنية على الخداع والغش والحلف الكاذب، وغيرها من الرذائل السلوكية، وقد حذر ﷺ من فتنة المال التي تؤدي بالإنسان إلى عدم المبالاة بمكسبه، قال عليه الصلاة والسلام: ((يأتي على الناسِ زمانٌ لا يُبالي المرءُ ما أخَذَ منه أمِنَ الحلالِ أم منَ الحرام))[1].

فينبغي على العامل المسلم أن يتحرى في كسبه الأعمال المشروعة أولاً، ثم يتحرى سلامة الكسب، من الغش والخداع وسائر الرذائل، وأن يتحرى الصدق والأمانة والإخلاص، قال ﷺ: ((لا تزولُ قَدَما عَبْدٍ يَوْمَ القيامَةِ، حتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فيما أفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا فَعَلَ بِهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أيْنَ اكْتَسَبَهُ، وفِيْمَا أنْفَقَهُ وعن جِسْمِهِ فيما أبْلاَهُ))[2].

فالكسب الحلال من أهم الأشياء التي ينبغي أن لا يغفل عنها المسلم، وأن توليها المؤسسات التربوية اهتمامها الكبير، عن طريق الأنشطة التربوية، والمناهج الدراسية[3].

خامسًا - التربية العقدية:

إن الهدف الأمثل للإنسان في الإسلام هو الإيمان بعقيدة التوحيد، المحدد الأمين لإطار السلوك الذي يناسب الإنسان في كل زمان ومكان[4].

وقد قام الرسول المربي ﷺ ليلقن هذا الدرس في التربية العقدية للجميع، وينفي عن الله الشرك والإلحاد، والزيغ والانحراف، فقال كما في هذا الباب: الكبائر: "الإشراك بالله".

وليحل التوحيد محل ما كانت البشرية تعرفه من زيغ وضلال وتخبط وتعدد للآلهة

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٥٩.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٤١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٧٠).

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص ١٩٢، ١٩٣.

(٤) فلسفة الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص ١٨٧.

واتضحت صورة الأنبياء لدى الناس بحيث لم يعد هناك مجال لإضفاء بعض صفات الله سبحانه على بعض أنبيائه ورسله وأزال عن النبوة ما كان يصفها الناس به من كهانة وخرافة، وجعل الإسلام من العبادات الصحيحة فيه مجالاً تطبيقيًا للعقيدة الخالية من كل الشوائب المبرأة من كل ألوان الزيغ والانحراف[١].

وفي إمامة الرسول ﷺ للأنبياء ليلة الإسراء والمعراج درس أساسي مقصود هو: أن عقيدة الأنبياء واحدة، وأنهم جميعًا يدعون إلى توحيد الله تعالى وتنزيهه عن كل ما يغايره ذاتًا وصفاتًا وأفعالاً[٢]، ((إنَّ مثلي ومَثل الأنبياء من قَبلي كمثل رجُلٍ بنى بيتًا فأحسَنَهُ وأجملَهُ، إلا مَوضعَ لبنةٍ من زاويةٍ، فجعلَ الناسُ يطوفونَ بهِ ويعجَبونَ له ويقولون: هلاّ وُضِعَت هذه اللبنةُ؟ قال: فأنا اللَّبنة، وأنا خاتمُ النَّبيين))[٣].

وهكذا تعمل التربية العقدية على غرس الإيمان بالله وتوحيده في قلب المسلم، ونفي الشرك والزيغ والانحراف في الاعتقاد عنه؛ لأن اتخاذ الأنداد والوسطاء، والأولياء، والشفعاء، ودعاؤهم في الملمات أكبر جريمة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٤].

سادسًا – التربية على بر الوالدين:

إن حق الوالدن عظيم، ومنزلتهما عالية في الدين، فبرهما قرين التوحيد، وشكرهما مقرون بشكر الله عز وجل، والإحسان إليهما من أجل الأعمال، وأحبها إلى الكبير المتعال.

فبر الوالدين مما أقرته الفطر السوية، واتفقت عليه الشرائع السماوية، وهو خلق الأنبياء، ودأب الصالحين، كما أنه دليل على صدق الإيمان، وكرم النفس، وحسن

---

(١) المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، د. علي عبدالحليم محمود، ص ١٥، ١٦.

(٢) دروس من الإسراء والمعراج، د. رؤوف شلبي، مجلة الأزهر، تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الجزء الخامس، السنة التاسعة والأربعون، رجب ١٣٩٧هـ، يوليو ١٩٧٧م، القاهرة، ص ٨٨٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٥٣٥، ومسلم ٢٢٨٦.

(٤) سورة النساء، آية: ٤٨.

الوفاء، وبر الوالدين من محاسن الشريعة الإسلامية، ذلك أنه اعتراف بالجميل، وحفظ للفضل، وعنوان على كمال الشريعة، وإحاطتها بكافة الحقوق. كما نهى الإسلام عن عقوق الوالدين، وحذر منه أشد التحذير فهو كبيرة من الكبائر وهو قرين للشرك، كما قال ﷺ: "الكبائر... وعقوق الوالدين". ويكفي في ذلك قوله: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾[1] فما بالك بما فوق كلمة (أف)[2].

وعقوق الوالدين عقابه عظيم في الدنيا والآخرة، وهو سبب في غضب رب العالمين، فعلى المربين التحذير منه والترهيب.

سابعًا- من أهداف التربية: المحافظة على النفس:

إن قتل النفس من الكبائر كما قال ﷺ: "الكبائر: ... وقتل النفس".

حَرَّمَ الله قتل النفس بغير حق، وأنزل أشد العقوبة بمرتكب ذلك، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾[3]، وقال: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾[4].

وذكر الله قصة قتل أحد أبناء آدم لأخيه وكانت أول حادثة قتل على الأرض ثم عقّب عليها بقوله: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[5].

وحرم الله الانتحار: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[6].

وفي بعض أبواب الحدود من الفقه الإسلامي أحكام القتل، والديات والقصاص،

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٢) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم الحمد، ص ١٥-١٧.

(٣) سورة الإسرا، آية: ٣٣.

(٤) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٥) سورة المائدة، آية: ٣٢.

(٦) سورة النساء، آية: ٢٩.

ودراستها تزرع في نفوس الناشئة احترام الأرواح، والنفوس، والبعد عن التفكير بالثأر أو الاعتداء، أو أي جريمة من هذا النوع، كما تزرع العدالة، وحب القصاص، وما ينتج عن ذلك[1].



(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص ٦٢.

٣١٦- باب ندب من حلف عَلَى يَمينٍ فرأى غيرها خيراً مِنْهَا أنْ يفعل ذَلِكَ المحلوف عَلَيهِ ثُمَّ يُكَفِّر عن يمينه

الحديث رقم (١٧١٧)

١٧١٧- عن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ)). متفق عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالرحمن بن سمرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٧٤).

غريب الألفاظ:

كفِّر عن يمينِك: من الكفّارة: الفَعْلَةُ أو الخَصْلَةُ التي من شأنها أن تُكفِّر الخطيئة، أي: تسترها وتمحوها[٢].

الشرح الأدبي

يجيء هذا الحديث في مقدمة باب ندب من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها أن يفعل ذلك المحلوف عليه ثم يكفر عن يمينه، وفي ذلك تغليب للخير وإيجاد منافذ جديدة لمن أقسم على شيء ثم رأى أن في القيام به خيراً له وللمسلمين.

والحديث جزء من محاورة دارت بين رسول الله ﷺ وعبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه، حيث يخبر في بداية الحديث بأن رسول الله ﷺ قال له: "وإذا حلفت ... الحديث"، والواو هنا لها وظيفة دلالية، فهي تشعر بأن هذا الحديث جزء من حديث، وهذا الحديث معطوف على ما قبله من كلام محذوف، وربما ورد في رواية أخرى.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٢٢) واللفظ له، ومسلم (١٦٥٢/١٩).

(٢) النهاية في (ك ف ر).

والحديث صيغ في قالب: الشرط والجواب، وأداة الشرط "إذا" وهي هنا أنسب من غيرها من الأدوات، لأنها تفيد التحقق، وكثير من الناس يحلفون ثم يتبين لهم أن ما حلفوا عليه أو على منعه يتضمن خيراً لهم ولغيرهم لو تحقق، فهذا سلوك واقعي، ويحدث كثيراً، ومن هنا تتضح بلاغة التعبير بإذا دون غيرها من الأدوات في هذا المقام، وذلك السياق، وفعل الشرط معطوف عليه جملة تضيء الموقف، وتوضح الرؤية، وتحدد الحكم الصحيح، وهي قوله: "فرأيت غيرها خيراً منها".

ورأى: هنا: علمية تفيد التيقن والمعرفة، والجواب يأتي في صيغة الأمر لمزيد من الترغيب في ذلك وقوله: "الذي هو خير"، لتحديد معيارية التفضيل وهي خيرية العمل، وليست القيمة المادية أو الاجتماعية واسم الموصول في قوله: "فأت الذي هو خير" لتمييز المسند إليه أكمل تمييز، وقوله: "هو" لمزيد من التحديد والتمييز والترغيب، وقوله: "وكفر عن يمينك"، جملة معطوفة على الجواب، وموضحه له.

وتمثل مخرجاً من الحرج الذي يقع فيه من يتراجع عن يمينه: وقال العلماء: التكفير بعد الحنث واجب، وفعل الأمر في قوله: "وكفر عن يمينك" يؤيد ذلك.

والكفارة في الفقه الإسلامي: ما يفعله الإنسان من عمل صالح أو صدقة طيبة أو صوم ليغفر الله له سيئة اقترفها، أو عملاً غير صالح عمله، أو يميناً حلف به، وقد وردت كلمة "كفارة" في القرآن الكريم في أربع آيات كلها في سورة المائدة، وهي آخر سورة نزلت في القرآن الكريم لتبين للناس كثيراً من أحكام هذا الدين، والكفارة: مأخوذة من التكفير، وهي في اللغة: التغطية والستر، كما قال تعالى: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾[1]. فالكفارة: تعطي وتستر المخالفة والمعصية، والله سبحانه وتعالى يعفو، ويصفح، ويغفر، ويستر، ويرحم، ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحنث في اليمين أفضل من التمادي إذا كان في الحنث مصلحة.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٥.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧١٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧١٨، ١٧١٩، ١٧٢٠).

ثانياً: من واجبات الداعية: أن يوافق فعله قوله.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: إثم من يتمادى في يمينه وتضرر أهله بذلك.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: يسر الشريعة الإسلامية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحنث في اليمين أفضل من التمادي إذا كان في الحنث مصلحة:

هذا واضح من الأحاديث: قال النووي: "في هذه الأحاديث دلالة على من حلف على فعل شيء أو تركه، وكان الحنث خيراً من التمادي على اليمين، استحب له الحنث وتلزمه الكفارة. وهذا متفق عليه"(١). وقال ابن تيمية: "فهذه نصوص رسول الله ﷺ المتواترة أنه أمر من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها أن يكفر عن يمينه ويأتي الذي هو خير"(٢)، وقد فصل ابن حجر فقال: "إن الحنث في اليمين أفضل من التمادي إذا كان في الحنث مصلحة، ويختلف باختلاف حكم المحلوف عليه، فإن حلف على فعل واجب أو ترك حرام فيمينه طاعة، والتمادي واجب والحنث معصية وعكسه بالعكس. وإن حلف على فعل نفل فيمينه أيضا طاعة والتمادي مستحب والحنث مكروه، وإن حلف على ترك مندوب فبعكس الذي قبله، وإن حلف على فعل مباح فإن كان يتجاذبه رجحان الفعل أو الترك كما لو حلف لا يأكل طيبا ولا يلبس ناعما ففيه عند الشافعية خلاف، وقال ابن الصباغ وصوبه المتأخرون: إن ذلك يختلف باختلاف الأحوال، وإن كان مستوي الطرفين فالأصح أن التمادي أولى والله أعلم"(٣).

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٤)، قال ابن تيمية: "إن السلف مجمعون أو كالمجمعين على أن معناها: أنكم لا تجعلوا الله مانعاً لكم إذا حلفتم به، من البر والتقوى والإصلاح بين

---

(١) شرح مسلم ١١٣/١١/٦- ١١٤ ط دار عالم الكتب.

(٢) مجموع الفتاوى ١٦٨/١٨ ط العبيكان، ٢٨٠/٣٥، ط ابن قاسم.

(٣) فتح الباري ١١،٥٢١، .

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٢٤.

الناس، بأن يحلف الرجل ألا يفعل معروفاً مستحباً أو واجباً، أو ليفعلن مكروهاً أو حراماً ونحوه. فإذا قيل له: افعل ذلك أو لا تفعل هذا. قال: قد حلفت بالله، فيجعل الله عرضة يمينه. فإذاً كان قد نهى عباده أن يجعلوا نفسه مانعاً لهم في الحلف من البر والتقوى"[١]. وقال ابن حجر: "والمراد لا تجعل اليمين الذي حلفت أن لا تفعل خيراً سواء كان ذلك من عمل أو ترك، سبباً يعتذر به عن الرجوع عما حلفت، خشية من الإثم المرتب على الحنث، لأنه لو كان إثماً حقيقةً لكان عمل ذلك الخير رافعاً له بالكفارة المشروعة، ثم يبقى ثواب البر زائداً على ذلك"[٢].

وقال ابن عثيمين: "فالحاصل أن الإنسان إذا حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه ويأتي الذي هو خير، وهو بالخيار إن شاء فعل ثم كفر أو إن شاء كفّر ثم فعل ... وقد ثبت بالسنة القولية والفعلية أن الإنسان إذا حلف على شيء ورأى غيره خيراً منه فإنه يكفر عن يمينه ويأتي الذي هو خير. أما إذا لم يكن كذلك فالأفضل أن يبقى على يمينه وألا يحنث لقوله الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾[٣]، والله الموفق"[٤].

وقال عبدالله البسام: "الحلف على أمر مستقبل يريد الحالف تحقيق فعله أو تركه، لا يخلو من أمور:

١- فإن حلف على فعل محرّم أو ترك واجب، وجب حنثه وحرم برّه.

٢- وأما إن حلف على فعل مندوب أو ترك مكروه، فهنا يكره حنثه لما يترتب على برّه من الثواب الحاصل بفعل المندوب وترك المكروه.

٣- وأما إن حلف على فعل مكروه أو ترك مندوب. فهذا هو ما أشار إليه حديث الباب من أن المستحب أن يحنث، فيترك المكروه أو يفعل المندوب ويكفر عن يمينه.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨/١٦٦ ط العبيكان، ٣٥/٢٧٧، ط ابن قاسم.

(٢) فتح الباري ١١/٥٢١، .

(٣) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٧٦.

وهذا هو معنى قوله ﷺ: "إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفّر عن يمينك، وائت الذي هو خير"[١].

ثانياً- من واجبات الداعية: أن يوافق فعله قوله:

على الداعية أن يصدق فعله قوله، فإذا أمر الناس بشيء فعله، وإن نهاهم كان أول المنتهين. وهذا اقتداءً بالنبي ﷺ، حيث إنه ﷺ، "لم يأمر أتباعه وأصحابه بأمر إلا وقد سبقهم إلى العمل به"[٢].

والحنث في اليمين لمصلحة أرجح صورة عملية تطبيقية توضح موافقة فعله ﷺ لقوله، فحديث عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال لي رسول الله ﷺ: "وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها، فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: "من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها، فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير"، هذه هى السنة القولية، أما الفعلية ففي حديث أبي موسى "وفيه قصة توضح هذا التوافق والتطابق، "فعَنْ زَهْدَمٍ الْجَرْمِيِّ قَالَ كُنَّا عِنْدَ أَبِي مُوسَى وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ جَرْمٍ إِخَاءٌ وَمَعْرُوفٌ قَالَ فَقُدِّمَ طَعَامٌ قَالَ وَقُدِّمَ فِي طَعَامِهِ لَحْمُ دَجَاجٍ قَالَ وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ أَحْمَرُ كَأَنَّهُ مَوْلًى قَالَ فَلَمْ يَدْنُ فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى ادْنُ فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ مِنْهُ قَالَ إِنِّي رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ شَيْئًا قَذِرْتُهُ فَحَلَفْتُ أَنْ لا أَطْعَمَهُ أَبَدًا[٣] فَقَالَ ادْنُ أُخْبِرْكَ عَنْ ذَلِكَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي رَهْطٍ مِنْ الأَشْعَرِيِّينَ أَسْتَحْمِلُهُ[٤] وَهُوَ يَقْسِمُ نَعَمًا مِنْ نَعَمِ الصَّدَقَةِ قَالَ أَيُّوبُ (أحد رواة الحديث) أَحْسِبُهُ قَالَ وَهُوَ غَضْبَانُ قَالَ وَاللَّهِ لا أَحْمِلُكُمْ وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ قَالَ

---

(١) توضيح الأحكام ٨٥/٦.

(٢) الرسالة المحمدية، السيد سليمان الندوي، ١٧١.

(٣) يعني أنه رأى الدجاج يأكل نجاسة فاستقذره، فخلف الا يأكله لذلك. وظاهر قول هذا الرجل أنه كان يكره أكل ما يأكل النجاسات من الحيوانات. وقد اختلف في ذلك. قاله القرطبي في المفهم، ٦٢٧/٤.

(٤) قال ابن حجر: أى يطلب منه ما يركبه ... وكان ذلك في غزوة تبوك، كما تقدم أواخر كتاب المغازي. فتح الباري ٦١٢/١١، . والحديث في صحيح البخاري ٤٤١٥، وفي صحيح مسلم، ٨- ١٦٤٩.

فَانْطَلَقْنَا فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَهْبِ إِبِلٍ[١] فَقِيلَ أَيْنَ هَؤُلاءِ الأَشْعَرِيُّونَ فَأَتَيْنَا فَأَمَرَ لَنَا بِخَمْسِ ذَوْدٍ غُرِّ الذُّرَى[٢] قَالَ فَانْدَفَعْنَا فَقُلْتُ لأَصْحَابِي أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَسْتَحْمِلُهُ فَحَلَفَ أَنْ لا يَحْمِلَنَا ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْنَا فَحَمَلَنَا، نَسِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمِينَهُ وَاللَّهِ لَئِنْ تَغَفَّلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمِينَهُ لا نُفْلِحُ أَبَدًا ارْجِعُوا بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلْنُذَكِّرْهُ يَمِينَهُ فَرَجَعْنَا فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَيْنَاكَ نَسْتَحْمِلُكَ فَحَلَفْتَ أَنْ لا تَحْمِلَنَا ثُمَّ حَمَلْتَنَا فَظَنَنَّا أَوْ فَعَرَفْنَا أَنَّكَ نَسِيتَ يَمِينَكَ قَالَ انْطَلِقُوا فَإِنَّمَا حَمَلَكُمْ اللَّهُ إِنِّي وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا" [٣].

قال ابن دقيق العيد: "وقد أكد النبي ﷺ في هذا الحديث الحكم المذكور باليمين بالله تعالى، وهو يقتضي المبالغة في الحنث على الوفاء عند هذه الحالة، وهذا "الخير" الذي أشار إليه النبي ﷺ أمر يرجع إلى مصالح الحنث المتعلقة بالمفعول المحلوف على تركه مثلاً"[٤]. وقال ابن حجر: "قال ابن الأثير في النهاية[٥]: الحلف هو اليمين، فقوله " أحلف" أى أعقد شيئاً بالعزم والنية، وقوله: "على يمين"، تأكيد لعقده وإعلام بأنه[٦] ليست لغواً. قال الطيبي[٧]: ويؤيده رواية النسائي[٨] بلفظ: " ما على الأرض يمين أحلف عليها"، الحديث. قال: فقوله: "أحلف عليها" صفة مؤكدة لليمين. قال: والمعنى: لا أحلف يميناً جزماً لا لغو فيها ثم يظهر لي أمر آخر يكون فعله أفضل من المضي في اليمين المذكورة إلا فعلته وكفرت عن يميني، قال: فعلى هذا يكون قوله "على يمين" مصدراً مؤكداً لقوله أحلف، ولاشك أن موافقة فعل الداعية لقوله من أقوى

---

(١) أي غنيمة، فتح الباري ١١/ ٦١٢.

(٢) معناه: إبل بيض الأسنمة، شرح مسلم ١١٥/١١/٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣١٣٣، ٦٧٢١، ومسلم ٩-١٦٤٩.

(٤) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٣٥١.

(٥) النهاية في غريب الحديث ٢٢٥.

(٦) كذا في المطبوع من فتح الباري، ولعل الصواب: بأنها. فإن اليمين مؤنثة. انظر: القاموس المحيط في (ي م ن).

(٧) شرح الطيبي على المشكاة ٧/٢٣-٢٤.

(٨) أخرجه النسائي ٣٧٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٣٥٢٧).

الأسباب وآكد الطرق التي تؤدي إلى نجاحه في دعوته لأن ذلك يعطيه مصداقية عالية عند المدعوين، فيقبلون ما يرشدهم إليه"[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: إثم من يتمادى في يمينه وتضرر أهله بذلك:

هذا واضح من حديث أبي هريرة: "لأن يَلَجَّ أحدكم في يمينه في أهله آثم له عند الله تعالى من أن يعطي كفارته التي فرض الله عليه"، وفي رواية للبخاري: "من استلج في أهله بيمين فهو أعظم إثماً، ليبر. يعني الكفارة"[٢]، قال ابن تيمية: "أخبر النبي ﷺ أن اللجاج باليمين في أهل الحالف أعظم من التكفير، واللجاج: التمادي في الخصومة، ومنه قيل: رجل لجوج إذا تمادى في الخصومة...، فبين النبي ﷺ أن اللجاج باليمين أعظم إثماً من الكفارة، وهذا عام في جميع الأيمان"[٣].

وقال القرطبي المحدث: "اللجاج في اليمين: هو المضى على مقتضاه، وإن لزم من ذلك حرج ومشقة أو ترك ما فيه منفعة عاجلة أو آجلة، فإن كان فيه شيء من ذلك فالأولى له تحنيث نفسه، وفعل الكفارة قوله: "آثم له عند الله من أن يعطي ما فرض الله له من الكفارة" أي أكثر إثماً، وذلك إنما يكون إذا لزم من المضى في اليمين ترك واجب. هذا ظاهره. ويحتمل أن يكون إذا لزم من المضى في اليمين ترك مصلحة راجحة دنيوية، يطرأ عليه بسبب تركها حرج ومشقة"[٤].

قال النووي: "ومعنى الحديث أنه إذا حلف يميناً تتعلق بأهله ويتضررون بعدم حنثه ويكون الحنث ليس بمعصية فينبغي له أن يحنث فيفعل ذلك الشيء ويكفر عن يمينه، فإن قال: لا أحنث بل أتورع عن ارتكاب الحنث وأخاف الإثم فيه فهو مخطئ بهذا القول بل استمراره في عدم الحنث وإدامة الضرر على أهله أكثر إثماً من الحنث، واللجاج في اللغة هو الإصرار على الشيء، فهذا مختصر بيان معنى الحديث، ولا بد من تنزيله على

---

(١) فتح الباري ٦١٢/١١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٢٦.

(٣) مجموع الفتاوى ١٦٧/١٨ ط العبيكان، ٢٧٨/٣٥، ط ابن قاسم.

(٤) المفهم ٦٣٢/٤، ٦٤٣.

ما إذا كان الحنث ليس بمعصية كما ذكرنا، وأما قوله ﷺ "آثم" فخرج على لفظ المفاعلة المقتضية للاشتراك في الإثم لأنه قصد مقابلة اللفظ على زعم الحالف وتوهمه، فإنه يتوهم أن عليه إثماً في الحنث مع أنه لا إثم عليه فقال ﷺ الإثم عليه في اللجاج أكثر لو ثبت الإثم"[١]. وقال ابن حجر: "قال البيضاوي[٢]: "المراد أن الرجل إذا حلف على شيء يتعلق بأهله وأصر عليه كان أدخل في الوزر وأفضى إلى الإثم من الحنث لأنه جعل الله عرضة ليمينه وقد نهى عن ذلك، قال: وآثم اسم تفضيل وأصله أن يطلق للاجّ في الإثم فأطلق لمن يلج في موجب الإثم اتساعا، قال: وقيل معناه أنه [إن] كان يتحرج من الحنث خشية الإثم ويرى ذلك، فاللجاج أيضا إثم على زعمه وحسبانه، وقال الطيبي[٣]: "لا يبعد أن تخرج أفعل عن بابها كقولهم الصيف أحر من الشتاء ويصير المعنى أن الإثم في اللجاج في بابه أبلغ من ثواب إعطاء الكفارة في بابه، قال: وفائدة ذكر "الأهل" في هذا المقام للمبالغة وهي مزيد الشناعة لاستهجان اللجاج فيما يتعلق بالأهل، لأنه إذا كان في غيرهم مستهجنا ففي حقهم أشد"[٤].

وقال ابن هبيرة: "والذي أراه في هذا أنه إذا ترك ما جعله الله عز وجل متداركاً لقرطاب[٥] الآدميين في أيمانهم من الكفارات خائفاً من ذلك أن يأثم بفعل ما حلف عليه، فإن الذي آتاه من خوف ذلك آثم مما حلف. وبين هذا قوله ﷺ: "استلج في أهله بيمين فهو أعظم"[٦].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: يسر الشريعة الإسلامية:

هذا واضح من أمر النبي ﷺ بالحنث في اليمين إذا كان هناك مصلحة مع التكفير عن اليمين. قال ابن حجر عن حديث أبي موسى: "في الحديث ترجيح الحنث في

---

(١) شرح مسلم ٦/١١/١٢٨- ١٢٩، .
(٢) نقله الطيبي في شرح المشكاة ٢٤/٧.
(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٢٥/٧.
(٤) فتح الباري ٥١٩/١١.
(٥) جاء في القاموس المحيط ١٢٤: قرطب: غضب.
(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٢٦/٧.

اليمين إذا كان خيراً من التمادي وأن تعمد الحنث في مثل ذلك يكون طاعة لا معصية، وجواز الحلف من غير استحلاف لتأكيد الخبر ولو كان مستقبلاً، وهو يقتضي المبالغة في ترجيح الحنث بشرطه المذكور"[١].

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يفعلون ذلك؛ فعن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه لم يكن يحنث في يمين قط حتى أنزل الله كفارة اليمين، وقال: لا أحلف على يمين فرأيت غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني"[٢]. وفي رواية أخرى عند البخاري: "إلا قبلت رخصة الله، وفعلت الذي هو خير"[٣].

قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه ذكر شدة عزيمة أبي بكر والثبات على يمينه إذا حلف.

وفيه أيضاً دليل على أن اشتداده كان لله عز وجل لا لنفسه ولا من طبعه، فلما أنزل الله عز وجل كفارة اليمين، ترك ما كان عليه من العزم، وعدل إلى ذلك، وإنما سر بما أنزل الله عز وجل من الكفارة لأن اليمين ربما كانت تصده عن أفضل، وترده عن أجود، وتمنعه عن خير، فلذلك قال: "ولا أحلف على يمين وأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير، وكفرت عن يميني"، وعلى هذا فلا أرى أن يحنث الإنسان في يمينه للعدول إلى ما ليس بخير"[٤].

لذا فإن الحنث في اليمين يفتح الباب واسعاً للحالف أن يفعل الأفضل ومن ثم يزداد ثواباً وطاعة، كما أنه لا يمنع من إيصال الخير والنفع إلى الآخرين، فهذا عدى بن حاتم رضي الله عنه يأتيه سائل فيسأله نَفَقَةً فِي ثَمَنِ خَادِمٍ أَوْ فِي بَعْضِ ثَمَنِ خَادِمٍ، فَقَالَ: لَيْسَ عِنْدِي مَا أُعْطِيكَ إِلاَّ دِرْعِي وَمِغْفَرِي[٥]، فَأَكْتُبُ إِلَى أَهْلِي أَنْ يُعْطُوكَهَا، قَالَ: فَلَمْ

---

(١) فتح الباري ٦١٤/١١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٢١.

(٣) أخرجه البخاري ٤٦١٤.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٩٤/١

(٥) المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس تلبس تحت القلنسوة، المعجم الوسيط في (غ ف ر).

يَرْضَ، فَغَضِبَ عَدِيٌّ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لاَ أُعْطِيكَ شَيْئاً، ثُمَّ إنَّ الرَّجُلَ رَضِيَ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْلاَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ثُمَّ رَأَى أَتْقَى لِلَّهِ مِنْهَا، فَلْيَأْتِ التَّقْوَى» مَا حَنَّثْتُ يَمِينِي[1].

ومرة أخرى يأتيه سائل يسأله مائة درهم، فيقول حاتم ﷺ مغضباً: تسألني مائة درهم وأنا ابن حاتم؟ والله لا أعطيك. ثم قال: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من حلف على يمين ثم رأى خيراً منها فليأت الذي هو خير"، ولك أربعمائة في عطائي[2].

قال القرطبي: "قوله ﷺ: "فليفعل الذي هو خير" أي الذي هو أكثر خيراً، أي الذي هو أصلح يعني من الاستمرار على موجب اليمين أو ما يخالف ذلك مما يحنث به، والأصلح تارة يكون من جهة الثواب وكثرته، وهو الذي أشار إليه في حديث عدى، حيث قال: "فليأت التقوى". وقد يكون من حيث المصلحة الراجحة الدنيوية التي تطرأ عليه بسبب تركها حرج ومشقة. وهي التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: "لأن يلج أحدكم بيمينه آثم له عند الله من أن يكفر"، يعني بذلك أن استمراره على مقتضى يمينه إذا أفضى به إلى الحرج -وهو المشقة- قد يفضي به إلى أن يأثم، فالأولى أن يفعل ما شرع الله له من تحنيثه نفسه وفعل الكفارة"[3].

كل هذا يؤكد أن الحنث في اليمين لمصلحة مع التكفير عن اليمين من صور اليسر في الشريعة الإسلامية، جاء في الموسوعة الفقهية: (رفع الحرج: إزالة ما في التكليف الشاق من المشقة برفع التكليف من أصله أو بتخفيفه أو بالتخيير فيه. أو بأن يجعل له مخرج، كرفع الحرج في اليمين بإباحة الحنث فيها مع التكفير عنها أو بنحو ذلك من الوسائل... واليسر وانتفاء الحرج صفتان أساسيتان في دين الإسلام وشريعته، والتيسير مقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية، ويدل على هذا الأصل آيات كثيرة في كتاب الله تعالى، وأحاديث نبوية صحيحة، وأجمعت الأمة عليه)[4].

---

(١) أخرجه مسلم ١٦٥١.

(٢) أخرجه مسلم ١٦٥١.

(٣) المفهم ٤/٦٣٢.

(٤) الموسوعة الفقهية ١٤/٢١٣.

وقال الدكتور صالح بن فوزان الفوزان: "وكفارة اليمين فيها تخيير وفيها ترتيب، فيخير من لزمته بين: إطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع من الطعام، أو كسوة عشرة مساكين لكل واحد منهم ثوب يجزئه في صلاته، أو عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب، فمن لم يجد شيئاً من هذه الثلاثة المذكورة؛ صام ثلاثة أيام.

فتبين بهذا التفصيل أن كفارة اليمين تجمع تخييراً وترتيباً؛ تخييراً بين الإطعام والكسوة والعتق وترتيباً بين ذلك وبين الصيام.

والدليل على هذا قول الله تعالى: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ﴾[1].

ومعنى الآية الكريمة إجمالاً: أن كفارة ما عقدتم من الأيمان إذا حنثتم فيها: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أي: من خير وأمثل قوت عيالكم ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ مما يصح أن يصلى فيه، أو عتق رقبة، واشترط الجمهور كونها مؤمنة، وقد بدأ سبحانه وتعالى بالأسهل فالأسهل؛ فأي هذه الخصال فعل؛ أجزأه بالإجماع.

واشترط الجمهور في صيام ثلاثة الأيام أن تكون متتابعة؛ لقراءة عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه : "فصيام ثلاثة أيام متتابعات"[2].

وهنا يغلط كثير من العوام، فيظنون أنهم مخيرون بين الصيام وبين بقية خصال الكفارة، فيصومون، مع قدرتهم على الإطعام أو الكسوة، والصيام في هذه الحالة لا يجزئهم ولا يبرئ ذمتهم من كفارة اليمين، لأنه لا يجزئ إلا عند العجز عن الإطعام أو الكسوة أو العتق، فيجب التنبه والتنبيه لمثل هذا الأمر.

ويجوز تقديم الكفارة على الحنث، ويجوز تأخيرها عنه، فإن قدمها؛ كانت محللة لليمين، وإن أخرها، كانت مكفرة له.

---

(١) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ١٦١٠٣، وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير الطبري، ٦٥٣/٨، وابن المنذر، وابن الأنباري في المصاحف وأبو الشيخ والبيهقي في السنن، ٦٠/١٠، كما في الدر المنثور، ٤٥١/٥.

والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيراً منها؛ فأت الذي هو خير، وكفر عن يمينك"[١]، فدل هذا الحديث على جواز تأخير الكفارة عن الحنث، ولأبي داود: "فكفر عن يمينك، ثم ائت الذي هو خير"[٢]، فدل هذا الحديث على جواز تقديم الكفارة على الحنث، فدلت الأحاديث على جواز التقديم والتأخير"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٧٢٢، ومسلم ١٦٥٢.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٢٧٨، والنسائي، ٧/١٠، وإسناده صحيح.

(٣) الملخص الفقهي، ٢/٦٠٧- ٦٠٩.

الحديث رقم (١٧١٨)

١٧١٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمينٍ، فَرَأى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَفْعَلِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فليُكفِّر: الكفّارة: الفعلة التي من شأنها أن تكفِّر الخطيئة، أي تمحوها وتسترها[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتفق مع الحديث السابق في معناه، ولكن الحديث السابق جاء في صيغة سردية في حوار موجه إلى عبدالرحمن بن سمرة، أما هذا الحديث فهو قاعدة شرعية عامة وضعت لكل مسلم يحلف على ترك غرض مندوب أو فعل مكروه، ثم يرى أن العدول عنه أفضل، فعليه أن لا يلتزم بما أقسم عليه، ويكفر عن يمينه، ويفعل الذي هو خير، وفي الحديث السابق قدم فعل الخير على التكفير عن اليمين، وفي هذا الحديث قدمت الكفارة على فعل الخير، وهناك حالات يجب فيها تأخر الكفارة، وهو إذا كانت الكفارة بالصوم، أما إذا كان التكفير بالمال فيجوز تقديم الكفارة، فاختلاف الروايتين في الحديث لا تناقض بينهما وقوله: "حلف على يمين"، فيه ذكر للكل وإرادة البعض، لأن ظاهر اللفظ يوحي بمجموع المقسم والمقسم عليه، ولكن المراد هنا المقسم عليه، وبعض العلماء رأى في هذا التعبير إشعاعاً أسلوبياً آخر: حيث حمله على التأكيد، وجعل على بمعنى "الباء" والتقدير من حلف بيمين، وفي هذا التوجيه اللغوي يشع ملمح بلاغي في الحديث وهو الإيجاز بالحذف، ففي الحديث حذف

---

(١) برقم (١٣/١٦٥٠).

(٢) النهاية في (ك ف ر).

المحلوف عليه، والسياق يدل عليه: كأن حلف على ترك غرض مندوب أو فعل مكروه، وهذا الحديث مثل الحديث السابق يرشد المسلم إلى فعل الذي هو خير، لأن الناس مجزيون بأعمالهم، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، كما قال رسول الله ﷺ.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧١٩)

١٧١٩- وعن أبي موسى رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((إنِّي واللهِ إنْ شاءَ اللهُ لا أحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، ثُمَّ أرَى خَيراً مِنْهَا إلاَّ كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي، وَأتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ)). متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

حين نتأمل جمال المبنى، وبهاء المعنى في هذا الحديث، نجده مشعًّا بما تضوأ به الحديثان السابقان من توجيه نبوي كريم، وحث على فعل الذي هو خير، ولكن في حديث ابن سمرة رضي الله عنه كان الخطاب في الحديث موجهاً إلى ابن سمرة رضي الله عنه نفسه، وإلى كل مسلم بعد ذلك، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه جاءت صياغة الحديث في هيئة تجريدية: فالحديث إخبار وتعليم، وإرساء لقاعدة شرعية يسير في ضوئها كل مسلم يخوض مثل هذا الموقف وتلك التجربة.

أما هذا الحديث فهو: سلوك نبوي، ومنهج ارتضاه الرسول ﷺ لنفسه ولأمته؛ حيث يقر بذلك، ويؤكد أنه يعدل عن الحلف، ويكفر عن يمينه إذا رأى خيراً من الموقف الذي حلف عليه؛ وذلك كحلفه أن لا يحمل الأشعريين ثم حملهم، ورسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

وجمال المبنى يموج بعدة ظواهر أسلوبية تشارك في تجلية المعنى، وتوحي بمعان ومواقف كثيرة، ومن هذه الظواهر الأسلوبية: بدء الحديث بالتأكيد وامتزاج التأكيد بباء المتكلم، والمتكلم هو رسول الله ﷺ، وبعد التأكيد يأتي القسم بالله عز وجل، ثم تقديم المشيئة "إن شاء الله"، وهذه البداية المحصنة بهذه الموانع والحصون

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٣)، ومسلم (١٦٤٩/٧) واللفظ له.

الأسلوبية، ترشد إلى أهمية المقسم عليه؛ حتى لا يتحرج أي مسلم في الرجوع عن قرار ربما يبدو له عدم صوابه، أو إضراره بغيره أو بنفسه، وتقديم المشيئة فيه إزالة لوهم أو ظن من المتلقي أن رسول الله ﷺ يؤكد ويقسم على أمر، دون أن يترك ذلك لمشيئة الله، وفي ذلك توجيه لكل مسلم أن يقدم مشيئة الله على كل عمل يعمله؛ لأن منهج المسلم: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

ومن الظواهر الأسلوبية التي تؤكد صدق المنهج وصوابه في هذا الحديث: أسلوب القصر، الذي جاء في إطاره كلام رسول الله ﷺ؛ فهو يقول: "لا أحلف على يمين ثم أرى خيراً منها إلا كفرت عن يميني".

وتقديم الكفارة على فعل الخير، يوحي بأن الإنسان في هذه الحالة لا يكون عدوله عن اليمين حالة طارئة، أو موقفاً قسريًا، ثم يضطر بعد أن يحنث إلى التكفير عن اليمين، ولكن لا بد من التفكير والتروي، وهذا المسلك نقتبسه من قول رسول الله ﷺ: "ثم أرى خيراً"، والتعبير بـ"ثم" يفيد التروي والتفكر والتدبر ثم الوصول إلى القرار الصائب، والمنهج القويم؛ لأن "ثم" في اللغة تفيد الترتيب والتمهل والتراخي، وهذا هو منهج رسول الله ﷺ، وهو منهاج المسلم، وطريقه المستقيم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧١٧).

الحديث رقم (١٧٢٠)

١٧٢٠- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((**لأَنْ يَلَجَّ أَحَدُكُمْ فِي يَمِينِهِ[1] فِي أَهْلِهِ آثَمُ لَهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ يُعْطِي كَفَّارَتَهُ الَّتي فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ**)). متفق عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يَلَجُّ: يتمادى فيها، ولا يكفر[3].

آثَمُ: أكثر إثماً[4].

الشرح الأدبي

هذا الحديث هو ختام باب: من حلف على يمين فرأى غيرها، وهذا الحديث يتخذ مساراً آخر، هو التهديد والوعيد، بينما أحاديث الباب كلها ترغب في العدول عن اليمين، والتكفير عن الحنث إذا كان في ذلك مصلحة.

أما في هذا الحديث، فالموقف يختلف: وهو أن الإنسان يحلف على شيء ويرى أن غيره خير منه، ومع ذلك يقيم على يمينه، ولا يحنث ولا يُكفِّر، وهو بذلك لا يتأسى برسول الله ﷺ، ولا يستجيب لدعوته في هذا الأمر، ولذلك جاء أسلوب الحديث متسماً بالشدة، وينطوي على تهديد ووعيد، وقوله: "لأن يلج أحدكم في يمينه" يوحي بهذه الشدة؛ فصورة هذا الفعل اللغوية تكشف عن صورته المعنوية المرادة في الحديث؛ فاللجاجة في اللغة: الخصومة، والتلجلج: التردد في الكلام، واللجة: الماء الكثير،

---

(١) عندهما: (بيمينه).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٢٥)، ومسلم (١٦٥٥/٢٦) واللفظ له.

(٣) رياض الصالحين ٥٨٥.

(٤) رياض الصالحين ٥٨٥.

والمكان الحَزْن من الجبل، وكل هذه الدلالات الحسية تتشاله مع موقف هذا الرجل الذي يتمادى في موقفه، ويتلجلج صدره، ويُرى -وهو في تمسكه باليمين الذي لا ينفع بل يضر- كأنه غارق في لجة الإثم، ولذلك عبر رسول الله ﷺ وصوَّر مصيره بأنه آثم عند الله من أن يعطي كفارته التي فرض الله عليه، "وآثم": صيغة تفضيل: أي أكثر إثماً عند الله.

وفي هذا التشديد والوعيد بالعقوبة، إرشاد لكل مسلم أن يقتدي برسول الله: في فعل الذي هو خير، وأن يعود المسلم إلى الصواب؛ حتى يفوز برضا ربه العليم الوهاب.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧١٧).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على الترجيح بين المصالح والمفاسد:

جاءت أحاديث الباب لتحث المسلم على تغليب المصالح على المفاسد فقد أمر النبي ﷺ من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها أن يفعل ذلك المحلوف عليه ثم يكفر عن يمينه، كما بين ﷺ أن ذلك ما كان يفعله، فإذا حلف يميناً على شيء ورأى غيرها خيرًا منها كفر عنها وأتى الذي هو خير وفي ذلك تغليب لجانب المصالح على المفاسد، وفي ذلك توجيه للمسلم أن ينظر إلى ما فيه مصلحته ومصلحة أخيه المسلم فيأتيه، ويترك ما فيه مفسدة أو يترتب عليه ضرر؛ فعلى المربي أن يوجه من يقوم بتربيتهم إلى مراعاة المصلحة له ولغيره حيث إن المصلحة هي المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده، من حفظ دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، ونسلهم، وأحوالهم، وفق ترتيب معين فيما بينها[1].

وقد أجمع الفقهاء على أن جميع أحكامه سبحانه وتعالى متكفلة بمصالح العباد في الدارين، وأن مقاصد الشريعة ليست سوى تحقيق السعادة الحقيقية لهم[2].

ورسولنا الكريم ﷺ يميل إلى كل أمر من شأنه أن يحقق مصلحة للتربية بشكل خاص وللمسلمين بشكل عام، أي أنه كان يوازن بين الأمور، ويرجح الأصلح، ولو كان فيه مفسدة ظاهرة، أو ترك لواجب، وكذلك مراعاة استعدادات الأشخاص النفسية لتقبل بعض الأمور والاستجابة لها، طبقًا للظروف، والمرحلة التي تمر بها الأمة، شريطة أن تكون النتائج الإيجابية والمصالح للأمة والدولة أكثر مما يفوت عليها من هذه الأمور، إذ أن التشدد لا يعطي في كثير من الأحيان إلا نتائج عكسية تمامًا، لا

---

(١) ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، د. محمد سعيد البوطي، ط٤، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م، ص ٢٣.

(٢) انظر: الإحكام في أصول الإحكام، علي بن سيف الأمدي، ط دار الكتب، ٤١١/٣، وضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، ص ٧٥.

تتفق ومصلحة الأمة وفائدة المسلمين[١].

فعلى المربي أن يبين حرص الرسول الكريم على ما فيه مصلحة المسلمين، فإذا حلف المسلم على يمين ورأى عدم إتيانها خيراً له وللمسلمين فعليه تركها والتكفير عنها ترجيحًا للمصلحة على المفسدة وهذا منهج تربوي هام لو أخذ به لتحقق الكثير من المصالح، ودرء كثير من المفاسد؛ فعلى المسؤولين عن التربية الإسلامية تأصيل هذا المنهج وغرسه في نفوس المسلمين.

ثانيًا - التربية بالقدوة:

من أساليب التربية التي يتضمنها هذا الباب التربية بالقدوة حيث قال رسول الله ﷺ: "إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين، ثم أرى خيرًا منها إلا كفرت عن يميني، وأتيت الذي هو خير".

فلقد كان رسول الله ﷺ أعظم قدوة للبشرية في تاريخها الطويل، وكان مربيًا وهاديًا بسلوكه الشخصي، قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به[٢]. وإذ يجعل الإسلام قدوته الدائمة هي شخصية رسوله ﷺ، فهو يجعلها قدوة متجددة على مر الأجيال، متجددة في واقع الناس، إنه لا يعرض عليهم هذه القدوة للإعجاب السالب والتأمل التجريدي في سبحات الخيال، إنه يعرضها عليهم ليحققوها في ذوات أنفسهم، كل بقدر ما يستطيع أن يقتبس وكل بقدر ما يصبر على الصمود، ومن ثم تظل حيويتها دافقة شاخصة، ولا تتحول إلى خيال مجرد تهيم في حُبِّه الأرواحُ دون تأثر واقعي ولا اقتداء[٣].

والإسلام يرى أن القدوة أعظم وسائل التربية، فيقيم تربيته الدائمة على هذا الأساس، فلابد للطفل من قدوة في أسرته ووالديه لكي يتشرب منذ طفولته المبادئ الإسلامية وينهج على نهجها الرفيع. ولابد للناس من قدوة في مجتمعهم تطبعهم بطابع

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص ٤٨، ٤٩.

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ط٦، دار الشروق، ١٤٠٢هـ، ١/١٨٠.

(٣) التربية الإسلامية، د. سليمان بن عبدالرحمن الحقيل، ص ٥٤.

الإسلام وتقاليده النظيفة لكي يحملوا الأمانة لمن يربونهم من الأجيال، ومن هنا فإن الأمانة تفرض على المربين في أي موقع كان أن يتخذوا من منهج رسول الله ﷺ التربوي قدوة ليتمكنوا من إعداد الإنسان الصالح. يجب أن يكونوا قدوة حسنة لتلاميذهم فيما يدعونهم إليه من الالتزام بالمبادئ الإسلامية، والتخلق بالأخلاق الإسلامية الرفيعة في جميع الأحوال وتحت مختلف الظروف[1].



(١) المرجع السابق، ص ٥٤.

٣١٧- باب العفو عن لغو اليمين

وأنَّه لا كفارة فِيهِ، وَهُوَ مَا يجري عَلَى اللسان بغير قصد اليمين كقوله عَلَى العادة: لا والله، وبلى والله، ونحو ذَلِكَ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأيمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾[المائدة: ٨٩].

الحديث رقم (١٧٢١)

١٧٢١- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: أُنْزِلَتْ هذِهِ الآية: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ فِي قَوْلِ الرَّجُلِ: لا واللهِ، وَبَلَى واللهِ. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث هو الأوحد في باب العفو عن لغو اليمين، وأنه لا كفارة فيه، وهو ما يجري على اللسان بغير قصد اليمين؛ كقوله على العادة: "لا والله، و"بلى والله"، ونحو ذلك، والحديث يستدل على أن هذه الصيغة: "لا والله، و"بلى والله" لغو؛ بالقرآن الكريم، والسنة النبوية مستمدة من وهج البيان القرآني العظيم، وبناء الفعل للمجهول في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "أُنزلت هذه الآية" للإفادة بأن نزولها كان لسبب؛ وهو بيان حكم هذا اليمين، الذي يجري على اللسان مجرى العادة في القول، والفاعل المُنْزِل معلومٌ وهو الله عز وجل، والذي نزل بها على رسول الله ﷺ هو جبريل عليه السلام.

---

(١) برقم (٤٦١٣).

والتعبير بقولها: هذه الآية للتنبيه والتذكير، فاسم الإشارة وُجد للتمييز والتحديد، ولفت الانتباه، والمشار إليه متأخر عن اسم الإشارة؛ وهو الآية، وكلمة الآية بدل أو عطف بيان، والآية ليست منفصلة عن بناء الحديث اللغوي؛ فهي بدل من الآية أو عطف بيان ، واللغو في اللغة، وكذلك اللَّغا كالفَتَى: السقط، وما لا يعتد به من كلام وغيره، وهذا المعنى اللغوي ينفق في دلالته مع المراد باللغو في الآية الكريمة؛ فالمراد من قوله سبحانه: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾[1] أي: بالإثم في الحلف إذا كفرتم.

وتقول عائشة رضي الله عنها في توضيح معنى اللَّغو: إن رسول الله ﷺ قال: "هو كلام الرجل في يمينه كلا والله، وبلى والله"، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح لأسباب النزول.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: رحمة الله بعباده بعدم مؤاختهم باللغو في الأيمان.

ثالثاً: من خصائص الدعوة: الواقعية.

أولاً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح لأسباب النزول:

هذا واضح من قول عائشة رضي الله عنها قالت: أنزلت هذه الآية: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾[2]، في قول الرجل: لا والله، وبلى الله. قال الطيبي: قال ابن الصلاح: تفسير الصحابى موقوف إلا فيما يتعلق بسبب نزول آية، وما نحن فيه من هذا القبيل"[3]. ويوضح الشوكاني أهمية بيان عائشة ليمين اللغو في الآية فيقول: "إن القرآن الكريم قد دل على عدم المؤاخذة في يمين اللغو، وذلك يعم الإثم والكفارة فلا يجب أيهما. والمتوجَّه الرجوع في معرفة اللغو إلى اللغة العربية، وأهل عصره ﷺ أعرف الناس

---

(١) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٥.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٢٦/٧.

بمعاني كتاب الله تعالى، لأنهم مع كونهم من أهل اللغة، قد كانوا من أهل الشرع ومن المشاهدين للرسول ﷺ والحاضرين في أيام النزول، فإذا صح عن أحدهم تفسير لم يعارضه ما يرجح عليه أو يساويه وجب الرجوع إليه وإن لم يوافق ما نقله أئمة اللغة في معنى ذلك اللفظ، لأنه يمكن أن يكون المعنى الذي نقله إليه شرعياً لا لغوياً، والشرعي مقدم على اللغوي، كما تقرر في الأصول[1]، فكان الحق فيما نحن بصدده هو أن اللغو ما قالته عائشة رضي الله عنها"[2].

وقال الشوكاني كذلك في السيل الجرار: (قد اختلف أهل العلم في تفسير اللغو على ثمانية أقوال ولا يخفى أن الواجب الرجوع إلى معنى اللغو لغة إذا لم يثبت له معنًى في الشرع يخالف معناه اللغوي فإن ثبت فالرجوع إلى المعنى الشرعي مقدم على المعنى اللغوي كما تقرر في الأصول.

واللغو في اللغة الباطل ولكنه ثبت عن عائشة في البخاري وغيره أنها قالت نزلت هذه الآية "لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم" في قول الرجل لا والله وبلى والله.

والصحابة أعرف بمعاني القرآن فالرجوع إلى أقوالهم هو الواجب، وقد روي عنها وعن جماعة من الصحابة تفاسير مختلفة لمعنى اللغو ولكنهم لم يذكروا أن ما قالوه هو

---

(١) تنقسم الحقيقة إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: حقيقة لغوية وضعية، وهي الثابتة بالوضع، أي أن يضع الواضع لفظاً لمعنى إذا أطلق ذلك اللفظ فهم ذلك المعنى الموضوع له، مثل لفظ "الأسد" يفهم منه الحيوان المفترس، فلا ينقدح في الذهن عند إطلاقه، إلا هذا المعنى. فيكون حقيقة، وهذا هو المقصود بالحقيقة، وهي الأسبق إلى الذهن من الحقيقة العرفية والشرعية.

القسم الثاني: حقيقة عرفية، وهو قول خص في العرف ببعض مسمياته، وإن كان وضعها للجميع حقيقة، مثل لفظ "الدابة" فإن وضعها بأصل اللغة لكل ما يدب على الأرض من ذي حافر وغيره، ثم هجر هذا المعنى، وصار في العرف حقيقة للفرس، ولكل ذات حافر.

القسم الثالث: حقيقة شرعية: وهي اللفظ المستعمل في الشريعة على غير ما كان عليه في وضع اللغة كالصلاة مثلاً فإنها في اللغة: الدعاء، فاستعمل هذا اللفظ في الشريعة على الأقوال والأفعال المخصوصة، فصارت حقيقة فيها.

انظر: المهذب في علم أصول الفقه المقارن. الدكتور عبدالكريم بن على النملة، ٣/١١٤٧-١١٥٧. وانظر كذلك إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. الشوكاني محمد بن علي، ١٢٥٠هـ، ١/٦٣-٦٦.

(٢) نيل الأوطار ١٦٨٦.

ما نزل به القرآن مع عدم ثبوت ذلك من وجه تقوم به الحجة على أنه قد روى أبو داود قول عائشة هذا مرفوعا بلفظ قالت عائشة إن رسول الله ﷺ قال هو كلام الرجل في بيته كلا والله وبلى والله وهكذا أخرجه مرفوعا ابن حبان والبيهقي[1] وصحح الدارقطني الوقف[2]. وقد روي عن ابن عباس وابن عمر وابن عمرو مثل قول عائشة)[3].

ومن قبيل بيان الصحابي لسبب النزول ما رواه أسلم أبي عمران، قال: كنا بالقسطنطينية، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد، فخرج صف عظيم من الروم فصففنا لهم فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة، فقام أبو أيوب صاحب رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، إنه لما أعز الله دينه وكثر ناصروه، قال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه عدوه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله على نبيه يرد علينا ما قلنا: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[4]، فكانت التهلكة الإقامة في الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو[5].

ولأهمية بيان سبب النزول قال ابن تيمية: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[6].

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٢٥٤، وابن حبان ٤٣٣٣، والبيهقي ٤٩/١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٧٨٩) وانظر تتمة تخريجه في صحيح ابن حبان.

(٢) كما في التلخيص الحبير ١٦٧/٤.

(٣) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، الشوكاني، محمد بن علي، ١٢٥٠هـ، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥/١٩٨٥م، ١٣/٤-١٤.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٥) أخرجه أبو داود ٢٥١٢، والترمذي ٢٩٧٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٩٣).

(٦) مجموع الفتاوى ١٨١/٧، ط العبيكان، ٣٣٩/١٣ ط ابن قاسم: وانظر في معرفة المزيد عن فوائد علم سبب النزول مقدمة الدكتور عبدالحكيم محمد أنيس لتحقيقه: العجاب في بيان الأسباب. ابن حجر: أحمد بن علي، ٨٥٢ هـ، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٢٦هـ، ٩٤/١-٩٨.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: رحمة الله بعباده بعدم مؤاخذتهم باللغو في الأيمان:

وهذا واضح من الحديث: "فقد أخبرت عائشة رضي الله عنها، أن الله عز وجل أنزل قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾[1]"، في قول الرجل: "لا الله وبلى والله"، وهذا من رحمة الله بعباده.

قال ابن كثير: "لا يعاقبكم ولا يلزمكم بما صدر منكم من الأيمان اللاغية، وهي التي لا يقصدها الحالف بل تجري على لسانه عادة من غير تعقيد[2] ولا تأكيد، كما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال «من حلف فقال في حلفه باللات والعزى، فليقل لا إله إلا الله»[3]، فهذا قاله لقوم حديثي عهد بجاهلية، قد أسلموا وألسنتهم قد ألفت ما كانت عليه من الحلف باللات من غير قصد، فأمروا أن يتلفظوا بكلمة الإخلاص كما تلفظوا بتلك الكلمة من غير قصد لتكون هذه بهذه"[4].

وقد ورد عن عائشة روايات أخرى بالمعنى نفسه: منها قولها: "هم القوم يتدارؤون[5] في الأمر، فيقول هذا: لا والله وبلى والله وكلا والله، يتدارؤون في الأمر، لا تعقد عليه قلوبهم"[6].

ومنها قولها: "إنما اللغو في المزاحة والهزل، وهو قول الرجل: لا والله وبلى الله، فذاك لا كفارة فيه، إنما الكفارة فيما عقد عليه قلبه أن يفعله ثم لا يفعله"[7].

وعن عطاء عن عائشة وابن عباس وابن عمر وابن عمرو، أنهم كانوا يقولون: اللغو،

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٥.

(٢) أي من عزم وعَقْد.

(٣) أخرجه البخاري ٤٨٦٠، ٦٦٥٠، ومسلم ١٦٤٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٦٠١/١.

(٥) أي يتدافعون ويختلفون، النهاية في (د ر أ).

(٦) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ١٥٩٥٢، والطبري في تفسيره ١٦/٤-١٧.

(٧) أخرجه الطبري ٣١/٤، وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦٢٦/٢.

لا والله وبلى والله[١].

وقد قال الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٢]، قال أبو عبدالله القرطبي: ("غفور رحيم"، صفتان لائقتان بما ذكر من طرح المؤاخذة، إذ هو باب رفق وتوسعة)[٣]، وقال القاسمي: "والله غفور" يعني لعباده فيما لغوا من أيمانهم، فلم يؤاخذهم به "حليم" يعني في ترك معاجلة أهل العصيان بالعقوبة تربصاً بالتوبة، والجملة تزييل للحكمين السابقين، فائدته الامتنان على المؤمنين، وشمول مغفرته وإحسانه لهم"[٤].

ثالثاً- من خصائص الدعوة: الواقعية:

هذا الحديث دليل على الواقعية التي هي من خصائص الدعوة، وقد ورد تفسير اللغو من قول النبي ﷺ، فعن إبراهيم "يعني الصائغ، عن عطاء: في اللغو في اليمين، قال: قالت عائشة: إن رسول الله ﷺ قال «اللغو في اليمين هو كلام الرجل في بيته: كلا والله، وبلى والله»[٥].

قال ابن عثيمين: "لغو اليمين: هي اليمين التي يقولها الإنسان على لسانه ولا يقصدها بقلبه وقد عفا الله تعالى عن ذلك، لأنه يحصل كثيراً أن يقول الإنسان: لا والله ما أنا ذاهب، لا والله ما أنا فاعل، وما أشبه ذلك، فلما كثر هذا في ألسن الناس عفا الله عنه،... وهذا من سعة رحمة الله تعالى أن هذه الأيمان التي تتكرر على الألسن ولا يقصدها الحالف ليس فيها إثم وليس فيها كفارة، لأن ذلك يقع كثيراً، ولكن مع

---

(١) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور، ٦٢٦/٢، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٠٢/١-٦٠٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٠٢/٣/٢.

(٤) محاسن التأويل ٢٣٨/٣.

(٥) أخرجه أبو داود ٣٢٥٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥٤) وانظر تتمة تخريجه في صحيح ابن حبان، ٤٣٣٣.

ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾[1]، يعني لا تكثروا من الأيمان، ولا تتركوا الكفارة إذا حنثتم فيها، بل احفظوها، لأن اليمين أمرها عظيم، ولهذا سمى الله تعالى، بل سماها النبي ﷺ حنثاً، لأنه لولا رحمة الله لكان الإنسان إذا حلف لزمه أن يوفي، ولكن من نعمة الله أن يسر أن الإنسان له أن يخالف ما حلف عليه إذا لم يكن إثماً والله الموفق"[2].

قال عبدالله البسام: "فسرت عائشة رضي الله عنها لغو اليمين هنا بأنه ما يتردد على ألسنة الناس أثناء المحادثة عن قولهم: لا والله وبلى والله، مما يجري على اللسان ولا يقصده بالجنان، وهذا التفسير هو ما ذهب إليه الأئمة الثلاثة.

أما أبو حنيفة فجعل لغو اليمين المذكور في الآية هو حلف الإنسان على أمر ماض يظنه كما قال، وهو بخلاف ما ظنه.

قال ابن المنذر وهو قول أكثر العلماء.

وذهب أحمد في المشهور من مذهبه إلى أن لغو اليمين يراد به للنوعان السابقان كلاهما.

قال في الروض وحاشيته: "وكذا يمين عقدها يظن نفسه، فبان بخلافه فلغو غير منعقدة، ولا كفارة فيها لقوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾[3]. أي لا يعاقبكم ولا يلزمكم بما صدر منكم من الأيمان التي لا يقصدها الحالف[4].

وقال تقي الدين: وكذا لو عقدها ظاناً صدقه، فلم يكن، كمن حلف على غيره يظن أنه يطيعه فلم يفعل"[5].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٢) شرح رياض الصالحين٢/١٧٧٧- ١٧٧٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٢٥.

(٤) الروض المربع وحاشيته ٧/٤٧٠، وتتمة كلام صاحب الحاشية: لأنه يكثر، فلو وجبت به كفارة لشق وحصل الضرر، وهو منتف شرعاً.

(٥) توضيح الأحكام ٢/٩١.

ويجعل الدكتور القرضاوي أن من الخصائص العامة للإسلام الواقعية ثم يذكر واقعية الشريعة الإسلامية فقال: "وجاء الإسلام كذلك بشريعة لم تغفل الواقع في كل ما أحلت وحرمت ولم تهمل هذا الواقع في كل ما وضعت من أنظمة وقوانين للفرد، وللأسرة وللمجتمع وللدولة وللإنسانية"[١]، ثم ذكر أن من دلائل الواقعية في التشريع التيسير ورفع الحرج، ومراعاة سنة التدرج والنزول عن المثل الأعلى إلى الواقع الأدنى للضرورة، فيقول في توضيح القاعدة الأخيرة: "ومن دلائل الواقعية في الشريعة: أنها مع حرصها البالغ على الوصول إلى المثل الأعلى، والوجه الأكمل في تطبيق أحكامها - لا تغمض عينها عن الواقع العملي الذي يعيشه الناس محلقة في مثالية لا وجود لها، بل نجدها تنزل إلى أرض الواقع لتكيف أحكامها الفرعية تبعاً له، حتى لا تهدر مصالح العباد وتعطل مسيرة الحياة"[٢]. ثم يقول في ختام صفة الواقعية: "هذا هو الإسلام، وهذه هى واقعيته في كل مجال من المجالات لا يكلف الناس شططاً ولا يرهقهم عسراً، ولا يجعل عليهم حرجاً، يحاول أن يرقى بهم ليصعدوا ويرتفعوا ولكنه لا يهملهم إذا هبطوا، إنه يريدهم أصحاء أقوياء ولكنهم إذا مرضوا عالجهم وساعدهم حتى يشفوا وينهضوا. إنه منهج الفطرة منهج الله الذي يتعانق فيه الواقع والمثال)[٣]".

وتتجلى الواقعية في هذا الحيث في مراعاة الإسلام لطبيعة الإنسان وسبق لسانه بالحلف دون أن يقصد عقد اليمين، فراعى العلي القدير ذلك وجعله يمين لغو لا عقوبة عليه ولاكفارة له.

---

(١) الخصائص العامة للإسلام ١٧٠.

(٢) السابق ١٨٢.

(٣) السابق ١٨٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - من خصائص التربية الإسلامية: التيسير ورفع الحرج:

إن التيسير ورفع الحرج سمة أساسية للتربية الإسلامية الصحيحة ويظهر التيسير ورفع الحرج في هذا الباب في قول أم المؤمنين عائشة ﵂: أنزلت هذه الآية: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾(١) في قول الرجل: لا والله وبلى والله.

وهذا يدل على التيسير ورفع الحرج عن الإنسان الذي اعتاد الحلف في كلامه دون أن يقصد عقد اليمين.

إن الإسلام جاء بالتيسير ورفع الحرج، لأنه يراعي طبيعة الإنسان، وتفاوت الناس في مدى استعدادهم لبلوغ المستوى الرفيع الذي يرسمه لهم في ضوء هذا النظر الواقعي، جعل الإسلام حدًا أدنى أو مستوى أدنى من الكمال لا يجوز الهبوط عنه، لأن هذا المستوى ضروري لتكوين شخصية المسلم على نحو معقول، ولأنه أقل ما يمكن قبوله من المسلم ليكون في عداد المسلمين، ولأنه وضع على نحو يستطيع بلوغه أقل الناس قدرة على الارتفاع إلى مستوى الكمال(٢).

فعلى المربي أن يبين لمن يقوم بتربيتهم أن الشريعة الإسلامية من خصائصها الأساسية التيسير ورفع الحرج عن المسلمين.

فالتيسير ورفع الحرج واضح لكل من تتبع الشريعة الإسلامية في أصولها وفروعها، فنطاق السماحة والتيسير في شريعة الإسلام لا يقتصر على شؤون العبادات، وإنما يتسع لكل أحكام الشريعة من معاملات مدنية، وتصرفات شخصية، وعقوبات جزائية وتشريعات قضائية ونحوها(٣).

---

(١) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٢) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، نقلًا عن أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص ٢٣٥.

(٣) انظر: مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام، ص ٨.

ثانيًا - من مصادر التربية: القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للتربية الإسلامي ويظهر استخدام القرآن الكريم كمصدر للتربية في هذا الباب في قول عائشة رضي الله عنها أنزلت هذه الآية: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾[1] في قول الرجل: لا والله، بلى والله.

فالتربية تستمد منه، وفي هديه أهدافها، ومادتها، وطرقها، ووسائلها، والذي على ضوئه تقيم تلك التربية وتعدل، فهو كلام الحق تبارك وتعالى، ومنهجه الشامل للحياة بكاملها[2]، فمن أقدر من الله خالق كل شيء على تقديم الهداية الكاملة للبشرية؟ وأي منهج غير المنهج الإلهي يستطيع أن ينهض بحاجات النفوس البشرية، ويفي بمطالبها، ويغذي عواطفها ومشاعرها، ويتابع تطورها، ونموها، ويستوعب قضاياها، ويلاحظ أزماتها ويلائمها في تطورها الصاعد، ويقودها على طريقة الكمال بتؤدة ورفق[3].

والقرآن الكريم، وهو كلام الخالق العليم (يخاطب النفس الإنسانية مخاطبة العليم بأسرارها، الخبير بما يفسدها أو يزكيها، المطلع على مواطن القوة والضعف فيها)[4]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[5].

والقرآن الكريم موصوف بقول الحق: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾[6] وللقرآن تطبيقاته وآثاره التربوية التي يصعب -إن لم يستحيل- حصرها وذلك لكثرتها من جهة، ولقصور العقل البشري عن إدراكها كاملة من جهة أخرى[7].



---

(١) سورة المائدة، آية: ٨.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ٦٥.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل علي، ص ٧٩. نقلًا عن نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني، توفيق محمد سبع، مجمع البحوث الإسلامية، العدد ٣٤ من سلسلة البحوث الإسلامية، القاهرة، أغسطس ١٩٧١م، ١/٧٧.

(٤) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ص ٨١.

(٥) سورة الملك، آية: ١٤.

(٦) سورة الطارق، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٧) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ٦١-٦٦.

٣١٨- باب كراهة الحلف في البيع وإنْ كان صادقاً

الحديث رقم (١٧٢٢)

١٧٢٢- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: سَمِعتُ رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ: ((الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ)) متفق عليه[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

منفقة للسلعة: أي: مروجة للمتاع أو السلعة[٢].

ممحقة للكسب: أي: تمحو وتنقص وتبطل الكسب[٣].

الشرح الأدبي

يحرص المصطفى صلى الله عليه وسلم على أن تظل العلاقة بين المؤمن وأخيه المؤمن راسخة الدعائم، موثوقة العرا، والبيع والشراء من المجالات التي يمكن أن تتصدع فيها العلاقات، وتستعر الخلافات، ولذلك يوصي رسول الله بأن يكون المؤمن سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، وهذه السماحة تبنى على أسس من الثقة وعدم التشكك المتبادل بين البائع والمشتري المسلمين.

ومن أُولى أمارات هذه الثقة: أن لا يلجأ البائع إلى الحلف وإن كان صادقاً؛ لأن هذا الحلف يوحي بعدم تصديق المشترى، وعدم ثقته فيه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨٧) بلفظ: (ممحقة للبركة)، ومسلم (١٦٠٦/١٣١) بلفظ: (ممحقة للربح)، وهذا لفظ النسائي في المجتبى (٤٤٦١)، وكذا المنذري في ترغيبه، وتبعه عليه المؤلف.

(٢) انظر: فتح الباري ٣٦٩/٤.

(٣) النهاية في (م ح ق)، وفتح الباري ٣٧٠/٤.

والحدث يتسم بالإيجاز الشديد، ولكن معانيه تتسع لتشمل كل صور البيع والشراء، مهما اختلفت الظروف والأحوال، ومهما تعددت الأمكنة والبيئات.

ويتكون الحديث من جملة لغوية واحدة، مبتدأ وخبر "متعدد"، وهو "منفقة للسلعة، ممحقة للكسب"، والجناس الناقص بين منفقة وممحقة، ينشئ إيقاعاً صوتيًّا مؤثراً يلفت الانتباه، ويوقظ المستمع، والتنوين في منفقة، وممحقة -مع التماثل الصوتي في وزن الكلمة، وإيقاعها- يضاعف من ذلك التأثير، ودلالة الكلمتين تصور آثار الحلف السلبية ومدى ما تجلبه من كساد للبائع؛ حيث تبور سلعته، وتتمحي البركة من كسبه؛ ففي اللغة يقولون: نفق الرجل والدابة نفوقاً: أي: ماتا، وبالكسر نفِق: أي: نفد وفني أو قلَّ.

ومن معاني: نَفَق: بالفتح: راج، ولكن في ظل الحلف تُمحق البركة، ويقل الكسب، وقوله: ممحقة للكسب، أي: منقصة وزوال، ومن معاني "مَحَقَ" في اللغة: المحو والإبطال، ومحق الله الشيء: ذهب ببركته، ومن هذه المادة التي تدل على المحو أو الضآلة أو القلة قولهم: المحاق، وهو آخر الشهر، أو ثلاث ليال من آخره، أو أن يستسر القمر فلا يرى غدوة ولا عشية، وسُمي بذلك لأنه طلع مع الشمس فمَحَقَتْه[١].

فالحلف في البيع يؤدي إلى بوار السلعة، ونقص الكسب، ومحو البركة، وإسناد التفوق إلى الحلف وكذلك المحق، من باب المجاز المرسل وعلاقته السببية؛ لأن الحلف سبب بوار السلعة، ومحو البركة من الكسب، والله أعلم.

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثانياً: من أساليب الدعوة: التحذير والتعليل.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: النهى عن الحلف في البيع وإن كان صادقاً.

---

(١) القاموس المحيط في (م ح ق).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٢٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٢٣).

أولاً- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

لقد بين ﷺ أن الحلف وإن كان يُكثر من بيع السلعة مما يعود على البائع، بالربح والزيادة، إلا أنه في الحقيقة نقصان، قال ابن الأثير: (المحق: النقص والمحو والإبطال)[١]، فالحلف كما يقول الطيبي: (وإن أنفق السلعة حالاً فإنه يذهب بالبركة مآلاً)[٢].

ولا شك أن بيان الحقائق للمدعوين مهم جداً، حتى يكونوا على علم بها ومن ثم يسيرون في ضوئها وفي هديها. ومن ثم كان هذا البيان في هذا الحديث دعوة لهم أن يتجنبوا الحلف في البيع، نظراً لضرره الشديد، على البائعين منهم.

ومن قبيل بيان الداعية للحقائق، ما رواه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: «انكسفَتِ الشمسُ يومَ ماتَ إبراهيمُ (ابن النبي ﷺ)، فقال الناسُ انكسفَتْ لموتِ إبراهيمَ، فقال رسولُ الله ﷺ: إنَّ الشمسَ والقمرَ آيَتانِ من آياتِ الله، لا ينكسِفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى يَنجليَ»[٣].

فقد بين ﷺ للمدعوين حقيقة كسوف الشمس وأن ذلك آية من آيات الله تعالى، كما أرشدهم إلى ما يفعلونه إذا حدث هذا الكسوف سواء للشمس أو القمر.

ثانياً- من أساليب الدعوة: التحذير والتعليل:

هذا واضح من قوله ﷺ: "إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق ثم يمحق" فهذا تحذير من النبي ﷺ للمدعوين من كثرة الحلف، كما أنه ﷺ ساق التعليل من هذا التحذير، فقال: "فإنه يُنفق ثم يمحق". قال الطيبي: قوله: "إياكم وكثرة الحلف" "إياكم" منصوب على التحذير، أى اتقوا أنفسكم من إكثار الحلف، وإكثار الحلف عن أنفسكم، كرره للتأكيد والتنفير"[٤].

---

(١) النهاية في (م ح ق).

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٣٢/٦.

(٣) أخرجه البخاري ١٠٦٠، ومسلم ٩١٥.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ٣٢/٦.

وقال القرطبي: "إياكم معناه: الزجر والتحذير وكثرة منصوبة على الإغراء، كما نقول إياك والأسد، أي احذره واتقه"[1]. ثم علل ﷺ هذا التحذير بأنه يذهب بالبركة، وإن كان الظاهر أن يربح البائع ولكن هذا عاقبته محو البركة وسوء العاقبة.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: النهى عن الحلف في البيع وإن كان صادقاً:

هذا واضح من الحديثين: فقوله ﷺ: "إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه ينفق ثم يمحق"، قد حمله بعض العلماء على النهى عن الحلف كله قليله وكثيره: قال الطيبي: "والنهى عن كثرة الحلف فيه لا يقتضي جواز قلتها، لأن النهى وارد على أهل السوق، وعادتهم كثرة الحلف، كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾[2]، و "ثم" في "يمحق"، يجوز أن تكون للتراخي في الزمان، يعني وإن أنفق اليمين السلعة حالاً فإنه يذهب بالبركة مآلاً، كقول ابن مسعود: "الربا وإن كثر إلى قل"[3]، وأن يكون للتراخي في الرتبة، يعني أن محقه البركة حينئذ أبلغ من الإنفاق، والمراد من محق البركة عدم انتفاعه به ديناً ودنيا"[4].

ومن العلماء من حمل النهى على الكثرة دون القليل، قال النووي: "وفيه النهي عن كثرة الحلف في البيع، فإن الحلف من غير حاجة مكروه، وينضم إلى هنا ترويج السلعة وربما اغتر المشترى باليمين"[5]، وجمع بين الأمرين ابن عثيمين: فقال: "وظاهر الحديث أنه لا فرق بين أن يكثر الحلف أو لا، لكن لما كان الإنسان البائع والمشتري

---

(١) المفهم ٥٢٣/٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٠.

(٣) بل جاء الحديث مرفوعاً فقد اخرجه احمد ٣٩٥/١ رقم ٣٧٥٤، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ، قال: الربا وان كثر فإنه عاقبته تصير إلى قل"، وحسن ابن حجر إسناده في الفتح، ٣١٥/٤، وقال محققوالمسند: حديث صحيح ٢٩٧/٦.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة، ٣٣/٦.

(٥) شرح مسلم ٤٥/١١/٦، .

دائماً يحلف، دائماً يبيع ويشتري، حمله بعض العلماء على الكثرة، كثرة الحلف عند البيع والشراء"[١].

قال القرطبي: (وإنما حذر من كثرة الحلف: لأن الغالب ممن كثرت أيمانه وقوعه في الكذب والفجور، وإن سلم من ذلك على بعده، لم يسلم من الحنث، أو الندم؛ لأن اليمين حنث أو مندمة. وإن سلم من ذلك لم يسلم من مدح السلعة المحلوف عليها، والإفراط في تزيينها ليروجها على المشتري، مع ما في ذلك من ذكر الله تعالى لا على جهة التعظيم، بل على جهة مدح السلعة، فاليمين على ذلك تعظيم للسلع، لا تعظيم لله تعالى. وهذه كلها أنواع من المفاسد لا يقدم عليها إلا من عقله ودينه فاسد)[٢].

هذا بخصوص الحلف الصادق، أما الحلف كاذباً فحرام، وعلى هذا يحمل قوله ﷺ، "الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة"، قال ابن حجر: ("لأحمد" اليمين الكاذبة)[٣]... فأوضح الحديث أن الحلف الكاذب، وإن زاد في المال، فإنه يمحق البركة، فكذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾[٤]، أي يمحق البركة من البيع الذي فيه الربا وإن كان العدد زائداً لكن محق البركة يفضي إلى اضمحلال العدد في الدنيا كما مر في حديث ابن مسعود"[٥]. وقال السندي: (ممحقة: أي موضع لنقصان البركة ومظنة له في المال. بأن يسلط الله عليه وجوهاً يتلف فيها. إما سرقاً أو حرقاً أو غرقاً أو غصباً أو نهباً أو عوارض ينفق فيها من أمراض وقحط وغير ذلك مما شاء الله، كذا قيل)[٦].

قال القرطبي: "ومعنى تمحق البركة، أي تذهبها، وقد تذهب رأس المال والربح،

(١) شرح رياض الصالحين، ٢/١٧٧٨.

(٢) المفهم ٤/٥٢٣.

(٣) أخرجه أحمد ٢/٢٣٥ رقم ٧٢٠٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ١٢/١٤١.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧٦.

(٥) فتح الباري ٤/٣١٧.

(٦) حاشية السندي على مسند أحمد ١٢/١٤١.

كما قال الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[(1)]. وقد يتعدى المحق إلى الحالف، فيعاقب بإهلاكه وبتوالي المصائب عليه، وقد يتعدى إلى خراب بيته وبلده، كما روى أن النبي ﷺ قال: اليمين الفاجرة تذر الديار بلاقع"[(2)]، أي خالية من مكانها إذا توافقوا على التجرؤ على الأيمان الفاجرة، وأما محق الحسنات في الآخرة، فلابد منه لمن لم يتب، وسبب هذا كله أن اليمين الكاذبة يمين غموس، يؤكل بها مال المسلم بالباطل"[(3)].

وقد ورد الوعيد على المنفق سلعته بالحلف الكاذب، قال رسول الله ﷺ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، فذكر منهم: «الْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بالحلف الكاذب»[(4)].

قال الطيبي: مفسراً استحقاق من كان هذا شأنه ذلك العقاب، قال: "الحالف البائع يراعى غبطة نفسه والهضم من حق صاحبه، والحاصل منه عدم المبالاة بالغير وإيثار نفسه عليه، ولذلك يجازيه الله تعالى بعدم المبالاة والالتفات إليه...، فإن قلت: مرتبة الجزاء أن يؤخر عن الفعل فلم قدم ذكره في الحديث: قلت: ليفخم شأنه ويهول أمر مرتكبيه في خلد السامع فيذهب بنفسه كل مذهب"[(5)].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٦.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب ٤٨٤٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وذكره المنذري في الترغيب ٤١٦، ٢٨٥٣، وصدره بلفظ "وروي" دليلاً على ضعفه عنده كما نص على ذلك في مقدمة كتابه ص٢٤ ثم وجدت أن الألباني قد حسّنه لغيره وجعله في صحيح الترغيب والترهيب ١٨٣٥، فالله أعلم بالصواب.

(٣) المفهم ٤/٥٢٢، ٥٢٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٠٦.

(٥) شرح الطيبي على المشكاة ٧/٣٤، وانظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ٢٦٠-٢٦١.

الحديث رقم (١٧٢٣)

١٧٢٣- وعن أبي قتادة ﷺ: أنه سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: ((إيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الحَلِفِ فِي البَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

ينفق ثم يمحق: أي يروج ثم ينقص وتذهب بركته[2].

الشرح الأدبي

يتفق هذا الحديث السابق في مضمونه، ولكن تختلف الصياغة اللغوية؛ ففي هذا الحديث استخدم رسول الله ﷺ أسلوب التحذير؛ وهو التنبيه على أمر مذموم ليجتنبه الإنسان، كما يقول النحاة.

والتحذير من كثرة الحلف يخاطب به رسول الله ﷺ الأمة كلها، وقدَّم ضمير النصب المنفصل "إيَّا" المقترن بكاف الخطاب، وعلامة الجمع "كم"، وهذه الصيغة التحذيرية موجهة إلى الأمة جمعاء؛ حتى تتجنب كثرة الحلف في البيع.

والجملة الثانية في الحديث تتصل بالأولى اتصالاً تعليليًّا؛ فهي ليست مضافة إليها، وليست معطوفة عليها؛ ولكنها لبيان العلة من هذا التحذير، والفاء في قوله: "فإنه" تفصح عن هذه العلِّية، التي تؤدي إلى الإقناع، والارتداع عن هذا السلوك المخادع من البائع، وقد أفصح قوله ﷺ: "ينفق" عن هذا السلوك، الذي يلجأ إلى كثرة الحلف رغبة في زيادة الربح، وترغيباً في كثرة المشترين، وتزييناً للسلعة وترويجاً لها.

---

(١) برقم (١٦٠٧/١٣٢). أورده المنذري في ترغيبه (٢٦٧٢).

(٢) الوسيط في (ن ف ق) و (م ح ق).

والتعبير بقوله: "ينفق" يعطي معنى الرواج، وهو من دلالات الفعل "نَفَقَ"؛ لأن هذا الفعل يجمع بين المعنى وضده؛ فهو من معاني الأضداد، وقيل: نفق بالفتح: معناه راج، ونفق بكسر الفاء: أي: مات، والتضعيف بتشديد الفاء في قوله: "ينفّق" يوحي بزيادة الكسب، ورواج السلعة، وصيغة المضارع تعطي دلالة الاستمرار، الناشئ من وهم هذا البائع الذي يكثر من الحلف، وقوله ﷺ: "ثم يمحق" يفيد بأن هذا الرواج غير مستمر، ومهما طال الزمن، فإن الله يمحق البركة من هذا الكَسْب المخادع، والتعبير بـ"ثم" يرشد إلى أن هذا الكسب، الذي حصله صاحبه، لن يدوم، مهما طال الزمن؛ فنهايته المحق والبوار، والخسران والدمار.

فقه الحديث

وفي الحديثين من الفقه: كراهة الحلف في البيع من غير حاجة، فإن الحلف من غير حاجة مكروه، فإن كان كاذباً فهي كراهة تحريم، وإن كان صادقاً فكراهة تنزيه[1].

وتتأكد هذه الكراهة إذا قصد بيمينه ترويج السلعة، لأن المشتري يغتر باليمين[2].

المضامين الدعوية[3]

(١) فتح الباري لابن حجر ٣١٦/٤، وشرح صحيح مسلم ٤٤/١١.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤٤/١١، ٤٥.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية الاقتصادية:

يقوم النظام الاقتصادي في الإسلام، على أسس العدالة، والمساواة، والتكافل الاجتماعي، والتعاون، والتراحم، ويدعو إلى الجد والعمل والسعي في طلب الرزق، والحرص على الشخصية المسلمة، أن يستذلها الفقر، أو يهينها السؤال، والحفاظ على الثروة أن تبددها الخمر، أو يمحقها الربا، أو يذهب بها الميسر، فإذا بقي المال مصونًا من العبث وبقيت الشخصية المسلمة كريمة الحياة، فالعز والسلطان والجاه.

وقد شجع الإسلام المسلم على ممارسة البيع والشراء، لأنه يفيد خبرة، ويبعث على حركة، ويدعو إلى ممارسة، والخبرة إذا زادت، وسعت آفاق الفكر، وقوت وشائج الصلة ومهدت السبيل إلى الألفة، والمعرفة، وفي الحركة بركة، ونشاط وقوة للجسم وصبر. وللبيع أصوله وآدابه، ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وظلم البائع للمشتري، أو ظلم المشتري للبائع، يزرع الحقد، ويزعزع الثقة، ويدعو للفرقة[2]. فينبغي على المسلم أن لا يحلف في بيعه على السلعة من أجل ترويجها، أو غش المشتري كما في حديثي الباب، قال ﷺ: "الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب"، وقال ﷺ: "إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق ثم يمحق".

كما لا يبيع المسلم على بيع أخيه، لتتساوى الفرص ويمتنع العدوان فتصفو القلوب، ليبقى التعاون قائمًا بين المسلمين، والقصد في الربح قناعة واجتناب للظلم، ورعاية للحقوق ((ومن غشنا فليس منا))[3] ومن خرج على تعاليم الدين فقد خسر

---

(١) سورة المطففين، الآيات: ١-٥.

(٢) انظر: التربية الإسلامية، محمد أحمد صبح، ٢٥١/١.

(٣) أخرجه مسلم ١٠١.

الدنيا والآخرة[١].

وقال الله تعالى محرمًا أكل الأموال بالتزوير والاحتيال كالرشوة، ونحوها: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[٣].

والفقه الإسلامي اعتنى بأحكام المال عناية فائقة، في أبواب البيوع والإجارة والزكاة، وسائر المعاملات، وحرم الربا، وذكر أنواعه وشبهاته.

فترك بذلك أثرًا تربويًا طيبًا، جعل الناشئ اقتصاديًا، يخشى الله في المال، فلا يسرف، ولا يبذر ولا يبدد، ويحترم أموال الآخرين فلا يقربها ولا يفكر في اغتصابها أو الاحتيال في أخذها، كما ربى الإنسان على احترام العمل، والكسب الحلال، وشرع الميراث للولد صغيرًا كان أم كبيرًا خلافًا للأنظمة المنحرفة التي تجعل الميراث للولد الأكبر[٤].

ثانيًا - التربية على تعظيم الله في القلوب:

إن كثرة الحلف بالله يدل على أنه ليس في قلب الحالف من تعظيم الله ما يقتضي هيبة الحلف بالله، وتعظيم الله تعالى من تمام التوحيد[٥].

لذلك قال ﷺ: "إياكم وكثرة الحلف في البيع...". وقد أمر المولى تبارك وتعالى بحفظ الأيمان فقال: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾[٦] قال ابن عباس: (يريد لا تحلفوا لأن كثرة

---

(١) التربية الإسلامية، محمد أحمد صبح، ٢٥١/١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٨.

(٣) سورة النساء، آية: ٢٩.

(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص ٦٣.

(٥) القول المفيد على كتاب التوحيد، ابن عثيمين، ٤٥٤/٢.

(٦) سورة المائدة، آية: ٨٩.

الحلف تدل على الاستخفاف بالله وعدم التعظيم له وذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب)[١].

فعلى المربي أن يعمل على تقوية تعظيم الله في النفوس، وهذا هو الأساس الذي تتفرع منه سائر فروع الاعتقاد، وقد عاب تبارك وتعالى على أهل الزيغ والضلال أنهم لم يقدروه حق قدره فقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٢].

وحين يستقر تعظيم الله تبارك وتعالى في النفس، ويملك صاحبه العلم الصحيح فإنه يسلم له اعتقاده، وتنضبط حياته بشرع الله تبارك وتعالى.

فالذي يعظم الله تعالى لا يقدم بين يدي قوله وقول رسوله ﷺ، ولا يتردد في تصديق الأخبار والتزام الأوامر وترك المنهيات ولا يتعلق قلبه بغير الله، ولا يتجه لمخلوق، فيصفو اعتقاده ويستقيم عمله، ويضع للمخلوقين منزلتهم التي يستحقونها[٣].

ثالثًا - التربية بالترهيب:

لقد رهّب النبي ﷺ من الحلف في البيع فقال: "الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب"، وقال ﷺ: "إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق ثم يمحق".

فالحلف ممحقة للكسب، أي: متلفة له، والإتلاف يشمل الإتلاف الحسي بأن يسلط الله على ماله شيئًا يتلفه من حريق أو نهب أو مرض يلحق صاحب المال فيتلفه في العلاج، والإتلاف المعنوي بأن ينزع الله البركة من ماله فلا ينتفع به لا دينًا ولا دنيا، وكم من إنسان عنده مال قليل، لكن نفعه الله به ونفع غيره ومن وراءه، وكم من إنسان عنده أموال لكن لم ينتفع بها صار - والعياذ بالله - بخيلاً يعيش عيشة الفقراء وهو غني؛ لأن البركة قد محقت[٤].

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ٤١٦.

(٢) سورة الزمر، آية: ٦٧.

(٣) تربية الشباب، محمد بن عبدالله الدويش، ص ٥٤.

(٤) القول المفيد، ابن عثيمين، ٢/٤٥٨.

هذا عقاب من يحلف على البيع في الدنيا أما في الآخرة فعذابه شديد، قال ﷺ: "ثلاثة لا ينظر الله إليهم، يوم القيامة: أشيمط زان وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه"(١).

قوله ﷺ: "جعل الله بضاعته"، ومعناها: أنه كلما اشترى حلف، وكلما باع حلف طلبًا للكسب، واستحق هذه العقوبة؛ لأنه إن كان صادقًا؛ فكثرة إيمانه تشعر باستخفافه واستهانته باليمين ومخالفته قوله تعالى: ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ﴾(٢)، وإن كان كاذبًا جمع بين أربعة أمور محذورة:

١ - استهانته باليمين ومخالفته أمر الله بحفظ اليمين.

٢ - كذبه.

٣ - أكله المال بالباطل.

٤ - أن يمينه يمين غموس، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ يَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ))(٣).

وكل ما في هذا الحديث يجب الحذر منه والبعد عنه؛ لأن هذا ما يريده النبي ﷺ من الإخبار به، وإلا؛ فما الفائدة من سماعنا له إذا لم تظهر مقتضيات النصوص على معتقداتنا وأقوالنا وأفعالنا؟ فنحن والجاهل سواء؛ بل نحن أعظم، ولذلك لا ينبغي أن تمر علينا بلا فائدة فنعرف معناها فقط، بل يجب أن نعرف معناها ونعمل بمقتضاها، ثم يجب علينا نحن المربين أيضًا بوصفنا ممن آتاهم الله العلم أن نُحذّر الناس منها لنكون وارثين للرسول ﷺ؛ فالنبي ﷺ كان عالمًا عاملاً داعيًا، أما طالب العلم؛ فإنه ليس وارثًا للرسول -عليه الصلاة والسلام- حتى يقوم بما قام به من العمل والدعوة، فعلينا أن نُحذّر إخواننا المسلمين من هذا العمل الكثير بين الناس، وهو جعل الله بضاعة لهم؛ لا يبيعون إلا بأيمانهم، ولا يشترون إلا بأيمانهم(٤).

۞ ۞ ۞

---

(١) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب رقم ٢٧٧٧، ص ٤٠٤، وعزاه للطبراني في الكبير، وفي الصغير والأوسط، وقال: رواته محتج بهم في الصحيح.

(٢) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٣) أخرجه البخاري ٢٣٥٦، ٢٣٥٧.

(٤) القول المفيد، ابن عثيمين، ٤٦٢/٢، ٤٦٣.

٣١٩- باب كراهة أنْ يسأل الإنسان بوجه الله عز وجل غير الجنة، وكراهة منع من سأل بالله تعالى وتشفع به

الحديث رقم (١٧٢٤)

١٧٢٤- عن جابر رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((لاَ يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ الا الجَنَّةُ)) رواه أبو داود[١].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن الحق سبحانه وتعالى يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ولكن للدعاء آداب، واستجابة الله للدعاء تظل مرتبطة بحسن العمل، وصلاح النية، وإسلام الوجه لله، والإخلاص في العبادة، وهذا الحديث الشريف يصوغه رسول الله في أسلوب القصر؛ عن طريق النفي والاستثناء؛ فهو يحصر السؤال بوجه الله، والتشفع في أشرف مطلوب، وأسمى مرغوب؛ وهو سؤال الله دخول الجنة.

والفعل "يسأل" يمكن أن يكون مجزوماً؛ حيث تكون "لا" ناهية، والأسلوب يكون إنشائيًا طلبيًا؛ لأن النهي من أنواع الطلب، والنهي هنا -كما قال العلماء- تنزيهي.

ويمكن أن يكون الفعل مرفوعاً، و"لا" تكون نافية، فيكون الأسلوب خبريًا

---

(١) برقم (١٦٧١) فيه سليمان بن قرم، قال الحافظ في الفتح (٦٨٧/٨): بصري ضعيف، وتفرد أبو داود بتسمية أبيه معاذًا، وقال في التقريب (٢٦٠٠): سيء الحفظ يتشيع، والحديث أورده ابن عدي في الكامل (١١٠٧/٣) وقال: وهذا الحديث لا أعرفه عن محمد بن المنكدر إلا من رواية سليمان بن قرم، وعن سليمان: يعقوب بن إسحاق الحضري، وعن يعقوب: أحمد بن عمرو العصفري انتهى. قلتُ: وبهذا الإسناد عند أبي داود. قال السخاوي في المقاصد (ص: ٤٧١): والظاهر أن النهي فيه للتنزيه، ولا يمنع استحباب الإجابة لمن سئل به، بل قد ورد الترهيب من كليهما.

متضمناً معنى النهي.

وهذه التوجيهات الأسلوبية، تتبع من ثراء المعنى، واتساع الدلالة في الحديث الشريف.

وفي هالة هذا التوجيه النبوي.. ننضوا هذه الأبيات، التي يناجي فيها الشاعر ربه في صدق وإخلاص، يقول الشاعر:

إلهي، ذرفت الدَّمعَ أرجو مثوبةً ... وصفحًا عن الزلات في ليلة القَدْرِ
سألتُكَ يا ربّاهُ تفريجَ كُربةٍ ... وجنات عدن في مناراتها أسْري
وهذَّبت أعمالي ابتغاء مثوبةٍ ... وبالحقِّ يا ربَّاه وصَّيتْ والصبرِ
وخالفتُ نفسي إذ طويلاً سجنتها ... وأحكمتُ باب السجن خوفاً من
وتشهد يا ربَّاهُ: ما كنت مؤذياً ... لنفسي، ولو أُلْقيتُ في ساحة الضُّرِّ
وما كنتُ غيرَ الخير أعرفُ شيمةً ... ولا غيرَ نُورِ الحق أحفظُ في صَدرِي[١]

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القصر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: كراهة أن يسأل الإنسان بوجه الله عز وجل غير الجنة.

أولاً- من أساليب الدعوة: القصر:

هذا واضح من الحديث: "لا يسأل بوجه الله إلا الجنة"، فقد قصر ﷺ السؤال بوجه الله على الجنة دون غيرها من السؤالات والمطالب، قال الطيبي: قال المظهر هذا يحتمل أمرين، أحدهما: أن يكون معناه لا تسألوا من الناس شيئاً بوجه الله مثل أن تقولوا لأحد: يا فلان أعطني شيئاً بوجه الله أو بالله، فإن اسم الله تعالى أعظم من أن يسأل به شيء من متاع الدنيا، بل سلوا به الجنة. والثاني: لا تسألوا الله شيئاً من متاع الدنيا، بل سلوا الله الجنة ورضاه، فإن متاع الدنيا لا قدر له. أقول في الوجهين نظر.

---

(١) من قصيدة مناجاة في ليلة القدر، شعر د. صابر عبدالدايم، ديوان الأعمال الكاملة، والقصيدة منشورة بجريدة صوت الأزهر، عام ٢٠٠٢م.

ويمكن أن يجري على المبالغة، يعني لا يسأل الناس ناشداً بالله إلا الجنة، وقد علم أن ليس إليهم ذلك، فيفيد المبالغة في قطع السؤال عنهم بالله، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[١]، وهذا تأديب للسؤال والمكدين، عليهم أن يحترزوا ويجتنبوا هذا الأمر الفظيع"[٢].

وقد بوب المنذري على هذا الحديث ونحوه: ترهيب السائل أن يسأل بوجه الله غير الجنة، وترهيب المسؤول بوجه الله أن يمنع[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: كراهة أن يسأل الإنسان بوجه الله عز وجل غير الجنة:

هذا واضح من الحديث قال العظيم آبادى: "إذ كل شيء أحقر دون عظمته تعالى، والتوسل بالعظيم في الحقير تحقير له، نعم الجنة أعظم مطلب للإنسان، فصار التوسل به تعالى فيها مناسباً"[٤].

وقال ابن عثيمين: "وجه الله تعالى وصفه تعالى بأنه ذو الجلال والإكرام، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٥]، كل من على البسيطة فإنه فان زائل لكن يبقى وجه الله عز وجل "ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام"، ولهذا قال بعض العلماء[٦]: ينبغي أن يصل قوله "ويبقى وجه ربك" بما قبله حتى يتبين كمال الله عز وجل وأنه يستحيل عليه الفناء. بل هو الباقي الذي لا يزول فوجه الله تعالى عظيم وأعظم ما يسأله المرء الجنة. قال الله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٧]، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم. فلما كانت الجنة أعظم مسؤول

---

(١) سورة النساء، آية: ٢٢.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ١٢٨/٤.

(٣) الترغيب والترهيب ٢٠١، الحديث ١٢٧٣ وما بعده.

(٤) عون المعبود ٧٦١.

(٥) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦- ٢٧.

(٦) هو عامر بن شراحيل الشعبي من فقهاء التابعين وعلمائهم. ذكر ذلك عنه ابن القيم في مدارج السالكين، ٢١٠/٤.

(٧) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

يعني أعظم ما يسأله الإنسان هو الجنة. صار لا يسأل بوجه الله إلا الجنة.فلا تسأل بوجه الله شيئًا من أمور الدنيا، لا تقل: اللهم إني أسألك بوجهك أن تعطيني بيتاً أسكنه، أو سيارة أركبها، أو ما أشبه ذلك؛ لأن وجه الله أعظم من أن يسأل به شيء من الدنيا. الدنيا كلها دنيئة، كلها فانية، كلها لا خير فيها إلا ما يقرب الله عز وجل، وإلا فهى خسارة، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِى خُسۡرٍ﴾[1]، العصر: يعني الدهر، وهو الدنيا، أقسم بالعصر أن كل إنسان في خسر، لا يستفيد من عصره إلا من جمع هذه الصفات الأربع، "إلا الذين آمنوا"، واحد، "وعملوا الصالحات"، اثنين، "وتواصوا بالحق"، ثالث يعني: أوصى بعضهم بعضاً بالحق. والرابع، "وتواصوا بالصبر" أي: بالصبر على الحق والدعوة إليه والصبر على أقدار الله وغير ذلك، فالمهم لا تسأل بوجه الله إلا الجنة، وكذلك ما يقرب إلى الجنة فلك أن تسأل بوجه الله النجاة من النار، اللهم إني أسألك بوجهك أن تنجيني من النار، لأنه إذا نجا الإنسان من النار لابد أن يدخل الجنة. فليس هناك ثلاث دور، إنما هما داران فقط، دار الكفار وهى النار أعاذنا الله وإياكم منها، ودار المؤمنين المتقين وهي الجنة فإذا قلت: أسألك بوجهك أن تجيرني من النار، فلا بأس، لأن الله متى أجارك من النار أدخلك الجنة. وهذا الحديث إسناده ضعيف ولكن معناه صحيح، لا ينبغي أن تسأل بوجه الله العظيم إلا لشيء عظيم"[2].

وقال ابن القيم في مقدمة كتابه عن الجنة: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: "ولما علم الموفقون ما خلقوا له، وما أريد بإيجادهم رفعوا رؤوسهم فإذا علم الجنة قد رفع لهم، فشمروا إليه، إذا صراطها المستقيم قد وضح لهم، فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغبن[3] بيع ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، في أبد لا يزول، ولا ينفد بصبابة[4] عيش، إنما هو كأضغاث أحلام[5]،

---

(١) سورة العصر، الآيتان: ١- ٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٧٧٩/٢- ١٧٨٠.

(٣) الغبن: النقص والخسارة.

(٤) الصبابة: ما بقى في الإناء من ماء ونحوه.

(٥) أضغاث أحلام: ما كان متلبساً مختلطاً لا يصح تأويله، لاختلاطه والتباسه، وأصل الضغث: القبضة من الحشيش المختلط رطبها بيابسها. والأحلام: جمع حلم، وهو ما يراه النائم.

أو كطيف[١] زار في المنام، مشوب بالنغص[٢]، ممزوج بالغصص[٣]، إن أضحك قليلاً أبكى كثيراً، وإن سر يوماً أحزن شهوراً، آلامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعافُ أضعاف مسراته، أوله مخاوف، وآخره متالف، فيا عجباً من سفيه في صورة حليم، ومعتوه في مسلاخ[٤] عاقل، آثر[٥] الحظ الفاني الخسيس، على الحظ الباقي النفيس، وباع جنة عرضها السماوات والأرض، بسجن ضيق بين أرباب العاهات، والبليات، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، بأعطان[٦] ضيقة آخرها الخراب والبوار[٧]، وأبكاراً عرباً أتراباً[٨] كأنهن الياقوت والمرجان، بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات، أو متخذات أخدان[٩]، وحوراً مقصورات في الخيام[١٠] بخبيثات سيئات بين الأنام[١١]، وأنهاراً من خمر لذة للشاربين، بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم، وسماع الخطاب من الرحمن، بسماع المعازف والغناء والألحان، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد، بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد، ونداء المنادي يا أهل الجنة: إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا، وتحيوا فلا تموتوا، وتقيموا فلا تظعنوا، وتشبوا فلا تهرموا بغناء المغنين:

---

(١) الطيف: الخيال الطائف في النوم.

(٢) مشوب بالنغص: مخلوط بكدر العيش.

(٣) الغصص: جمع غصة: وهو مما اعترض في الحلق من طعام أو شراب.

(٤) المسلاخ: الجلد.

(٥) في الأصل "آآثر" على الاستفهام، وما أثبتاه أولى.

(٦) العطن: مبرك الإبل حول الحوض. وجمعه أعطان.

(٧) البوار: الهلاك، والكساد.

(٨) عرباً أترابا: العرب: جمع عروب. وهي المرأة المتحببة إلى زوجها والمطيعة له، والأتراب: جمع ترب. وهو المماثل في السن ذكراً كان أو أنثى.

(٩) مسافحات أو متخذات أخدان: زانيات، والسفاح، والمسافحة: معاشرة المرأة بلا زواج. والأخدان: جمع خدن، وهو الصديق الذي يكون معك ظاهراً وباطناً.

(١٠) حور مقصورات في الخيام: الحور: جمع حوراء، وهي المرأة إذا اشتد بياض عينها، مع شدة سواد سوادها، وهذا من جمال العين. ومقصورات في الخيام: جمع مقصورة، وهي المرأة المنعمة في بيت لا تتركه. والخيام: جمع خيمة.

(١١) الأنام: الإنس والجن، وما ظهر على الأرض من جميع الخلق.

وَقَفَ الهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي ... مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلا مُتَقَدَّمُ
أَجِدُ المَلامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً ... حُبّاً لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ

وإنما يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة، وإنما يتبين سفه[1] بائعه يوم الحسرة والندامة، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفداً[2]، وسيق المجرمون إلى جهنم ورداً[3]، ونادى المنادي على رؤوس الأشهاد، ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد لهم من الإكرام وادخر لهم من الفضل والإنعام، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر، ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر، لعلم أي بضاعة أضاع، وأنه لا خير له في حياته، وهو معدود من سقط المتاع، وعلم أن القوم قد توسطوا ملكاً كبيراً لا تعتريه الآفات، ولا يلحقه الزوال، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال.

فهم في روضات الجنة يتقلبون، وعلى أسرتها تحت الحجال[4] يجلسون وعلى الفرش التي بطائنها[5] من إستبرق[6] يتكئون، وبالحور العين[7] يتمتعون، وبأنواع الثمار يتفكهون، ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ[8] ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ[9] عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ[10] ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ

---

(١) السفه: الجهل والطيش، وسوء التصرف.
(٢) الوفد: الجماعة يفدون على ذي الشأن، وقيل هنا: جاؤوا ركباناً.
(٣) الورد: الماء يورد، والورد: الإبل ترد الماء. ويقال للقوم يردون الماء: ورد. والمراد أنهم يقصدون جهنم للارتواء. وبئس الورد المورود.
(٤) الحجال: جمع حجلة، وهي ناموسية تستر السرير كالقبة تتخذ للعروس، وخشية البعوض والناموس.
(٥) البطائن: جمع بطانة، وهي من الثوب ما يبطن به، وهي خلاف ظهارته.
(٦) الإستبرق: الديباج الغليظ، وثياب من حرير وذهب. والديباج: الحرير.
(٧) العين: جمع عيناء، وهي المرأة حسنة العين وواسعتها.
(٨) الماء المعين: هو الظاهر الذي تراه العين جارياً على وجه الأرض.
(٩) لا يصدعون: لا يصيبهم الصداع. والصداع: وجع الرأس.
(١٠) ولا ينزفون: لا يذهب عقلهم من السكر. يقال: نزف شارب الخمر: سكر فذهب عقله وتمييزه. ونزف الشيء نزفاً: نفد وفني.

عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ[١] ﴿٢٣﴾ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٢]. ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ[٣] مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٤]. تالله، لقد نودي عليها في سوق الكساد[٥] فما قلّب ولا استام[٦] إلا أفراد من العباد، فواعجبا لها كيف نام طالبها؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها؟ وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها؟ وكيف قر للمشتاق القرار، دون معانقة أبكارها؟ وكيف قرت دونها أعين المشتاقين؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين؟ وكيف صدفت[٧] عنها قلوب أكثر العالمين؟ وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين؟

وهذا كتاب اجتهدت في جمعه، وترتيبه، وتفصيله، وتبويبه، فهو للمخزون سلوة وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة، محرك للقلوب، إلى أجلّ مطلوب، وحادٍ للنفوس إلى مجاورة الملك القدوس[٨]، ممتع لقارئه، مشوق للناظر فيه، لا يسأمه الجليس، ولا يمله الأنيس، مشتمل من بدائع الفوائد، وفرائد القلائد[٩]، على ما لعل المجتهد في الطلب، لا يظفر به فيما سواه من الكتب، مع تضمينه لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعات، والآثار[١٠] الموقوفات، والأسرار المودعة في كثير من الآيات، والنكت البديعات، وإيضاح كثير من المشكلات، والتنبيه على أصول من الأسماء والصفات، إذا نظر فيه

---

(١) المكنون: المصون.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ١٧- ٢٤.

(٣) الصحاف: جمع صحفة، وهو وعاء الأكل الكبير.

(٤) سورة الزخرف، آية: ٧١.

(٥) سوق الكساد: التي لم تحظ بالرواج، ولم ينفق ما فيها لقلة الرغبة فيه.

(٦) السوم: عرض السلعة على البيع. ومعنى الكلام أن سوق الجنة في الدنيا كاسدة. لا يسأل عنها كثير من الناس. يقال: استام المشتري السلعة: أراد شراءها ومعرفة ثمنها، واستام البائع غالي وطلب سعراً عالياً. وفي الأصل (أسام) وما أثبتناه أولى.

(٧) صدف: أعرض.

(٨) القدوس: من أسماء الله الحسنى. ومعناه المنزه عن كل نقص وعيب.

(٩) القلائد: جمع قلادة، وهي ما يجعل حول العنق من حلي ونحوه.

(١٠) في الأصل (الآيات) وهو خطأ، وما أثبتناه هو الصحيح.

الناظر زاده إيماناً، وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عياناً، فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات، وباعث الهمم العليات، إلى العيش الهنيِّ في تلك الغرفات.

وسميته "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" فإنه اسم يطابق مسماه، ولفظ يوافق معناه، والله يعمل ما قصدت، وما بجمعه أردت؛ فهو عند لسان كل عبد وقلبه، وهو المطلع على نيته، وكسبه، وكان جل المقصود منه بشارة أهل السنة، بما أعد الله لهم في الجنة، فإنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة، وهم أولياء الرسول، وحزبه، ومن خرج عن سنته فهم أعداؤه وحربه. لا تأخذهم في نصرة سنته ملامة اللوام، ولا يتركون ما صح عنه لقول أحد من الأنام، والسنة أجل في صدورهم من أن يقدموا عليها رأياً فقهياً، أو بحثاً جدلياً، أو خيالاً صوفياً، أو تناقضاً كلامياً، أو قياساً فلسفياً، أو حكماً سياسياً، فمن قدم عليها شيئاً من ذلك، فباب الصواب عليه مسدود، وهو عن طريق الرشاد مصدود"[1].

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ٢٧-٣٣، وما ذكرناه من تفسير للكلمات نقلناه من تحقيق المحققين للكتاب.

الحديث رقم (١٧٢٥)

١٧٢٥- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((مَنِ استَعَاذَ باللهِ، فَأعِيذُوهُ، وَمَنْ سَألَ باللهِ، فأعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ، فَأجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ، فَإنْ لَمْ تَجِدُوا ما تُكَافِئُونَهُ (به) [١] فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ)).

حديث صحيح رواه أبو داود والنسائي[٢] بأسانيد الصحيحين.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: سبقت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

استعاذ بالله: استجار به ولاذ به[٣].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، نجده يتكون من خمس جمل لغوية... تتناسق في مبناها، وتتآلف في معناها؛ حيث تُصاغ الجمل كلها في قالب الشرط والجواب، وأداة الشرط في الجمل الأربع الأولى "مَن"، وأما في الجملة الأخيرة فالأداة "إن"؛ لأنها تستقل في معناها عن بقية الجمل، ولكنها متممة لها، ولأن الجمل التي تصدرتها "من"، تعرض لمواقف حياتية لأي مسلم تضطره الحاجة إلى الاستعانة والاستعاذة بالله، وطلب النصرة والحماية، أو السؤال بدافع الفاقة والاستعانة بالله في ذلك، وقد تكون المواقف ليست عن ضعف أو فاقة؛ وإنما تنبع من الرغبة في التآخي والصلة والمودة، فيدعو أخاه في الإسلام أو يهدي إليه معروفاً.

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند أبي داود، ولا عند النسائي.

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٢) واللفظ له، والنسائي في المجتبى (٢٥٦٧)، وفي الكبرى (٢٣٥٩). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٣٤٠٨)، وقال الحاكم (٤١٢/١): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. أورده المنذري في ترغيبه (١٢٤٨).

(٣) النهاية في (ع و ذ).

وفعل الشرط في الجمل الأربع يوحي بالتحقق والإنجاز؛ حيث صيغ في قالب الفعل الماضي، والماضي يدل على حدث قد وقع في الزمن الذي انقضى أو مضى؛ فالاستعاذة قد طُلبت، والسؤال قد وُجد، والدعوة قد صدرت، والمعروف قد صُنع.

وكلها مقدمات في أسلوب الشرط، يجب على من قُدمت إليه أن يجيب عليها، ولذلك جاء جواب الشرط متوائماً ومتناسقاً في صيغته مع هذه المقدمات، وصيغت كل أفعال الجواب في صيغة الأمر؛ حيث قال رسول الله ﷺ: "فأعيذوه، "فأعطوه"، "فأجيبوه"، "فكافئوه"، والجواب يقترن في الجمل الأربع، وكذلك الجملة الخامسة، بواو الجماعة؛ لأن الأمر موجه من رسول الله إلى الأمة كلها، فهو منهج الأمة كلها، وليس منهجاً لفرد واحد، ولا منهج زمن محدد، أو بيئة معينة؛ وإنما منهج الأمة الإسلامية كلها.

ولنتأمل الإيقاع الصوتي في نهاية كل جملة؛ حيث تختم بواو الجماعة والضمير المفرد العائد على الفرد المسلم... هذا الإيقاع الصوتي مع التوازن الصوتي والتركيب في الجمل، مع التناسق في بناء العبارات، يوحي بضرورة تماسك الأمة وتفاعلها، وتناسقها وتعاونها على البر والتقوى، وأن تكون كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً، والله أعلم.

فقه الحديث

في الحديث من الفقه ما يأتي:

١- كراهية رد السائل بالله تعالى[1] وذلك للحديث، اللهم إلا إذا سأل شيئاً قبيحاً، أو إلا إذا علم عدم حاجته للسؤال، وإنما كان سؤاله للتكثير[2]، فلا يكره رده، وكذا إذا ألح السائل في المسألة حتى أضجر المسؤول[3].

---

(١) حاشية رد المحتار ٣٩٧/٦، ومواهب الجليل ٢٦٣/٣، وروضة الطالبين ٤/١١، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٣١٣/٤، المغني لابن قدامة ٤٢٣/٩، ومنار السبيل ٢٥/٢.

(٢) رد المحتار على الدر المختار ٣٩٧/٦.

(٣) سبل السلام ١٧٠/٤.

٢- وجوب إعاذة المستعيذ بالله، وإجابة الداعي ما لم يكن هناك مانع شرعي[١].

٣- وجوب مكافأة المحسن كما أحسن قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[٣].

فإن لم يجد ما يكافئه به فليدع له، بأن يقول: "جزاك الله خيراً"[٤] ونحو ذلك، لقول رسول الله ﷺ ((من صنع إليه معروفاً فقال لفاعله جزاك الله خيراً، فقد أبلغ الثناء))[٥].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تعظيم اسم الله تعالى بأن نعيذ من استعاذ به ونعطي من سأل به.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: إجابة الدعوة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: شكر من صنع معروفاً.

رابعاً: من أهداف الدعوة: نشر تعظيم الله في القلوب.

خامساً: من أهداف الدعوة: تأصيل خلق الشكر بين المدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تعظيم اسم الله تعالى بأن نعيذ من استعاذ به ونعطي من سأل به:

هذا واضح من قوله ﷺ: "من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه"، قال الطيبي: "قال المظهر: "استعاذ": إذا طلب أحد من أحد أن يدفع عنه شراً و"أعاذه" إذا دفع عنه الشر الذي يطلب منه دفعه. يعني إذا طلب أحد منكم أن تدفعوا عنه شركم أو شر غيركم بالله، مثل قولك: يافلان بالله عليك أن تدفع عني شر فلان وإيذائه، أو

(١) عون المعبود ٦١/٥، وسبل السلام ١٧٠/٤.

(٢) سورة الرحمن، آية: ٦٠.

(٣) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٤) عون المعبود ٦١/٥.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٠٣٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٥٧).

احفظني من شر فلان – فأجيبوه، واحفظوه، لتعظيم اسم الله. أقول (أى الطيبي): قد جعل متعلق "استعاذ" محذوفاً و "بالله" حالاً، أى من استعاذ بكم متوكلاً بالله ومستعطفاً به، ويمكن أن يكون "بالله" صلة "استعاذ" والمعنى: من استعاذ بالله فلا تتعرضوا له، بل أعيذوه وادفعوا عنه الشر، فوضع "أعيذوه" موضعه مبالغة"[١]. وقال السندي: "حاصله من توسل بالله في شيء ينبغي أن لا يحرم ما أمكن"[٢]. وقيد ابن عثيمين هذه الإعاذة بألا تكون في حق واجب، فقال: "إذا استعاذ أحد بالله منك فأعذه، إلا إذا استعاذ عن حق واجب، فإن الله لا يعيذه، لو أنه كان مطلوباً لك فسألته حقك قلت: أعطني حقي. قال: أعوذ بالله منك، فهنا لا تعذه، لأن الله تعالى لا يعيذ عاصياً، لكن إذا كان الأمر ليس محرماً، فاستعاذ بالله منك، فأعذه تعظيماً لله عز وجل"[٣]. وكذلك من سأل بالله فيعطى ما سأل "تعظيماً لاسم الله وشفقة على حق الله"[٤]. وقال ابن عثيمين: "لو سألك سائل فقال: أسألك بالله أن تعطيني كذا وكذا، أعطه. إلا إذا سألك شيئاً محرماً فلا تعطه. مثلاً أن يسألك يقول لك: أسألك بالله أن تخبرني ماذا تصنع مع أهلك مثلاً. هذا لا يجوز أن تخبره. بل وجهه وانصحه وقل: هذا تدخل فيما لا يعنيك، وقد قال النبي ﷺ: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"[٥]. وكذلك لو سأل محرماً ولو سألك بالله، لا تعطه. لو قال: أسألك بالله أن تعطيني كذا وكذا ليشتري به دخاناً فلا تعطه. لأنه سألك؛ ليستعين به على شيء محرم. فالمهم أن من سألك بالله فأعطه ما لم يكن على شيء محرم، وكذلك ما لم يكن عليك ضرر، فإن كان عليك ضرر فلا تعطه، لأن النبي ﷺ، قال: "لا ضرر

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٢٧/٤.

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي ٨٧/٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٧٨٠/٢.

(٤) عون المعبود ٧٦١.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٣١٧، وابن ماجه ٣٩٣٦، وابن حبان ٢٢٩، وقال محقق صحيح ابن حبان: حديث حسن لغيره.

ولا ضرار"[١]،[٢].

وقال عبدالله البسام عما يؤخذ من الحديث: "إن من التجأ إليكم واعتصم بكم في أمر من الأمور التي حزبته والعظائم التي ألجأته فأعيذوه وكونوا سنداً له وعضداً له في كربته ممن ظلمه أو تعدى عليه مادام أنه مع حق في طلب النجاة والحماية، وقد دخل عليكم هذا المدخل. فقد قال ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوما»[٣].

كذلك فإن من سألكم شيئاً وعزز سؤاله بالله تعالى أن تعطوه سؤاله فأعطوه ما طلب؛ إعظاماً للسؤال بالله تعالى"[٤].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: إجابة الدعوة:

هذا واضح من قوله ﷺ: "ومن دعاكم فأجيبوه"، قال ابن عثيمين: "من دعاك إلى بيته إلى وليمة قليلة أو كثيرة فأجبه، لكن هذا مشروط بما إذا لم يكن عليك ضرر فلا تجبه، أو كان هذا الرجل ممن يهجر فلا تجبه أيضاً أو كان هذا الرجل في ماله حرام، ورأيت أنه من المصلحة ألا تجيبه، لعله يقلع عن الحرام فلا تجبه. أما في وليمة العرس فقد قال النبي ﷺ، "من لم يجب فقد عصى الله ورسوله"[٥]، إذا دعاك الزوج لوليمة العرس فأجبه ما لم يكن عليك ضرر أو يكن هناك منكر، فإن كان عليك ضرر فلا يلزمك إجابته، وإن كان هناك منكر فإن كنت تستطيع أن تغيره، فأجب وغير وإلا فلا تجب"[٦].

جاء في الموسوعة الفقهية: "ذهب جمهور الفقهاء إلى أن إجابة الدعوة في الأصل واجبة إن كانت إلى وليمة عرس وأما ما عداها فقد اختلف في الإجابة إليها، فقال

---

(١) أخرجه أحمد ٣١٢/١ رقم ٢٨٦٥، وقال محققو المسند: حسن ٥٥/٥ أ هـ. وقال النووي: له طرق يقوى بعضها بعضاً. انظر جامع العلوم والحكم، ٢٠٧/٢-٢١٠.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٧٨٠/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٩٥.

(٤) توضيح الأحكام ٢٦٨/٦.

(٥) أخرجه البخاري ٥١٧٧، ومسلم ١٤٣٢.

(٦) شرح رياض الصالحين ١٧٨١/٢.

الحنفية والشافعية والحنابلة ليست الإجابة إليها واجبة بل هى مستحبة إن لم يكن عذر أو مانع...، وسواء كانت بسبب كبناء أو ولادة أو ختان، أو غير ذلك، ما لم تكن من الداعي مكروهة كدعوة المأتم، وذلك لأن في إجابة الداعي تطييب نفسه وجبر قلبه"[١].

وقال الطيبي: "وأما الأعذار التي يسقط بها وجوب الإجابة وندبها فأن يكون في الطعام شبهة، أو يخص بها الأغنياء أو يكون هناك من يتأذى بحضوره، أولا يليق به مجالسته أو يدعوه لخوف شره أو لطمع في جاهه، أو لتعاونه على باطل وأن يكون هناك منكر من خمر أو لهو أو فرش حرير أو صور حيوان غير مفروشة، أو آنية ذهب أو فضة. ومن الأعذار أن يعتذر إلى الداعي فيتركه"[٢].

وقال عبدالله البسام: يستحب الدعاء من المدعو للداعي. ويكن الدعاء مناسباً للدعوة والمقام، ويظهر الفرح والغبطة للداعي، ويدخل السرور عليه بالأماني الطيبة والفأل الحسن، فهذا من بركة الحضور والاجتماع فليس الحضور هو مجرد الطعام والأكل، وإلا لما أمر الصائم بالإجابة، وإنما المراد معانيه الطيبة واجتماعه المبارك"[٣].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: شكر من صنع معروفاً:

هذا واضح من قوله ﷺ: "ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوا به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه"، قال الطيبي: المعنى من أحسن إليكم أى إحسان فكافئوه بمثله، فإن لم تقدروا على ذلك فبالغوا في الدعاء له جهدكم حتى يحصل المثلية. ووجه المبالغة: أنه رأى من نفسه تقصيراً في المجازاة فأحالها إلى الله تعالى. ونعم المجازى هو. وقد جاء في حديث آخر"، من صنع إليه معروف فقال جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء"[٤])[٥]. وقال ابن عثيمين: "إذا صنع إليك أحد معروفاً

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٣٧/٢٠.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٢٩٥/٦. وانظر: سبل السلام للصنعاني ٦٤٩.

(٣) توضيح الأحكام ٥٠٣/٤.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٠٣٥، وابن حبان ٣٤١٢، وقال محقق صحيح ابن حبان: إسناده صحيح.

(٥) شرح الطيبي على المشكاة ١٢٧/٤.

إما بمعونة في شيء أو باستخدامك إياه في شيء من الأشياء أو غير ذلك، فكافئه، أعطه ما تظن أنه يكافئ معروفه. فإن لم تجد ما تكافئه أو كان ممن لا يحسن مكافأته، كالملك والوزير والرئيس وما أشبه ذلك، فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه"[١].

وقال عبدالله البسام: "فاعل المعروف ابتداءً له فضل ومنة على المسدى إليه ذلك المعروف، سواء أكان معروفاً مادياً أو معنوياً. لأن الابتداء بالإحسان يدل على نفس كريمة لصاحبه ومحبة للخير والإحسان. فمن حسن الأدب وكمال المروءة وطيب المقابلة أن يكافئه المحسن إليه على إحسانه ومعروفه، وأن لا يهمله ويتركه، فإنه من الجفاء وبلادة الطبع. وإذا لم يجد المحسن إليه من الأشياء المادية ما يكافئ بها المحسن فليدع له ومن أفضل ألفاظ الدعاء والشكر قوله: "جزاك الله خيراً" فإن هذا أبلغ الثناء، ذلك أن الجزاء إذا كان من الله تعالى كان عظيماً، فإن جزاء الله وعطاءه لا نهاية له، ولفظ الخير كلمة طيبة تشمل خيري الدنيا والآخرة"[٢].

رابعاً- من أهداف الدعوة: نشر تعظيم الله في القلوب:

هذا واضح من قوله ﷺ: "من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه"، وقد أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنَّ ابنةَ الجَونِ لما أُدخِلَت على رسولِ الله ﷺ ودنا منها قالت: أعوذُ باللّهِ منك، فقال لها: لقد عُذتِ بعظيم، الحَقي بأهلكِ»[٣]. قال ابن الأثير: "أى لقد لجأت إلى ملجأ ولذت بملاذ"[٤].

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٥]، قال ابن كثير:

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٨٠.

(٢) توضيح الأحكام ٦/١٠٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٢٥٤.

(٤) النهاية في (ع و ذ).

(٥) سورة الزمر، آية: ٦٧.

"يقول تعالى: وما قدر المشركون الله حق قدره، حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته"(١).

ومن أسماء الله "العظيم" قال الطيبي: "أصله من عظم الشيء إذا كبر عظمه ثم استعير لكل جسم كبير المقدار كبراً يملأ العين كالجمل والفيل، أو كبراً يمنع إحاطة البصر بجميع أقطاره كالأرض والسماء ثم لكل شيء كبير القدر عالي الرتبة على هذا القياس، والعظيم المطلق البالغ إلى أقصى مراتب العظمة: هو الذي لا يتصوره عقل، ولا يحيط بكنهه بصيرة، وهو الله تعالى، فيرجع حاصل الاسم إلى التنزيه والتعالي عن إحاطة العقول بكنة ذاته، وحظ العبد منه أن يستحقر نفسه ويذلها للإقبال على الله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه والاجتهاد في اقتناص مراضيه"(٢).

وقال ابن القيم: "ما يجرى صفة أو خبراً على الرب تبارك وتعالى أقسام:

أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات، كقولك: ذات وموجود وشيء ... الخامس: وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة بل هو دال على معناه لا على معنى مفرد نحو المجيد العظيم الصمد فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال ... والعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال"(٣).

خامساً- من أهداف الدعوة: تأصيل خلق الشكر بين المدعوين:

هذا واضح من قوله ﷺ: "ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه".

قال العظيم آبادي: "أي أحسن إليكم إحساناً قولياً أو فعلياً (فكافئوه)، من المكافأة أى أحسنوا إليه مثل ما أحسن إليكم لقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١١٢/٧.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٣٦/٥- ٣٧.

(٣) بدائع الفوائد ١٥٩/١-١٦٠.

ﭐلۡإِحۡسَٰنُ﴾[1]، ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾[2]، [3].

وقد قال رسول الله ﷺ: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"[4].

قال الطيبي: "قال البيضاوي: هذا لأن شكره تعالى إنما يتم بمطاوعته وامتثال أمره، وإن مما أمر به شكر الناس الذين هم وسائط في إيصال نعم الله إليه، فمن لم يطاوعه فيه لم يكن مؤدياً شكر أنعمه، أو لأن من أخل بشكر من أسدى إليه نعمة من الناس مع ما يُرى من حرصه على حب الثناء والشكر على النعماء، وتأذيه بالإعراض والكفران، كان أولى بأن يتهاون في شكر من يستوي عليه الشكر والكفران لوهو الله سبحانه وتعالى فلا يضره كفر، ولا ينفعه شكر، تعالى عن ذلك علواً كبيراً"[5].

---

(١) سورة الرحمن، آية: ٦٠.

(٢) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٣) عون المعبود ٧٦١.

(٤) أخرجه الترمذي ١٩٥٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٩٢).

(٥) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٥/٦-١٨٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على تعظيم الله وصفاته:

من المضامين التربوية في هذا الباب تعظيم الله وصفاته، فلا يسأل بوجه الله تعالى ما هو حقير من حوائج الدنيا، وإنما يسأل به ما هو غاية المطالب، وهو الجنة، أو ما هو وسيلة إلى الجنة مما يقرب إليها من قول أو عمل[1].

فعلى المربي توجيهُ المسلم كبيرًا أو صغيرًا إلى ذلك فيقول له: (لا تسأل أحدًا من المخلوقين، فلا تسأله بوجه الله، لأنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة، والخلق لا يقدرون على إعطاء الجنة، فإذا لا يُسْأَلون بوجه الله مطلقًا.

فإن سألت الجنة وما يستلزم دخولها، فلا حرج أن تسأل بوجه الله، وإن سألت شيئًا من أمور الدنيا؛ فلا تسأل بوجه الله؛ لأن وجه الله أعظم من أن يسأل به لشيء من أمور الدنيا، فأمور الآخرة تسأل بوجه الله؛ كقولك مثلاً: أسألك بوجهك أن تنجني من النار والنبي ﷺ استعاذ بوجه الله لما نزل قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: أعوذ بوجهك، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[2] قال: هذه أهون أو أيسر[3])[4].

كما أن على المربي أن يوجه من يقوم بتربيتهم إلى أن من استعاذ بالله عليهم أن يعيذوه ومن سأل بالله فعليهم أن يعطوه.

فمن احترام الله وتعظيمه أن لا يرد من سأل بالله، لأن منع من سأل بالله يدل على عدم إجلال الله، وفي إعطائه دليل على تعظيم الله والتقرب إليه سبحانه[5].

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، ص ١٦٨.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٦٥.

(٣) أخرجه البخاري ٤٦٢٨.

(٤) القول المفيد، ابن عثيمين، ٢/٣٥٦-٣٥٧.

(٥) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح الفوزان، ص ١٦٧، ١٦٨.

فينبغي تربية المسلمين وخاصة الناشئة على الاعتراف بعظيم قدرة الله وعظيم سلطانه، وقوته، وينطوي الاعتراف على تعظيم الله وإكباره وتقديسه، والشعور بالخضوع له والخشوع والخشية والخوف والالتجاء إليه، والطاعة لأمره، والرضى بحكمه، والتسليم له، والتفويض إليه[1].

ثانيًا - التربية الاجتماعية:

تهدف تعاليم الإسلام إلى بناء مجتمع تقوم علاقات أفراده على الحب والمودة والتآلف والرحمة، ويبعد عن الشقاق والاختلاف والعداوة والبغضاء[2].

ومن الأمور الاجتماعية التي تدعو إلى التواصل والتآلف والمحبة بين المسلمين إجابة الدعوة لذلك قال ﷺ: "من دعاكم، فأجيبوه".

فلقد حرص الإسلام على توثيق الروابط والعلاقات الاجتماعية بين الفرد والمحيطين به، بما يحقق للفرد والجماعة الألفة والانسجام والتكيف والاستقرار من جهة، وتبادل المصلحة من جهة ثانية.

وقد شبه النبي ﷺ الكيان الاجتماعي بالجسد الواحد، الذي يتأثر بشكوى أحد أعضائه فقال: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ))[3] وحتى تتحقق سلامة الكيان الاجتماعي، حدد الإسلام ما على الفرد والجماعة من حقوق وواجبات، إذ كل حق في الإسلام يقابله واجب، فوضح حقوق الوالدين وحقوق الأبناء وحقوق الأرحام، وحقوق الجوار، وحقوق المسلم في المجتمع عمومًا[4].

تأكيدًا على استغناء الفرد عن بقية أفراد مجتمعه، وتوثيقًا للعلاقة الطيبة معهم، وقد حفلت التربية الإسلامية ببيان عدد من النصائح والتوجيهات التي تبين حقوق المسلم

---

(١) نظام الإسلام: العقيدة والعبادة، محمد المبارك، ص ٦٨.

(٢) التربية الروحية والاجتماعية، د. اكرم ضياء العمري، ص ٢٠٥.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦ واللفظ له.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ٣٨.

على المسلم وواجباته في الوقت ذاته كأن تسلم عليه إذ لقيته، وتجبه إذا دعاك، وتنصح له إذا استنصحك، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك، وتعوده إذا مرض، وتحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك. والإسلام ملئ بفضائل التعامل مع الناس، كالتعاون والتواضع وعدم التكبر عليهم، والبعد عن النميمة بينهم، وعدم هجرانهم فوق ثلاث، والعفو والصفح عنهم، والإحسان إليهم قدر المستطاع واحترام الكبار والرحمة بالصغار، والبشاشة عند اللقاء، والوفاء بالوعد معهم... إلى غير ذلك من فضائل، تزرع المحبة بين أفراد المجتمع، وتوثق عرى التماسك الاجتماعي فيما بينهم"[1].

ثالثًا - التربية على مكافأة المحسن، أو رد الجميل:

إن مكافأة المحسن خلق فطري ينشأ من خلق الوفاء، إذ أن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، والمؤمن المستقيم لا يكون شاكرًا لله حتى يكون معترفًا بالفضل لأهل الفضل، وفي ذلك يقول ﷺ: ((لا يشكر الله من لا يشكر الناس))[2] فإن أخلاق المؤمن لا تكتمل بحسن علاقته بربه فحسب وإنما لابد أن يكون على نفس المستوى من الأخلاق في التعامل مع الناس[3] ولهذا قال ﷺ "ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه".

فمن واجب المربي أن يوجه من يقوم بتربيتهم إلى الوفاء وعدم نكران الجميل وشكر الناس لأن من لا يشكرهم لا يشكر الله، فمن صنع له معروفًا قابله بالشكر والمكافأة المادية عليه فإن عجز عن المكافأة دعا له بالخير بقوله جزاك الله خيرًا [4].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ معروفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِه جَزَاكَ الله خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ))[5].

❁ ❁ ❁

---

(١) المرجع السابق، ص ٤١.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٨١١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٢٦).

(٣) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا، محمود محمد الخزندار، ص ٤٩٥.

(٤) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٢٠٩/٣.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٠٣٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٥٧).

٣٢٠- باب تحريم قوله: شاهان شاه للسلطان وغيره

لأن معناه: ملك الملوك، ولا يوصف بذلك غير الله سبحانه وتعالى

الحديث رقم (١٧٢٦)

١٧٢٦- وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: ((**إنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ ﷻ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ**)). متفق عليه.

قال سُفيانُ بن عُيَيْنَةَ: ((**مَلِكُ الأَمْلاَكِ**)) مِثْلُ: شَاهانْ شَاهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أخنع اسم: أشد ذلاً وصغاراً يوم القيامة[٢].

شاهنشاه: أي ملك الملوك أو الملك الأعظم (فارسية)[٣].

الشرح الأدبي

إن الحق سبحانه وتعالى جلت قدرته، وتعالت عظمته، مالك الملك، بيده مقاليد الأمور، وله الأسماء الحسنى، وهو وحده لا شريك له، الخالق البارئ المصور، له ما في السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم.

والحديث الشريف ينعي على هؤلاء الذين يحاولون أن يَدَّعوا لأنفسهم ألقاباً وأسماء لا تكون إلا لله عز وجل: مثل "ملك الملوك"، أو ما يقوله ملوك العجم: "شاهنشاه"؛ لأن "شاه" بمعنى الملك، و"شاهان" جمع: شاه، وقد قدم المضاف إليه على المضاف تبعاً لقاعدة اللغوية عند العجم، ومعناها: "ملك الأملاك".

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢٠/٢١٤٣) واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٣٤٦.

(٣) الوسيط في (ش و هـ).

وهذا الاسم أو اللقب إذا كان مصدر عزة لصاحبه الموهوم المدعي؛ فإنه أذل اسم عند الله عز وجل؛ لأنه ادّعاء وكذب، وتشبه بالذات الإلهية، وهو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ولغة الحديث الشريف، تفصح عن معناه والمراد منه؛ فالحديث مكون من جملة واحدة، مكونة من "إن الناسخة" واسمها، وخبرها، وهي للتأكيد؛ حيث أكد رسول الله ﷺ رفضه لهذا الادعاء، ووصف صاحبه بأنه جاء بالذلة لنفسه بسبب هذا الاسم.

ولفظ "أخنع" يوحي بالاستهجان والكراهة؛ لأن اللفظ غريب، واجتماع حَرْفَي العين والخاء في كلمة واحدة، يؤدي إلى ثقلها وعدم تحمل الأُذن لها، وهي كذلك في دلالتها ونطقها، و"إنَّ" أدت وظيفتها النحوية، وهي من الحروف الناسخة، التي تنسخ عمل المبتدأ أو الخبر وحركتهما الإعرابية، وكذلك أوحت بأن هذا الذي ادَّعى صفة لذاته لا يستحقها، فادعاؤه منسوخ، ولقبه ممسوخ، واختيار قوله "عز وجل" بعد لفظ الجلالة: إيحاء بأنه لا عزة إلا الله؛ فهو ذو العز والجلال، والكبرياء والكمال، قال تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[1].

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: تحريم التسمي بملك الأملاك، سواء بالعربية أو بالأعجمية، وذلك لورود الوعيد الشديد عليه، ودلالته على أن غضب الله تعالى على المسمى به أشد من غضبه على غيره[2].

وذلك لأن المسمى بهذا الاسم قد انتهى إلى الغاية التي لا تنبغي لمخلوق، وأنه قد تعاطى ما هو خاص بالإله الحق، إذ لا يصدق هذا الاسم بالحقيقة إلا على الله تعالى فعوقب على ذلك من الإذلال، والاسترذال بما لم يعاقب به أحد من المخلوقين[3].

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٧٨.

(٢) المجموع للنووي ٣٢٨/٨، وفتح الباري ٥٩٠/١٠، وشرح صحيح مسلم ١٢٢/١٤، وطرح التثريب ٤٨١/٨.

(٣) طرح التثريب ٤٧٥/٨.

ويلحق بذلك التسمي بأسماء الله تعالى المختصة به كالرحمن، والقدوس والمهيمن، وخالق الخلق، ونحو ذلك[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهى عن التسمي أو الوصف بملك الأملاك ونحوه من الألقاب والمسميات.

ثانياً: من آداب المدعو: التزام الأدب في كل شيء.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن التسمي أو الوصف بملك الأملاك ونحوه من الألقاب والمسميات:

هذا واضح من الحديث: "إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ عز وجل رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ"، وفي رواية عند البخاري: ((أخنى الأسماءِ يومَ القيامةِ عندَ الله رجلٌ تَسمَّى ملك الأملاك))[٢]. وفي رواية عند مسلم "أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه وأغيظه عليه، رجل كان يسمى ملك الملاك، لا ملك إلا الله"[٣].

قال ابن حجر: "قوله: "أخنى": من الخنا بفتح المعجمة وتخفيف النون مقصور، وهو الفحش في القول، ويحتمل أن يكون من قولهم أخنى عليه الدهر أي أهلكه، ووقع عند المستملي "أخنع" بعين مهملة وهو المشهور في رواية سفيان بن عيينة وهو من الخنوع وهو الذل، وقد فسره بذلك الحميدي شيخ البخاري عقب روايته له عن سفيان قال: "أخنع: أذل" وأخرج مسلم[٤] عن أحمد بن حنبل قال: سألت أبا عمرو الشيباني، يعني إسحاق اللغوي عن أخنع فقال: أوضع، قال عياض[٥]: معناه أنه أشد الأسماء صغارا، وبنحو ذلك فسره أبو عبيد، والخانع الذليل وخنع الرجل ذل، قال ابن بطال: وإذا كان الاسم أذل

---

(١) فتح الباري ٥٩٠/١٠، وطرح التثريب ٤٨١/٨.

(٢) أخرجه البخاري ٦٢٠٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢١-٢١٤٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٠-٢١٤٣.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١٨/٧.

الأسماء كان من تسمى به أشد ذلا، وقد فسر الخليل أخنع بأفجر فقال: الخنع الفجور، يقال أخنع الرجل إلى المرأة إذا دعاها للفجور، قلت: وهو قريب من معنى الخنا وهو الفحش، ووقع عند الترمذي[1] في آخر الحديث " أخنع: أقبح " وذكر أبو عبيد أنه ورد بلفظ " أنخع " بتقديم النون على المعجمة وهو بمعنى أهلك لأن النخع الذبح والقتل الشديد، وتقدم أن في رواية همام " أغيظ " بغين وظاء معجمتين، ويؤيده " اشتد غضب الله على من زعم أنه ملك الأملاك " أخرجه الطبراني[2])"[3].

وقال النووي: "واعلم أن التسمي بهذا الاسم (ملك الأملاك) حرام، وكذلك التسمي بأسماء الله تعالى المختصة به كالرحمن والقدوس والمهيمن وخالق الخلق ونحوها"[4].

وقال ابن حجر: "واستدل بهذا الحديث على تحريم التسمي بهذا الاسم لورود الوعيد الشديد. ويلتحق به ما في معناه مثل خالق الخلق وأحكم الحاكمين وسلطان السلاطين وأمير الأمراء. وقيل: يلتحق به أيضاً من تسمى بشيء من أسماء الله الخاصة به كالرحمن والقدوس والجبار"[5].

وقال الطيبي: "وقوله "لا ملك" استئناف لبيان تعليل تحريم التسمية. فنفى جنس الملاك بالكلية، لأن المالك الحقيقي ليس إلا هو، ومالكية الغير عارية مستردة إلى مالك الملوك. فمن تسمى بهذا الاسم نازع الله في رداء كبريائه واستنكف أن يكون عبداً لله فيكون له الخزى والنكال والإلقاء في النار، وتحريره أن صفة المالكية مختصة بالله تعالى لا تتجاوز إلى غيره. والمملوكية صفة العبد لا يتجاوز عنها إلى غيرها، ولذلك كان أحب الأسماء إلى الله تعالى: عبدالله وعبدالرحمن[6]، ونحوها. لأن

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٨٣٧.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١٢١١٣، وقال الهيثمي في المجمع ٨/٥٠ وفيه أبو شيبة: إبراهيم بن عثمان وهو متروك.

(٣) فتح الباري ١٠/٥٨٩، .

(٤) شرح صحيح مسلم ٧/١٤/١٢٧-١٢٨، .

(٥) فتح الباري ١٠/٥٨٩، .

(٦) أخرجه مسلم ٢١٣٢، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: "إن أحب أسمائكم إلى الله: عبدالله وعبدالرحمن".

من تسمى بها يكون على بصيرة، لأنه عرف قدره ولم يتعد طوره، وذلك أنه ليس بين الله وبين العبد نسبة إلا العبودية. وما تحقق أحد هذه النسبة حق تحقيقه إلا سيد المرسلين صلوات الله عليه، فلذلك وصفه الله تعالى في مقام القرب وبساط الأنس بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[١]، ورفع روح الله عيسى عليه السلام عن نفسه التهمة بالربوبية بقوله: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾[٢]، ونهى أن يقول أحد لمملوكه "عبيدي"[٣]، لأن العبودية غاية التذلل لا يستحقها إلا من له غاية العزة والكبرياء. وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل"[٤].

وقال القرطبي: "وحاصل هذا الحديث أن المسمى بهذا الاسم قد انتهى من الكبر إلى الغاية التي لا ينبغي لمخلوق، وأنه قد تعاطى ما هو خاص بالإله الحق، إذ لا يصدق هذا الاسم بالحقيقة إلا على الله تعالى، فعوقب على ذلك من الإذلال والإحساس والاسترذال بما لم يعاقب به أحد من المخلوقين"[٥].

ثانياً- من آداب المدعو: التزام الأدب في كل شيء:

هذا يفهم من الحديث: قال ابن حجر "قال ابن أبي جمرة: وفي الحديث مشروعية الأدب في كل شيء، لأن الزجر عن ملك الملاك والوعيد عليه يقتضي المنع منه مطلقاً. سواء أراد من تسمى بذلك أنه ملك على ملوك الأرض أم على بعضها. سواء كان محقاً في ذلك أم مبطلاً، مع أنه لا يخفى الفرق بين من قصد ذلك وكان فيه صادقاً ومن

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١.

(٢) سورة مريم، آية: ٣٠.

(٣) أخرجه البخاري ٢٥٥٢، ومسلم ٢٢٤٩، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي. كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ. وَلَكِنْ لِيَقُلْ: غُلاَمِي وَجَارِيَتِي، وَفَتَايَ وَفَتَاتِي». واللفظ لمسلم.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ٧٠/٩.

(٥) المفهم ٤٥٥/٥.

قصده وكان فيه كاذباً"[١].

ومن هذا القبيل حديث: «لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمُ: اسْقِ رَبَّكَ. أَطْعِمْ رَبَّكَ. وَضِّىءْ رَبَّكَ. وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: رَبِّي. وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي، مَوْلاَيَ، وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ، فَتَاتِي، غُلاَمِي»[٢]. وفي رواية عند مسلم: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي. كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللّهِ. وَلَـٰكِنْ لِيَقُلْ: غُلاَمِي وَجَارِيَتِي، وَفَتَايَ وَفَتَاتِي»[٣]. وفي رواية عند مسلم أيضاً: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، فَكُلُّكُمْ عَبِيدٌ اللّهِ، وَلَـٰكِنْ لِيَقُلْ: فَتَايَ. وَلا يَقُلْ العَبْدُ: رَبِي، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي»[٤].

قال النووي: " مقصود الأحاديث شيئان: أحدهما: نهي المملوك أن يقول لسيده ربي لأن الربوبية إنما حقيقتها لله تعالى لأن الرب هو المالك أو القائم بالشيء ولا يوجد حقيقة هذا إلا في الله تعالى. فإن قيل: فقد قال النبي ﷺ في أشراط الساعة أن تلد الأمة ربتها أو ربها[٥]. فالجواب من وجهين: أحدهما أن الحديث الثاني لبيان الجواز وأن النهي في الأول للأدب وكراهة التنزيه لا للتحريم. والثاني أن المراد النهي عن الإكثار من استعمال هذه اللفظة واتخاذها عادة شائعة ولم ينه عن إطلاقها في نادر من الأحوال ....، والثاني: يكره للسيد أن يقول لمملوكه: عبدي، وأمتي بل يقول: غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي، لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى، ولأن فيها تعظيماً بما لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه. وقد بين النبي ﷺ العلة في ذلك فقال: "كلكم عبيد الله"، فنهى عن التطاول في اللفظ كما نهى عن التطاول في الأفعال، في إسبال الإزار وغيره ... والظاهر أن المراد بالنهي من استعماله على جهة التعاظم والارتفاع، لا للوصف والتعريف"[٦]...، وقال ابن حجر: "أرشد ﷺ إلى العلة في ذلك لأن حقيقة العبودية إنما

---

(١) فتح الباري ١٠/٥٩١، .
(٢) أخرجه البخاري ٢٥٥٢، ومسلم ١٥-٢٢٤٩.
(٣) أخرجه مسلم ١٣-٢٢٤٩.
(٤) أخرجه مسلم ١٤-٢٢٤٩.
(٥) أخرجه مسلم ٨.
(٦) شرح صحيح مسلم ٨/١٥/ ٧-٨، .

يستحقها الله تعالى، ولأن فيها تعظيماً لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه، قال الخطابي: المعنى في ذلك كله راجع إلى البراءة من الكبر والتزام الذل والخضوع لله عز وجل وهو الذي يليق بالمربوب"[١].

وقال القرطبي: "ومقصود الشرع الإرشاد إلى تعرف مواقع الألفاظ، واستعمال الأولى منها والأحسن ما أمكن من غير إيجاب ذلك، واجتناب المشترك من الألفاظ وما يستكره منها، وما لا تواضع فيه، كعبدي وأمتي، من غير تحريم ذلك، ولا تحريجه"[٢].

---

(١) فتح الباري ٥/١٨٠. .

(٢) المفهم ٥/٥٥٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على احترام أسماء الله وصفاته:

من المضامين التربوية في هذا الباب التربية على احترام أسماء الله وصفاته، فلا يسمى باسم من أسماء الله أحد، ولا يوصف بصفة من صفاته، فلا يجوز أن يسمى أحد بملك الملوك لأن من تسمى بهذا الاسم؛ فقد جعل نفسه شريكًا مع الله فيما لا يستحقه إلا الله؛ لأنه لا أحد يستحق أن يكون قاضي القضاة أو حاكم الحكام أو ملك الأملاك إلا الله - سبحانه وتعالى - ؛ فالله هو القاضي فوق كل قاضي، وهو الذي له الحكم، ويرجع إليه الأمر كله كما ذكر الله ذلك في القرآن[١].

فعلى المربي أن يبين لمن يقوم بتربيتهم أن أوضع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لأنه جعل نفسه في مرتبة عليا، فالملوك أعلى طبقات البشر من حيث السلطة؛ فجعل مرتبته فوق مرتبتهم، وهذا لا يكون إلا لله - عز وجل - ولهذا عوقب بنقيض قصده؛ فصار أوضع اسم عند الله إذ قصده أن يتعاظم حتى على الملوك، فأهين، ولهذا كان أحب اسم عند الله ما دل على التذلل والخضوع مثل عبدالله وعبدالرحمن، وأبغض اسم عند الله ما دل على الجبروت والسلطة والتعظيم؛ فالله له الخلق والملك والتدبير، فلا خالق إلا الله، ولا مدبر إلا الله، ولا مالك إلا الله[٢].

والواجب احترام أسمائه من أن يسمى بها غيره، وذلك من تحقيق التوحيد؛ فعن أبي شريح: أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال النبي ﷺ: ((إِنَّ الله هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ؟ فقالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلاَ الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ مَا أَحْسَنَ هذَا فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟ قالَ: لِي شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ الله. قالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قالَ قُلْتُ: شُرَيْحٌ قالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ))[٣].

---

(١) القول المفيد، ابن عثيمين، ٢٤٩/٢.

(٢) المرجع السابق ٢٥٢/٢، ٢٥٣.

(٣) أخرجه أبو داو ٤٩٥٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٤٥).

فغير النبي ﷺ كنيته من أجل احترام أسماء الله؛ لأن الله هو الحكم على الإطلاق؛ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾[1] وهو الحكم في الدنيا والآخرة، يحكم في الدنيا بين خلقه بوحيه الذي أنزله على أنبيائه، ويحكم بينهم يوم القيامة بعلمه فيما اختلفوا فيه، وينصف المظلوم من الظالم.

وفي هذا الحديث دليل على المنع من التسمي بأسماء الله تعالى المختصة به، والمنع مما يوهم عدم الاحترام؛ كالتكني بأبي الحكم ونحوه[2].

فعلى المربي تربية الناشئة وتوجيههم إلى وجوب الاعتقاد بانفراد الرب - جل جلاله - بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلال والجمال، التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها، الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله من النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي كماله[3].



(١) سورة الرعد، آية: ٤١.

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، ص ١٦٦، ١٦٧.

(٣) القول السديد، السعدي، ص ١١، ١٢ نقلًا عن الموسوعة الأم في تربية الأولاد، د. أحمد مصطفى متولي، ٨٠/١.

٣٢١- باب النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بسَيِّد ونحوه

الحديث رقم (١٧٢٧)

١٧٢٧- عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: ((لاَ تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ، فَإنَّهُ إنْ يَكُ سَيِّداً فَقَدْ أسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عز وجل)). رواه أبو داود[1] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨١).

غريب الألفاظ:

أسخطتم: أغضبتُم[2].

الشرح الأدبي

إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، والمنافق نموذج اجتماعي مرفوض؛ لأنه إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا أؤتمن خان، وإذا وعد أخلف، فمسيرته بين الناس غير سوية، وسيرته غير مرضية، وكيف يقال لمن أصابته هذه الآفات السلوكية: إنه سيد، وهو يصر على معاصيه، فهو والفاسق سواء، ولا يخاطب إلا بما يستحق من الألقاب الدنيا؛ لأنه جاهر ربه بالعصيان.

والحديث يبدأ بالنهي الصريح الحاسم الجازم، الموجه إلى الأمة كلها في كل زمان وكل مكان. "لا تقولوا" أي: لا تخاطبوه ولا تصفوه بأنه سيد؛ لأن هذه الصفة لا تطلق إلا على الأشراف الأوفياء، الصادقين المخلصين، الذين أخلصوا دينهم لله، ولذلك علل

---

(١) برقم (٤٩٧٧). وقال الحاكم (٣١١/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال المنذري في ترغيبه (٥٤٧/٣): رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٣٠٧٠): رواه أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٠٩).

(٢) اللسان في (س خ ط).

رسـول الله ﷺ هـذا النهـي الواضـح الـصريح الواجـب تنفيـذه، واقـترن هـذا التعليـل بالتأكيـد في قولـه: "فإنـه"، ثـم صـاغ العلـة في أسلوب الشرط والجواب، والشرط هـو: إضفاء السيادة على هذا المنافق زوراً، وجواب الشرط: هو سخط الله عز وجل على هـذا المنـافق، وعلـى مـن جعلـه سـيداً، ولنتأمـل هـذا التهديـد وذلـك الوعيـد في قـول المصطفى ﷺ: "فإنه إن يك سيداً، فقد أسخطتم ربكم عز وجل".

وتأمل اختيار أداة الشرط وهي "إن"؛ حيث تفيد عدم التحقق، وتدل على الشك؛ لأن سيادته المزعومة منكرة، وأفضليته مهدرة، وقوله: "قد" يزيد الأمر تأكيداً وتحقيقاً، وقوله: "ربكم"، يذكر بالربوبية، التي تحيط بالأكوان كلها قدرة وعلماً وفضلاً، وكذلك قوله: "عز وجل"؛ ينبه إلى أنه لا عزيز إلا الله، ولا سيادة إلا لله، وفي تصوير ملامح المنافق الشائهة، يقول الشاعر محمود حسن إسماعيل في ديوانه (قاب قوسين)، من قصيدته "صحراء العجائب":

ووجـه بـه وجهـان: وجـهٌ مُقَنَّـعٌ ... بـآخر مدسـوس بـزِيِّ العناكـب!
بـرت آيـةُ البهتـان جلـدةَ وجهـه ... مطايـا ريـاءٍ لا تـضيق براكـب!
إذا قيـل: هـذا الـصخر مـاءٌ، رأيتـه ... يـردد للينبـوع شـوق الـسَّباسب!
وإن قيـل: هـذا المـاء نـارٌ، رأيتـه ... عليهـا مجوسـيًّا عريـق المـذاهب!
وإن قيـل: تلـك النـار فجـرٌ، رأيتـه ... أذانَ مَـصَلٍّ هـزَّ سمـع الكواكـب!
أمانُـك ربِّـي منـه؛ هـذا منـافق ... أخـفُّ لقـاءً منـه وجـهُ المـصائب
تَقـوَّس واسـتخذى علـى الـذل ظَهْـرُه ... وكبَّـر، لا لله؛ بـل للرغائـب[1]

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة تعظيم المنافق، والفاسق، بأن يقال له: يا سيد لأنه تعظيم مـن لا يـستحق التعظيم، هـذا إذا كـان صـاحب مـالٍ ونحـوه، أمـا إذا لم يكـن كذلك كان هذا القول له كذباً ونفاقاً.

---

(١) انظر: شرح القصيدة كلها بكتاب شعراء وتجارب، تأليف د. صابر عبدالدايم.

ولأننا إذا أطلقنا عليه هذا اللقب - مع نفاقه وفسقه- فحالنا دون حاله، والله سبحانه وتعالى لا يرضى لنا ذلك[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بسيدٍ ونحوه.

ثانياً: من آداب المدعو: ألا يتودد للفاسق.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: النهي والتعليل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بسيدٍ ونحوه:

وهذا واضح من الحديث: (لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن يكن سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل)، وجاء في النهاية في غريب الحديث لابن الأثير بلفظ: (لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن كان سيدكم وهو منافق فحالكم دون حاله،والله لا يرضى لكم ذلك)[٢]، وقال الطيبي: "قوله: (إن يك سيداً) أي: إن يك سيداً لكم فيجب عليكم طاعته، فإذا أطعتموه فقد أسخطتم ربكم، أو لا تقولوا للمنافق سيداً، فإنكم إن قلتم ذلك فقد أسخطتم ربكم، فوضع الكون موضع القول تحقيقاً له"[٣]، وقال العظيم آبادي: "قوله: (فإنه إن يك سيداً)، أي: سيد قوم أو صاحب عبيد وإماء وأموال (فقد أسخطتم ربكم عز وجل)، أي: أغضبتموه، لأنه يكون تعظيماً له وهو ممن لا يستحق التعظيم، فكيف إن لم يكن سيداً بأحد من المعاني، فإنه يكون مع ذلك كذباً ونفاقاً"[٤].

وذلك لأن النفاق أمره عظيم، قال ابن رجب: "هو في الشرع ينقسم إلى سمين: أحدهما: النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كلّه أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على

---

(١) عون المعبود ٢٢١/١٣، وأيضاً شرح الزرقاني على الموطأ ٥١٠/٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٤٥٢.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٧٩/٩.

(٤) عون المعبود ٢١٣٩.

عهد النبي ﷺ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.

والثاني: النفاق الأصغر وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك"[١].

(ومن هنا فإن كلّ ما ذكر في القرآن من وعيد للكافرين يدخل فيه أهل النفاق الأكبر، لأن كفرهم اعتقادي حقيقي، ليس معه من الإيمان شيء، وحيث قرن الكفار بالمنافقين في وعيد، يراد بالكفار من كان كفرهم معلناً ظاهراً، وبالمنافقين أهل الكفر الباطن، أما أهل النفاق العملي الذي ليس معه نفاق اعتقاد - فلا يدخلون في وعيد الكافرين، وإنما هم من عصاة أهل الملة، وقد يطلق اسم النفاق من هذا النوع على من يرتكب خصلة من خصال النفاق)[٢].

ثانياً- من آداب المدعو: ألا يتودد للفاسق:

هذا واضح من الحديث، جاء في الموسوعة الفقهية: "اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز التودد للفاسق لأجل فسقه ولا الجلوس معه وهو يمارس شيئاً من المعاصي إيناساً ومجاراة له، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[٣]، ولقول النبي ﷺ: ((لا تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِناً وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ))[٤]، وقوله ﷺ: ((الرجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ))[٥].

كما أنه ورد النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بسيد ونحوه من الألقاب التي تدل على تعظيمه، لأن في ذلك تعظيم من أهانه الله تعالى، وقد نصّ المالكية والشافعية على أن الجلوس مع الفاسق إيناساً له يعد من صغائر الذنوب التي تغفر

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/٤٨١.

(٢) الموسوعة الفقهية ٤١/١٨ - ١٩.

(٣) سورة هود، آية: ١١٣.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٩٥، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٩٥٢).

(٥) أخرجه الترمذي ٢٣٧٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٩٣٧).

بالحسنات"[١].

وقال الزمخشري في قوله تعالى: (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا)، قال: "النهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم"[٢].

ولا يتودد للفاسق نظراً لإقدامه على ما يغضب الله، (فالفسق يقع بالقليل من الذنوب إذا كانت كبائر، وبالكثير، لكن تعورف فيما كان كثيراً، وقد يكون الفسق شركاً وقد يكون إثماً، وأكثر ما يقال: الفاسق لمن التزم الشرع وأقرّ به ثم أخلّ بجميع أحكامه أو ببعضه"[٣].

وقال القرافي عن الفرق بين قاعدة المداهنة المحرمة وقاعدة المداهنة التي لا تحرم وقد تجب: "اعلم أن معنى المداهنة معاملة الناس بما يحبون من القول، ومنه قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[٤]، أي: هم يودون لو أثنيت على أحوالهم وعباداتهم، ويقولون لك مثل ذلك، فهذه مداهنة حرام، وكذلك من يشكر ظالماً على ظلمه، أو مبتدعاً على بدعته، أو مبطلاً على إبطاله وباطله، فهي مداهنة حرام، لأن ذلك وسيلة لتكثير الظلم والباطل من أهله.

وروي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه كان يقول: إنا لنكشر في وجوه أقوام، وإن قلوبنا لتلعنهم[٥]، يريد الظلمة والفسقة الذين يُتقى شرهم، ويتبسم في وجوههم،

---

(١) الموسوعة الفقهية ١٤٤/٣٢ - ١٤٥.

(٢) الكشاف ص ٥٠٠، وانظر: محاسن التأويل للقاسمي ١٧٤/٩/٦ - ١٧٥.

(٣) الموسوعة الفقهية ١٤٠/٣٢.

(٤) سورة القلم، آية: ٩.

(٥) هذا مروي من كلام أبي الدرداء رضي الله عنه، ذكره البخاري تعليقاً في كتاب الأدب من (الجامع الصحيح) قبل الحديث (٦١٣١) ووصله الحافظ ابن حجر من غير ما طريق في (تغليق التعليق) ١٠٢/٥ - ١٠٤، ولا تخلو أسانيده من مقال. والكشر: ظهور الأسنان للضحك. وكاشره: إذا ضحك في وجهه وباسطه. افاده ابن الأثير في (النهاية) في (ك ش ر). وقد أفدنا ذلك من محقق كتاب الفروق.

ويشكرون بالكلمات الحقة، فإن ما من أحد إلا وفيه صفة تشكر، ولو كان من أنحس الناس، فيقال له ذلك استكفاء لشره، فهذا قد يكون مباحاً، وقد يكون واجباً إن كان يتوصل به القائل لدفع ظلم محرم أو محرمات لا تندفع إلا بذلك القول، ويكون الحال يقتضي ذلك، وقد يكون مندوباً إن كان وسيلة لمندوب أو مندوبات، وقد يكون مكروهاً إن كان عن ضعف لا ضرورة تتقاضاه بل خور في الطبع، أو يكون وسيلة للوقوع في مكروه، فانقسمت المداهنة على هذه الأحكام الخمسة الشرعية، وظهر حينئذ الفرق بين المداهنة المحرمة وغير المحرمة وقد شاع بين الناس أن المداهنة كلها محرمة، وليس كذلك بل الأمر كما تقدم تقريره"[1].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: النهي والتعليل:

وهذا واضح من قوله ﷺ: (لا تقولوا للمنافق سيد)، حيث نهى النبي ﷺ عن قول ذلك للمنافق، والنهي من الأساليب الدعوية المباشرة لطلب الترك والاجتناب.

والتعليل في قوله ﷺ: (فإنه إن يك سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل) ولا شك أن إتيان التعليل بعد النهي يزيد امتثال النهي ويؤكده ويقويه.

---

(١) الفروق ٣٤٨/٤ - ٣٤٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية بالتحذير من النفاق الاجتماعي:

من المضامين التربوية في هذا الباب: التحذير من النفاق الاجتماعي، وذلك لأن ديننا العظيم أمرنا بإنزال الناس منازلهم، ونظرًا لأن المنافقين أعداء لله وأعداء لدينه، فينبغي على المسلمين عدم تعظيم المنافقين ومن على شاكلتهم من الفاسقين والمبتدعين وغير الجديرين بالتقدير بأي تعظيم، فلا يطلق عليهم سيدٌ، لأن السيد يطلق على الذي يفوق قومه ويرتفع قدره عليهم، ويطلق على الزعيم ويطلق على الحليم الذي لا يستفزه غضبه، ويطلق على الكريم وعلى المالك وعلى الزوج[1].

فالتربية الإسلامية تدعو إلى إنزال الناس منازلهم وتحذر وتنهى عن رفع منزلة ومكانة المنافق لأنه عدو لله.

فينبغي على المجتمع المسلم ألا يجعل المنافقين محل تقدير واحترام لأن ذلك يخالف المعايير الإسلامية في النظر إلى الناس وتقديرهم وإنزالهم المنزلة التي تليق بهم.

إن التربية الإسلامية تهدف إلى البعد عن النفاق الاجتماعي لأجل المصلحة، والمنافع الخاصة مما عمت به البلوى في عدد من المجتمعات الإسلامية، حيث أضحت المصالح الخاصة هي المحرك الأساس في العلاقات بين الناس، وفي التقدير والتبجيل.

فمن خذلان الله للعبد أن يعمي بصيرته فيتقرب إلى المنافقين والفاسقين ومن على شاكلتهم من أجل مصلحة له عندهم بتعظيمهم ورفعهم عن مكانتهم التي وضعهم فيها الدين، فإن ذلك يغضب المولى عز وجل ويستوجب مقته وعقابه ولا يدري أن الله يحرمه ما رغبه ويحول بينه وبين أمنيته، فلا دنيا أصاب ولا دينًا أقام[2].

وتحذر التربية الإسلامية أفرادها من النفاق الاجتماعي، الذي يقوم على التمادح المذموم، الذي يقوم على إسناد الأعمال إلى غير أربابها، فإنه مجلبة الطغيان وباعث

---

(١) انظر: القول المفيد، ابن عثيمين ٢/٣٤١، وبهجة الناظرين، سليم الهلالي ٣/٢١٠.

(٢) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ٣٠٠، ٣٠١ بتصرف.

النفـاق والذلـة ، ومحيـي المهانـة والحقـارة وموجـب المقـت والسـحت والكـذب، لأن المـادح يضطر إلى الإفراط وقوله غير الحق في شأن من لا يستحق إلا الإذلال، والاحتكار[1].

فعلـى المربـي أن يوجـه مـن يقـوم بتربيـتهم إلى اجتنـاب النفـاق الاجتمـاعي الـذي يـؤول بالمجتمع إلى النفاق والرياء، ورفعة المنافقين والفساق ومن على شاكلتهم مما أبغضهم الله وحقرهم الدين.



(١) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ٢٥٢.

٣٢٢- باب كراهة سب الحمّى

الحديث رقم (١٧٢٨)

١٧٢٨- عن جابر رضي الله عنه : أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ دخلَ على أُمِّ السَّائِبِ، أو أُمِّ المُسَيِّبِ فَقَالَ: ((مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ – أو: يَا أُمَّ المُسَيَّبِ – تُزَفْزِفِينَ؟)) قَالَتْ: الحُمَّى لاَ بَارَكَ اللهُ فِيهَا! فَقَالَ: ((لاَ تَسُبِّي الحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

تُزَفْزِفين: تتحركين حركة سريعة ومعناه: ترتعد[٢].

الكير: الزق الذي ينفخ الحداد به النار[٣].

خبث الحديد: ما ينفيه الكير من الحديد ونحوه عند إحمائه وطرقه[٤].

الشرح الأدبي

ما أجمل صحبة رسول الله، وما أرق رسول الله ﷺ في معاملته لأصحابه وللنساء المسلمات؛ ويصور هذا الحديث مشهداً من مشاهد معاملة الرسول للمسلمين والمسلمات، حيث الرأفة بهم، والحرص عليهم؛ ويتجلى ذلك في هذا الحوار الهادئ المطمئن بين الرسول ﷺ وأم السائب، حين رآها ترتعد من الحمى، فسألها في رفق ومودة وعطف:

---

(١) برقم (٥٣/٢٥٧٥). أورده المنذري في ترغيبه (٥٠٢٩).

(٢) رياض الصالحين ٥٨٧.

(٣) النهاية والوسيط في (ك ي ر).

(٤) الوسيط في (خ ب ث).

"مالك يا أم السائب؟"، والسؤال هنا مباشر وصريح، وهو تواضع من رسول الله ﷺ، وإعطاء الأسوة الحسنة في عيادة المريض، والاهتمام بأموره كلها.

وإجابة أم المسيب فيها إخبار ممتزج بالاعتراض والضيق؛ لما تشعر به من ألم ووجع، وتُبدي اعتراضها في دعائها على "الحمى"؛ حيث قالت: "لا بارك الله فيها"، ويحمل هذا الدعاء دلالة الجزع، وعدم الصبر على المصيبة، فإذا برسول الله ﷺ يقول في صيغة "النهي": "لا تسبي الحمى"، ثم يعلل ذلك تعليلاً، من شأنه أن يزرع الصبر في قلب ونفس أم المسيب؛ لأن المومن مطالب بالصبر والاحتساب، مع اتخاذ الأسباب للعلاج والوقاية من العلل والأوصاب.

وتأتي الصورة البلاغية لترسخ الصبر في نفس أم السائب، وفي نفس كل من ألمت به مصيبة؛ حيث يشبه رسول الله الحمى في إزالتها لخطايا بني آدم بالكير، الذي يَنفخ فيه الحداد، فيذهب خبث الحديد، وينقي المعادن، ويصفى الجواهر؛ فالمؤمن تزيده المصائب ثباتاً وصفاءً، وتطهره من الخطايا والرزايا.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة سب الحمى، وذلك لأنه يحصل بها تكفير الخطايا[1].

ولكن يحصل بالحمى - وغيرها من الأسقام والأوجاع - زيادة الحسنات، ورفع الدرجات أم يقتصر أثرها على تكفير الخطايا فقط؟

- الجمهور يرى أنها تكفر الخطايا[2] وترفع الدرجات وتزيد في الحسنات.

- وذهب البعض أنا الحمى - وغيرها من الأسقام - تكفر الخطايا فقط، ولا يحصل بها رفع الدرجات، ولا زيادة الحسنات، وقد روى نحو ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه.

---

(١) حاشية ابن عابدين ٢/٢٤٠، والفواكه الدواني ١/٧٧، وشرح صحيح مسلم ١٦/١٢٨.

(٢) حاشية ابن عابدين ٢/٢٤٠، والفواكه الدواني ١/٧٧، وشرح صحيح مسلم ١٦/١٢٨.

وقد ذكر النووي: (أن الأول أصح، ولعل صاحب الرأي الثاني لم يطلع على الأحاديث الدالة على حصول جميع ذلك من التكفير، ورفع الدرجات وزيادة الحسنات[١]، ومنه حديث ((إذا مرضَ العبدُ أو سافرَ كُتبَ لهُ مثلُ ما كانَ يعملُ صحيحاً مقيماً))[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب الداعية: التواضع وعيادة المرضى.

ثانياً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: كراهة سب الحمى.

رابعاً: من آداب المدعو: الصبر على ما يصيبه من أمراض.

أولاً- من آداب الداعية: التواضع وعيادة المرضى:

وهذا واضحٌ من قول جابر بن عبدالله رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب، أو أم المسيب..) ففي هذا تواضع من النبي ﷺ أن يزور المرضى، كما أنّ في ذلك عيادة للمرضى وزيارة لهم تطيباً لهم واطمئناناً عليهم والدعاء لهم.

أما التواضع فكثيرة هي الأحاديث التي تدل على تواضعه ﷺ من ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((إن كانتِ الأمَة من إماء أهلِ المدينة لَتَأخُذُ بيد رسولِ الله ﷺ فتنطَلقُ به حيث شاءت))[٣].

قال ابن حجر: "المقصود من الأخذ باليد لازمه وهو الرفق والانقياد، وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عمّم بلفظ الإماء أي أمة كانت، وبقوله: (حيث شاءت)، أي: من الأمكنة، والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى ولو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٦/١٢٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٩٦.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٧٢. تعليقاً، وأخرجه أحمد ٣/٩٨ رقم ١١٩٤١ موصولاً، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ١٩/٩.

منه مساعدتها في تلك الحاجة لساعد على ذلك، وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ"[١].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث صفة حسن خلق رسول الله ﷺ إنه لم يكن ممتنعاً ولا بعيداً عمن يريد أن يكلمه، ويدل على أنه ﷺ كان من الأمانة وبعد الظنة بحيث لا يتأثر عرضه ﷺ بأن تذهب به الأمة حيث شاءت، ولأن للنساء حوائج كما للرجال، وللإماء من إنصافه وإنعامه كما الحرائر، لأنه أبو الأُمّة"[٢].

وأما عيادة المرضى فخلق من أخلاق الإسلام حضّ عليه النبي ﷺ وكان يفعله[٣]، ومن ذلك قول عثمان بن عفان رضي الله عنه: (إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، فكان يعود مرضانا ويتبع جنائزنا ويغزو معنا ويواسينا بالقليل والكثير)[٤].

قال القرطبي: "عيادة المريض من أعمال الطاعات الكثيرة الثواب، العظيمة الأجر، كما دلّت عليه الأحاديث، وهي من فروض الكفايات؛ إذا منع المرض من التصرف، لأن المريض لو لم يُعد جملة لضاع وهلك، ولا سيما إن كان غريباً أو ضعيفاً"[٥].

وقال ابن القيم: "وقد شاهد الناس كثيراً من المرضى تنتعش قواه بعيادة من يحبونه ويعظمونه، ورؤيتهم لهم ولطفهم بهم ومكالمتهم إياهم، وهذا أحد فوائد عيادة المرضى التي تتعلق بهم، فإن فيها أربعة أنواع من الفوائد: نوع يرجع إلى المريض، ونوع يعود على العائد، ونوع يعود على أهل المريض، ونوع يعود على العامة"[٦].

ثانياً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ: (مالك يا أم السائب - أو يا أم المسيب - تزفزفين؟

---

(١) فتح الباري ١٠/٤٩٠.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٣١٨.

(٣) انظر: خلق عيادة المريض في نضرة النعيم ٧/٣٠٥٢ - ٣٠٦٩.

(٤) اخرجه أحمد ١/٧٠ رقم ٥٠٤ وحسنه محققو المسند ١/٥٣٢.

(٥) المفهم ٦/٥٥٠.

(٦) زاد المعاد ٤/١١٦.

قالت: الحمى لا بارك الله فيها، فقال: لا تسبي الحمى...)، فقد سأل النبي ﷺ عن سبب رعدة أم السائب - أو أم المسيب - فأخبرته أنها مريضة بالحمى، ثم أردفت ذلك بأن دعت على الحمى، نظراً لما أصابها من آلام ومعاناة، فنهاها النبي ﷺ ألا تسب الحمى، لأنها تكفر الخطايا والذنوب، فكان ذلك السؤال والجواب طريقاً لتوصيل رسالة دعوية لهذه المريضة ولغيرها تتضمن عدم سب الحمى والصبر على ما يصيب الإنسان.

ولا شك أن هذا الأسلوب -السؤال والجواب- من الأساليب الدعوية الناجحة، لأنها تكشف عما داخل المدعو كشفاً مباشراً، ومن ثم يتمكن الداعية من إرشاده إلى ما فيه نفعه وخيره.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: كراهة سب الحمى:

هذا واضحٌ من قوله ﷺ: (لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد).

قال ابن القيم: "قال لي بعض فضلاء الأطباء: إن كثيراً من الأمراض نستبشر فيها بالحمى، كما يستبشر المريض بالعافية، فتكون الحمى فيه أنفع من شرب الدواء بكثير، فإنها تنضج من الأخلاط والمواد الفاسدة ما يضر بالبدن، فإذا أنضجتها صادفها الدواء متهيئة للخروج بنضاجها فأخرجها فكانت سبباً للشفاء"[1].

وجاء في حاشية زاد المعاد: "قال الدكتور عادل الأزهري: إن بعض الأمراض الزمنة - مثل مرض الروماتيزم المفصلي المزمن، الذي تتصلب فيه المفاصل وتصبح غير قادرة على التحرك أو مرض الزهري الزمن في الجهاز العصبي- تتحسن كثيراً بارتفاع درجة حرارة الجسم، أي: في حالات الحميات، ولذلك من ضمن طرق العلاج الطبي -في مثل هذه الحالات- الحمى الصناعية أي: إحداث حالة حمى في المريض بحقنه بمواد معينة"[2].

وقال ابن القيم كذلك: "لما كانت الحمى يتبعها حمية عن الأغذية الرديئة وتناول

---

(١) زاد المعاد ٢٧/٤.

(٢) حاشية زاد المعاد ٢٧/٤ الحاشية رقم ٢.

الأغذية والأدوية النافعة، وفي ذلك إعانة على تنقية البدن، ونفي أخباثه وفضوله وتصفيته من مواده الرديئة، وتفعل فيه كما تفعل النار في الحديد في نفي خبثه وتصفية جوهره، كانت أشبه الأشياء بنار الكير التي تصفي جوهر الحديد، وهذا القدر هو المعلوم عند أطباء الأبدان.

وأما تصفيتها القلب من وسخه ودرنه وإخراجها خبائثه، فأمر يعلمه أطباء القلوب، ويجدونه كما أخبرهم به نبيهم ﷺ، ولكن مرض القلب إذا صار ميئوساً من برئه لم ينفع فيه هذا العلاج، فالحمى تنفع البدن والقلب، وما كان بهذه المثابة فسبه ظلم وعدوان.

وذكرت مرة وأنا محموم قول بعض الشعراء يسبها:

زارت مكفرة الذنوب وودعت ... تباً لها من زائر ومودع

قالت وقد عزمتْ على ترحالها ... ماذا تريد؟ فقلت: أن لا ترجعي

فقلت: تباً له إذ سبّ ما نهى رسول الله ﷺ عن سبه، ولو قال:

زارت مكفرة الذنوب لصبها ... أهلاً من زائر ومودع

قالت: وقد عزمت على ترحالها ... ماذا تريد؟ فقلت: أن لا تقلعي

لكان أولى به ولأقلعت عنه، فأقلعت عني سريعاً.

وقد روي في أثر لا أعرف حاله: "حمى يوم كفارة سنة"[1]، وفيه قولان أحدهما: أن الحمى تدخل في كل الأعضاء والمفاصل، وعدتها ثلاثمائة وستون مفصلاً، فتكفر عنه - بعدد كل مفصل - ذنوب يوم، والثاني: أنها تؤثر في البدن تأثيراً لا يزول بالكلية إلى

---

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٢٣١ - ٢٣٢: رواه القضاعي في مسنده عن ابن مسعود مرفوعاً في حديث بلفظ: ((وحمى ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة))، وله شاهد عن أبي الدرداء موقوفاً بلفظ: ((حمى ليلة كفارة سنة))، ورواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات.

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: محمد بن عبدالرحمن السخاوي ٩٠٢هـ، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت: ط/٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

سنة، كما قيل في قوله ﷺ: ((مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمَاً))[1]: إن أثر الخمر يبقى في جوف العبد، وعروقه وأعضائه أربعين يوماً، والله أعلم.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: ما من مرض يصيبني أحبّ إليّ من الحمى، لأنها تدخل في كل عضو مني، وإن الله سبحانه يعطي كل عضو حظه من الأجر)[2].

رابعاً - من آداب المدعو: الصبر على ما يصيبه من أمراض:

وهذا واضحٌ من الحديث، قال القرطبي: "وقوله: (لا تسبي الحمى)، مع أنها لم تُصرح بسب الحمى، وإنما دعت عليها بألا يبارك فيها، غير أن مثل هذا الدعاء تضمن تنقيص المدعو عليه وذمه، فصار ذلك كالتصريح بالذم والسب، ففيه ما يدل على أن التعريض والتضمين كالتصريح في الدلالة، فيحد كل من يُفهم عنه القذف من لفظه؛ وإن لم يُصرح به، وهو مذهب مالك.

وقوله: (فإنها تذهب خطايا بني آدم) هذا تعليل لمنع سب الحمى لما يكون عنها من الثواب، فيتعدى ذلك لكل مشقة، أو شدة يرتجى عليها ثواب، فلا ينبغي أن يُذم شيء من ذلك، ولا يُسب. وحكمة ذلك: أن سب ذلك إنما يصدر في الغالب عن الضجر، وضعف الصبر، أو عدمه، وربما يُفضي بصاحبه إلى السخط المحرم، مع أنه لا يفيد ذلك فائدة، ولا يخفف ألماً" [3].

وقال ابن عثيمين: "الحمى: هي السخونة وهي نوع من الأمراض وهي أنواع متعددة[4]، ولكنها تكون بقدر الله عز وجلّ، فهو الذي يقدرها وقوعاً ويرفعها سبحانه

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٣٣٧٧، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مطولاً وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٢٢٧٢).

(٢) زاد المعاد ٤/ ٣٠ - ٣٢.

(٣) المفهم ٦/٥٤٨ - ٥٤٩.

(٤) الحُمّى: علة يستحر بها الجسم، وهي أنواع: التيفود، التيفوس، الدق، الصفراء، القرمزية.

- والتيفود: حمى معدية طفحية تتميز بالتهاب نزلي وتقرحي بالغشاء المخاطي للأمعاء الدقاق وتورم بالعقد اللمفية والطحال.
- والتيفوس: حمى تتميز بارتفاع الحرارة، والإغماء وظهور طفح بقعي أو حبري على الجلد.
- وحمى الدق: حمى معاودة يومياً تصحب غالباً السل الحاد. المعجم الوسيط ص ٩٢، ٢٠٠، ٢٩١.

وتعالى. وكل شيء من أفعال الله فإنه لا يجوز للإنسان أن يسبه، لأن سبه سب لخالقه جلّ وعلا، ولهذا قال النبي ﷺ: ((لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ. فَإِنَّ اللّهَ هُوَ الدَّهْر))[١]، وهنا حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على أم المسيب - أو أم السائب - وهي تزفزف من الحمى، يعني نَفَسها قد ثار من الحمى، فقال: مالك تزفزفين؟ قالت: الحمى لا بارك الله فيها، فنهى النبي ﷺ عن سبها، وعلى المرء إذا أصيب أن يصبر ويحتسب الأجر على الله عز وجل، وأخبر أنها تذهب بالخطايا، كما يذهب الكير بخبث الحديد، فإن الحديد إذا صهر على النار ذهب خبثه وبقي صافياً كذلك الحمى تفعل في الإنسان كذلك... المهم أن الإنسان يصبر ويحتسب على كل الأمراض لا يسبها"[٢].

وقال ابن القيم: "العبد دائماً متقلب بين أحكام الأوامر وأحكام النوازل، فهو محتاج بل مضطر إلى العون عند الأوامر، وإلى اللطف عند النوازل، وعلى قدر قيامه بالأمر يحصل له من اللطف عند النوازل، فإن كمّل القيام بالأمر ظاهراً وباطناً ناله اللطف ظاهراً وباطناً، وإن قام بصورها دون حقائقها ناله اللطف في الظاهر وقلّ نصيبه من اللطف في الباطن، فإن قلت: وما اللطف الباطن؟ فهو ما يحصل للقلب عند النوازل من السكينة والطمأنينة وزوال القلق والاضطراب والجزع، فيستخذي بين يدي سيده ذليلاً له مستكيناً ناظراً إليه بقلبه ساكناً إليه بروحه وسره، قد شغله مشاهدة لطفه به عن شدة ما هو فيه من الألم، وترغيبه عن شهود ذلك معرفته بحسن اختياره له، وأنه عبد محض يجري عليه سيده أحكامه رضي أو سخط، فإن رضي نال الرضا، وإن سخط فحظه السخط، فهذا اللطف الباطن ثمرة تلك المعاملة الباطنة، يزيد بزيادتها وينقص بنقصانها"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٨٢، ومسلم ٢٢٤٦.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٨٢.

(٣) الفوائد ص ٢٨٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الصبر والرضا بقضاء الله:

من المضامين التربوية التي تظهر من حديث الباب: التربية على الصبر والرضا بقضاء الله وقدره، وهذا واضح من توجيه النبي ﷺ لأم السائب أو أم المسيب بعدم سب الحمى، عندما رآها تعاني منها وفي هذا توجيه تربوي نبوي للمسلمين بالصبر على المرض والبلاء والرضا بقضاء الله وقدره.

فعلى المربي أن يبين أهمية الصبر على ما يعرض للإنسان من بلاء سواء في نفسه أو أهله أو ماله؛ لأن المنهج الإسلامي في هذه الحالات: يدعو الإنسان إلى التحلي بالصبر واعتبار الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وعليه أن يواصل طريقه في الحياة والعمل في سبيل الله مهما اعترضه من المشقات ويطمئن بأنه مأجور عند ربه على قدر ما أظهر من صبر وجلد[1].

فالصبر خلق مهم للمسلم المتمتع بالصحة النفسية، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالاستعانة بالصبر في كل الأمور، السعيد منها وغير السعيد، قال الله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ}[2]، كما أن في هذه الآية معية الله للصابرين، وهذا المعنى مهم لطمأنينة النفس وسكونها لعلمها بعظم قدرة الله، وأن كل شيء تحت مشيئته، وهو الذي إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون.

وقد بيّن رسول الله ﷺ أن من علامات محبة الله للعبد التزامه بالصبر في هذه الحياة الدنيا، وهذا على عكس الذي لا يصبر بل يجزع من كل ما يصيبه، فلا يكون ممن يحبهم الله سبحانه وتعالى، فقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ»[3]"[4].

---

(١) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د/ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص١٩٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٤٢٧/٥ رقم ٢٣٦٢٣، وقال محققو المسند: إسناده جيد.

(٤) انظر: التدين والصحة النفسية، د/صالح بن إبراهيم بن عبداللطيف الصنيع، ٤٨٩، ٤٩٠.

فعلى الإنسان أن يتذرع بالصبر ويروض نفسه عليه من حين صغره، ومن هنا يجب على الآباء والأمهات، ومن يقومون بالتربية: أن يربوا الصغار على التحلي بالصبر[١].

كذلك على المربين أن يربوا الناشئة على الرضا بقضاء الله، لأن ذلك يولد الراحة النفسية وقوة الاحتمال والصبر على الشدائد والابتلاءات، إيثارًا لما عند الله عز وجل من العوض والثواب، وأنه مهما جاء من شدائد الدنيا فهي منقطعة ولها أجل، فهو ينتظر الفرج ويرجو الثواب الذي لا ينقطع في الآخرة، قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[٢]"[٣].

ثانيًا: التربية بضرب المثل:

من أساليب التربية في هذا الباب التربية بضرب المثل، وتستخدم طريقة الأمثال والأشباه لتقريب المعاني غير المحسوسة وغير المادية فيوضح معناها ومفاهيمها في ذهن الإنسان، أي: هي طريقة تعتمد على تقريب معقول من محسوس أو محسوس من أكثر منه حسا ووضوحًا[٤].

وقد مثل رسول الله ﷺ ذهاب الحمَّى بخطايا بني آدم، بذهاب الكير بخبث الحديد.

فمَثّل الأشياء الغير منظورة، بأشياء منظورة، حتى تتضح الفكرة في الأذهان بهذا التشبيه[٥].

فإن طريقة ضرب المثل طريقة تربوية "تؤثر تأثيرًا عميقًا في العواطف وتلعب دورًا في التأثير على سلوك الإنسان في الحياة اليومية، فيما لو استعملت بحكمة وفي الظروف المناسبة"[٦].

---

(١) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د/ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص٢٠٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٤.

(٣) انظر: وقفات تربوية، عبدالعزيز بن ناصر الجليل، ٢/٢٣٠.

(٤) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، علي خليل، ص٢٣٧.

(٥) انظر: الأمثال القرآنية، محمد بكر إسماعيل، ص٢.

(٦) نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي، د. محمد فاضل الجمالي، ص١١٥.

ويستمر تأثير طريقة ضرب المثل في عقل وتفكير الإنسان فتثير فيه نزوعًا إلى الفهم والإدراك والاقتناع[1].

ثالثًا: التربية بالحدث والمشاهدة:

التربية بالحدث والمشاهدة تعني استثمار الفرصة المناسبة لموقف معين، أو حدث طارئ، أو مشهد، في توجيه موعظة مؤثرة تكون الفرصة المناسبة، أو الحدث الطارئ، أو المشهد المثير، مفتاحًا لهذه الموعظة، وعاملاً نفسيًا دافعًا لتقبلها.

وقد استثمر النبيُ ﷺ حدَث ومشهَد مرض أم السائب أو أم المسيب بالحمى، وسبها لها فوجه لها الموعظة وصحح لها السلوك بنهيها عن السبّ.

والحياة الدنيا أغلب أوقاتها أحداث وسلوكيات، وأعمال يقوم بها الإنسان، وهذه الأحداث والسلوكيات والأعمال، منها ما هو مقبول معتاد، ومنها ما هو غير مقبول يطرأ أحيانًا وينبغي تصحيحه، وهذا واجب المربي، الذي يحسن كيف يستثمر الفرصة والحدث، لتصحيح السلوكيات الخاطئة، وتقويم المعوج منها وتصويبه[2].



(١) فلسفة التربية الإسلامية، د/عبدالجواد سيد بكر، ص٣٤٤.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د/زياد محمود العاني، ص٣٨٣، ٣٨٤.

٣٢٣- باب النهي عن سب الريح، وبيان ما يقال عند هبوبها

الحديث رقم (١٧٢٩)

١٧٢٩- عن أبي المنذرِ أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ)). رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أُبي بن كعب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٧).

الشرح الأدبي

إن علاقة المسلم بما حوله من ظواهر الطبيعة علاقة شعورية تأملية، تثير التفكير، وتدعو للنظر في خلق السماوات والأرض، واستجلاء معالم القدرة الإلهية في صنعة هذا الكون البديع المتناسق، والريح من مظاهر الطبيعة، التي تدعو للتأمل والتدبر والتذكر.

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث، الذي يضع أمام المسلم كيفية استقبال آثار الرياح، الإيجابية والسلبية، الخَيِّرة والشريرة، نرى فيها تنوعاً في الظواهر الأسلوبية: فالجملة الأولى في الحديث طلبية؛ حيث تتصدرها "لا الناهية"، والنهي صادر من رسول الله ﷺ؛ حيث يقول: "لا تسبوا الريح"، والنهي موجه إلى جموع الأمة الإسلامية؛ لأن الريح من عطاء الله ونعمه، وهي مسخرة للإنسان، ولها دور رئيس في استمرار الحياة على وجه الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[٣].

---

(١) برقم (٢٢٥٢).

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٢.

(٣) سورة ص، الآية: ٣٦.

والجملة الثانية تنقلنا إلى مناخ أسلوبي آخر، وهو أسلوب الشرط؛ حيث يضع المصطفى ﷺ المنهج الإسلامي الصحيح في التعامل مع ما سخر الله للإنسان من ظواهر الطبيعة، وصيغة الشرط والجواب هي المدخل إلى أبجديات هذا المنهج، وهي صيغة تتسق مع المعنى المراد، والغرض المنشود، فيقول رسول الله: "فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا...".

وأداة الشرط "إذا" تتفق مع الحقيقة الكونية؛ فالريح قد تأتي بالنذر والصواعق، وتدمر كل شيء بأمر ربها، وأداة الشرط "إذا" تدل على التحقق، وقد تأتي بالخير، وهذا الأمر ظاهر ملموس ومحسوس، والقسم الثاني من الحديث يقودنا إلى فضاء من المعاني والدعوات والابتهالات، وصيغة الدعاء هي الإطار الذي يغلف المضمون، والمقابلة بين المواقف والمعاني والألفاظ في محوري الدعاء، تجعل المؤمن ثابتاً صامداً أمام الشدائد، وشكوراً حامداً أمام النعم، لا تهزه المتناقضات والإحباطات.

ولنتأمل تكرار كلمة "خير" ثلاث مرات في صيغة الدعاء الأولى، وتكرار كلمة "شر" بالقدر نفسه ثلاث مرات، في صيغة الدعاء الثانية، وفي تقديم الدعاء بخير الريح، على شرها: إيحاء بأن جانب الخير في الريح أقوى وأشد، وتوزيع الجمل بين هذين القسمين الأخيرين في إطار الدعاء، يفصح عن التنسيق والاتزان، والاعتدال والوسطية، وهي صورة المؤمن في استقباله للأحداث؛ إن رأى خيراً شكر، وإن رأى غير ذلك صبر. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي هذه الأحاديث من الفقه:

١- كراهة سب الريح[1]، لأنها خلق الله، مطيع له، وجند من أجناده يجعلها إذا شاء رحمة، وإذا شاء نقمة[2]. ولأن من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه[3].

---

(١) مغني المحتاج ٣٢٩/١، والإقناع في حل ألفاظ أبي الشجاع ١٩٥/١، وكشاف القناع ٧٥/٢.

(٢) الأم، الإمام الشافعي ٢٥٣/١.

(٣) مغني المحتاج ٣٢٩/١، والإقناع ٣٩٥/١، وكشاف القناع ٧٥/٢.

٢- ويسن الدعاء عندها[1]: بأن يقول كما جاء في الأحاديث: اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به، أو يقول: اللهم اجعلها رحمة، ولا تجعلها عذاباً، ونحو ذلك.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: النهي عن سب الريح.

ثالثاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح لحقيقة الآيات الكونية من الريح وغيرها.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الدعاء عند هبوب الريح.

خامساً: من آداب المدعو: الالتجاء إلى الله عند اختلاف الأحوال وحدوث ما يخاف منه.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

وهذا واضحٌ من قوله ﷺ: (لا تسبوا الريح)، فقد نهى ﷺ عن سب الريح وقد علّل ذلك بأنها من روح الله، أي من رحمته بعباده، والنهي من الأساليب الدعوية المباشرة للترك والاجتناب وعدم الفعل.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: النهي عن سب الريح:

وهذا واضحٌ من قوله ﷺ: (لا تسبوا الريح)، وقوله ﷺ: (الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فإذا رأيتموها فلا تسبوها)، قال ابن عثيمين: "الرياح من آيات الله عز وجل: من آيات الله تعالى في تصريفها وفي إرسالها وفي كيفيتها، إذا لا يقدر أحد على أن يصرف هذه الرياح إلا خالقها عز وجل، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٤٣٥/٦، وسبل السلام ٧٦/٢-٧٧.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٢٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٣٠، ١٧٣١).

﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[(١)]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾[(٣)]. والآيات في هذه كثيرة.

هذه الريح التي خلقها الله عز وجل وصرفها تنقسم إلى قسمين: قسم: ريح عادية لا تخيف، لا يسن لها ذكر معين، وريح أخرى عاصفة هذه تخيف؛ لأن عاداً عذبهم الله تعالى بالريح العقيم، والعياذ بالله، فإذا عصفت الريح فإنه لا يجوز لك أن تسبها لأن الريح إنما أرسلها الله عز وجل، فسبك إياها سب لله تبارك وتعالى"[(٤)].

وقال الطيبي: "قوله: الريح من روح الله، قال الراغب[(٥)]: الروح: التنفس وقد أراح الإنسان: إذا تنفس، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾[(٦)]، أي: من فرجه ورحمته، وذلك بعض الروح، قال المظهر: فإن قيل: كيف يكون الريح من روح الله، أي: من رحمته مع أنه يجيء بالعذاب؟ فجوابه من وجهين: أحدهما: أن الريح إذا جاءت لعذاب قوم ظالمين كانت رحمة لقوم مؤمنين، وأقول: [أي الطيبي] يؤيده قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[(٧)].

قال الزمخشري في الكشاف: "فيه إيذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة، وهو من أجلّ النعم وأجزل القسم"[(٨)]، وثانيهما: أن الروح مصدر بمعنى الريح بمعنى

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٦٤.
(٢) سورة الأعراف، آية: ٥٧.
(٣) سورة الروم، آية: ٤٦.
(٤) شرح رياض الصالحين ١٧٨٣/٢.
(٥) المفردات في غريب القرآن ص ٢٠٥ - ٢٠٦.
(٦) سورة يوسف، آية: ٨٧.
(٧) سورة الأنعام، آية: ٤٥.
(٨) تفسير الكشاف ص ٣٢٧.

الفاعل كالعدل بمعنى العادل، فالمعنى: الريح من روائح الله، أي من الأشياء التي تجيء من حضرة الله بأمر الله، فتارة تجيء له لراحة، وأخرى للعذاب، فإذاً لا يجوز سبها، بل يجب التوبة عند التضرر بها، وهو تأديب من الله تعالى، وتأديبه رحمة لعباده"[1].

ثالثاً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح لحقيقة الآيات الكونية من الريح وغيرها:

وهذا واضحٌ من قوله ﷺ: (الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبوها)، ومن هذا القبيل ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً لعن الريح عند النبي ﷺ فقال: ((لاَ تَلعَنِ الرِّيحَ فإنَّهاَ مَأْمُورَةٌ، وإنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئاً لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتَ الَّلعْنَةُ عَلَيْهِ))[2]، قال الطيبي: "يعني: من لعن شيئاً ليس ذلك الشيء أهلاً له رجع اللعن إلى اللاعن، لأن اللعن طرد عن رحمة الله تعالى، فمن طرد ما هو أهل لرحمته جعل مطروداً"[3].

ومن هذا القبيل كذلك ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قدم من سفر فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب فزعم أن رسول الله ﷺ قال: ((بُعِثَتْ هذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ)) فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا مُنَافِقٌ عَظِيمٌ، مِنَ الْمُنَافِقِينَ، قَدْ مَاتَ[4].

قال النووي: "أي: عقوبة له وعلامة لموته وراحة البلاد والعباد"[5].

والحديث أخرجه ابن إسحاق في المغازي بدون إسناد بلفظ: وكان ذلك في غزوة بني المصطلق وغزوة الإفك: ((فلما راح رسول الله ﷺ هبّت على الناس ريح شديدة فآذتهم وتخوّفوها، فقال رسول الله ﷺ: ((لاَ تَخَوَّفُوهَا فَإِنَّمَا هَبتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَاءِ الكُفَّارِ)). فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قَيْنقاع، وكان

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ٢/٢٨٢ - ٢٨٣.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٧٨، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٦١١).

(٣) شرح الطيبي ٢/٢٨٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٨٢.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٣١/١٧/٩. ط/ دار عالم الكتب.

عظيماً من عظماء اليهود، وكهفاً للمنافقين، مات ذلك اليوم[١].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الدعاء عند هبوب الريح:

وهذا واضح من قوله ﷺ: (فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها وشر ما أمرت به)، وقوله ﷺ: (فإذا رأيتموها فلا تسبوها، وسلوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها)، كما ورد ذلك من فعله ﷺ كما هو في حديث عائشة رضي الله عنها[٢].

قال المباركفوري: "قوله: (فإذا رأيتم ما تكرهون)، أي: ريحاً تكرهونها لشدة حرارتها، أو برودتها أو تأذيتم لشدة هبوبها فقولوا: أي راجعين إلى خالقها وآمرها: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، أي خير ذاتها (وخير ما فيها) أي من منافعها كلها (وخير ما أمرت به)، أي: بخصوصها في وقتها"[٣].

وقال ابن عثيمين: "وبهذا الدعاء يحصل خيرها ويزول عنك شرها، (أسألك خير هذه الريح)، لأن هذه الريح قد تكون عاصفة شديدة تقلع الأبواب وتجث الشجر وتهدم الديار، (وخير ما فيها)، ما فيها أي ما تحمله من أمور قد تكون نافعة وقد تكون ضارة، (وخير ما أرسلت به) لأنها ترسل بالخير وتارة ترسل بالشر. فتسأل الله خير ما أرسلت به.

(وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به)، فإذا استعاذ الإنسان من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وسأل الله خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به كفاه الله شرها، واعلم أنه لا يجوز للإنسان أن يتعلق بالريح في حصول المطر والغيث والصحو وما أشبه ذلك، لأن هذا من جنس الاستقاء بالأنواء الذي نهى عنه

---

(١) سيرة ابن هشام ١٦٨/٢، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٨٦/٦.

(٢) قال الراغب: "وعامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب، وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة"، المفردات في غريب القرآن ص ٢٠٦، وانظر: النهاية في غريب الحديث ص ٣٨٠.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨١٨/٢.

النبي ﷺ(١)، كثير من الناس يعلق رجاءه بالريح الجنوبي(٢)، يقول: إذا ذهبت الجنوب حصل الغيث وتجد قلبه متعلقاً بها، وهذا لا يجوز، لأنها قد تهب ريح الجنوب كثيراً ولا يأتي أمطار ولا غيوم، وقد يكون بالعكس تأتي الأمطار والغيوم من الريح الشمالي، فالأمر كله بيد الله عز وجل فعليك أن تعلق قلبك بربك تبارك وتعالى وألا تسب ما خلقه من الريح، وأسأل الله خيرها وخير ما أرسلت به واستعذ بالله من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به"(٣).

خامساً- من آداب المدعو: الالتجاء إلى الله عند اختلاف الأحوال وحدوث ما يخاف منه:

هذا واضح من الأحاديث واقتداء بالنبي ﷺ، وقد قالت عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به).

فعلى المدعو أن يقتدي بالنبي ﷺ، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان يتعوذ أيضاً عند رؤية الغيم ويفرح بالمطر، من ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها أيضاً: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ إِذَا كَانَ يَوْمُ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ، عُرِفَ ذٰلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ. فَإِذَا مَطَرَتْ، سُرَّ بِهِ، وَذَهَبَ عَنْهُ ذٰلِكَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ. فَقَالَ: إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَاباً سُلِّطَ عَلَىٰ أُمَّتِي. وَيَقُولُ: إِذَا رَأَىٰ الْمَطَرَ رَحْمَةٌ))(٤).

وقال أنس رضي الله عنه: كانت الريح الشديدة إذا هبت عرف ذلك في وجه النبي ﷺ(٥)، قال ابن هبيرة: "فيه من الفقه الخوف من الريح، لأنها إذا جاءت رعرعاً(٦) فقل ما ينتفع بها، وإنما الريح المنتفع بها هي المرسلات عرفاً، فكان رسول الله ﷺ يخاف من

---

(١) انظر: الحديث التالي في الرياض برقم ١٧٣٢.

(٢) هكذا قال ابن عثيمين: الريح الجنوبي، والصحيح: الريح الجنوبية، لأن الريح لفظ مؤنث. انظر: المعجم الوسيط في (ر و ح).

(٣) شرح رياض الصالحين ١٧٨٣/٢ - ١٧٨٤.

(٤) أخرجه مسلم ٨٩٩.

(٥) أخرجه البخاري ١٠٣٤.

(٦) يقال: ترعرع الماء أو السراب: تحرك واضطرب وتلألأ. المعجم الوسيط ص ٣٥٣.

ذلك، لتجويزه أن تأتي بالعذاب"[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ مُسْتَجْمِعاً ضَاحِكاً. حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ. إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ. قَالَتْ: وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْماً أَوْ رِيحاً، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَرَى النَّاسَ، إِذَا رَأَوُا الْغَيْمَ، فَرِحُوا. رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ. وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ، عَرَفْتُ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةَ؟ قَالَتْ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ. قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ. وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾[2]))[3].

قال النووي: "فيه الاستعداد بالمراقبة لله والالتجاء إليه عند اختلاف الأحوال وحدوث ما يخاف بسببه، وكان خوفه ﷺ أن يعاقبوا بعصيان العصاة، وسروره لزوال سبب الخوف"[4].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢١٣/٥.

(٢) سورة الأحقاف، آية: ٢٤.

(٣) أخرجه البخاري ٤٨٢٩، ومسلم ٨٩٩.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢٠٦/٦/٣، وانظر المفهم ٥٤٧/٦.

الحديث رقم (١٧٣٠)

١٧٣٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((الرِّيحُ مِنْ رَوحِ اللهِ، تَأتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأتِي بِالعَذَابِ، فَإذَا رَأيْتُمُوهَا فَلاَ تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا)). رواه أبو داود[1] بإسناد حسن.

قوله ﷺ: (مِنْ رَوْحِ اللهِ) هو بفتح الراء: أي رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: سبقت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يتفق هذا الحديث في مضمونه مع الحديث السابق وهو تحديد المنهج الإسلامي في التعامل مع مظاهر الطبيعة التي سخرها الله للإنسان.

ولكن أسلوب هذا الحديث يضيف جديداً، حيث يبدأ بمفهوم إيماني راسخ يجب أن يتسلح به المسلم في استقباله لتقلبات الظواهر الطبيعية، ومنها الريح، وهذا المفهوم يتحدد في أن الريح من روح الله أي هي من عند الله: يرسلها من رحمته لعباده ولطفه بهم.

وهذه الجملة الاسمية الإخبارية تفصح عن ثبات هذا المفهوم، وعدم تغيره، من خلال الصيغة اللغوية الدالة على الثبات وهي الجملة الاسمية.

ثم تليها جملتان مكملتان وهما حاليتان تصوران حال الريح وهي تواجه الإنسان، وإسناد الرحمة والعذاب إليها من باب "المجاز المرسل" لأن الله هو الذي يرحم ويعذب والريح آلة هذا العذاب، وسبب تلك الرحمة، ولكن هذا التعبير يوحي بتشخيص الريح، وبإضفاء الطابع الإنساني عليها، وكأنها تعي وتفكر، وتأتي مرة بالرحمة، ومرة بالعذاب.

---

(١) برقم (٥٠٩٧). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ١٠٠٧)، وقال الحاكم (٢٨٥/٤): هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾[2].

والجمل الثلاث الأخيرة تتنوع أسلوبياً ودلالياً ففي إطار أسلوب الجواب والشرط يأتي النهي عن سب الرياح وأداة الشرط "إذا" تنبئ عن تحقق رؤية الرياح ومشاهدتها حيث يقول المصطفى ﷺ، "فإذا رأيتموها: فلا تسبوها"، والريح لا ترى ولكن تُرى آثارها، والسب لا يقع عليها ولكن يقع على ما تحدثه من هلاك وتدمير، وطوفان وسيول أحياناً، واقتلاع للأشجار، وهدم للمباني، وفي صيغة الأمر الواجب، يأمر رسول الله كل أفراد الأمة الإسلامية بأن يتبعوا المنهج الصحيح في استقبال الريح وهو الدعاء بشقيه في حال خيرها وحال شرها، فقال: "وسلوا الله خيرها"، وكلمة الخير كلمة جامعة تشمل كل ما تحدثه الرياح من لقاح وسحب وهواء نقي يحيا في نعيمه الإنسان والنبات والحيوان.

وقال: "واستعيذوا بالله من شرها"، وكذلك الشر كلمة موجزة تتجمع في كثافتها آلاف الصور المدمرة التي تحركها الرياح فتحدث الدمار والخراب، وتشوه كثيراً من مظاهر الحياة، ونسأل الله العفو والنجاة، ونسأله من خير الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمرت به.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٧ .

(٢) سورة الأحقاف، الآيتان: ٢٤-٢٥ .

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧٣١)

١٧٣١- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: كان النَّبِيُّ ﷺ إذا عَصَفَتِ الرِّيحُ قال: ((**اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

كان رسول الله ﷺ أفصح خلق الله وأعذبهم كلاماً، وأسرعهم أداء، وأحلاهم منطقاً، كأن يأخذ بمجامع القلوب، ويسلب الأرواح، ففصاحة لسانه ﷺ غاية لا يدرك مداها، ومنزلة لا يداني منتهاها، كما يقول الكافي القسطلاني في كتاب "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"، وهذا الحديث من "جوامع الدعاء"، في استقبال الريح إذا عصفت حيث لا يفزع المؤمن، ولا يضطرب يقينه ولكن يسلم أمره إلى ربه، ويدعو كما دعا رسول الله ﷺ.

ودعاؤه ينقسم إلى قسمين: قسم يستقبل خير الريح، ويسأل الله خير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وقسم يعوذ بالله من شر الريح وشر ما فيها وشر ما أرسلت به.

وهذا التنوع في الدعاء مع تكرار لفظ "خير" ليس إسهاباً، ولكن لكل موقف في الدعاء سياقه وثمرته فقوله: "أسألك خيرها" أي خيرها الذاتي، ونفعها العام: فهي لها أسرار كثيرة في تواصل الحياة على وجه الأرض، وقوله "خير ما فيها" يتعلق بفوائدها المحسوسة الملموسة، من إذهاب المضار، والإتيان بالمنافع؛ وقوله: خير ما أرسلت به، أي: ما سيقت من أجله، وما سخرت له من نماء وصلاح الجسد؛ والتأكيد في الجوانب الخيرية كان بارزاً حيث قال رسول الله ﷺ: اللهم إني أسألك، أما في الجوانب التي

---

(١) برقم (٨٩٩/١٥).

يستعيذ بالله فيها من شر الريح، فلم يصدرها بتأكيد؛ لأن رحمة الله واسعة، والله يختص برحمته من يشاء، والله يحفظ نبيه من كل ما يسوءه، وسؤال الخير يحتاج إلى إلحاح ومعاودة، أما الاستعاذة من الشر فيكفي فيها القول الخالص، والنية الصادقة والتوبة النصوح، والثقة في نصر الله لعباده المؤمنين وحفظه لهم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٢٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالتوجيه:

إن حوادث الكون خاضعة لسنن وقوانين سنَّها الله وفق أقدار قدرها[1].

فقد شاء الله تعالى أن يبين لنا هذه النواميس المطردة والسنن الجارية لنراقبها وندركها ونكيف حياتنا وفقها، ونتعامل مع الكون على أساسها، ومن ثم يوجه الله الأبصار والبصائر إلى تدبر سننه في الكون والتعامل معها بقدر ما يملك الإدراك البشري للانتفاع بهذا النظر في الحياة الواقعية[2].

والتوجيه وسيلة من وسائل التربية حيث يقوم المربي بتوجيه طاقات وقدرات الإنسان وجهده في جانب الخير[3]، وقد وجه النبي ﷺ المسلم إلى كيفية التعامل مع الريح، فقد وجهه إلى طلب خيرها من الله والاستعاذة به من شرها والريح آية من آيات الله، قال تعالى: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[4].

فالريح إحدى آيات الله الكونية وتصريفها من آيات الله عز وجل؛ فأحيانًا تكون شديدة تقلع الأشجار وتهدم البيوت وتدفن الزروع، ويحصل معها فيضانات عظيمة، وأحيانًا عالية، وأحيانًا تكون نازلة، كل هذا بقضاء الله وقدره، ولو أن الخلق اجتمعوا كلهم على أن يصرفوا الريح عن جهتها التي جعلها الله عليها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ولو اجتمعت جميع المكائن العالمية النفاثة لتوجد هذه الريح الشديدة ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، ولكن الله عز وجل بقدرته يصرفها كيف يشاء وعلى ما يريد.

فعلى المربي بيان أن الريح مسخرة مدبرة، وكما أن الشمس أحيانًا تضر بإحراقها بعض الأشجار، ومع ذلك لا يجوز لأحد أن يسبها؛ فكذلك الريح، ولهذا قال ﷺ: «لا تسبوا الريح».

---

(١) التربية بالآيات، عبدالرحمن النحلاوي، ص٥٦.

(٢) انظر: التدين والصحة النفسية، د. صالح الصنيع، ص٣٥٤.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص٢٨٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

فهي مدبرة مسخرة على ما تقتضيه حكمة الله عز وجل، ولكن إذا كانت الريح مزعجة، فقد أرشد النبي ﷺ إلى ما يقال: حينئذ في قوله: «ولكن قولوا: اللهم نسألك ... إلخ».

فالريح نفسها فيها خير وشر، فعلى المسلم أن يسأل الله خيرها ويستعيذ من شرها.

ويقع على عاتق المربي التوجيه إلى أنه يجب عليه أن لا يعترض الإنسان على قضاء الله وقدره، وأن لا يسبه، وأن يكون مستسلمًا لأمره الكوني، كما يجب أن يكون مستسلمًا لأمره الشرعي، لأن هذه المخلوقات لا تملك أن تفعل شيئًا إلا بأمر الله سبحانه وتعالى[1].

ثانيًا: التربية بالقدوة:

من أساليب التربية في هذا الباب التربية بالقدوة، ولهذا الأسلوب تأثير كبير في النفس لأن المسلم يتخذ من سلوك الرسول المربي قدوة حسنة يتأسى بها في سلوكه، والرسول ﷺ هو القدوة للمسلمين، لأنه ﷺ وجّه المسلمين إلى سلوك تربوي إسلامي بعدم سب الريح، وعند رؤية ما يكره منها يجب أن يقول: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ ما فِيهَا وَخَيْرِ ما أُمِرَتْ بِهِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ ما فِيهَا وَشَرِّ ما أُمِرَتْ بِهِ». لم يكتف ﷺ بهذا التوجيه التربوي للمسلمين، بل كان ﷺ قدوة لهم في هذا الأمر، فكان يدعو بهذا الدعاء إذا عصفت الريح، وهذا أسلوب تربوي مؤثر يحسن بالقائمين على التربية أن يلتزموا به في العملية التربوية، حيث يعمل على إحداث التغييرات الإيجابية.

والقدوة تعد من أنجح أساليب التربية، ومن أوقعها تأثيرًا. وذلك لاتفاقها مع طبيعة النفس البشرية، مع فطرة الإنسان، مع حاجته وميله للتقليد والمحاكاة، ولسهولة اكتساب الخبرات من خلالها، ولكونها متجسدة وماثلة أمام المتأثرين بها.

وقد أكد الإسلام على القدوة الصالحة باعتبارها أسلوبًا تربويًا هامًا في تنشئة

---

(١) انظر: القول المفيد، ابن عثيمين، ٣٧٨-٣٨١ بتصرف.

الأجيال تنشئة سليمة، تحقق الخير لهم ولغيرهم.. فدعانا الحق تبارك وتعالى إلى الاقتداء بخير قدوة وخير أسوة، حيث قال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]. فقد كان رسول الله ﷺ خير قدوة للبشرية في تاريخها الطويل. وكان مربيًا وهاديًا بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به[2]. ولا زال بسيرته العطرة خير أسوة لكل الأجيال[3].

ثالثًا: من أهداف التربية الإسلامية: الحث على اللجوء إلى الله ودعائه:

من المضامين التربوية في هذا الباب: الحث على اللجوء إلى الله عز وجل ودعائه والاعتصام به، فإن المسلم يلجأ إلى الله عز وجل في دعائه، فيسأله من خيره، ويسأله أن يحميه، ويمنعه، ويعصمه، ويدفع عنه الشرور والفتن.

وكلما امتلأ القلب من توحيد الله عز وجل، والإيمان به، وصدق التوكل عليه واللجوء إليه كلما كان للأدعية ونطقها باللسان أثرها العظيم في عصمة الله عز وجل لعبده الداعي، ووقايته له من الفتن وشرورها وبقدر ما يكون في القلب من توحيد الله عز وجل، يكون الأمن من المخاوف والشرور والفتن.

إذن فالإيمان الصادق، والتوحيد الخالص، وصدق التوجه إلى الله عز وجل وإخلاص الدعاء له بتفويض الأمور إليه، كل ذلك يثمر للعبد طمأنينة وحياة طيبة سليمة من الفتن وشرورها، وسليمة من المخاوف والحيرة والاضطراب؛ فكان لزامًا على من أراد لنفسه النجاة والفكاك أن يلجأ إلى ربه عز وجل، ويحسن الظن به، سبحانه، وأن يكثر التضرع والدعاء في أوقات الإجابة وأماكنها ويسأل ربه سبحانه الوقاية من الفتن والثبات على الحق، والاستعاذة من شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، فهذا باب عظيم من أبواب التوفيق، ومنارة مضيئة من منارات النجاة والسلامة من الفتن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص٢٢٥.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٧٥.

وغوائلها[1].

وقد جاء في أحاديث هذا الباب من التوجيهات النبوية الكريمة لهذه الأمة الشيء الكثير وذلك باللجوء إلى الله ودعائه إذا هبت الريح بأن يعطيه خير ما أمرت به والاعتصام به سبحانه والاستعاذة به من شرها ومن شر ما أُمِرَت به، وكان هذا بأمره ﷺ وفعله.

وهو ما يجعلنا نحرص على اللجوء إلى الله ودعائه والاعتصام به. وكذلك غرس هذه الأشياء في نفوس المتربين وخاصة الصغار منهم حتى يشبوا على ذلك.

رابعًا: تهذيب الأخلاق بالترفع عن سب الريح:

إن من أبرز أهداف التربية الإسلامية تهذيب أخلاق المسلم والارتقاء به عن السب والشتم، ومن ذلك نهى النبي ﷺ المسلمين عن سب الريح ولاشك أن ذلك يبرز عظمة التربية الإسلامية في تنشئة المسلم على الأدب الجم في التعامل مع الخلق والمخلوقات والآيات الكونية، مما يؤكد حرص الإسلام على تربية المسلمين على الخلق العظيم، والارتقاء بذوقهم العام والترفع عن سفاسف الأمور التي قد تحمل الإنسان في بعض الأحيان على السب والشتائم، ولذا فإن التربية الإسلامية تعمل على تهذيب أخلاق المسلمين، من خلال حثهم على الدعاء، وسؤال الله تعالى خير الريح. وخير ما أمرت به، والاستعاذة به سبحانه من شرها ومن شر ما أمرت به، وهذا ما يمكن أن يفيد منه القائمون على التربية في شتى مجالات الحياة في كيفية الارتقاء بخلق الناس، وتوجيههم التوجيه الصحيح.

۞ ۞ ۞

---

(١) انظر: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجليل، ٣/٥٢٥-٥٢٧.

٣٢٤- باب كراهة سب الديك

الحديث رقم (١٧٣٢)

١٧٣٢- عن زيد بن خالد الجُهَنيُّ ﷺ قال: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: **((لاَ تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلاَةِ))**. رواه أبو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

زيد بن خالد الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٧).

الشرح الأدبي

إن الطيور والحيوانات تعد من النعم التي سخرها الله للإنسان، وهي ذات نفوس غير ناطقة، تتغذى وتتكاثر وتنمو ... وتشعر، وتدرك ولكنها لا تنطق، وهي تسبح بحمد ربها مثل كل الكائنات، ولها قدرات خاصة يجهلها الإنسان، وبعض الحيوانات قوته السمعية تفوق سمع الإنسان،وكذلك قوتها البصرية تتفوق على الإنسان، وهي تتفاهم فيما بينها بإشارات وأصوات خاصة بها: قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[2].

وهذا الحديث الشريف شاهد صدق على ذلك، فرسول الله ﷺ ينهى عن سب الديك الذي يصيح وقت صلاة الفجر ... وبعض الكسالى والمنافقين يدّعون أن صياح الديك يزعجهم، ولذلك يسبونه: فقال رسول الله ﷺ "لا تسبوا الديك: فإنه يوقظ للصلاة".

والحديث يتكون من جملتين: الأولى فعلية، وقد تصدرها للنهي الصريح عن سب الديك، والنهي هنا موجه إلى الأمة كلها وخاصة الذين يظنون أن صوت الديك

---

(١) برقم (٥١٠١). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٧٣١). أورده المنذري في ترغيبه (٤١١٢).

(٢) سورة الأنعام، آية: ٣٨ .

يزعجهم!! وواو الجماعة: ضمير الرفع المتصل تفصح عن النهي الجمعي الصادر من نبي الأمة إلى أمته جمعاء.

وأما الجملة الثانية فهي اسمية وهي تعليل ... لنهي عن سب الديك، وقد صُدِّرت الجملة بإن المؤكدة، وخبر إن، جملة فعلية فعلها مضارع، "يوقظ للصلاة"، والمضارعية هنا توحي باستمرار هذا الفعل وهو الإيقاظ للصلاة، ومعمول يوقظ محذوف وللعلم به أي يوقظ النائمين الغافلين عن الصلاة ... حتى ينشطوا لصلاة الصبح، فيغفر الله لهم. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة سب الديك، وذلك لأنه يدعو إلى الصلاة، فيكون معيناً على الطاعة مستفاداً منه الخير، ومن كان هذا شأنه لا ينبغي أن يسب ولا يستهان به، بل ينبغي أن يكرم ويحسن إليه[1].

وليس معنى قوله "يدعو إلى الصلاة" أنه يدعو إليها حقيقة، وإنما معناه أن العادة جرت أنه يصرخ عند طلوع الفجر، وعند الزوال فطرة فطره الله عليها[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن سب الديك.

ثانياً: من واجبات المدعو: اتخاذ كل ما يعين على أداء الصلاة وطاعة الله.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: النهي والتعليل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن سب الديك:

وهذا واضحٌ من الحديث: (لا تسبوا الديك فإنه يدعو إلى الصلاة)، وهناك رواية

---

(١) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢٨٢/٤، وفتح الباري ٣٥٣/٦، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٩٩/٩، وعون المعبود ٥/١٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٩٩/٩، وعون المعبود ٥/١٤.

عند أحمد: نَهى رسولُ الله ﷺ عنْ سبِّ الدِّيكِ، وقال: ((إنَّه يُؤَذِّنُ للصَّلاةِ))[١].

ورواه أحمد بلفظ: لَعَنَ رَجُلٌ دِيكًا صَاحَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لاَ تَلْعَنْهُ، فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الصَّلاَةِ))[٢].

وبوّب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر الزجر عن سب المرء الديكة لأنها تحث المسلمين على الصلاة[٣]، وقال العظيم آبادى: قوله: (لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة)، أي: قيام الليل بصياحه فيه، ومن أعان على طاعة يستحق المدح لا الذم، قال المناوي: جرت العادة بأنه يصرخ صرخات متتابعة إذا قرب الفجر، وعند الزوال فطره الله عليها فلا يجوز اعتماده إلا إن جرب"[٤].

وقال ابن عثيمين: "الديك هو الذكر من الدجاج وله صوت يؤذن فيوقظ النائم، وبعضها يؤذن على الأوقات عند أوقات الصلوات، وقد أمر النبي ﷺ من سمع صوت الديك أن يسأل الله من فضله[٥]، إذا سمعت صوت الديك فقل أسأل الله من فضله فإنها رأت ملكاً، وبعض الديكة يكون أذانه على دخول الوقت أو قرب دخول الوقت، فيوقظ الناس للصلاة فنهى النبي ﷺ عن سبه لهذه المزية التي تميز بها، كما نهى على قتل النملة[٦] لأنها كانت دلت أخوانها على النجاة من سليمان عليه الصلاة

---

(١) أخرجه أحمد ١٩٣/٥ رقم ٢١٦٧٩، وقال محققوالمسند: رجاله ثقات رجال الشيخين ١٣/٣٦.

(٢) أخرجه أحمد ١١٥/٤ رقم ١٧٠٣٤، وقال محققو المسند: رجاله ثقات، رجال الشيخين وقد اختلف في وصله وإرساله، وانظر: تتمة تخريجه هناك، المسند ٢٦٣/٢٨.

(٣) صحيح ابن حبان رقم ٥٧٣١.

(٤) عون المعبود ٢١٧٨.

(٥) سيأتي نصّ الحديث قريباً جداً بعد انتهاء الاقتباس من فتح الباري.

(٦) أخرجه أحمد ٣٣٢/١ رقم ٣٠٦٦، وأبو داود ٥٢٦٧، وابن ماجه ٣٢٢٤، وابن حبان ٥٦٤٦، والبيهقي ٣١٧/٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((نهى رسول الله ﷺ عن قتل أربع من الدواب: النملة والنحلة والهدهد والصرد))، قال ابن حجر: رجاله رجال الصحيح قال البيهقي: هو أقوى ما ورد في هذا الباب. التلخيص الحبير ٢٧٥/٢، والصرد: طائر أكبر من العصفور ضخم الرأس والمنقار يصيد صغار الحشرات وربما صاد العصفور. وكانوا يتشاءمون به. المعجم الوسيط في (ص ر د).

والسلام، وهذا من تمام عدل الله عز وجل أن بعض الحيوانات التي يكون فيها مصلحة للعباد يكون لها مزية وفضل على غيرها.

سب الديك قد يقع من بعض الناس يفزع من صوته وهو نائم فيسبه ويشتمه، وهذا منهي عنه؛ لأن النبي ﷺ قال: لا تسبوا الديك"[1].

وقال ابن حجر: "قال الحليمي: يؤخذ منه أن كل من استفيد منه الخير لا ينبغي أن يسب ولا أن يستهان به، بل يكرم ويحسن إليه، قال: وليس معنى قوله: فإنه يدعو إلى الصلاة: أن يقول بصوته حقيقة: صلوا أو حانت الصلاة، بل معناه: أن العادة جرت بأنه يصرخ عند طلوع الفجر وعند الزوال، فطرة فطره الله عليها"[2].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ. فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكاً. وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ. فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَاناً))[3].

قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه أنه لما كان صوت الحمار أنكر الأصوات كان الشيطان وشيكاً بالتعرض له؛ ليثير من النهاق الذي يزعج المسلمين فتتكره نفوسهم، فأمر رسول الله ﷺ بالتعوذ من الشيطان، ولما كانت الديكة يؤنس إلى أصواتها من حيث إنها في الليل توقظ النائم لأفضل الأوقات للذكر، وهو وقت السحر كانت عند رؤية الملائكة يثور صاحبها، فيذكر الله سبحانه حينئذ ويسأل من فضله"[4].

قال النووي: "قال القاضي عياض[5]: سببه رجاء تأمين الملائكة على الدعاء واستغفارهم وشهادتهم له بالتضرع والإخلاص"[6].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٨٥.

(٢) فتح الباري ٦/٣٥٢.

(٣) أخرجه البخاري ٣٣٠٣، ومسلم ٢٧٢٩.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٦/٢٩١.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٨/٢٢٤.

(٦) شرح صحيح مسلم ٩/١٧/٤٨ - ٤٩.

وقال ابن حجر: "قال عياض[١]: وفائدة الأمر بالتعوذ لما يخشى من شر الشيطان وشر وسوسته فيلجأ إلى الله في دفع ذلك"[٢].

ثانياً- من واجبات المدعو: اتخاذ كل ما يعين على أداء الصلاة وطاعة الله:

وهذا ما يستنبط من الحديث، قال ابن حجر: "قال الداودي: يتعلم من الديك خمس خصال: حسن الصوت والقيام في السحر والغيرة والسخاء وكثرة الجماع"[٣].

وقال ابن عثيمين: "وفي هذا الحديث دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يتخذ ما يوقظه للصلاة، وذلك مثل الساعات المنبهة، فإن الإنسان ينبغي له أن يقتني من هذه الساعات حتى تنبهه للصلاة في الوقت الذي يدرك فيه الصلاة، وكثير من الناس يتهاون في هذا الأمر ينام معتمداً على أنه سيقوم في الوقت الذي يريده ولكن يغلبه النوم، فإذا علمت من نفسك هذا فاجعل لنفسك منبهاً ينبهك للصلاة، لأن ما لا يتم المأمور به فهو مأمور به وأنت مثاب على هذا"[٤].

كما على المدعو أن يقتدي بالنبي ﷺ في استعداده للصلاة، فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا كان في سفر فعّرس بليل اضطجع على يمينه وإذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه [٥].

قال النووي: (قال العلماء: إنما نصب ذراعه لئلا يستغرق في النوم، فتفوت صلاة الصبح عن وقتها أو عن أول وقتها)[٦]، وعلى العموم فإن على المدعو (أن ينام مبكراً مع استحضار آداب النوم، داعياً الله بالأذكار المأثورة قبل نومه، مستحضراً نية صادقة للاستيقاظ لصلاة الفجر، وليستعن بما ينبهه للاستيقاظ وقت الفجر أو قُبيله بقليل

---

(١) لم نعثر على هذا القول في إكمال المعلم، وإنما قال القرطبي في المفهم ٥٨/٧: وإنما أمر بالتعوذ من الشيطان عند نهيق الحمير، لأن الشيطان لما حضر يخاف من شره، فينبغي أن يتعوذ منه.

(٢) فتح الباري ٣٥٣/٦.

(٣) فتح الباري ٣٥٣/٦.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٧٨٥/٢.

(٥) أخرجه مسلم ٦٨٣.

(٦) رياض الصالحين ٢٧٦.

عسى الله أن يرزقه قيام ركعتين)[1].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: النهي والتعليل:

فقد نهى النبي ﷺ عن سب الديك وعلّل ذلك بأنه يوقظ للصلاة، ولا شك أن إتباع النهي بالتعليل يزيد المدعو اقتناعاً فوق اقتناع بالامتثال والطاعة لما نهي عنه الداعية أو أمر به، فإن النهي عن شيء أمر بضده.

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحاذة، ٤١١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية الخلقية:

من المضامين التربوية في حديث الباب: التربية الخلقية، ويظهر ذلك في قوله ﷺ: «لا تسبوا الديك ...».

لقد اهتم الإسلام بالقيم الإنسانية التي تعمل على تهذيب الأخلاق والتي تجعل المسلم مترفعًا عن السب والشتم يربأ عن الدنايا فلا يسب ولا يشتم ولا يتفوه بما يعاب من الكلام بل يتخلق بأخلاق الإسلام التي دعت إلى حفظ اللسان من الزلل، وما هو مستهجن من الكلام والعمل.

فالإسلام اهتم بالتربية الأخلاقية الإسلامية وجعلها أساسًا للتعامل مع الآخرين من هذه الأصول: كف الأذى أي يمنع الإنسان مصادر أذاه عن غيره.
ومصادر الأذى من حيث الشكل: قوليةٌ وفعليةٌ.

وحديثنا يراد به الأولى وهي المصادر القولية، وهو كل أذى كان مصدره البيان، سواء كان نطقًا باللسان، أو كتابة بالبنان، أو بهما معًا، واللسان مصدر قوي في الأذى[1].
لذا وجهت التربية الإسلامية إلى حفظه من أذى المسلم وغيره بل تعدى هذا التوجيه وهذه التربية الإسلامية الإنسان إلى غيره من المخلوقات التي ينبغي للمسلم أن يجتنب الإساءة إليها.

وفي هذا الباب وجه النبي الكريم ﷺ المسلمين إلى عدم سب الديك، لأنه يوقظ للصلاة.

والديك من بين الطيور له منزلة وفضل، وقد ورد فيه أحاديث تبين فضائله منها قوله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ. فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا»[2].
لذا كان التوجيه النبوي التربوي بعدم سبها.

---

(١) أصول التربية الإسلامي، د. خالد بن حامد الحازمي، ص١٦٤.

(٢) أخرجه البخاري، ٣٣٠٣، ومسلم ٢٧٢٩.

فلقد جاء الإسلام لإقامة عالم رفيع الخلق. وبُعِث رسولُ الله ﷺ متممًا لمكارم الأخلاق. لذلك قدم منهجًا خلقيًا كاملاً يشمل جميع جوانب الحياة، سواء كانت على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع والعالم بأسره.

فتناول الأساس الأخلاقي كل ما ينمي الفرد خلقيًا، ويضبط علاقته مع ربه، ومع نفسه، ومع غيره من الجنس البشري بل وكل ما في الحياة[١]، فإن التربية الإسلامية تسعى إلى غرس مكارم الأخلاق في المسلم، خاصة الناشئة لإعداد الإنسان الصالح وتحارب وبدون هوادة مساوئ الأخلاق التي حث الإسلام على الابتعاد عنها، مثل السب والشتم، والحسد والكذب والغش والنميمة....وغيرها[٢].

ثانيًا: التربية بالتعليل:

إن التربية بتعليل الأحكام تعمل على توفير القناعة لدى المسلم من خلال بيان تلك العلل التي تمثل إجابات على أسئلة قد ترد على الذهن، ويحتاج فيها إلى بيان حتى تستريح نفسه ويقتنع عقله، وقد ذكر النبي ﷺ علة نهيه عن سب الديك لأنه يوقظ للصلاة فقال: «لا تَسُبُّوا الدِّيكَ فإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلاَةِ».

وقد يقتصر بعض من يقوم بالتربية في حديثه مع الفتيان على الوعظ، والوعظ أمر مهم لابد منه، لكنه قد لا يكفي وحده، خاصة مع من يكون واقعًا في أمر هو يعلم نتائجه، كما أن ذكر الحكم الشرعي وحده في هذه الحالة قد لا يكفي، ويكون التعليل أو بيان الحكمة مما يساعد على القناعة، ويَعدِّل السلوك تعديلاً إيجابيًا.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة قال: «إن فتى شابًا أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: ادنه فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا، والله

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١١٥.

(٢) انظر: التربية الإسلامية، د. سليمان بن عبدالرحمن الحقيل، ص٢٦.

جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[1].

فالفتى هنا لم يكن يغيب عنه حكم حرمة الزنا ولذلك جاء يستأذن فيه، فالقول له هنا: اتق الله، هذا حرام أو لا يجوز قد لا ينفع الفتى؛ لأن الحكم عنده معلوم، لكنه يحتاج إلى شيء آخر، لذلك سلك الرسول ﷺ معه أسلوبًا آخر، وهو بيان الحكمة من منع الزنا، وهو أن المزني بها إما أن تكون أُمًّا لأحد أو بنته أو أخته أو عمته أو خالته، لا يمكن غير ذلك، ولما كان هذا الفتى لا يرضى ذلك لنفسه، فكذلك الناس لايرضونه لأنفسهم، فكان في هذه الحجة النفسية قطع لدابر هذا الأمر في نفس الفتى، ثم كان الدعاء من الرسول ﷺ له أن يثبته على الحق والعفة، فهكذا نفعل في مثل هذه المواقف، ويمكن أن يقال عن هذا التصرف: كن أنت مكانه، وقل لي ماذا تفعل؟ ولو أن الإنسان عمل ذلك في أمور كثيرة لانحلت إشكالات تقوم بين الناس، ولو وضع الإنسان نفسه مكان من يعترض على مسلكه وتصرفه، فربما اتخذ المسلم نفس المسلك أو قريباً منه، فلذلك ينبغي على المربي أن يرشد إلى هذا الطريق[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ٢٥٧/٥، رقم ٢٢٢١١، وقال محققو المسند إسناده صحيح.

(٢) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد شاكر الشريف، ص١٥١، ١٥٢.

٣٢٥- باب النهي عن قول الإنسان: مُطِرنا بنَوء كذا

الحديث رقم (١٧٣٣)

١٧٣٣-عـن زيـد بـن خالـد ﵁ قـال: صـلَّى بنـا رسـولُ اللهِ ﷺ صَـلاةَ الـصُّبْحِ بالحُدَيْبِيَّةِ فِي إثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فقـالَ: ((هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قالَ رَبُّكُمْ؟)) قالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. قال: ((قالَ: اصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وأَمـا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوءِ كَذَا وَكَذَا، فَذلكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ)). متفـق عليه[1].

ترجمة الراوي:

زيد بن خالد الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٧).

غريب الألفاظ:

الحديبية: بينها وبين مكة ٢٢ كم وهي غرب مكة على طريق جدة وتعرف اليوم بالحديبية والشميسي كذلك، وقد نزلها النبي ﷺ عندما توجه إلى مكة يريد العمرة ٦هـ، وفيها بئر ومسجد الشجرة، وعندها كانت بيعة الرضوان[2].

في إثْر سماءٍ: عقَب مَطَرٍ[3].

بنوء: ومعنى النوء سقوط نجم في المغرب من النجوم الثمانية والعشرون التي هي منازل القمر، وهو مأخوذ من ناء إذا سقط، وقال آخرون: بل النوء طلوع نجم منها وهو مأخوذ من ناء إذا نهض[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١/١٢٥) واللفظ له.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ١٤١٠.

(٣) فتح الباري ٧٠٦/٢، ورياض الصالحين ٥٨٩.

(٤) فتح الباري ٦٠٨/٢، وللاستزادة يراجع النهاية ٩٤٤.

الشرح الأدبي

ما أجمل هذا المشهد الواقعي.. الذي يعد أحد مشاهد السيرة النبوية العطرة، وما أعظم الدرس الذي يعلمه النبي لأصحابه عن طريق الحوار الواقعي الهادئ المقنع، وهذا المشهد السّردي الواقعي تكاملت عناصره البنائية، ففيه الحدث: الزمان والمكان، والحوار، والأشخاص، والراوية الذي يسرد الحكاية ويقص الخبر، ويحكي الواقعة.

فالحدث: صلاة الصبح ثم نزول المطر، والزمان، وقت الصبح، والمكان: الحديبية، وهو الشميسي الآن، وهو قريب من مكة، والحوار دار بين رسول الله ﷺ ومن حضر الصلاة من الصحابة.

وأما الموقف فهو تؤطره المفارقة والتضاد بين الفريقين إزاء استقبال ظاهرة المطر، ويبدأ الحوار: باستفهام تقريري وحقيقي من رسول الله ﷺ للصحابة: أتدرون: ماذا قال ربكم؟، فيقول الصحابة: الله ورسوله أعلم، وهذا تأدب مع رسول الله ﷺ ووقوف منهم عند حد العلم؛ ويكتمل الحوار: وتحل العقدة، وتضيء الموقف كلمات رسول الله ﷺ.

ويقدم رسول الله الإجابة في أسلوب مشوق مؤثر يلفت الانتباه، ويزرع الحكمة في قلب كل مؤمن، ويعرض الرسول نموذجين من الناس: النموذج المؤمن، والنموذج الكافر. وهما متضادان، ويمثلان مفارقة في الموقف، وبعد هذا الإجمال المثير للانتباه يفصل الرسول الأمر، فمنطق الإنسان هو الذي يقوده للإيمان وهو الذي يقوده للكفر في هذا السياق، وهو موقف كل فريق من المطر: هل من فضل الله ورحمته أم من النوء؟؟!، فمن اعتقد أن المطر بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بالله كافر بالكواكب، ومن اعتقد أن المطر فاعله وموجده النوء: أي حركة النجوم- كما كان يعتقد الجاهلون: فهو كافر بالله مؤمن بالكواكب.

ولنتأمل هذه الدلالات في هذا السياق: الإيمان والكفر: فالإيمان بالله واجب ومحمود وهو سمة المسلم الحقيقي والإيمان بالكواكب خروج عن الاعتقاد الصحيح، ومصير صاحبه الهلاك.

والكفر بالكواكب محمود ومطلوب شرعاً، أما الكفر بالله..... فهو خروج عن الملة، ويؤدي صاحبه إلى الخسران المبين، ومثواه جهنم وبئس المصير، وكل ذلك مرتبط بما يقوله اللسان، ويكشف عنه البيان، فتأمل دلالات الألفاظ، وارتباطها بالسياقات والقرائن، واختلاف الدلالة تبعاً لاختلاف الجو والمناخ الأسلوبي، ودوائر المعاني، وفضاءات المباني. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: النهي أن يقول عند نزول المطر: "مطرنا بنوء كذا"[١] ويندب أن يقول: مطرنا بفضل الله ورحمته[٢].

فإن قال ذلك معتقداً أن الكوكب فاعل مدبر، ومنشئ للمطر، كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم، فهو كافر كما قال رسول الله ﷺ، وذلك لأن النوء وقت، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه، ولا لغيره شيئاً ولا يمطر، ولا يصنع شيئاً[٣].

أما من قال: "مطرنا بنوء كذا" معتقداً أنه من الله وبرحمته وأن النوء وقت له، أي أن الله أجرى العادة أن يأتي المطر في هذه الأوقات فذاك جائز[٤]، إلا أن الإمام الشافعي قال: (وغيره من الكلام أحب إليَّ)[٥].

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: غزوة الحديبية.

ثانياً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ ٥٤٩/١، والأم للإمام الشافعي ٢٥٣/١، وروضة الطالبين ٩٥/٢، والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ١٩٥/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٤٦١/٢، ومنار السبيل ١٦١/١، ودليل الطالبين ٥٧/١.

(٢) المنهج القويم ٤١٩.

(٣) الأم، الإمام الشافعي ٢٥٣/١، وشرح صحيح مسلم ٦٠/٢، ومنار السبيل ١٥٦/١.

(٤) الأم، الإمام الشافعي ١٥٣/١، والإقناع ١٩٥/١، وشرح صحيح مسلم ٦١/٢، وعون المعبود ٢٨٦/١٠.

(٥) الأم، الإمام الشافعي ١٥٣/١.

ثالثاً: من فقه الداعية: استغلال الأحوال والمناسبات المختلفة لبيان الحقائق.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن قول: مطرنا بنوء كذا.

أولاً- من تاريخ الدعوة: غزوة الحديبية:

هذا واضح في قول زيد بن خالد ﷺ "صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح بالحديبية"، قال ابن كثير: "وكانت في ذي القعدة سنة ست بلا خلاف"[1].

وقد انتهت بعقد صلح بين المسلمين والمشركين، وقد كان هذا الصلح فتحاً مبيناً، قال الزهري: "فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وآمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر. قال ابن هشام: والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبدالله ﷺ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف"[2].

وقال الدكتور محمد أبو شهبة عن مكاسب المسلمين في صلح الحديبية: "اعترفت قريش بالمسلمين اعتراف الند بالند، وفي ذلك دعاية للإسلام لا يستهان بها إن لم تكن ذات بال عند قريش فسوف يسمع بها العرب، وفي ذلك تمهيد لاتساع نفوذ الإسلام وسطوته، إن هذه الهدنة ضمنت للمسلمين الانصراف إلى تبليغ دعوة الإسلام في كافة أنحاء الجزيرة وما يتاخمها من الدول والإمارات، وهذا ما كان، فقد كاتب النبي ﷺ الملوك والأمراء وبذلك انتشر الإسلام أضعاف انتشاره من قبل"[3].

وقال الدكتور محمد فوزي فيض الله: "وترتب على ذلك اعتراف قريش بوجود دين جديد، له تصوراته ومفاهيمه التي تختلف تماماً عن تصوراتهم ومفاهيمهم ومعتقداتهم، وبحق هذا الدين في ممارسة شعائره حول البيت مع وجود أصنامهم، وتماثيلهم فيه،

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٢٠٦/٦.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢٦٨/٢ - ٢٦٩.

(٣) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ٣٤٠/٢.

وهي من أول ما يحقره هذا الدين ويسفهه ويضلله ويدعو إلى نبذه وطرحه قبل كل شيء وهذا الاعتراف يعني تراجع قريش وتخاذلها عن نصرة مبادئها العقدية، وتساهلها نسبياً في شؤون دينها العتيق المتوارث، وبمقدار هذا التراجع يكون تقدم المد الإسلامي ورسوخ مبادئه وأفكاره وإن هذا التراجع لهو أول النهاية الحتمية التي خطتها قريش في هذا الصلح لنفسها ولمستقبل آلهتها"(١).

ثانياً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

وهذا واضحٌ من قوله ﷺ: (هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم)، قال ابن حجر: "في هذا الحديث طرح الإمام المسألة على أصحابه وإن كانت لا تدرك إلا بدقة النظر"(٢).

وقال ابن عثيمين: "إنما ألقي عليهم هذا السؤال من أجل أن ينتبهوا، لان إلقاء الأسئلة يوجب الانتباه، قالوا: الله ورسوله أعلم، وهكذا كل إنسان يجب عليه إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله ورسوله أعلم في الأمور الشرعية أما الأمور الكونية القدرية فهذا لا يقول: ورسوله أعلم، لأن النبي ﷺ لا يعلم الغيب. المهم أنهم قالوا: الله ورسوله أعلم وهذا من الأدب"(٣).

ثالثاً- من فقه الداعية: استغلال الأحوال والمناسبات المختلفة لبيان الحقائق:

وهذا واضح من الحديث: (صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء -أي مطر- كانت من الليل، فلما انصرف وأقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب).

---

(١) صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، د. محمد فوزي فيض الله، ط/١ دار القلم، دمشق: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ٢٩١.

(٢) فتح الباري ٢/٤٢٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٨٥.

وقال ابن هبيرة: "وفيه أيضاً تنبيه على أن الآدمي بلغ من إغضاب ربه، وإسخاط خالقه سبحانه إلى المبلغ الذي لا يقوم له السماوات والأرض؛ لأنه سبحانه وتعالى ينزل الغيث على عباده رحمة لهم، ونظراً في أحوالهم ليستدلوا بذلك على إحسانه سبحانه، ويشكروا فضله ويعتبروا رحمته، فلا يكونون من شكر النعمة بحيث يستحق ولا يقفوا على المقام الدون على ألا يشكروا؛ بل تخرجهم تلك النعمة بعينها إلى أن يسندوها إلى غير الله وينحوها افتراء منهم إلى سواه سبحانه"[١].

فالنبي ﷺ قد استغل مناسبة سقوط المطر ليوضح للمسلمين القول الذي يصبح به المدعو مؤمناً، والقول الذي يصبح به كافراً.

ومن قبيل استغلال الداعية الأحوال والمناسبات لتوصيل رسالة دعوية للمدعوين ما رواه جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، قال: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هذَا الْقَمَرَ لاَ تُضَامُونَ[٢] فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافعلوا))[٣].

"ولا شك أن انتهاز المناسبة هو من أعظم العوامل المؤثرة في إصلاح المجتمع وتربية الأمة واستصلاح الأفراد"[٤].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن قول: مطرنا بنوء كذا:

وهذا واضح من الحديث، قال النووي: "وأما معنى الحديث فاختلف العلماء في كفر من قال: مطرنا بنوء كذا، على قولين:

أحدهما: هو كفر بالله سبحانه وتعالى، سالب لأصل الإيمان مخرج من ملة الإسلام، قالوا: وهذا فيمن قال ذلك معتقداً أن الكوكب فاعل مدبر منشيء للمطر،

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٠/٨.

(٢) يروى بالتشديد والتخفيف، فالتشديد معناه: لا ينضم بعضكم إلى بعض وتزدحمون وقت النظر إليه. ومعنى التخفيف: لا ينالكم ضيم في رؤيته، فيراه بعضكم دون بعض. والضيم: الظلم. النهاية في (ض ي م).

(٣) أخرجه البخاري ٧٤٣٤، ومسلم ٦٣٣.

(٤) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار، ٩٩.

كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم، ومن اعتقد هذا فلا شك في كفره، وهذا القول هو الذي ذهب إليه جماهير العلماء والشافعي منهم. وهذا ظاهر الحديث.

قالوا: وعلى هذا لو قال: مطرنا بنوء كذا معتقداً أنه من الله تعالى وبرحمته، وأن النوء ميقات له وعلامة اعتباراً بالعادة. فكأنه قال: مطرنا في وقت كذا، فهذا لا يكفر. واختلفوا في كراهته. والأظهر كراهته لكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها، وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره، فيساء الظن بصاحبها، ولأنه شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم.

والقول الثاني: في أصل تأويل الحديث أن المراد كفر نعمة الله تعالى لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكوكب، وهذا فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب، ويؤيد هذا التأويل الرواية الأخيرة في الباب: ((أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَكَافِرٌ))[1]، وفي الرواية الأخرى: ((مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلاَّ أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ))[2]، وفي الرواية الأخرى: ((ما أنزل الله عزَّ وجلَّ من السماء بركة إلا أصبح كثير من الناس بها كافرين))[3]، فقوله بها يدل على أنه كفر بالنعمة"[4].

وقال ابن حجر: "قال ابن قتيبة: وكانوا في الجاهلية يظنون أن نزول الغيث بواسطة النوء، إما بصنعه على زعمهم وإما بعلامته، فأبطل الشرع قولهم وجعله كفراً، فإن اعتقد قائل ذلك أن للنوء صنعاً في ذلك فكفره كفر تشريك، وإن اعتقد أن ذلك من قبيل التجربة فليس بشرك لكن يجوز إطلاق الكفر عليه وإرادة كفر النعمة، لأنه لم يقع في شيء من طرق الحديث بين الكفر والشرك واسطة، فيحمل الكفر على المعنيين لتناول الأمرين"[5].

---

(١) أخرجه مسلم ٧٣.

(٢) أخرجه مسلم ٧٢.

(٣) أخرجه مسلم بعد الحديث ٧٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ٦٢/٢/١ - ٦٣.

(٥) فتح الباري ٤٢٥/٢، وانظر: المفهم، للقرطبي ٢٥٨/١ ٢٦٣.

وقال ابن عثيمين: "كثير من العامة عندنا يقولون: مطرنا بالفصل، مطرنا كذا وكذا وليسوا يقصدون بهذا السببية وإنما يقصدون الظرفية، أي أن المطر صار في هذا الوقت وهذا لا بأس به"[1].

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٨٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من أسس التربية الإسلامية: العقيدة الصحيحة:

تقوم التربية الإسلامية على عدد من الأسس التي تحدد ملامحها واتجاهاتها وترسى معالمها، ومن أول هذه الأسس: العقيدة الإسلامية الصحيحة، ولذا كان الرسول ﷺ يهتم اهتمامًا شديدًا بتصحيح العقيدة وبيان ما يجب أن يُربى عليه المسلم من عقيدة صحيحة، وكان ﷺ يغتنم المناسبات لبيان ذلك، مما يساعد على ترسيخ الفهم الصحيح، وفي حديث الباب يسأل النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم فيقول: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ. فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ».

وفي حديث الباب يبرز النبي ﷺ العقيدة الصحيحة التي يجب أن تستقر في قلب المسلم، والتي يجب أن تترجم إلى أقوال وسلوكيات، وبين ذلك من خلال ما أخبر به عن رب العزة جل وعلا: فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته بأن أقرّ واعترف بتفرد الله تعالى، في الفضل والإنعام على عباده، فهو سبحانه المسخر للسحاب، المقدر لكل شيء، فهذا القول ينم عن العقيدة الصحيحة التي لابد من ترجمتها إلى سلوكيات عملية، وهذا برهان على الإيمان، لأن الإنسان يقر بالفضل للمنعم سبحانه، ولم ينسب ذلك إلى مخلوق من مخلوقات الله حتى وإن كانت هناك أسباب فهي ليس لها تأثير وإنما إرادة الله تعالى، وأمره الذي بين الكاف والنون فلا يعجزه شيء، تلك هي التربية الإسلامية التي ينبغي أن تكون واضحة المعالم راسخة في قلب الإنسان، أما إذا عُوّل على الأسباب فهذا ما يتنافى مع الإيمان، لأنه جحود وإنكار مما يوقع في دائرة الكفر، لأن الأنواء ليست من الأسباب لنزول المطر بوجه من الوجوه، وإنما السبب عناية المولى ورحمته وحاجة العباد وسؤالهم لربهم بلسان الحال ولسان المقال، فينزل عليهم الغيث بحكمته ورحمته في الوقت المناسب لحاجتهم وضرورتهم فلا يتم توحيد العبد حتى يعترف بنعم الله الظاهرة ، والباطنة عليه، وعلى جميع الخلق، ويضيفها إليه

ويستعين بها على عبادته وذكره وشكره، وهذا الموضع من محققات التوحيد وبه يعرف كامل الإيمان وناقصه[(١)].

فعلى المربي التوجيه والإرشاد إلى أن الكون والإنسان والحياة مخلوقة لله عز وجل، والله تعالى أزلي الوجود وهو المتصرف في الكون والإنسان والحياة بإرادته[(٢)]، قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء. لا يفنى ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد[(٣)].

من هنا يبرز أثر العقيدة الإسلامية بوصفها الأساس الأول من أسس التربية في الإسلام.

إن غرس العقيدة الإسلامية في نفس المسلم يعد من مهام المربي المسلم ليجعل سلوك الفرد متفقًا مع أهداف التربية الإسلامية، ويضمن بالتالي تحقيق التوازن النفسي والوجداني عند الفرد بخاصة حيال مظاهر الكون، وأخيرًا يستطيع أن يصدر الأحكام المبنية على التصورات الإسلامية الصحيحة للأشياء والظواهر والعلاقات بصور صحيحة[(٤)].

ثانيًا: التربية بالحوار والمناقشة والاستفهام:

لقد استخدم رسول الله ﷺ هذا الأسلوب بكثرة في تربية أصحابه رضي الله عنهم وتوجيههم وإعدادهم إعدادًا إسلاميًا صحيحًا، وهو أسلوب يدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم، والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهو طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبيًا أو مصدقًا لما يسمعه دون فهم وإدراك، وقد توجه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة[(٥)].

---

(١) انظر: القول السديد، السعدي، ٩٣، ٩٤، نقلًا عن الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ص١٥٤، ١٥٥ بتصرف شديد.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي، ص٧٤.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الدمشقي الحنفي، ١/٧٥-٧٨.

(٤) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي، ص٨٦.

(٥) انظر: فلسفة التربية في الحديث النبوي، د. عبدالجواد سيد بكر، ص٢٣٣.

وذلك أن الاستفهام في أصل وضعه، يتطلب جوابًا يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موقعه، وهذا يحمل المخاطب إلى توجيه كل اهتمامه لما يلقى إليه، ليتمكن من فهمه، ثم الإجابة عليه، فإذا كان الاستفهام تقريرًا فمعنى ذلك أنه يحمل المخاطب على الاعتراف، وينزع منه الإجابة بعد التدبر والأناة التي يقتضيها أسلوب الاستفهام[1].

وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الاستفهام في قوله: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟».

من أجل إثارة انتباه الصحابة رضي الله عنهم فالرسول يعلم أن الصحابة لا يعلمون ماذا قال الله، لكن أراد أن ينبههم لهذا الأمر؛ فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم»، وهذا يوجب استحضار قلوبهم[2].

وقد أراد النبي ﷺ بهذا الحوار وهذه المناقشة والاستفهام إبطال اعتقاد الجاهلية بأن المطر ينزل بالأنواء، وبيان نزول المطر وانحباسه يرجع إلى إرادة الله وتقديره وحكمته، وليس لطلوع النجوم وتأثيره فيه[3].

فعلى المربي الاستفادة من أسلوب الحوار والمناقشة والاستفهام في تصحيح وإيضاح العقيدة الصحيحة وإزالة اللبس والأخطاء وما يخالف العقيدة.

ثالثًا: التربية بالحدث والمشاهدة:

التربية بالحدث والمشاهدة تعني استثمار الفرصة المناسبة لموقف معين أو حدث طارئ، أو مشهد، في توجيه موعظة مؤثرة تكون الفرصة المناسبة، أو الحدث الطارئ، أو المشهد المثير، مفتاحًا لهذه الموعظة، وعاملاً نفسيًا دافعًا لتقبلها.

والحياة الدنيا أغلب أوقاتها أحداث وسلوكيات، وأعمال يقوم بها الإنسان، وهذه الأحداث والسلوكيات والأعمال، منها ما هو مقبول معتاد، ومنها ما هو غير مقبول يطرأ أحيانًا وينبغي تصحيحه، وهذا من واجب المربي الذي يحسن كيف يستثمر

---

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية، د. عبدالغني محمد سعيد، ص١٧٢.

(٢) انظر: القول المفيد، ابن عثيمين، ٢/٤٣.

(٣) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح الفوزان، ص١٢٦.

الفرصة والحدث لتصحيح السلوكيات الخاطئة، وتقويم المعوج منها وتصويبه[١]. وقد كانت الأحداث في حياة الجماعة المسلمة الأولى والتوجيهات القرآنية المنزلة فيها، من أبلغ وسائل التربية لهذه الجماعة وأعمقها أثرًا فيها، ففي كل حدث درس، وفي كل درس عبرة لا تنسى[٢].

وقد كان الرسول ﷺ يستثمر الحدث الطارئ، أو الفرصة المناسبة، أو المشهد، لتوجيه أصحابه وحثهم على التأمل والتدبر، والعظة والعبرة، لما يشاهدون أو يسمعون، ولا يدعه يمر دون تصويب رأي معين أو تعديل سلوك خاطئ، أو تقويم خلق منحرف[٣]، وقد استثمر ﷺ في هذا الحديث الذي نحن بصدده حَدَثَ ومشْهدَ نزول المطر، ووجه لهم الاستفهام عما يريد تصحيحه لهم، من اعتقاد باطل وأرشدهم إلى صحيح الدين وصوّب لهم خطأهم وبين أن المطر من نعم الله وفضله وأنه تعالى هو المتصرف فيه ولا علاقة للكواكب والنجوم به.



(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص٢٨٣، ٢٨٤.

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١٥١/٢.

(٣) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص٢٨٥.

٣٢٦- باب تحريم قوله لمسلم: يا كافر

الحديث رقم (١٧٣٤)

١٧٣٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((إذَا قَالَ الرَّجُلُ)) [1] **لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ))** متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله عمر بن الخطاب: سبقت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

باء بها أحدهما: التزمه ورجع به[3].

الشرح الأدبي

الكلمة الطيبة صدقة، وتبسمك في وجه أخيك صدقة، هذا هو المنهج الإسلامي
إقامة العلاقات بين أبناء الأمة الإسلامية، وهو قائم على دعائم راسخة من ا
والقربى، والخطاب المشحون ترغيباً وتراحماً وعطفاً وإخاءً.

والحديث في بنائه الأسلوبي يجسد هذه المعاني الوضيئة، والقيم الجميلة ا
أن يسود إيقاعها، ويُجمِّل لغة الخطاب الذاتي والجمعي بين طوائف الأمة ك

وأسلوب الشرط والجواب يسيطر على صياغة الحديث، لأن موضو
ونتائج: فالجملة الشرطية الأولى تتضمن داخل دائرتها أسلوب نداء، و
يا كافر.. وهو محاصر بين الشرط والجواب، حيث يقول المصطف

---

(١) لفظ مسلم: (أيّما امرئ قال)، ولفظ البخاري: (أيّما رجل قال)، والمثبت لفظا

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم بعد حديث (٦٠/١١١، بدون رقم) واللف
(٤٠٨٦).

(٣) النهاية في (ب و أ).

قال الرجل لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما"، وأداة الشرط "إذا" وهي تفصح عن تحقق هذا القول، وقوله: الرجل: أي المسلم، ولم يقلها: لأن السياق يحتم أن يكون مسلماً مؤمناً لأنه يتهم أخاه بالكفر، والكافر لا يُعبِّر بالكفر، وقوله: "لأخيه" تفيد الإشعار بأن هذا القول فيه تَجنٍّ وإهدار لحق الأخوة الإسلامية.

وجواب الشرط: "فقد باء بها أحدهما" وهذا تلميح في ثوب التصريح: أي أن أحدهما كافر: القائل أو المقول له: والفعل "باء"، بمعنى رجع: ولكنه يوحي بالعذاب والعقاب، كما قال تعالى: ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1].

والجملتان الباقيتان: تفصيل وتوضيح لما أجمله الرسول ﷺ وألمح إليه في الجملة الشرطية الأولى وهما شرطيتان كذلك، ولكنهما تنطويان على سرٍّ بلاغي وهو الإيجاز

ف، فالأولى، حذف منها: جواب الشرط، وحذفه للنفور من التصريح بالكف ،

كان كما قال: فهو من أهلها، أي من أهل ملة الكفر.

، منها: فعل الشرط: والتقدير وإن لم يكن المقول له كذلك، بأن

جعت عليه، أي أن القائل هو الذي يتحمل عبء هذه الصفة،

أحدهما" فالبيان النبوي كما قال الجاحظ: هو الذي قل

حلّ عن الصنعة، ونُزِّه عن التكلف، ﷺ.

ديث

لم أخاه المسلم بذنب، أو بتأويل لا

حيث إن ظاهرها غير

صي، كالقتل والزنا،

لام.

إذا علم ما تقدم، فقد قيل في تأويل الحديث أوجه:

أحدها: أنه محمول على المستحلّ لذلك، وهذا كفر، فعلى هذا يكون معنى "باء بها" أي بكلمة الكفر، وكذا "حار عليه" أي رجع عليه الكفر.

الوجه الثاني: معناه: رجعت عليه نقيصته لأخيه، ومعصية تكفيره.

الوجه الثالث: أنه محمول على الخوارج المكفرين للمؤمنين، وهذا الوجه نقله القاضي عياض عن مالك، وقد ضعفه النووي إذ اختار أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع.

الوجه الرابع: معناه: أنه يؤول به إلى الكفر، وذلك لأن المعاصي بريد الكفر، ويخاف على المكثر منها، أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر.

الوجه الخامس: معناه فقد رجع عليه تكفيره، فليس الراجع حقيقة الكفر، بل التكفير، لكونه جعل أخاه المؤمن كافراً، فكأنه كفر نفسه، إما لأنه كفر من هو مثله، وإما لأنه كفر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: تحريم قول المسلم لأخيه: يا كافر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: التحذير من تكفير المسلمين.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تحريم قول المسلم لأخيه: يا كافر:

وهذا واضح في الحديثين[3]، جاء في الموسوعة الفقهية: "الأصل بقاء المسلم على إسلامه حتى يقوم الدليل على خلاف ذلك، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ صَلّى

---

(١) شرح صحيح مسلم ٤٩/٢، ٥٠، وشرح ابن رجب على صحيح البخاري ٧٠/١، وشرح ابن بطال على صحيح البخاري ٢٤٩/١٧.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٣٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٣٥).

(٣) الحديث رقم (١٧٣٤)، (١٧٣٥).

صَلاتَنا، واسْتَقبلَ قبلتَنا، وأَكلَ ذَبيحتَنا، فهو المُسلِمُ له ما لنا وعليه ما علينا))[١]، ويجب قبل تكفير أي مسلم النظر والتفحص فيما صدر منه من قول أو فعل، فليس كل قول أو فعل فاسد يعتبر مكفراً، ويجب كذلك على الناس اجتناب هذا الأمر والفرار منه وتركه لعلمائهم؛ لخطره العظيم، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا فَإِنْ كَانَ كما قال وَإِلاَّ رَجَعَتْ عليه)).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه)).

ولا ينبغي أن يُكفر مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره خلاف ولو كان رواية ضعيفة، وما يشك في أنه كفر لا يحكم به، فإن المسلم لا يخرجه من الإيمان إلا جحود ما أدخله فيه، إذ الإسلام الثابت لا يزول بالشك مع أن الإسلام يعلو، فإن كان في المسألة وجوه توجب التكفير، ووجه واحد يمنعه، فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير، لعظم خطره وتحسيناً للظن بالمسلم، ولأن الكفر نهاية في العقوبة فيستدعي نهاية في الجناية، ومع الشك والاحتمال لا نهاية"[٢].

وقال ابن تيمية: "ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله، ولا بخطأ أخطأ فيه كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة، فإن الله تعالى قال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٣]، وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء وغفر للمؤمنين خطأهم[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩١.

(٢) الموسوعة الفقهية ٢٢٨/١٣ - ٢٢٩، ومصادرها ومراجعها.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٥.

(٤) أخرجه مسلم ١٢٥.

والخوارج المارقون الذين أمر النبي ﷺ بقتالهم، قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولم يكفرهم عليٌّ بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، لا لأنهم كفار، ولهذا لم يُسب حريمهم ولم يغنم أموالهم.

وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا، مع أمر الله ورسوله ﷺ بقتالهم، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم؟ فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن تكفر الأخرى، ولا تستحل دمها، وإن كانت فيها بدعة محققة، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضا؟، وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ، والغالب أنهم جميعاً جهال بحقائق ما يختلفون فيه.. فهكذا السلف قاتل بعضهم بعضاً من أهل الجمل وصفين ونحوهم، وكلهم مسلمون مؤمنون، كما قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(١)، فقد بين الله تعالى أنهم مع اقتتالهم وبغي بعضهم على بعض إخوة مؤمنون، وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل.

ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضاً موالاة الدين، لا يعادون كمعاداة الكفار، فيقبل بعضهم شهادة بعض، ويأخذ العلم عن بعض، ويتوارثون ويتناكحون ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض، مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك"(٢).

وقال ابن عثيمين: "ومسألة التكفير مسألة خطيرة جداً، فتح بها أبواب شر كبيرة

---

(١) سورة الحجرات، آية: ٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٢/١٧٦ - ١٧٨ .

على الأمة الإسلامية"[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: التحذير من تكفير المسلمين:

وهذا واضح من الحديثين: "إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه"، و"من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه" ورواية البخاري لحديث أبي ذر: (لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك).

قال ابن حجر: "وهذا يقتضي أن من قال لآخر: أنت فاسق، أو قال له: أنت كافر، فإن كان ليس كما قال كان هو المستحق للوصف المذكور، وأنه إذا كان كما قال لم يرجع عليه شيء، لكونه صدق فيما قال. ولكن لا يلزم من كونه لا يصير بذلك فاسقاً ولا كافراً ألا يكون آثماً في صورة قوله له: (أنت فاسق)، بل في هذه الصورة تفصيل: إن قصد نصحه أو نصح غيره ببيان حاله جاز، وإن قصد تعييره وشهرته بذلك ومحض أذاه لم يجز، لأنه مأمور بالتستر عليه وتعليمه وعظته بالحسنى. فمهما أمكنه ذلك بالرفق لا يجوز له أن يفعله بالعنف، لأنه قد يكون سبباً لإغرائه وإصراره على ذلك الفعل، كما في طبع كثير من الناس من الأنفة، لا سيما إن كان الآمر دون المأمور في المنزلة"[٢].

أما إذا كان المقول له غير ما وصفه القائل بالكفر، أو أنه عدو الله، فإن ذلك يرجع عليه، قال ابن حجر: "قال النووي[٣]: "اختلف في تأويل هذا الرجوع فقيل: رجع عليه بالكفر إن كان مستحلاً، وهذا بعيد من سياق الخبر، وقيل: محمول على الخوارج لأنهم يكفرون المؤمنين، هكذا نقله عياض عن مالك[٤] وهو ضعيف، لأن الصحيح عند الأكثرين أن الخوارج لا يكفرون ببدعتهم، قلت - أي ابن حجر - ولما قاله مالك

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٧٨٦/٢.

(٢) فتح الباري ٤٦٦/١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤٩/٢/١ - ٥٠.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣١٨/١.

وَجْه، وهو أن منهم من يكفر كثيراً من الصحابة، ممن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة وبالإيمان، فيكون تكفيرهم من حيث تكذيبهم للشهادة المذكورة، لا من مجرد صدور التكفير منهم بتأويل... والتحقيق أن الحديث سيق لزجر المسلم عن أن يقول ذلك لأخيه المسلم، وذلك قبل وجود فرقة الخوارج وغيرهم.

وقيل: معناه رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره، وهذا لا بأس به، وقيل: يخشى عليه أن يؤول به ذلك إلى الكفر كما قيل: المعاصي بريد الكفر، فيخاف على من أدامها، وأصرّ عليها سوء الخاتمة، وأرجح من الجميع أن من قال ذلك لمن يعرف منه الإسلام ولم يقم له شبهة في زعمه أنه كافر، فإنه يكفر بذلك، فمعنى الحديث: فقد رجع عليه تكفيره، فالراجع التكفير لا الكفر، فكأنه كفر نفسه، لكونه كفر من هو مثله، ومن لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام، ويؤيده أن في بعض طرقه: وجب الكفر على أحدهما[1].

وقال القرطبي[2]: "والحاصل أن المقول له إن كان كافراً كفراً شرعياً، فقد صدق القائل وذهب بها المقول له، وإن لم يكن رجعت للقائل معرة ذلك القول وإثمه، وهو من أعدل الأجوبة، وقد أخرج أبو داود عن أبي الدرداء بسند جيد رفعه: ((إنَّ الْعَبْدَ إذَا لَعَنَ شَيْئاً صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إلَى السَّمَاءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إلَى الأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِيناً وَشِمَالاً فَإِذَا لَم تَجِدْ مَسَاغاً رَجَعَتْ إلَى الذي لُعِنَ فَإنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلاً وَإلاَّ رَجَعَتْ إلَى قَائِلِهَا))[3]"[4].

---

(١) عبارة النووي في شرح مسلم ٥٠/٢/١: الوجه الرابع: معناه: أن ذلك يؤول به إلى الكفر وذلك أن المعاصي كما قالوا: بريد الكفر، ويخاف على المكثر منها أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر، ويؤيد هذا الوجه ما جاء في رواية أبي عوانة الإسفراييني في كتابه المخرج على صحيح مسلم: فإن كان كما قال وإلا فقد باء بالكفر، وفي رواية: إذا قال لأخيه يا كافر وجب الكفر على أحدهما، والوجه الخامس: معناه: فقد رجع عليه تكفيره فليس الراجع حقيقة الكفر، بل التكفير لكونه جعل أخاه المؤمن كافراً، فكأنه كفر نفسه إما لأنه كفر من هو مثله، وإما لأنه كفر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام.

(٢) المفهم ٢٥٣/١ - ٢٥٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٩٠٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٩٩).

(٤) فتح الباري ٤٦٦/١٠ - ٤٦٧.

وقال ابن هبيرة عن حديث أبي ذر رضي الله عنه: "فيه شدة الخطر على من رمى أخاه المسلم بالكفر، فإنه بهذا الحديث على يقين من ارتدادها إليه، إن لم يكن أخوه كما ادعاه، فليحذر أن يقولها أبداً لمن هو من أمره في شكٍ، فإنه على سبيله في ارتداده عليه، إن لم يكن كما ذكره بيقين"(١).

وقال ابن دقيق العيد: "وأما من وصف غيره بالكفر فقد رتب عليه الرسول ﷺ قوله: (حار) بالحاء المهملة: أي رجع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾(٢)، أي يرجع حيّاً، وهذا وعيد عظيم لمن أكفر أحداً من المسلمين وليس كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين ومن المنسوبين إلى السنة وأهل الحديث، لما اختلفوا في العقائد، فغلّطوا على مخالفيهم وحكموا بكفرهم،... والحق أنه لا يكفر أحدٌ من أهل القبلة إلا بإنكار متواتر من الشريعة عن صاحبها، فإنه حينئذٍ يكون مكذباً للشرع، وليس مخالفة القواطع مأخذاً للتكفير، وإنما مأخذه مخالفة القواعد السمعية القطعية طريقاً ودلالة. وعبر بعض أصحاب الأصول عن هذا بما معناه: أن من أنكر طريق إثبات الشرع لم يكفر كمن أنكر الإجماع، ومن أنكر الشرع بعد الاعتراف بطريقه، كفر، لأنه مكذب"(٣).

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

لقد تضمن الحديثان ترهيباً من تكفير المسلمين، لأن ذلك قد يعود على القائل نفسه فيلحق به ما رمى غيره به، وفي هذا ترهيب من هذا القول وهذا الفعل ما بعده ترهيب وتخويف، "ولهذا يجب أن ينزه الإنسان لسانه وقلبه عن تكفير المسلمين"(٤).

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢/١٧٠.

(٢) سورة الانشقاق، آية: ١٤.

(٣) عمدة الأحكام ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٨٧.

الحديث رقم (١٧٣٥)

١٧٣٥- وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه: أنَّه سَمِعَ رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يقولُ: ((مَنْ دَعَا رَجُلاً بالكُفْرِ، أو قالَ: عَدُوَّ اللهِ، وَلَيْسَ كَذلكَ إلاَّ حَارَ عَلَيْهِ)) متفق عليه[1]. "حَارَ": رجع.

ترجمة الراوي:

ابو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

مضمون هذا الحديث يتفق مع مضمون الحديث السابق وهو: التحذير من اتهام المسلم بالكفر، أو وصفه بأنه عدو الله، لأن في ذلك سباً وقذفاً، وإخراجاً من العقيدة الصحيحة، ولا يوجد أبشع من هذه التهمة، ولذلك جاء أسلوب الحديث متسقاً مع التحذير الشديد من خطورة هذه التهمة الباطلة التي تزلزل كيان الجماعة المؤمنة، وقوله: "من" وهو اسم موصول بمعنى الذي، ويتضمن معنى الشرط في الحديث: وهذا اللفظ يمكن أن يحتوي على كل الحالات التي يتهم فيها أناس بالكفر الأبرياء، الذين لم يخرجوا عن الدين الإسلامي، فالحديث قاعدة شرعية محددة، وقوله: "دعا رجلاً"، أي نادى رجلاً مسلماً وقال له أقبل يا كافر، أو قال له بدون نداء، أنت عدو الله، ثم يقول الرسول في إيجاز وإيحاء، "وليس كذلك" أي وليس الرجل كمثل ما قال: أي ليس كافراً، وليس عدو الله.

ويختم الحديث بقوله "إلا حار عليه"، أي أن هذا الاتهام لابد أن يرجع إليه وأن يبوء ذلك المتهم بذلك الذنب وهو الكفر، وقوله: و"ليس كذلك إلا حار عليه": أسلوب قصر، أي أن هذه التهمة المتمثلة في ذلك القول مقصورة على قائلها، وراجعة عليه، وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم: "عليه": ولم يقل: "إليه" لأن الرجوع عليه، يوحي بالعقاب والسخرية والوعيد، أما الرجوع إليه فيوحي باستعادة الحق، وامتلاك هذا العائد الذي كان قد

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٥)، ومسلم (٦١/١١٢) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٨٧).

فقده، وما أحوج الشباب المسلم في عصرنا، وما أحوج بعض علماء الأمة إلى فقه هذا الحديث، والعمل به، لأن أخطر الأحداث، وأعتى المشاكل، وأفدح المصائب، تكمن في إصدار فتاوى التكفير بغير علم وبغير حق، نسأل الله الهداية والنجاة، والعمل بالكتاب والسنة، وإسلام الأمر لله فيما يشكل علينا من الأمور.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولا: من أهداف التربية الإسلامية: البعد عن التنطع والغلو في تكفير المسلمين:

إن من المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها بعض الشباب المسلم: الغلو والتنطع واتباع العاطفة الهوجاء التي لا تنضبط بضوابط الكتاب والسنة، فيخرجون من الإسلام ويحكمون بالكفر على من تلبس ببعض المعاصي الظاهرة، وإن كانت هذه المعاصي لا تنافي أصل التوحيد، ولا يستحلها أصحابها[1].

وقد حرّم الإسلام وصف المسلم بالكفر كما في حديثي الباب حيث قال ﷺ: «إذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ».

وقال ﷺ: «مَنْ دَعَا رَجُلاً بِالكُفْرِ أو قالَ: عَدُوُّ اللَّهِ ولَيْسَ كَذَلِكَ، إلا حارَ عَلَيْهِ».

فعلى المسلم أن ينأى بنفسه عن تكفير المسلمين.

قال الطحاوي: "ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب مالم يستحله"[2].

فالمعاصي بمجردها لا تدل على خروج صاحبها من ملة الإسلام ودخوله في الكفر، وقد قال النبي ﷺ: «لا تَلْعَنُوهُ، فواللَّهِ ما علمتُ أنه يحبُّ اللَّه ورسولَه»[3].

فالمعاصي لا تنافي أصل الإيمان، ولكن تنافي كمال الإيمان.

وقال الطحاوي رحمه الله كذلك: "ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه.."[4]، فقد جعل الله عز وجل للإسلام بابًا وهو الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فمن فعل فعلاً أو قال قولاً يتنافى مع هذا الإقرار السابق يخرج به من ملة الإسلام إلى ملة الكفر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[5].

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص١٢٩.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ٤٣٢/٢.

(٣) أخرجه البخاري، ٦٧٨٠.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ٤٥٨/٢.

(٥) سورة النساء، الآية ٤٨.

وقال ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ إيمَانٍ»[1].

قال الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق: "ولكن التشدد والتطرف الذي هو آفة الآفات، وغاية الشرور، وسبيل هدم الدين وتمزيق جماعة المسلمين، هو الغلو في التكفير، والتنطع بإخراج المسلم عن الإسلام بالمعصية التي لا تبلغ درجة الكفر، واستحلال دمه وماله بذلك، وهذا النوع من الغلو هو الذي فرق أمة الإسلام على عهدها الأول، ففي طريقه استحلت طائفة من المسلمين دم الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، زاعمين أنه لا يسير على طريقة الشيخين، واستحلوا بعد ذلك قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ..."[2][3].

ثانيًا: التربية بالترهيب:

من أساليب التربية في هذا الباب التربية بالترهيب، حيث رهب النبي ﷺ من رمي المسلم بالكفر أو بأنه عدو لله..

فإن الحكم على الإنسان بالكفر حكم خطير له آثاره العظيمة، فلا يجوز لمسلم أن يقدم عليه إلا ببرهان واضح، ودليل ساطع[4]، لذا قال النبي ﷺ: «إذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا...».

وقال ﷺ: «مَنْ دَعا رَجُلاً بالكُفْرِ أو قالَ: عَدُوُّ اللَّهِ ولَيْسَ كَذَلِكَ، إلا حارَ عَلَيْهِ».

قال ابن دقيق العيد: "وهذا وعيد عظيم لمن كفّر أحدًا من المسلمين، وليس كذلك وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق من العلماء اختلفوا في العقائد وحكموا بكفر بعضهم بعضًا"[5].

---

(١) أخرجه البخاري، ٧٤٣٩، ومسلم، ١٨٣مطولًا، والترمذي، ٢٥٩٨ واللفظ له.

(٢) فصول في السياسة الشرعية في الدعوة، ١٢٥: ١٢٦ باختصار.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص١٢٩-١٣١.

(٤) الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ص٢٦١.

(٥) انظر: الكفر الذي يعذر صاحبه بالجهل، وحكم من يكفر غيره من المسلمين، عبدالله أبابطين، مكتبة السلام العالمية، القاهرة، ١٤٠١هـ، ص٨.

فهذه الأحاديث وأمثالها فيها التربية بالتحذير والترهيب من التكفير والزجر عنه لأنه حكم شرعي، مضبوط بضوابط معلومة من نصوص الكتاب والسنة، فلا يصار إليه بمجرد الهوى والجهل، فإن "من ادعى دعوى وأطلق فيها عنان الجهل مخالفاً لجميع أهل العلم، ثم مع مخالفتهم يريد أن يكفر ويضلل من لم يوافقه عليها، فهذا من أعظم ما يفعله كل جهول"[١]، ولأن أصل الإيمان والكفر محلهما القلب، ولا يطلع على ما في القلوب إلا الله[٢].

فعلى المربي أن يستخدم أسلوب التربية بالترهيب من مزلق تكفير الناس ويمكن أن يبين خطورة هذا الأمر بإيضاح الآثار الخطيرة المترتبة على هذا الأمر التي منها:

١ - عدم حل زوجته له، وتحريم بقائها وبقاء أولادها تحت سلطانه.

٢ - وجوب محاكمته لتنفيذ حد الردة عليه بعد إقامة الحجة والاستتابة.

٣ - أنه إذا مات لا تجرى عليه أحكام المسلمين، فلا يغسل، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث.

٤ - أنه إذا مات على الكفر وجبت عليه لعنة الله والخلود الأبدي في النار[٣].

فالتكفير لفظ بسيط ولكن خطره عظيم وتترتب عليه الآثار الخطيرة التي يجب على المسلم أن يربأ بنفسه عنها.



(١) تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري، ومعه الرد على الاخنائي: ابن تيمية، ط٢، الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، دلهي، الهند، ١٤٠٥هـ، ص١٢٥.

(٢) الغلو في الدين، عبدالرحمن اللويحق، ص٢٦٢.

(٣) انظر: ظاهرة الغلو في التكفير، د. يوسف القرضاوي، ط٢، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤٠٥هـ، ص٢١، ٣٢.

٣٢٧- باب النهي عن الفحش وبذاء اللسان

الحديث رقم (١٧٣٦)

١٧٣٦- عن ابن مسعود ﵁، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((لَيْسَ المُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ، وَلاَ اللَّعَّانِ، وَلاَ الفَاحِشِ، وَلاَ البَذِيِّ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

الطَّعَّانُ: الوقَّاعُ في أعراض الناس بالذمِّ والغيبة ونحوهما[2].

اللعَّان: الكثير السبِّ للنَّاس[3].

الفاحش: الذي ينطق لسانه بقَذَع الكلام ورديئه[4].

البذيء: الفاحش القول[5].

الشرح الأدبي

إن خلق المسلم ميزان شخصيته، ومعيار مصداقيته، والمؤمن من أَمِن جارهُ بوائقَه، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

وهذا البيان النبوي الكريم يَعْرِض مرآة المؤمن وهي مجلوَّة، ناصعة صافية، نقية ضافية.

---

(١) برقم (١٩٧٧)، وتقدم برقم (١٥٥٧). صحّحه ابن حبان (الإحسان ١٩٢)، وقال الحاكم (١٢/١): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٢٨٧٣): رواه الترمذي بإسناد صحيح. وروي موقوفًا ومرفوعًا، وقال الدارقطني في العلل (٧٣٨): والموقوف أصحُّ.

(٢) النهاية في (طع ن).

(٣) الوسيط في (ل ع ن).

(٤) النهاية في (ف ح ش).

(٥) الوسيط في (ب ذ أ).

والحديث في منطوقه ينفي عن المؤمن هذه السلوكيات، التي لا يرتكبها إلا الحمقى والسفهاء من الناس، وفي مفهومه يؤكد أن المؤمن لسانه لا ينطق إلا بالحق، ولا يتحرك إلا بالصدق، وهو كما قال الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وهو ليس من هذا الصنف الذي صوّره الشاعر في هذه الصورة السلوكية المرفوضة:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب

والحديث في بنائه الأسلوبي يتكون من جملة واحدة، ومعطوف عليها ما يكملها أو يفصل جوانبها.

ويبدأ الحديث بالفعل الناقص الناسخ "ليس" وصيغة النفي هنا: تبرئ ساحة المؤمن من هذه الأدواء الضارة: الطعن ، واللعن، والفحش، والبذاءة.

ولكن هذه التبرئة تزداد رسوخًا ، ونقاءً من خلال هذه الصيغ اللغوية التي جاءت في إطارها هذه الصفات فقوله "ليس باللعان"، صيغة مبالغة فليس المؤمن كثير اللعن، ولم يتخذ من ذلك عادة له أو سلوكًا يوميًا ، واللعن هو: الطرد من رحمة الله، فهو لا يدعو على الناس بذلك حتى ولو كانوا من العاصين، وكذلك قوله: "ليس بالطعان"، فهو لا يتخذ من الطعن في الأنساب، أو الغمز واللمز، والتندر بالعيوب، سلوكًا يوميًا له، وعادةً لا يستطيع التخلص منها ، وكذلك: الفاحش اسم فاعل، يفيد: القيام بفعل الفحش عن عمد وسبق إصرار، والفحش هو القول السيئ: الذي يخوض في أعراض الناس وسيرهم، أو يشوّه تعاليم الدين، أو آيات القرآن الكريم، بإقحامها في بعض الأشعار أو القصص، كما يفعل بعض المرجفين من الأدباء والشعراء، الذين لا يدركون القيمة الحقيقية للدين ومعالمه.

وفي الحديث وجه بلاغي آخر، وهو العدول عن مجيء خبر ليس صريحًا إلى مجيئه مقترنًا بالباء الزائدة ومقرنًا باللام التي تفيد التعريف والتخصيص، والباء مزيدة للحصر والتأكيد، وأصل الأسلوب هو، ليس المؤمن طعانًا ، ولا لعانًا ، ولا فاحشًا، ولا بذيئًا، والتعبير في صياغة الحديث أقوى أسلوبًا وأكثر إيحاءً، لأن المبني وعاءٌ للمعنى.

فقه الحديث

وفي الحديثين[1] من الفقه: تحريم الفحش، واللعن، والسب، وأن ذلك ليس من صفات المؤمن الكامل[2].

وقد عدّ ابن حجر الهيتمي سب المسلم، والاستطالة عليه من الكبائر[3].

ومحل حرمة اللعن إن كان معينًا بالشخص ولو فاسقًا، أو كافرًا حيًا أو ميتًا، لم يعلم موته على الكفر، لاحتمال أنه ختم له بالإسلام.

بخلاف من علم أنه ختم له بغير الإسلام، كفرعون، وأبي جهل فإنه يجوز سبه ولعنه، وكذا يجوز لعن غير المعين بالشخص، بل بالوصف كلعنة الله على الكاذبين، أو الظالمين[4].

وفيهما: بيان فضل الحياء، وأنه ما دَخل في شيء إلا زانه، إذ هو شعبة من الإيمان كما دلت على ذلك السنة الصحيحة.

المضامين الدعوية[5]

---

(١) الحديث رقم (١٧٣٦)، (١٧٣٧).

(٢) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢٨٢/٤، والمجموع للنووي ٣٢٥/٤، والفواكه الدواني ٢٧٨/٢، وتهذيب السنن لابن القيم ١٧٢/١٣، ١٧٣، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٤/٦، وسبل السلام ١٩٨/٤.

(٣) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢٨٢/٤.

(٤) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢٨٢/١٤، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٤/٦.

(٥) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٥٧).

الحديث رقم (١٧٣٧)

١٧٣٧-وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((**مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إلاَّ شَانَهُ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إلاَّ زَانَهُ**)). رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

شانه: عابه[٢].

زانه: جمَّله وحسَّنه[٣].

الشرح الأدبي

إن جمال الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، ينبع من هذه المفارقة التي تجمع طرفي الحديث، حيث التضاد والمقابلة بين الفحش والحياء، وبين الفعلين "شانه، وزانه"، فالفحش هو مجاوزة الحد المعروف شرعًا وعرفًا، والحياء هو: الإمساك عن اقتراف ما يعيب الإنسان، وعدم الاجتراء على المعاصي، وعدم الجهر بها، وكراهة الخوض في أحاديث الفحش واللهو.

ويؤازر الطباق في هذا الحديث: لون بديعي آخر هو: الجناس بين "شانه، وزانه"، وهو يحدث أثرًا صوتيًا مؤثرًا يدعو إلى عقد المؤازرة والمقارنة بين هاتين الحالتين، ففيهما: طباق، وجناس، وسجع.

وأسلوب الحديث جاء في صيغة: "القصر" عن طريق النفي والاستثناء، وهذا القصر

---

(١) برقم (١٩٧٤). قال المناوي في كشف المناهج (٣٩١٩): وهذا سند لا غبار عليه، رجاله من أجلّ أئمة الدين وأعظم علماء المسلمين، خرّج لهم الشيخان، إلا محمد بن عبد الأعلى، فإنه لم يخرج له البخاري. أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٩٤).

(٢) الوسيط في (ش ي ن).

(٣) الوسيط في (ز ي ن).

يفيد الحصر، وذلك يدعو إلى مزيد من تجنب الفحش، لأن العيب في الأشياء وقبحها مرتبط بالفحش، ومقصور عليه؛ وأما الحياء: فأسلوب القصر يؤكد التمسك بهذه القيمة الأخلاقية والسلوكية، لأنها من مظاهر الجمال والتحضر في السلوك الاجتماعي، وكلمة "في شيء" توحي بالتقصي، وعدم ترك أي مظهر: حركة أو فعلاً أو قولاً، إلا كان الجمال في مصاحبة الحياء قرينًا لذلك السلوك. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: قبح الفحش.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضيلة الحياء.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: قبح الفحش:

وهذا واضح من قوله ﷺ: (ما كان الفحش في شيء إلا شانه)، قال الطيبي: "قوله: (في شيء) فيه مبالغة، أي لو قدر أن يكون الفحش أو الحياء في جماد لزانه أو شانه، فكيف بالإنسان"[١]، ولا شك أن هذا يدل على قبح الفحش، قال الراغب: "الفحش لغة: ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال"[٢]، وقال ابن حجر: "الفحش كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح، ويدخل فيه القول والفعل والصفة، يقال: طويل فاحش الطول إذا أفرط في طوله، لكن استعماله في القول أكثر، والمتفحش بالتشديد الذي يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه"[٣].

وقال الغزالي: "الفحش: التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة، وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به، فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه، وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكنون بها، ويدلون عليها بالرموز

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١١٧/٩.

(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٣٧٣ - ٣٧٤.

(٣) فتح الباري ٤٥٣/١٠، ط/ السلفية.

فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها... وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها، ويستعمل أكثرها في الشتم والتعيير، وهذه العبارات متفاوتة في الفحش، وبعضها أفحش من بعض، ربما اختلف ذلك بعادة البلاد، وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها... والباعث على الفحش، إما قصد الإيذاء، وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق، أهل الخبث واللؤم، ومن عادتهم السب"[1].

ولهذا نهى النبي ﷺ عن الفحش فقال: ((وَإِيَّاكُمْ والفُحْشَ، فإنَّ الله لا يُحِبُّ الفُحْشَ ولا التَّفَحُّشَ))[2].

كما قال ﷺ: ((إنَّ شر الناس مَن تركه الناس ـ أو وَدَعهُ الناس ـ اتقاءَ فُحشِهِ))[3].

وكان النبي ﷺ أبعد ما يكون عن هذه الصفة الذميمة قال في وصفه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ((لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا))[4].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: ((لم يكن النبي ﷺ سَبّاباً ولا فحاشًا ولا لعّانًا كان يقول لأحدنا عندَ المعتبة: ما لهُ تَرِبَ جبينهُ))[5].

قال ابن حجر: "قال الداودي: قوله: ترب جبينه: إنها كلمة تجري على اللسان لا يراد حقيقتها"[6].

"وإنما كان الفحش قبيحًا، لكونه يهون ارتكاب المنكرات والمعاصي، فإن من لا يستحيي يكون راكبًا للفواحش، مرتكبًا للقبيح، لا يحجزه ذلك حياء ولا دين، فلا يبالي من العار والمعاصي ما يأتي"[7].

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٣/١٥٩٨ - ١٥٦٩.

(٢) أخرجه أحمد ٢/١٦٠ رقم ٦٤٨٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ١١/٢٦.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٥٤، ومسلم ٢٥٩١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٢٩، ومسلم ٢٣٢١.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠٣١.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ١٠/٤٥٣.

(٧) التمهيد شرح الموطأ، لابن عبدالبر ٢٢/٤٨ موسوعة شروح الموطأ.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضيلة الحياء:

وهذا واضح من قوله ﷺ: (وما كان الحياء في شيء إلا زانه)، وذلك لأن الحياء في الشرع: "خلق يبعث على اجتناب القبيح من الأفعال والأقوال، ويمنع التقصير في حق ذي الحق"[١]، "والحياء من خصائص الإنسان وغريزة فيه، وإن كان استعماله على وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية، فإنه يردع عن ارتكاب كل ما يشتهيه، فلا يكون كالبهيمة [ولذا] فإن الحياء بمعناه الشرعي مطلوب. وقد حث عليه النبي ﷺ ورغب فيه، لأنه باعث على أفعال الخير، ومانع من المعاصي، ويحول بينه وبين القبائح، ويمنعه مما يعاب به ويذم، فإذا كان هذا أثره فلا شك أنه خلق محمود، لا ينتج إلا خيرًا، فالذي يهم بفعل فاحشة فيمنعه حياؤه من اجتراحها، أو يعتدي عليه سفيه فيمنعه حياؤه من مقابلة السيئة بالسيئة، أو يسأله سائل فيمنعه حياؤه من حرمانه، أو يضمه مجلس فيمسك الحياء بلسانه عن الكلام، والخوض فيما لا يعنيه، فالذي يكون للحياء في نفسه هذه الآثار الحسنة، فهو ذو خلق محمود، فقد ورد أن النبي ﷺ مرّ على رجل يعظ أخاه في الحياء، فقال له: ((دَعْهُ، فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ))[٢]، وقال ﷺ: ((الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ))[٣].

وفي الصحيحين: ((كَانَ النبيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ، عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ))[٤]... قال العلماء: "الحياء من الحياة، وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح"[٥]، وأولى الحياء: الحياء من الله، والحياء منه ألا يراك حيث نهاك ويكون ذلك عن معرفة

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٥٩/١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤، ومسلم ٣٦ من حديث عبداله بن عمر رضي الله عنهما واللفظ للبخاري، قال ابن حجر: كان الرجل كثير الحياء فكان ذلك يمنعه من استيفاء حقوقه، فعاتبه أخوه على ذلك، فتح الباري ٩٤/١ ط/ الريان.

(٣) أخرجه البخاري ٦١١٧، ومسلم ٣٧.

(٤) أخرجه البخاري ٦١٠٢، ومسلم ٢٣٢٠.

(٥) مدارج السالكين ٦٠١/٢.

ومراقبة، وهو معنى قوله ﷺ: ((الإحسان أن تَعبُدَ اللَّهَ كأنكَ تراه، فإن لم تَكنْ تراه فإنه يراك))[1].

وقال ابن القيم: "ومن كلام الحكماء: أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيي منه، وعمارة القلب بالهيبة والحياء، فإذا ذهبا من القلب لم يبق فيه خير"[2].

ويجري في الحياء الأحكام التكليفية، فإن كان المستحيي منه محرمًا فالحياء منه واجب، وإن كان المستحيي منه مكروهًا فهو مندوب، وإن كان المستحيي منه واجبًا فالحياء منه حرام، وإن كان من مباح فهو عرفي أو جائز. فالحياء من تعلم أمور الدين وما يجب على الإنسان العلم به، ليس بحياء شرعي"[3].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

هذا واضح من الحديث، فقد أخبر النبي ﷺ أن الفحش صفة تشين صاحبها كما أن الحياء صفة تزين من يتحلى بها، ولا شك أن هذا ترغيب في خلق الحياء وتنفير من الفحش والتفحش، قال الطيبي: "قوله ﷺ: (في شيء)، فيه مبالغة أي لو قدر أن يكون الفحش أو الحياء في جماد لزانه أو شانه، فكيف بالإنسان"[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠، ومسلم ٩.

(٢) مدارج السالكين ٢/٦٠١.

(٣) الموسوعة الفقهية، ١٨/٢٦١ - ٢٦٢.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ٩/١١٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على صون اللسان:

من أهم أهداف التربية الإسلامية التربية على صون اللسان وحفظه من الآفات، ويعني ذلك كف اللسان عن الكلام في كل ما يخالف الشرع، والآداب والأخلاق العامة، وعن الخوض فيما تقتضي الحكمة السكوت فيه، بما يحفظ على الإنسان مروءته وكرامته، فلا يتجرأ عليه أحد من الناس، ولا يتهم في سيرته، ولا يظن فيه الخروج عن أعراف المجتمع وعاداته ونظمه[١].

من آفات اللسان التي ينبغي الاحتراز منها: الفحش والبذاءة، لذلك وضع النووي عنوان الباب باب النهي عن الفحش وبذاء اللسان، وأورد فيه حديث ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: «لَيْسَ المُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ ولاَ اللَّعَّانِ ولا الفَاحِشِ ولا البَذِيِّ».

وحديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما كان الفحش في شيء إلا شانه...» والفحش والسب من الأخلاق المذمومة التي يترفع عنها كل ذي طبع سليم وفطرة صافية فضلاً عن أن يكون ذا دين قويم وورع يقيه من التردّي في حمأة الرذيلة ويسمو به للتحلي بكل فضيلة. روي: «شتم رجل حكيمًا، فقيل له: هلا غضبت، فقال: كفاه خِسة أن يشتم ولا يشتم»[٢].

وقد اتفقت الشرائع على ذم هذا الخلق والنهي عنه، والأمر بحفظ اللسان وتعهده[٣].

لهذا وجب على الآباء والأمهات والمربين جميعًا.. أن يعطوا للأولاد القدوة الصالحة في حسن الخطاب، وتهذيب اللسان، وجمال اللفظ والتعبير.. كما يجب عليهم أن يجنبوهم لعب الشارع، وصحبة الأشرار، وقرناء السوء حتى لا يتأثروا من انحرافهم، ويكتسبوا من عاداتهم، ويجب عليهم كذلك أن يبصروهم مغبة آفات اللسان، ونتيجة البذاءة؛ في

---

(١) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، مجموعة من العلماء، ٨/٢١.

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: د. سليم النعيمي، ط١، دار الذخائر للمطبوعات، قم إيران، ١٤١٠هـ، ٤٢٨/٢.

(٣) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق، ١٧/٢١.

تحطيم الشخصية، وسقوط المهابة، وإثارة البغضاء والأحقاد بين أفراد المجتمع.

وأخيرًا وجب على المربين أيضًا أن يلقنوا أولادهم الأحاديث التي تحذر من السباب والشتائم، والتي تبين ما أعد الله للفحّاشين واللعّانين من إثم كبير، وعذاب إليم... عسى أن ينزجروا بها، ويتأثروا بتوجيهاتها ومواعظها."[١].

ثانيًا: من أهداف التربية الإسلامية: غرس الحياء في النفوس:

إن من أبرز أهداف التربية الإسلامية غرس خلق الحياء، لأنه صفة أخلاقية غالبة لكثير من القيم والمكارم، فما ذكرت فضيلة أو مكرمة إلا كان الحياء وراءها، وما سلك الإنسان مسلكًا حميدًا ولا باشر قولاً سديدًا أو رأيًا شديدًا إلا كان الحياء ركيزة الحمد وأساس السداد وسبيل الرشاد[٢]. وفي بيان ذلك قال النبي ﷺ: «وما كان الحياء في شيء إلا زانه».

فالحياء خلق عظيم، يبعث على فعل الجميل، وترك القبيح[٣].

وما أجمل الحياء ما كان متدرعًا بالإسلام وتعاليمه، فيجمع مع العفاف الانصياع للإسلام الذي جاء متممًا لمكارم الأخلاق.

من أجل ذلك فإن غرس الحياء من أهم متطلبات التربية الإسلامية فهو قاعدة أخلاقية عظيمة في تنظيم السلوك الإنساني، وقد وضع له النبي ﷺ قاعدة جامعة في ألفاظها ومعانيها، فقال لصحابته «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحياءِ»، قال: عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: قلنا: يَا رسولَ اللَّهِ، إنَّا نَسْتَحِي وَالحَمْدُ للَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الإِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَتَحْفَظَ البَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ»[٤].

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/١٧٩.

(٢) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق، ٥/٢٥.

(٣) الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد، ص٦١.

(٤) أخرجه الترمذي، ٢٤٥٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٠٠٠).

فهذا الحديث يعد من جوامع كلمه - صلوات الله عليه وسلامه - وهو في إطاره العام يأمر الإنسان بالحياء، ليكون إنسانًا سويًا في حياته، ولصالح معاشه ومعاده، لأنه يوجه جوارح الإنسان وملكاته لخيره وخير الإنسانية، ويجعل من الحياء مسيطرًا أخلاقيًا عليه، ومنظمًا أدبيًا وتربويًا له، وهذا التعريف لم يسمح لأي حاسة أو جارحة أن تفلت عن الانضباط الأخلاقي والسلوكي الذي يعينه الحياء، وأثره في الجوارح، المحددة في الرأس وما وعاه، والبطن وما حواه خصوصًا، فالرأس يعني العقل، كما أنه وعاء السمع والبصر، وأدوات الشم والتذوق، وآلة النطق. والبطن يحوي مضغة القلب والأداة المسيطرة على الجسد كله، الذي يصلح بصلاحها، ويفسد بفسادها، كما يحوي بيت الأكل والشرب الذي يمد كل هذه الحواس بالطاقة أو وقود الحركة.

ويتصل بالبطن ووظيفته: البضع، والجوارح الأخرى، كاليدين والرجلين، فالحياء زمام ذلك كله، وصمام أمنه وأمانه.

ومتى كان ذلك مرعيًا دعا إلى تذكر الموت والبلى، والزهد في زينة الدنيا، واستهداف الإنسان الباقيات الصالحات[1].

من أجل ذلك ما كان الحياء في شيء إلا زانه.

فينبغي على المربي أن يحرص على غرسه في النفوس فهو من جوامع الأخلاق في الإسلام، وكذلك إذا نجح الوالدان في غرس حب الحياء في نفس ابنهما يعني إمكانية حمل الصبي على جملة كبيرة من الأخلاق لأن الحيي لا يكذب، ولا يسرق، ولا يغش، ولا يفجر، ...إلخ. وأن من يفعل كل ذلك لا يستحي. قال ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[2][3].

۞ ۞ ۞

---

(١) انظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق، ٩/٢٥، ١٠.

(٢) أخرجه البخاري، ٦١٢٠.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي، ص٢٥٢، ٢٥٨.

٣٢٨- باب كراهة التقعير في الكلام

والتشدُّق فيه وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللُّغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم

الحديث رقم (١٧٣٨)

١٧٣٨- عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قال: ((هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ)) قَالَهَا ثَلاَثاً. رواه مسلم[١]. "المُتَنَطِّعُون": المُبالغُون في الأمور.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتضمن التنبيه إلى عدم التكلف في الكلام وعدم التنطع، والتمطق، والتفيهق، وهذا التنبيه ورد في صيغة الدعاء على هؤلاء الذين يبالغون في الأمور، ويتشدقون بالكلام، وتكرار هذا الدعاء ثلاث مرات، يؤكد رفض رسول الله ﷺ لهذه الصفة التي تنفر السامعين، وتحول بينهم وبين الإقبال على رياض الدعوة، والامتثال للمواعظ الحسنة، وقد كان رسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة في الاعتدال والاتزان، وسلامة المنطق فقد برئ أسلوبه من تنافر الحروف، ومن التعقيد والمعاظلة في المنطق، ومن الغرابة المستكرهة، ومن الألفاظ الوعرة الوحشية، في غير قصد أو غرض.

كما برئ منطق رسول الله ﷺ من عيوب النطق التي تصدر عن مبالغة وتكلف كسباً لرضا المستمعين، مثل: التنطع، والتمطق، والتفيهق والتشادق، وغيرها.

فالتنطع في الكلام، هو رمي اللسان إلى نطع الفم أي الغار الأعلى، مبالغة من المتكلم في إظهار الكلام، والتأثير في المستمعين.

---

(١) برقم (٢٦٧٠/٧)، وتقدم برقم (١٤٤).

والتمطق: هو ضم الشفتين ورفع اللسان إلى الغار الأعلى للفم، والتفيهق هو الكلام من أقصى الفم.

وقد أبدى النبي ﷺ رفضه للتكلف في الكلام بأي نوع من أنواع التكلف كالثرثرة والتفيهق وغيرها، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»[1].

فقه الحديث

وفي الأحاديث من الفقه: كراهة التكلف في الأمور كلها أفعالاً، وأقوالاً واستحباب التيسير وحسن الخلق[2].

المضامين الدعوية[3]

(١) أخرجه الترمذي، ٢٠١٨، وصححه الألباني، انظر (سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٧٩١).

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبدالسلام ٢/١٧٤، وتهذيب السنن لابن القيم ١٣/٩١، وشرح صحيح مسلم ١٦/٢٢٠، وعون المعبود ١٢/٣٣٥.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٤٤).

الحديث رقم (١٧٣٩)

١٧٣٩- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال: ((إنَّ اللهَ يُبْغِضُ البَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَقَرَةُ)) رواه أبو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة: يتشدَّق في الكلام ويُفَخِّم به لسانه ويلفُّه كما تلفُّ البقرةُ الكلأ بلسانها لفًّا[2].

الشرح الأدبي

ما أبشع هذه الصورة المنفرة التي يصور بها رسول الله ﷺ: هذا الصنف من الرجال: وهم المتكلفون المتشدقون الذين يدعون البلاغة والفصاحة، ويبالغون في إخراج الكلمات والحروف: ويتشدقون: وهم يلفون ألسنتهم ويلوونها بالحروف والكلمات كما تلف البقرة الكلأ بلسانها.

وهذه صورة عجيبة غريبة: تدعو للنفور، وكل من لديه هذا العيب في النطق.. عندما يقرأ هذا الحديث، ويتخيل صورته وهو يتكلم: وكأنه بقرة تخضم الكلأ ثم تخور، وترغى وتزبد، والتأكيد في بداية الحديث في قوله: "إن الله يبغض البليغ": وإسناد البغض إلى الله.

والمضارعية في "يبغض" الدالة على الاستمرار، كل هذه الظواهر الأسلوبية تؤكد رفض رسول الله ﷺ لهذه الصفة الممقوتة، والبلاغة المزعومة؛ وقوله: "البليغ من

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٠٥)، والترمذي (٢٨٥٣) واللفظ له، إلا قوله: (بلسانه). وصحّحه أبو حاتم كما في العلل لابنه (٢٥٤٧).

(٢) النهاية في (خ ل ل).

الرجال": يوحي بالسخرية، لأن البلاغة محمودة، أما هذه فبلاغة مصنوعة: متكلفة.

وفي وصف هند بن أبي هالة لطريقة كلام رسول الله ﷺ في أحاديثه: تأكيد لمبدأ الفصاحة والاعتدال، وعدم الغلو، وعدم المبالغة حيث كان ﷺ يفتتح الكلام، ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم، والعيوب التي تصيب حاسة النطق عند كثير من المتحدثين والخطباء والعلماء، وعامة الناس. قد سلم منها حديث النبي ﷺ، ومنطقه، فهو أفصح العرب، وأوتي جوامع الكلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن التشدق في الكلام.

ثانياً: من فقه الداعية: توضيح المعنى بما هو أوضح وأقرب للمدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن التشدق في الكلام:

هذا واضح من الحديث: (إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها)، قال ابن الأثير: "هو الذي يتشدق في الكلام ويفخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفا"[١].

وقال الطيبي: "قال البيضاوي: شبه إدارة لسانه حول الأسنان والفم حال التكلم تفاصحاً، بما تفعل البقرة، واستعماله بالتاء قليل"[٢]، وقال المباركفوري: "قوله: البليغ، أي: المبالغ في فصاحة الكلام وبلاغته (من الرجال) أي مما بينهم، وخُصّوا لأنه الغالب فيهم، (الذي يتخلل بلسانه)، أي: يأكل بلسانه أو يدير لسانه حول أسنانه، مبالغة في إظهار بلاغته وبيانه"[٣].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَمَا تَأْكُلُ البَقَرُ بِأَلْسِنَتِهَا))[٤]، وفي رواية: كان عمر بن سعد

---

(١) النهاية في غريب الحديث ص ٢٨٣.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٩/٩٢.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢١٢٦.

(٤) أخرجه أحمد ١/١٨٤ رقم ١٥٩٧، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٣/١٥٤.

بن أبي وقاص إلى أَبِيهِ ﷺ حَاجَةٌ، فَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَىْ حَاجَتِهِ كَلَاماً، مِمَّا يُحَدِّثُ النَّاسُ يُوصِلُونَ، لَمْ يَكُنْ يَسْمَعُهُ. فَلَمَّا فَرَغَ. قَالَ: يَا بُنَيَّ، قَدْ فَرَغْتَ مِنْ كَلَامِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَا كُنْتَ مِنْ حَاجَتِكَ أَبْعَدَ، وَلاَ كُنْتُ فِيكَ أَزْهَدَ مِنِّى مُنْذُ سَمِعْتُ كَلَامَكَ هَذَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((سَيَكُونُ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرَةُ مِنَ الأَرْضِ))[(١)].

وقال الطيبي: "قال التوربشتي: ضرب بهذا المثل لمعنيين: أحدهما: أنهم لا يهتدون من المأكل إلا ذلك سبيلاً، كما أن البقرة لا تتمكن من الاحتشاش إلا بلسانها، والآخر: أنهم في مغزاهم ذلك كالبقرة التي لا تستطيع أن تميز في رعيها بين الرطب والشوكة وبين الحلو والمر، بل تلف بلسانها لفاً، فكذلك هؤلاء الذين يتخذون ألسنتهم ذريعة إلى مأكلهم، لا يميزون بين الحق والباطل، ولا بين الحلال والحرام، سماعون للكذب آكلون للسحت"[(٢)].

وعدّ ابن عثيمين التقعر في الكلام من آفات اللسان، فقال: "من آفات اللسان التقعر في الكلام والتشدق حين يتكلم بملء شدقيه، وحين يتكلم عند العامة في غرائب اللغة العربية؛ إما رياءً ليقول الناس: ما أعلمه باللغة العربية! أو لغير ذلك، فالإنسان ينبغي أن يكون كلامه ككلام الناس، الكلام الذي يفهم حتى وإن كان بالعامية ما دام يخاطب العوام، أما إذا كان يخاطب طلبة علم وفي مجلس التعلم، فهنا ينبغي أن يكون كلامه بما يقدر عليه من اللغة العربية"[(٣)].

وقال الأصمعي: "كنت إذا سمعت أبا عمرو بن العلاء يتكلم، ظننته لا يعرف شيئاً، كان يتكلم كلاماً سهلاً"[(٤)] والعجب أن أبا عمرو بن العلاء هو شيخ القراء والعربية[(٥)].

---

(١) أخرجه أحمد ١/١٧٦ رقم ١٥١٧ وقال محققو المسند: حسن لغيره ٣/١٠٣.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٩/٩٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٨٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ٦/٤١٠.

(٥) سير أعلم النبلاء ٦/٤٠٧، ومعالم في طريق طلب العلم ص ١٧١.

وقال الدكتور عائض القرني: "لا نتكلف في القول بتشقيق الخطب والتفاصح وطلب الإغراب، والتشدق بالألفاظ وتميق السجع، والتفيهق لقصد الرفعة"[١].

ثانياً- من فقه الداعية: توضيح المعنى بما هو أوضح وأقرب للمدعوين:

وهذا واضح من تشبيهه ﷺ بالذي يتشدق في كلامه بالبقرة في أكلها الكلأ، قال الطيبي: "قال التوربشتي: ضرب للمعنى مثلاً يشاهده الراؤون من حال البقر، ليكون أثبت في الضمائر، وذلك أن سائر الدواب تأخذ من نبات الأرض بأسنانها والبقر بلسانها"[٢].

ومن هذا القبيل توضيح النبي ﷺ أن الحمى تذهب بخطايا الإنسان، فأوضح ذلك المعنى بما يفهمه المدعوون كلهم حق الفهم، فقال ﷺ لأم السائب أو أم المسيب عندما سبَّت الحمى قال لها: ((لاَ تَسُبِّي الْحُمَّى. فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ. كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ))[٣].

قال ابن عثيمين: "أخبر ﷺ أنها تذهب بالخطايا كما يذهب الكير بخبث الحديد، فإن الحديد إذا صهر على النار ذهب خبثه وبقي صافياً، كذلك الحمى تفعل في الإنسان كذلك"[٤].

ومن هذا القبيل أيضاً تشبيه النبي ﷺ لما تكفره الصلاةُ من الذنوب بالنهر الجاري يطهر البدن مما يعلق به من الوسخ ونحوه، وهذه صورة واضحة أشد ما يكون الوضوح في أذهان كل المدعوين، فقال ﷺ: ((أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ. هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟)) قَالُوا: لاَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: ((فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ. يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا))[٥].

---

(١) هكذا حدثنا الزمان ص ١٣٢.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٩٢/٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٧٥.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٧٨٢/٢.

(٥) أخرجه البخاري ٥٢٨، ومسلم ٦٦٧.

قال ابن حجر: "قال ابن العربي: وجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه، ويطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار الذنوب، حتى لا تبقى له ذنباً إلا أسقطته"[1].

عن أنس بن مالك ﷺ قال: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطًا، فَقَالَ: ((هَذَا الأَمَلُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الأَقْرَبُ))[2]، قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه أن رسول الله ﷺ نقل التصوير عن الفهم إلى ما تدركه الأبصار، ليكون تمثيله ﷺ أدعى إلى تعليم السامعين في سرعة، ليدرك ذلك من سمعه بسمعه وبصره"[3].

---

(١) فتح الباري ١١/٢ - ١٢. ط/ السلفية.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤١٨.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٨١/٥.

الحديث رقم (١٧٤٠)

١٧٤٠- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنَّ رسُولَ الله ﷺ، قال: ((إنَّ مِنْ أحَبِّكُمْ إلَيَّ، وأقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَومَ القِيَامَةِ، أحَاسِنكُمْ أَخْلاقاً، وإنَّ أَبْغَضَكُمْ إلَيَّ، وأبْعَدَكُمْ مِنِّي[1] يَومَ القِيَامَةِ، الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ)). رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن). وقد سبق شرحه في بَابِ حُسْنِ الخُلُقِ.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الثرثارون: الثرثرة: كثرة الكلام وترديده، والمراد: الذين يكثرون الكلام تكلُّفًا وخروجًا عن الحقّ[3].

المتشدِّقون: المتوسِّعون في الكلام من غير احتياط واحتراز، أو المستهزئون بالناس يلوون أشداقهم بهم وعليهم[4].

المتفيهقون: الذين يتوسَّعون في الكلام ويفتحون به أفواههم[5].

الشرح الأدبي

يخاطب المصطفى ﷺ أصحابه في مودة وصدق، ويعرض أمامهم نموذجين متضادين: أحدهما مقبول: وهو الفائز بحب رسول الله ﷺ وهو الأقرب مجلساً من رسول الله ﷺ يوم القيامة، وهو من تمتع بحسن الخلق، والنموذج الآخر يتضمن ثلاثة أنواع وكلهم في دائرة الرفض: وهم أبغض الناس إلى رسول الله وأبعد الخلق منه يوم

---

(١) عند الترمذي زيادة: (مجلسًا).

(٢) برقم (٢٠١٨)، وتقدم برقم (٦٣١). أورده المنذري في ترغيبه (٤٢٧٦).

(٣) النهاية في (ث ر ث ر).

(٤) النهاية في (ش د ق).

(٥) النهاية في (ف هـ ق).

القيامة. وهم الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون.

ويتضمن الحديث عدة ظواهر أسلوبية تبرز بلاغة الحديث وجمال أسلوبه، واتفاق المباني مع مقاصد المعاني، فالحديث يبدأ بالتأكيد "بإن" إشارة إلى أن الكلام فيه جد، وأن تحديد ملامح النموذجين حقيقة لا ريب فيها، وصيغة التفضيل في "أحبكم وأقربكم": تفيد الأكثرية والأفضلية، أي الأكثر حباً، والأكثر قرباً، وقوله: إلي، ومني، لإفادة التشريف والفوز بالاقتراب منه ﷺ، وصيغة التفضيل في قوله: "أحاسنكم أخلاقاً" تنبه إلى أن الفوز بالقرب من رسول الله ليس بالخلق الحسن فقط، ولكن بمضاعفة ذلك، فالخلق مراتب، ودرجات، والمؤمن يحرص على أن يكون: الأحسن خلقاً، وهذا من جوامع كلمه ﷺ.

ومن مظاهر جمال الأسلوب في الحديث: بلاغة المقابلة والمطابقة بين الصفات التي تؤدي إلى المحبة، والصفات التي تؤدي إلى البغض، والتضاد بين: أحبكم وأبغضكم، وكذلك بين أقربكم، وأبعدكم، وهذه السمة الأسلوبية من سمات البديع في البلاغة وهو تزيين الكلام وتحسينه: وتقريبه من النفوس؛ والثرثرة، والتشدق، والتفيهق: من سمات سوء الخلق: لأنها جاءت في مواجهة قوله: "أحاسنكم أخلاقاً"، والثرثار: هو كثير الكلام تكلفاً، والمتشدق: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاصحاً وتعظيماً لكلامه، والمتفيهق أصله من الفهق وهو الامتلاء، وهو الذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسع فيه ويعرب به تكبراً، وإظهاراً للفضيلة على غيره، وذلك من أمارات سوء الخلق، والتكلف، والرياء والنفاق والتكبر وخداع النفس، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٣١).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولا: من أهداف التربية الإسلامية: الحث على ترك التكلف في الكلام:

من أهداف التربية الإسلامية التربية على البساطة ونبذ التكلف في الكلام، وذلك يكون بحفظ اللسان من التقعر في الكلام، وهو ما يكون بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيهات والمقدمات، وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة. ويمكن أن نلحق بالتقعر تكلف الحوشي والغريب من الألفاظ والمفردات والتراكيب التي يخفى معناها على كثير من الناس، وكل ذلك من التصنع المذموم، ومن التكلف الممقوت[1].

والشاهد على ذلك قول رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون»، قالها ثلاثًا.

وقوله ﷺ: «إن الله يبغض البليغ من الرجال......إلخ الحديث».

وقوله: ﷺ: «...وأبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون»، فهذه أشياء كرهها الإسلام ونهى عنها.

وكذا رفع الصوت فلحق بالتقعر، لأنه ضرب من ضروب التكلف، وهو يدل على اضطراب الشخصية وغليان النفس وعدم اتزان التفكير. وقد نهى ربنا جل وعلا عن ذلك فقال في محكم بيانه على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[2].

ومن أسباب ذم التكلف والتربية على نبذه ما جبلت عليه النفوس من حب ما فطرت عليه من الطبيعة غير المصطنعة والسليقة غير المتكلفة، ولذا فهي تنفر من كل تكلف وتصنع، أنىّ كانَ وكيف كان.

فالمتكلف غير محبوب، بل هو منبوذ من خاصة الناس وعامتهم[3]. لذا كان من

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٥٦٥/٣.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٩.

(٣) انظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق، ٦٥/٢١، ٦٦.

أهداف التربية الإسلامية الرئيسية التربية على البساطة ونبذ التكلف حتى يكون الكلام مفهومًا ومقبولاً من السامعين.

ثانيًا- من أساليب التربية الإسلامية: التكرار:

من الأساليب التربوية المهمة: التكرار، ويمكن أن تبدو أهميته للأطفال في حفظ الكلمات وفي ذكر الأشكال، والتكرار قد يقصد به التأثير في النفس[1]، فهناك تفاوت في مدارك البشر وأمزجتهم[2].

وقد استخدم الرسول المربي هذه الطريقة في التربية الإسلامية[3].

ففي الحديث الشريف عن ابن مسعود ﵁ أن النبي ﷺ قال: «هلك المتنطعون»، قالها ثلاثًا.

فالتكرار من أساليب وطرق التربية الهامة.

من أجل ذلك يجب على المعلم تكرار الأشياء الهامة والأشياء الصعبة بألفاظ وأساليب مختلفة تأكيدًا لأهمية الشيء، حتى ينبه السامعين للإصغاء بإمعان وتدبر، وحتى يسمعها من لم يسمعها، وحتى تفهم فهمًا جيدًا دون لبس أو غموض، وحتى يكون الكلام أوقع في نفوس السامعين، ويبلغ منهم كل مبلغ. إن التكرار من الأساليب التعليمية المستخدمة لتثبيت التعلم، والمعلم يقوم بتكرار الأمور الهامة في الموضوع تمكينًا لسامعيه لفهمها واستيعابها، ولكي يعرف الطلبة الأفكار الهامة أو العناصر الأساسية في الموضوع وليكون أوضح دلالة على ما يريد تعليمه لهم[4].

ثالثًا- التربية بضرب المثل:

من أساليب التربية في هذا الباب ضرب الأمثلة، فقد ضرب رسول الله ﷺ مثلاً الذي يتشدق بلسانه في الكلام ويلفه، بالبقرة تلف الكلأ بلسانها لفًا.

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د/عبدالجواد سيد بكر، ص٢٣١.

(٢) سيكولوجية القصة في القرآن، د/التهامي نفره، ص١٢٨.

(٣) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د/عبدالجواد سيد بكر، ص٢٣١.

(٤) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د/محمد صالح بن علي جان، ص٢١٦، ٢١٧.

والأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس فيتقبله العقل، لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن، إلا إذا صيغت في صورة حية قريبة الفهم، وتكشف الأمثال عن الحقائق وتعرض الغائب في معرض الحاضر، وتجمع الأمثال المعنى الرائع في عبارة موجزة[١].

والتربية بضرب المثل تجمع بين الإقناع والإمتاع لدى السامع لأن ضرب المثل يأتي بصورة حسية تشبه الصورة المراد انتزاعها إن كانت سلبية، وتعديلها إن كانت معوجة، وتعزيزها إن كانت إيجابية ومرغوباً فيها، فيضعها في دائرة الإدراك العقلي، وذلك بإشراك الحواس في تحليل تلك الصورة تحليلاً نفسيًا من أجل الوصول إلى غرس كراهية الصور السلبية، ومن ثم الإقلاع عنها، أو الوصول إلى حب السلوك الحميد وتمثله عمليًا كلما لزم الأمر[٢].

رابعًا- التربية بالترغيب والترهيب:

من أساليب التربية في هذا الباب: الترغيب والترهيب، فقد رهب النبي ﷺ من التشدق والتكلف في الكلام فقال: «هلك المتنطعون» قالها: ثلاثًا.

وقال ﷺ: «إن الله يبغض البليغ من الرجال ...».

وقال: ﷺ: «... وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون».

كما رغب ﷺ في الأخلاق الفاضلة فقال: «إنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا»، وأسلوب الترغيب والترهيب يتماشى مع الطبيعة البشرية، والذي لا يستغنى عنه المربي في كل زمان ومكان[٣]، إذ لا يمكن أن تجدي التربية وتحقق أهدافها ما لم يعرف الطفل أو الإنسان أن هناك نتائج مسرة أو مؤلمة، وراء عمله وسلوكه، فإن عمل خيرًا نال السرور والحلاوة، وإن عمل شرًا ذاق

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية كما يحددها القرآن الكريم، علي خليل، ص١٣٥.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي، ص١٦٣، ١٦٤.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٨٦.

الألم والمرارة[1].

مما يجعل الإنسان يتحكم في سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك، وما يترتب عليه من منفعة أو ضرر والتربية الإسلامية تستخدم هذا الأسلوب التربوي[2].



(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، علي خليل أبو العينين، ص٢٤٠.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د/سعيد إسماعيل القاضي، ص١٨٦.

٣٢٩- باب كراهة قوله: خَبُثَتْ نفسي

الحديث رقم (١٧٤١)

١٧٤١- عن عائشة رضي الله عنها، عن النبيّ ﷺ، قال: ((لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ نَفْسي، وَلكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسي)) متفق عليه[1].

قال العلماء: "مَعْنَى خَبُثَتْ: غَثَتْ، وهو معنى "لَقِسَتْ" ولكن كَرِهَ لَفْظَ الخُبْثِ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

إن للألفاظ أشعة وظلالاً وأجنحة، وبمقدار صفاء أشعتها، ونداوة ظلالها، ورهافة أجنحتها يكون تأثيرها في النفس، ومخالطتها للقلب، وامتزاجها بالشعور، واستقرارها في السمع، وهذا الحديث يُعلم المسلمين الأدب في النطق، ويرشدهم إلى استعمال اللفظ الحسن، وهجران القبيح منه، ومن دلائل جمال الألفاظ في اللغة العربية، وحسن موقعها في السمع كما قال: ابن سنان الخفاجي: "في سر الفصاحة"، أن تجد لتأليف اللفظة حسنًا ومزية على غيرها، وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة في المخارج، كما أنك تجد لبعض النغم والألوان حُسنًا يتصور في النفس، ويدرك بالبصر والسمع دون غيره مما هو من جنسه، وهذا ما دعا إليه رسول الله ﷺ، حيث نهى عن استخدام كلمة: "خبثت"، وأمر بالعدول عنها إلى قوله: "لقست" لأن إيحاء الأولى فيه نفور، وفيه اتهام للنفس، وإيهام باقترابها من الخبث أو من الشيطان.

وقال علماء البلاغة: في تفضيل اللفظ الحسن الجميل على اللفظ المنفر القبيح: وليس يخفى على أحد من السامعين أن تسمية الغصن غصنًا أو فننًا أحسن من تسميته

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٧٩) واللفظ له، ومسلم (١٦/ ٢٢٥٠).

علوجًا، وأن أغصان البان أحسن من قولنا عاليج الشوحط: في السمع، والشوحط شجر يتخذ منه القسي؛ وقد عاب ابن سنان الخفاجى بعض الشعراء، ونعى عليهم استعمال الألفاظ الثقيلة المنفرة، وترك الألفاظ الحسنة المشعة الجميلة: مثل كلمة: جرش، ومعناها: النفس، وكلمة حقلد، ومعناها: الضعيف أو الضعيف النحيل، وكلمة دردبيس: ومعناها: الداهية، وكلمة جؤشوش: ومعناها: القطعة من الليل.

ورسول الله ﷺ في هذا الحديث يوجه المسلمين إلى استخدام الكلمات ذات الوقع الجميل في النفس، والتي تنأى عن الفحش والابتذال، وإثارة الغرائز، لأن المسلم عف السمع، عف اللسان. والله أعلم.

فقه الحديث

ويشتمل هذا الحديث على الأحكام الآتية:

النهي عن أن يقول الرجل خبثت نفسي[1]، وذلك كراهة لهذه اللفظة[2]، سدًا لذريعة اعتياد اللسان للكلام الفاحش، وسدًا لذريعة اتصاف النفس بمعنى هذا اللفظ، وذلك لأن الألفاظ تقتضي معانيها[3]. فكره رسول الله ﷺ لفظ الخبث لبشاعته وأرشدهم إلى لفظ هو أحسن منه، وهو قوله "لقست"، فيكون الرسول ﷺ قد أرشدهم إلى استعمال الحسن، وهجر القبيح في الأقوال، كما أرشدهم إلى ذلك في الأخلاق والأفعال[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن قول الإنسان: خبثت نفسي.

ثانيًا: من آداب المدعو: مجانبة الألفاظ والأسماء القبيحة والعدول إلى ما لا قبح فيه.

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر ٤٧/١٩، وفتح الباري ٥٦٤/١٠، وعون المعبود ٢٢٢/١٣.

(٢) التمهيد لابن عبدالبر ٤٧/١٩، وعون المعبود ٢٢٢/١٣.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ١٥٠/٣.

(٤) الطرق الحكمية لابن القيم ٦٣/١.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن قول الإنسان: خبثت نفسي:

وهذا واضح من نهيه ﷺ: (لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل: لقست نفسي)، قال ابن حجر: "قال الراغب [1]: الخبث يطلق على الباطل في الاعتقاد والكذب في المقال، والقبيح في الفعال: قلت [القائل ابن حجر]: وعلى الحرام والصفات المذمومة القولية والفعلية"[2].

قال ابن الأثير: "لقست، أي: غثت، واللقس:: الغثيان، وإنما كره (خبثت) هربًا من لفظ الخبث والخبيث، واللقس أيضًا: السيئ الخلق، وقيل: الشحيح، ولقست نفسه إلى الشيء: إذا حرصت عليه ونازعته إليه"[3].

وقال ابن حجر: "وقال غيره - أي غير الخطابي -: معنى لقست غثت وهو يرجع أيضًا إلى معنى خبثت، وقيل: معناه ساء خلقها، وقيل: مالت إلى الدعة"[4].

وقال ابن عثيمين: "معنى لقست: غثت، أحيانًا يصيب الإنسان كتمة يسميها الناس كتمة فتضيق عليه الدنيا بدون أن يعرف سببًا لذلك، فيقول خبثت نفسي، وخبثت يعني صارت خبيثة، وهذه كلمة مكروهة"[5].

وقال الخطابي: "إنما كره من ذلك لفظ الخبث وبشاعة الاسم منه، وعلمهم الأدب في المنطق، وأرشدهم إلى استعمال الحسن وهجران القبيح منه"[6].

وقال النووي: "إنما كره الخبث لبشاعة الاسم، وعلمهم الأدب في الألفاظ، واستعمال حسنها وهجران خبيثها، فإن قيل: فقد قال ﷺ في الذي ينام عن الصلاة فأصبح: خبيث النفس كسلان[7]، قال القاضي عياض[8] وغيره: جوابه أن النبي ﷺ

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص ١٤١.

(٢) فتح الباري ١٠/٥٦ - ٥٦٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث ص ٨٤٠.

(٤) فتح الباري ١٠/٥٦٤، .

(٥) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٩٠.

(٦) معالم السنن ٧/٢٧٣ - ٢٧٤.

(٧) أخرجه البخاري ١١٤٢ ومسلم ٧٧٦.

(٨) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٧/١٩١.

مخبر هناك عن صفة غيره وعن شخص مبهم مذموم الحال، لا يمتنع إطلاق هذا اللفظ عليه"(١).

وقال القرطبي: "إن محلّ النهي أن يضيف المتكلم الخبث إلى نفسه لا أن يتكلم بالخبث مطلقًا، فإذا أخبر به عن غير معين جاز، ولا سيما في معرض التحذير والذم للكسل، والتثاقل عن الطاعات، كما قد جاء في هذا الحديث، ومن أوضح ما في هذا الباب قوله ﷺ حين سئل عن العقيقة فقال: ((لاَ أُحِبُّ الْعُقُوقَ، ولكن مَنْ وُلِدَ لَهُ فَأَحَبَّ أَنْ يَنْسُكَ عَنْ وَلَدِهِ بشاة فَلْيَفْعَلْ))(٢)، فكره اسم العقوق"(٣).

وقال الطيبي: "ويمكن أن يقال: إنه ﷺ نهى الشخص أن ينسب إلى نفسه الخبث، فإنه مذموم لا يحتمل غير الذم، والمراد النهي عن التعرض لما يوصف به من صفة المنافقين من الكسل والرياء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾(٤)، نعم إذا صدر منهم نحو غثيان كنوم وسهو أو نحو ذلك، يخبرون عن أنفسهم بأنها لقست، فيتدارك ما فات منهم"(٥).

ثانيًا- من آداب المدعو: مجانبة الألفاظ والأسماء القبيحة والعدول إلى ما لا قبح فيه:

وهذا يستنبط من الحديث، قال ابن حجر: "قال ابن أبي جمرة: النهي عن ذلك للندب، والأمر بقوله: (لقست) للندب أيضًا: فإن عبّر بما يؤدي معناه كفى، ولكن ترك الأولى، وقال: ويؤخذ من الحديث استحباب مجانبة الألفاظ القبيحة والأسماء والعدول إلى ما لا قبح فيه، والخبث واللقس، وإن كان المعنى المراد يتأدى بكل منهما، لكن لفظ الخبث قبيح ويجمع أمورًا زائدة على المراد، بخلاف اللقس فإنه

---

(١) شرح صحيح مسلم ٩/١٧/٨. ط/ دار عالم الكتب.

(٢) أخرجه أحمد ١٨٢/٢ رقم ٦٧١٣، ٦٨٢٢، وقال محققو المسند: إسناده حسن أ. هـ. وانظر: تتمة تخريجه في المسند ٣٢٠/١١.

(٣) المفهم ٥٥٥/٥.

(٤) سورة النساء، آية: ١٤٢.

(٥) شرح الطيبي على المشكاة ٧٤/٩ - ٧٥.

يختص بامتلاء المعدة، قال: وفيه أن المرء يطلب الخير حتى بالفأل الحسن، ويضيف الخير إلى نفسه ولو بنسبة ما، ويدفع الشر عن نفسه مهما أمكن، ويقطع الوصلة بينه وبين أهل الشر حتى في الألفاظ المشتركة، قال: ويلتحق بهذا أن الضعيف إذا سئل عن حاله لا يقول: لست بطيب، بل يقول: ضعيف، ولا يخرج نفسه من الطيبين فيلحقها بالخبيثين"[1].

قال ابن عثيمين: "وفي هذا الحديث دليل على اجتناب الألفاظ المكروهة وإبدال ألفاظ غير مكروهة بها[2] وإن كان المعنى واحدًا، لأن اللفظ قد يكون سببًا للمعنى، قد يقول: خبثت نفسي بمعنى غثت، والخبث: الغثيان، ويأتي في باله أنه من الخبث الذي هو ضد الطيب، والنفوس الخبيثة هي نفوس الكفرة، لقوله الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[3]، ولقوله تعالى: [4]، ولأن النبي ﷺ كان إذا أراد دخ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ول الخلاء ليبول أو يتغوط قال: ((أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ))[5]، يعني الشياطين والشر.

فالمهم أن الإنسان يُكْره له أن يطلق ألفاظًا مكروهة على معانٍ صحيحة، بل يبدل ألفاظًا محبوبة للنفوس"[6].

---

(١) فتح الباري ٥٦٤/١٠.

(٢) في الأصل: وإبدالها بالفاظ غير مكروهة والصواب ما أثبتناه، فإن الباء تدخل على المتروك.

(٣) سورة التوبة، آية: ٢٨.

(٤) سورة النور، آية: ٢٦.

(٥) أخرجه البخاري ١٤٢، ومسلم ٣٧٥.

(٦) شرح رياض الصالحين ١٧٩٠/٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالتوجيه المباشر:

يعتمد هذا النوع من الأساليب التربوية على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر، من خلال البيان والإرشاد، حيث يقوم المربي بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه أو تقويمه أو تعزيزه تلقينًا مباشرًا بأحد أساليب التلقين ومنها: التلقين بالكلام.

فيقوم بإلقاء الكلام إلى السامع - الشخص المستهدف بالتربية - مباشرة بصيغة الأمر، كما في قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا﴾[1]. أو بصيغة النهي كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾[2]. وفي كلا الحالين يقوم المربي بإلقاء الأمر أو النهي بصورة جلية على ألا يكون هذا الأسلوب الأغلب لدى المربي[3].

وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التوجيه المباشر بنهي المسلم عن قوله: خبثت نفسي، حيث قال ﷺ: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : خَبُثَتْ نَفْسِي. وَلَٰكِنْ لِيَقُلْ : لَقِسَتْ نَفْسِي».

إن الله تعالى كرم نفس المسلم وطهرها، وذلك يوجب على المسلم أن ينأى عن الأسباب التي تحطها وتضع قدرها، وتخفض منزلتها، وتحقرها، وتسوي بينها وبين السفلة، وإنما تعلو قيمة المرء، وتسمو مكانته بقدر نصيبه من بعد الهمة، وشرف النفس[4].

والتوجيه التربوي الإسلامي يحث على الأدب في النطق مع كل الأشياء حتى مع النفس، فالإسلام قوامه الأدب ، فقد علم المسلم الأدب مع ربه ومع الخلق ومع نفسه

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د/أمين أبولاوي، ص١٥٤ ، ١٥٥.

(٤) انظر: رسائل الأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم الحمد ، ص٤٦١.

التي بين جنبيه، فلا ينبغي لمسلم أن يصف نفسه بالخبث لأن الله كرمه، ومن فعل ما نهي عنه فقد كان عونًا للشيطان على نفسه[1].

فعلى المربي التوجيه إلى استعمال الألفاظ الطيبة مع الآخرين ومع النفس، وخاصة توجيه النشء حتى يشبوا على طيب الكلام، ونبذ مكروهه فتكون ألفاظهم محبوبة للنفوس. لأن ذلك هدف تربوي إسلامي، تحث عليه التربية الإسلامية.



(١) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٣/٢٢٠، ٢٢١ بتصرف.

٣٣٠- باب كراهة تسمية العنب كرمًا

الحديث رقم (١٧٤٢)

١٧٤٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((لاَ تُسَمُّوا العِنَبَ الكَرْمَ، فَإنَّ الكَرْمَ المُسْلِمُ)) متفق عليه[١]، وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية[٢]: ((فَإنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤمِنِ)).

وفي رواية للبخاري ومسلم[٣]: ((يَقُولُونَ الكَرْمُ، إنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤْمِنِ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الكرم: العنب[٤].

الشرح الأدبي

إن للإسلام أثرًا في تطور اللغة العربية، حيث جدت ألفاظ ومصطلحات جديدة تتسق مع تعاليم الإسلام وفرائضه وحدوده، ويقول: أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل"، وقد حدثت في الإسلام معان وسميت بأسماء كانت في الجاهلية لمعان أخر، ومن ذلك: القرآن، والسورة، والآية، والتيمم، وسمي الإيمان مع إسرار الكفر نفاقاً، والسجود لله إيماناً والسجود للوثن كفراً، ولم يعرف أهل الجاهلية من ذلك شيئاً.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٤٧/٨) من حديث محمد بن سيرين. أورده المنذري في ترغيبه (٤١٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٤٧/٩) من حديث ورقاء بن عمرو، عن أبي الزناد.

(٣) أخرجه البخاري (٦١٨٣) واللفظ له، ومسلم (٢٢٤٧/٧) من حديث الزهري، عن سعيد بن المسيب. انظر: الجمع للحميدي (٢٢/٣، رقم ٢٢٠٩).

(٤) الوسيط في (ك ر م).

وهذا الحديث الشريف شاهد من شواهد أثر الإسلام في توجيه واستخدام الألفاظ: وأسماء الأشياء، فالرسول يبدأ الحديث بجملة مصدرة بحرف النهي: وهي للجزم، وينهي عن أن يسمى المسلمون العنب كرماً: لأن هذا الاسم مشتق من الكرم: وهو يوحي بالتكريم، والتعظيم والتنزيه، وأولى بهذا الاسم: المسلم نفسه، أو قلب المؤمن كما ورد في رواية أخرى: "إنما الكرم قلب المؤمن".

والتأكيد في الجملة الثانية من الحديث يوحي بتشديد هذا الأمر، وأن النهي الصادر من رسول الله ﷺ هو نهي كراهة وتنزيه، ولكن على المسلم أن يقتدي برسول الله ﷺ، وأن ينفذ سنته.

وقيل: وليس الغرض حقيقة النهي عن تسميته كرماً، ولكنه رمز إلى أن هذا النوع من غير الأناسي المسمى بالاسم المشتق من الكرم: أنتم أحقاء بأن لا تؤهلوه لهذه التسمية، غيرة للمسلم التقي أن يُشارك فيما سماه الله تعالى، واختصه بأن جعله صفته، فضلاً أن تسموا بالكريم من ليس بمسلم.

وهذا باب دقيق خفي: من أبواب الدقة واللطف في اللغة، وتوجيه للمسلم إلى إدراك هذه الخفايا والأسرار.

فقه الحديث

في الحديثين[1] من الفقه: النهي عن تسمية العنب كرماً، وليس النهي ههنا للتحريم وإنما هو على سبيل الكراهة[2].

والسبب في كراهة تسمية العنب كرماً، أن لفظ الكرم كانت تطلقها العرب على شجرة العنب، وعلى العنب، وعلى الخمر المتخذة من العنب، سموها كرماً لأنها متخذة منها، ولأنها تحمل على الكرم، والسخاء، فكره الشارع إطلاق هذه اللفظة

---

(١) الحديث رقم (١٧٤٢)، (١٧٤٣).

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ ٣/٣٤٦، ومغني المحتاج ٢/٣٢٤، والإقناع في حل الفاظ ابي شجاع ٢/٣٤٥، وشرح صحيح مسلم ١٥/٤، وتهذيب السنن لابن القيم ١٣/٢١٧، والمطلع ١/١٣٠-١٣١.

على العنب وشجره، لأنهم إذا سمعوا هذه اللفظة ربما تذكروا الخمر، فهاجت نفوسهم إليها، فيقعون فيها، أو يقاربونها"[١].

وإنما الذي يستحق هذه اللفظة هو الرجل المسلم، أو قلبه، كما في بعض الروايات وذلك لكثرة خيره، ونفعه، واجتماع الخصال المحمودة فيه من السخاء وغيره[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن تسمية العنب كرماً.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الكرم لفظ جامع للمحاسن والمحامد.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: كرامة المؤمن على ربه.

رابعاً: من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم وبيان الصواب من الأسماء والمسميات.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن تسمية العنب كرماً:

وهذا واضح من الحديثين، قال البغوي: "قد قيل في معنى نهيه عن تسمية هذه الشجرة كرماً: إن هذا الاسم عندهم مشتق من الكرم، سموا شجرة العنب كرماً، لأنه يتخذ منه الخمر وهي تحث على السخاء والكرم، فاستقوا لتلك الشجرة اسماً من الكرم، فكره النبي ﷺ تسميته لشيء حرّمه الشرع باسم مأخوذ من الكرم، وأشفق أن يدعوهم حسن الاسم إلى شرب الخمر المتخذة من ثمرها، فسلبها هذا الاسم تحقيراً لشأنها وتأكيداً لحرمتها، وجعله صفة للمسلم الذي يتوقاها، ويمنع نفسه عن محارم الشرع عزة وتكرماً، قال الله سبحانه وتعالى في صفة عباده: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[٤]، أي: معرضين عنه، قد أكرموا أنفسهم من الدخول فيه، وقال جلّ

---

(١) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ٢/٣٤٥، وشرح صحيح مسلم ١٥/٤-٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٥/٥، وطرح التثريب ٨/٤٩٩، والمطلع ١/١٣٠-١٣١.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٤٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٤٣).

(٤) سورة الفرقان، آية: ٧٢.

ذكره: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[(١)]، وقوله ﷺ: (إن الكرم قلب المؤمن) لما فيه من نور الإيمان وتقوى الإسلام"[(٢)].

وقال النووي: "قال العلماء: كره الشرع إطلاق هذه اللفظة على العنب وشجره، لأنهم إذا سمعوا اللفظة ربما تذكروا بها الخمر وهيجت نفوسهم إليها، فوقعوا فيها أو قاربوا ذلك.. فسمى قلب المؤمن كرماً لما فيه من الإيمان والهدى والنور والتقوى والصفات المستحقة لهذا الاسم، وكذلك الرجل المسلم"[(٣)].

وقال ابن حجر: "قال الخطابي ما ملخصه: إن المراد بالنهي تأكيد تحريم الخمر بمحو اسمها، ولأن في تبقية هذا الاسم تقريراً لما كانوا يتوهمونه من تكرم شاربها، فنهى عن تسميتها كرماً، وقال: (إنما الكرم قلب المؤمن)، لما فيه من نور الإيمان وهدى الإسلام، وحكى ابن بطال عن ابن الأنباري أنهم سموا العنب كرماً، لأن الخمر المتخذة منه تحث على السخاء وتأمر بمكارم الأخلاق، حتى قال شاعرهم: (والخمر مشتقة المعنى من الكرم)... فلذلك نهى عن تسمية العنب بالكرم حتى لا يسموا أصل الخمر باسم مأخوذ من الكرم، وجعل المؤمن الذي يتقي شربها ويرى الكرم في تركها أحق بهذا الاسم"، وحكى القرطبي[(٤)] عن المازري[(٥)] أن السبب في النهي: أنه لما حرمت عليهم الخمر، وكانت طباعهم تحثهم على الكرم، كره ﷺ أن يسمى هذا المحرم باسم تهيج طباعهم إليه عند ذكره، فيكون ذلك كالمحرك لهم، وتعقبه بأن محل النهي إنما هو تسمية العنب كرماً، وليست العنب محرمة، والخمر التي لا تسمى عنبة، بل العنب قد يسمى خمراً باسم ما يئول إليه، قلت [أي ابن حجر]: والذي قاله المازري موجه، لأنه يحمل على إرادة حسم المادة بترك تسمية أصل الخمر بهذا الاسم

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٢) شرح السنة ٣٥٦/١٢.

(٣) شرح صحيح مسلم ٦/١٥/٨.

(٤) المفهم ٥٥٠/٥.

(٥) المعلم بفوائد مسلم ٢٨٤/٢.

الحسن، ولذلك ورد النهي تارة عن العنب وتارة عن شجرة العنب، فيكون التنفير بطريق الفحوي؛ لأنه إذا نهى عن تسمية ما هو حلال في الحال بالاسم الحسن لما يحصل منه بالقوة مما ينهى عنه، فلأن ينهى عن تسمية ما ينهى عنه بالاسم الحسن أحرى"[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الكرم لفظ جامع للمحاسن والمحامد:

وهذا واضح من نهي النبي ﷺ عن تسمية العنب كرماً، معللاً ذلك بأن الكرم المسلم أو قلب المؤمن، "فسمى قلب المؤمن كرماً لما فيه من الإيمان والهدى والنور والتقوى والصفات المستحقة لهذا الاسم، وكذلك الرجل المسلم"[٢]، وقال ابن تيمية: "قوله: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٣]، سمى ووصف نفسه بالكرم وبأنه الأكرم بعد إخباره أنه خلق، ليتبين أنه ينعم على المخلوقين ويوصلهم إلى الغايات المحمودة، كما قال في موضع آخر: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[٤]، وكما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[٥]، وكما قال الخليل عليه السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾[٦]، فالخلق يتضمن الابتداء والكرم تضمن الانتهاء، كما قال في أم القرآن: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ثم قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٧].

ولفظ الكرم لفظ جامع للمحاسن والمحامد، لا يراد به مجرد الإعطاء، بل الإعطاء من تمام معناه، فإن الإحسان إلى الغير تمام المحاسن، والكرم كثرة الخير ويسرته؛

---

(١) فتح الباري ٥٦٧/١٠ - ٥٦٨.

(٢) شرح صحيح مسلم ٦/١٥/٨.

(٣) سورة العلق، الآيات: ٣ - ٥.

(٤) سورة الأعلى، الآيتان: ٢ - ٣.

(٥) سورة طه، آية: ٥٠.

(٦) سورة الشعراء، آية: ٧٨.

(٧) سورة الفاتحة، الآيتان: ١ - ٢.

ولهذا قال النبي ﷺ: (لا تسموا العنب الكرم، فإنما الكرم قلب المؤمن)، وقد سموا العنب (الكرم)، لأنه أنفع الفواكه، يؤكل رطباً ويابساً ويعصر فيتخذ منه أنواع، وهم أعم وجوداً من النخل، يوجد في عامة البلاد، والنخل لا يكون إلا في البلاد الحارة، ولهذا قال في رزق الإنسان: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ﴾[1]، فقدم العنب، وقال في صفة الجنة: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا﴾[2]، ومع هذا نهى النبي ﷺ عن تسميته بالكرم وقال: (الكرم قلب المؤمن)، فإنه ليس في الدنيا أكثر ولا أعظم خيراً من قلب المؤمن.

والشيء الحسن المحمود يوصف بالكرم، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[3]، قال ابن قتيبة: "من كل جنس حسن، وقال الزجاج: الزوج النوع، والكريم المحمود، وقال غيرهما: (من كل زوج)، صنف وضرب (كريم) حسن، من النبات مما يأكل الناس والأنعام، يقال: نخلة كريمة، إذا طاب حملها، وناقة كريمة إذا كثر لبنها.

وعن الشعبي: الناس مثل نبات الأرض: فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم، والقرآن قد دلّ على أن الناس فيهم كريم على الله يكرمه، وفيهم من يهينه قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[5].

وقال النبي ﷺ: ((فإيَّاكَ وكَرائمَ أموالهم. واتَّقِ دَعوةَ المظلومِ، فإنه ليس بينَها

(١) سورة عبس، الآيات: ٢٤ - ٣٢.
(٢) سورة النبأ، الآيتان: ٣١ - ٣٢.
(٣) سورة الشعراء، آية: ٧.
(٤) سورة الحجرات، آية: ١٣.
(٥) سورة الحج، آية: ١٨.

وبينَ اللّهِ حِجابٌ))[١]، وكرائم الأموال: التي تكرم على أصحابها لحاجتهم إليها وانتفاعهم بها من الأنعام وغيرها.

وهو سبحانه أخبر أنه الأكرم بصيغة التفضيل والتعريف بها، فدلّ على أنه الأكرم وحده، بخلاف ما لو قال: (وربك أكرم)، فإنه لا يدل على الحصر، وقوله: (الأكرم) يدل على الحصر، ولم يقل: (الأكرم في كذا)، بل أطلق الاسم ليبين أنه الأكرم مطلقاً غير مقيد، فدلّ على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه"[٢].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: كرامة المؤمن على ربه:

وهذا يستنبط من الحديث، قال الزمخشري في الفائق: "أراد النبي ﷺ أن يقرر ويشدد على ما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٣]، بطريقة أنيقة ومسلك لطيف، ورمز خلوب، فبصر أن هذا النوع من غير الأناسي، المسمى بالاسم المشتق من الكرم: أنتم أحقاء بأن لا تؤهلوه لهذه التسمية ولا تطلقوها عليه، ولا تسلموها له، غيرة للمسلم التقي، وربأ به أن يشارك فيما سماه الله به، واختصه بأن جعله صفته، فضلاً أن تسموا بالكرم من ليس بمسلم، وتعترفوا له بذلك، وليس الغرض حقيقة النهي عن تسمية العنب كرماً، ولكن الرمز إلى هذا المعنى كأنه قال إن تأتي لكم أن لا تسموه - مثلاً - باسم الكريم، ولكن بالحبلة فافعلوه، وقوله: (فإنما الكرم الرجل المسلم)، أي: فإنما المستحق للاسم المشتق من الكرم: المسلم ونظيره في الأسلوب قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[٤]"[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٥٨، ومسلم ١٩. من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن.

(٢) مجموع الفتاوى ٤٢٩/٨ - ٤٣٠، ٢٩٣/١٦ - ٢٩٥، .

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٣٨.

(٥) الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري ٥٣٨هـ، تحقيق: على محمد البجاوي، ومحمد أبوالفضل إبراهيم، ط عيسى البابي الحلبي ٢٥٧/٣. وط المكتبةالعصرية، ٢٤٨/٣.

وقال ابن هبيرة: "هذا الحديث يدل على أنهم كان يسمون العنب كرماً، ويزعمون أنها تحدث كرماً على ما قيل، فأراد رسول الله ﷺ أن لا ينسب إلى الخمر فضيلة وإنما الفضيلة للمؤمن لما فيه من النور والإيمان"[(١)].

وقال الطيبي: "وتلخيص المعنى تخطئه رأي من سمى العنب بالكرم، نظراً إلى أنه يتخذ من الخمر، وشربها يولد الكرم، وتسفيههم فيها، لأنها أم الخبائث والرجس الذي هو من عمل الشيطان، وتصويب رأي من يرى استحقاق هذا بقلب المؤمن الطاهر عن أوضار الرجس والآثام، وإنه معدن مكارم الأخلاق ومنبعها ومركز التقوى، فهو أولى وأحرى أن يسمى كرماً، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[(٢)]، وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[(٣)]، كأنه ﷺ نبّه المسلمين على التحلي بالتقوى والتزيي به، وأنه رأس مكارم الأخلاق، لا ما ذهب إليه الجاهلية، وهو من باب المشاكلة، كقوله تعالى: (صبغة الله)، فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، يقولون: هو تطهير لهم، فقيل للمسلمين: قولوا: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله.. ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾[(٤)]، أي قولوا: صبغنا الله بالإيمان صبغته، ولم يصبغ صبغتكم التي هي النجاسة لا الطهر"[(٥)].

وقال ابن حجر: "وقال أبو محمد بن أبي جمرة ما ملخصه: لما كان اشتقاق الكرم من الكرم، والأرض الكريمة هي أحسن الأرض، فلا يليق أن يعبر بهذه الصفة إلا عن قلب المؤمن الذي هو خير الأشياء، لأن المؤمن خير الحيوان، وخير ما فيه قلبه؛ لأنه إذا صلح صلح الجسد كله، وهو أرض لنبات شجرة الإيمان"[(٦)].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٠٦/٦.

(٢) سورة الحج، آية: ٣٢.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٤) سورة البقرة، الآيات: ١٣٦ - ١٣٨.

(٥) شرح الطيبي على المشكاة ٧٣/٩.

(٦) فتح الباري ٥٦٨/١٠.

رابعاً- من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم وبيان الصواب من الأسماء والمسميات:

وهذا واضح من النهي في الحديثين، قال ابن القيم: "العرب تسمي شجر العنب كرماً لكرمه، والكرم كثرة الخير والمنافع والفوائد؛ لسهولة تناولها من الكريم ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾[1]، وفي آية أخرى: ﴿مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾[2]، فهو كريم في مخبره، بهيج في منظره، وشجر العنب قد جمع وجوهاً من ذلك: منها: تذليل ثمره لقاطفه، ومنها: أنه ليس دونه شوك يؤذي مجتنيه... ومنها: أن ثمره يؤكل قبل نضجه وبعد نضجه وبعد يبسه.. ومنها: أنه يدخر يابسه قوتاً وطعاماً وأدماً... إلى غير ذلك من فوائده، فلما كان بهذه المنزلة سموه كرماً، فأخبرهم النبي ﷺ أن الفوائد والثمرات والمنافع التي أودعها الله قلب عبده المؤمن من البر وكثرة الخير، أعظم من فوائد كرم العنب، فالمؤمن أولى بهذه التسمية منه، فيكون معنى الحديث على هذا: النهي عن قصر اسم الكرم على شجرة العنب، بل المسلم أحق بهذا الاسم منه.

وهذا نظير قوله ﷺ: ((لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ. إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))[3]، أي: مالك نفسه أولى أن يسمى شديداً من الذي يصرع الرجال، وكقوله: ((ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان، والأكلة والأكلتان ولكنه الذي لا يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه))[4]، أي: هذا أولى بأن يقال له مسكين من الطواف الذي تسمونه مسكيناً... ونظيره قوله: ((لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))[5]. وإن كان هذا ألطف من الذي قبله.

وقيل في معنى النهي وجه آخر، وهو قصد النبي ﷺ سلب هذا الاسم المحبوب

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٠.

(٢) سورة ق، آية: ٧.

(٣) أخرجه البخاري ٦١١٤، ومسلم ٢٦٠٩.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٧٩، ومسلم ١٠٣٩.

(٥) أخرجه البخاري ٥٩٩١.

للنفوس الذي يلذ لها سماعه عن هذه الشجرة التي تتخذ منها أم الخبائث فيسلبها الاسم الذي يدعو النفوس إليها، ولا سيما فإن العرب قد تكون سمّتها كرماً، لأن الخمر المتخذة منها تحث على الكرم وبذل المال، فلما حرمها الشارع نفى اسم المدح عن أصلها، وهو الكرم، كما نفى اسم المدح عنها وهو الدواء، فقال: ((إِنَّهَا دَاءٌ وَلَيْسَتْ بِدَوَاءٍ))(١).

ومن عرف سرّ تأثير الأسماء في مسمياتها نفرةً وميلاً عرف هذا، فسلبها النبي ﷺ هذا الاسم الحسن وأعطاه ما هو أحق به منها وهو قلب المؤمن.

ويؤكد المعنى الأول: أن النبي ﷺ شبه المسلم بالنخلة (٢)، لما فيها من المنافع والفوائد، حتى إنها كلها منفعة لا يذهب منها شيء بلا بمنفعة حتى شوكها، ولا يسقط عنها لباسها وزينتها كما لا يسقط عن المسلم زينته"(٣).

وقال القرطبي: "الأحقّ باسم الكرم المسلم أو قلب المسلم، وذلك لما حواه من العلوم والفضائل والأعمال الصالحات والمنافع العامة، فهو أحق باسم الكريم والكرم من العنب"(٤).

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٨٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦١، ومسلم ٢٨١١.

(٣) تهذيب السنن ٧/٢٦٨ - ٢٧٢.

(٤) المفهم ٥/٥٥١.

الحديث رقم (١٧٤٣)

١٧٤٣- وعن وائلِ بنِ حُجرٍ ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ، قال: ((لاَ تَقُولُوا: الكَرْمُ، وَلكِنْ قُولُوا: العِنَبُ، والحَبَلَةُ)) رواه مسلم[1]. "الحَبَلَةُ" بفتح الحاء والباء، ويقال أيضًا بإسكان الباء.

ترجمة الراوي:

وائل بن حُجْر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٩٩).

غريب الألفاظ:

الحَبَلَةُ: شجر العنب[2].

الشرح الأدبي

يتفق هذا الحديث في مضمونه مع الحديث السابق، ولكن تختلف الصياغة، والألفاظ. ففي هذا الحديث يبدأ رسول الله ﷺ بالنهي عن التلفظ بلفظ "الكرم" حيث يقول: "لا تقولوا: الكرم"، أي: لا تسموا العنت: الكرم: كما جاء في الحديث السابق، وهذا الحديث يرد فيه: الاستدراك رابطاً بين جملتي الحديث في قوله ولكن قولوا: (العنب والحبلة) والاستدراك في اللغة: هو: نفي ما يتوهم ثبوته، أو إثبات ما يتوهم نفيه، فالاستدراك في قوله: لكن جاء لنفي توهم عدم إثبات اسم لهذا النبات وإثبات ما توهم السامعون نفيه، وهو قولهم: "العنب والحبلة"، وشجر العنب يسمى الحبلة.

وقال ابن الجوزي في جامع المسانيد: كما ورد في دليل الفالحين: إنما نهى عن هذا: لأن العرب كان يسمون العنب كرماً لما يدَّعون من إحداثها في قلوب شاربيها من الكرم، فنهى عن تسميتها بما تمدح به لتأكيد ذمها وتحريمها، وعلم أن قلب المؤمن

---

(١) برقم (٢٢٤٨/١٢).

(٢) شرح مسلم ١٤٠٠.

لما فيه من نور الإيمان أولى بذلك الاسم، ولأن العنب من مصادر صنع الخمر: جاء النهي عن تكريم هذا النبات، وتحريم تناوله حينما يستحيل إلى خمر... فكل مسكر خمر وكل خمر حرام، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- الدقة في استعمال الألفاظ:

من أهداف التربية الإسلامية الدقة في استعمال الألفاظ ويظهر ذلك في قوله ﷺ: «لاَ تُسَمُّوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ. فَإِنَّ الْكَرْمَ الْمُسْلِمُ». وفي رواية: «فإنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤمِنِ».

وقال ﷺ: «لاَ تَقُولُوا: الْكَرْمُ. وَلَكِنْ قُولُوا: الْعِنَبُ وَالْحَبْلَةُ».

إن العرب كانت تسمى شجرة العنب الكرم، لكثرة منافعها وخيرها، فكره النبي ﷺ تسميتها باسم يهيج النفوس إلى محبتها، ومحبة ما يتخذ منها من المسكر، وهو أم الخبائث، فكره أن يسمى أصله بأحسن الأسماء وأجمعها للخير[1].

وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على الدقة في اختيار الألفاظ واستعمالها مع ما يناسبها من الأشياء، وهذا هدف تربوي هام جدًا خاصة بعد تأثر شعوبنا الإسلامية بعوامل مختلفة كثيرة منها الغزو الفكري المعاصر، الذي غزانا به أعداء الإسلام من جهة واستورده فريق منا من جهة أخرى[2].

فتجد هؤلاء يستخدمون ألفاظًا في غير مواضعها التي تهدف إليها التربية الإسلامية، فتجدهم يسمون الخمر، مشروبات روحية، ويسمون الربا: فائدة، ويسمون الكذب والنفاق: سياسة، ويسمون اللواطين: مِثْلِيِّين، ويسمون المجون والتبرج والفجور: حرية، ويسمون أفلام الجنس والدعارة: ثقافة، ويسمون التدين والتمسك بالدين إرهاباً، ويسمون شق العصا والخروج عن طاعة ولي الأمر: ديمقراطية....إلخ من الأشياء التي تتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي، وذلك لأن النظم التربوية في المجتمعات متباينة، ومرجع هذا التباين طبيعة كل مجتمع، ثقافته، فكره، أهدافه[3].

بعد هذا الإيضاح، ماذا تفعل المجتمعات الإسلامية لتواجه تحديات العصر؟ خاصة وأن لديها من الأصول الإسلامية ما يمكن أن ينقذها من أي تأثيرات سلبية وافدة من

---

(١) زاد المعاد، ابن القيم، ٣٦٩/٤.

(٢) مبادئ في الأدب والدعوة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص٣٧.

(٣) انظر: التربية الإسلامي، د/عماد محمد محمد عطية، ص٢١٤.

الخارج، الفكر الثقافي والتربوي فهي تمس تربية وإعداد الفرد المسلم... وعلى هذا فإنه يجب الرجوع إلى أصول الإسلام والتربية الإسلامية، لأن في كتاب الله المنهج التربوي والحياتي الكامل، الذي يمثل أكثر الصور تطورًا، وأوفرها حيوية، وهو يسجل مرحلة هامة بالقياس إلى المتغيرات الفكرية الأخرى سواء بتأكيد النواحي الدينية أو بإقامة الأخلاق الاجتماعية[1].

فعلى المربي التوجيه والإرشاد إلى استخدام الألفاظ التي تتفق مع ديننا، والتي تناسب ما تطلق عليه من أسماء وصفات حتى لا يقع المسلم في محظورات الدين، وتزيين ما يتنافى معه باستخدام ألفاظ مستوردة تزين الباطل وتجمله، وتصفه بعكس حقيقته.

ثانيًا- معرفة قدر المؤمن:

من المضامين التربوية التي يدل عليها الباب: معرفة قدر المؤمن، فإن المؤمن قدره عظيم ومنزلته عالية، عرف ربه فأطاعه وعبده وأحسن عبادته، فرضي الله عنه وقد امتدح الله المؤمنين فقال في كتابه ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2]، وقال فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3]، ووعدهم بالجنة فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[4].

والتربية الإسلامية تهدف إلى التعريف بقدر المؤمن ومنزلته عند ربه ومن ذلك قول النبي ﷺ: «لاَ تُسَمُّوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ. فَإِنَّ الْكَرْمَ الْمُسْلِمُ». وفي رواية: «فإنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤمِنِ».

أي: إنكم تسمون شجرة العنب كرمًا لكثرة منافعه، وقلب المؤمن أو الرجل المسلم أولى بهذا الاسم منه، فإن المؤمن خير كله ونفع، فهو من باب التنبيه والتعريف

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، علي خليل أبو العينين، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٥.

(٤) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠-١١.

لما في قلب المؤمن من الخير، والجود، والإيمان، والنور، والهدى، والتقوى، والصفات التي يستحق بها هذا الاسم أكثر من استحقاق الحبلة له[1].

وفي هذا تربية على العزة والكرامة وبيان لقدر المؤمن عند الله، وفي ذلك تربية على الاستعلاء بالدين والتمسك بالكرامة التي منحنا الله إياها بدلاً من روح الانهزامية التي استشرت بين فئام من المسلمين حتى إن الواحد منهم ليخجل من أن يظهر بالسمت الإسلامي، ويعمل على مجاراة من لا خلاق لهم في العادات والتقاليد، حتى لا يوصف بأنه رجعي أو متخلف ولاشك أن ذلك من تأثير الغزو الفكري والتغريب الاجتماعي.



(١) زاد المعاد، ابن القيم، ٣٦٩/٤.

٣٣١- باب النهي عن وصف محاسن المرأة لرجل إلاّ أن يحتاج إلى ذلك لغرض شرعي كنكاحها ونحوه

الحديث رقم (١٧٤٤)

١٧٤٤- عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((لاَ تُبَاشِرِ المَرْأَةُ المَرْأَةَ، (فَتَصِفَهَا)[١] لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا)) متفق عليه[٢].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

لا تباشر المرأة المرأة: أي لا تنظر إلى عورتها[٣].

الشرح الأدبي

إن الإسلام يحفظ للمرأة مكانتها، ويصون حرمتها، وفي خطبة حجة الوداع يقول رسول الله ﷺ: «أَلاَ وَاسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيْراً، فإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهِنَّ شَيْئاً غَيْرَ ذَلِكَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبَاً غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً. أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَن تَكْرَهُونَ، وَلا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ. أَلاَ وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ»[٤].

وفي هذا الحديث تكريم جديد للمرأة، وهو نهي المرأة نفسها عن أن: تمس بشرتها

---

(١) لفظ البخاري: (فتنعتها)، والمثبت لفظ النسائي في الكبرى (٩١٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٤٠)، ولم يخرجه مسلم، كما لم يعزه إليه المزي في تحفة الأشراف (٩٣٠٥).

(٣) فتح الباري ٩/ ٢٥٠.

(٤) أخرجه الترمذي ١١٦٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٩٢٩).

ببشرة امرأة غيرها فتعرف خصوبة بدنها ونعومته، وما فيه من المحاسن الخفية، وهي بذلك لا تصون حرمة المرأة، بل تكشف عن أسرارها، وتنفل أخبار محاسنها ومفاتنها لزوجها، نقلاً تفصيلياً دقيقاً، ورسول الله ﷺ في أسلوبه الدقيق يكشف آثار هذا الوصف، ويحذر من عواقبه: فيقول واصفاً حال الزوج كأنه ينظر إليها، وهذه الصورة التشبيهية المؤكدة توحي بدقة الوصف، والقدرة على تجسيد المحاسن، ولذلك بدأ الحديث: بصيغة النهي أو النفي، وإيثار التعبير بفعل: المباشرة، وهو أقوى وأدق من التعبير باللمس أو المس.. فلم يقل: لا تلمس أو لا تمس، وإنما قال: لا تباشر المرأة المرأة، والمباشرة هي التعرف الحسي الدقيق على المفاتن والمحاسن المتمثلة في خصوبة البدن، ونعومته.. وما يعطي للمرأة جمالاً وزينة من معالم أنوثتها المتعددة.

وهذا الوصف يمكن أن يحدث فتنة للزوج: حيث تعجبه المرأة الموصوفة فيفضى ذلك إلى تطليق زوجته: أو التعلق بالموصوفة.. والتعلق بأحاديث النفس، وأشواق القلب، ووساوس الوجدان، وفتح الأبواب للعصيان، ومسالك الشيطان. نعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ونسأله الهداية والمغفرة والرضوان. آمين

وفي الحديث من الفقه: النهي عن أن تصف امرأة امرأةً أخرى لزوجها، ولعل السبب في النهي هو سد الذرائع، لأنها إن وصفتها بحسن خيف عليه الفتنة، إذ ربما تعلق قلبه بها، فيكون ذلك سبباً في طلاق زوجته، ونكاحها إن كانت الموصوفة غير ذات زوج، وإن كانت ذات زوج ربما أدى ذلك إلى بغض زوجته، ونقصان منزلتها عنده[1].

وإن وصفتها بقبح، كان ذلك غيبة[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن النظر إلى العورة وأن تصف امرأة محاسن امرأة أخرى لزوجها.

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٣٣٨/٩، وعون المعبود ١٣٢/٦، وشرح ابن بطال على صحيح البخاري ٣٨٦/١٢.

(٢) شرح ابن بطال على صحيح البخاري ٣٦٨/١٣.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: سدّ الذرائع إلى المحرمات.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: الحث على التستر والحشمة والبعد عن أسباب الإثارة والفتن.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن النظر إلى العورة وأن تصف امرأة محاسن امرأة أخرى لزوجها:

وها واضح من الحديث: (لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها) وفي رواية عند النسائي: ((نَهَى رسولُ الله أَنْ تُبَاشِرَ المرأةُ المرأةَ في ثوبٍ واحدٍ، من أَجْلِ أَنْ تَصِفَهَا لِزَوْجِهَا))[١]، وفي رواية عنده عن ابن مسعود موقوفاً: ((لا تباشر المرأةُ المرأةَ، ولا الرجلُ الرجلَ))[٢].

قال ابن هبيرة: "أما مباشرة المرأة المرأة، فإنه يدل على أنه يكره للمرأة أن تصف لزوجها امرأة أخرى، والمراد بالمباشرة قيل: إنه رؤية البشرة، فلا ينبغي أن تصف ذلك لزوجها، لا على وجه المدح فربما عرضه للافتتان بها، ولا على وجه الذم والوقيعة، فتمدح نفسها، فعلى الحالين الوصف مكروه"[٣].

قال المناوي: "أي: لا تمس امرأة بشرة أخرى، ولا تنظر إليها، فالمباشرة كناية عن النظر، إذ أصلها التقاء البشرتين، فاستعير إلى النظر البشرة، يعني لا تنظر إلى بشرتها، فتصف ما رأت من حسن بشرتها لزوجها كأنه ينظر إليها، فيتعلق قلبه بها، فيقع بذلك فتنة، والنهي منصب على المباشرة والنعت معاً"[٤].

وقد قال النبي ﷺ كذلك: ((لاَ يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلاَ الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ، وَلاَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلاَ تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ))[٥].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى ٩١٨٦.

(٢) السنن الكبرى ٩١٨٨.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥٨/٢.

(٤) فيض القدير ٢٨٥/٦.

(٥) أخرجه مسلم ٣٣٨.

قال ابن حجر: "قال النووي[1]: فيه تحريم نظر الرجل إلى عورة الرجل والمرأة إلى عورة المرأة، وهذا مما لا خلاف فيه، وكذا الرجل إلى عورة المرأة والمرأة إلى عورة الرجل حرام بالإجماع، ونبّه ﷺ بنظر الرجل إلى عورة الرجل والمرأة إلى عورة المرأة على ذلك بطريق الأولى، ويستثنى الزوجان فلكل منهما النظر إلى عورة صاحبه، إلا أن في السوأة اختلافاً والأصح الجواز، لكن يكره حيث لا سبب، وأما المحارم فالصحيح أنه يباح نظر بعضهم إلى بعض لما فوق السرة وتحت الركبة، قال: وجميع ما ذكرنا من التحريم حيث لا حاجة [كما في حالة البيع والشراء والتطبب والشهادة ونحو ذلك] ومن الجواز حيث لا شهوة، وفي الحديث تحريم ملاقاة بشرتي الرجلين بغير حائل إلا عند ضرورة، ويستثنى المصافحة، ويحرم لمس عورة غيره بأي موضع من بدنه كان بالاتفاق، قال النووي: ومما تعم به البلوى ويتساهل فيه كثير من الناس الاجتماع في الحمام، فيجب على من فيه أن يصون نظره ويده وغيرهما عن عورة غيره، وأن يصون عورته عن بصر غيره، ويجب الإنكار على من فعل ذلك لمن قدر عليه، ولا يسقط الإنكار بظن عدم القبول، إلا أن خاف على نفسه أو غيره فتنة"[2].

وقال ابن عثيمين: "لا يجوز للإنسان أن يصف امرأة لرجل فيقول: صفتها كذا كالطول والحسن والبياض وما أشبه ذلك، إلا إذا كان هناك موجب شرعي، مثل أن يكون هذا الرجل يريد أن يتزوجها، فيصفها له أخوها مثلاً من أجل أن يقدم أو يترك، لأن هذا لا بأس به، كما أنه يجوز للخاطب إذا خطب امرأة أن ينظر إليها، من أجل أن يكون هذا أدعى لقبوله أو رفضه"[3].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: سدّ الذرائع إلى المحرمات:

وهذا واضح من النهي في الحديث، قال ابن حجر: "قال القابسي: هذا أصل لمالك

(١) شرح صحيح مسلم ٣١/٤/٢ - ٣٢، ط/ دار عالم الكتب وآثرنا نقله عن ابن حجر نظراً لأنه لخصه وأتى بفوائده، بعيداً عن الاختلافات الفقهية التي ذكرها النووي.

(٢) فتح الباري ٣٣٨/٩ - ٣٣٩. ط/ السلفية

(٣) شرح رياض الصالحين ١٧٩١/٢.

في سد الذرائع، فإن الحكمة في هذا النهي خشية أن يعجب الزوج الوصف المذكور، فيفضي ذلك إلى تطليق الواصفة أو الافتتان بالموصوفة"[١]، وقال ابن عثيمين: "هو من جهة الزوجة ضرر عليها، وذلك لأنه إذا وصفت المرأة لزوجها، فربما يرغب فيها ويتزوجها عليها، ويقع بينهما مشاكل كما هي العادة"[٢].

قال الدكتور عبدالكريم زيدان: "الذرائع معناها: الوسائل، فإذا كانت الوسائل مفضية إلى الحرام والفساد، كانت هذه الوسائل محرمة ووجب سدها ومنعها، حسماً لمادة وسائل الفساد، وإن كانت هذه الوسائل تؤدي إلى أمر مطلوب في الشرع كانت هذه الوسائل مطلوبة أيضاً، فالذرائع تسد وتمنع إذا كانت تفضي إلى الفساد، وتجب وتفتح إذا كانت تفضي إلى المصالح، ولكن أكثر ما يطلق اسم الذرائع على الأفعال والطرق المؤدية إلى الشر والفساد، ولهذا إذا قيل سد الذرائع فيراد سد الطرق ومنع الأفعال المؤدية إلى الشر والفساد، والفعل يكون وسيلة إلى الفساد فيمنع بغض النظر عن قصد صاحبه، لأن المنظور إليه في هذا الباب مآلات الأفعال، أي ما تؤدي إليه، فإن كان المآل فساداً كان الفعل المؤدي إليه ممنوعاً سداً لذريعة الفساد، وإن لم يقصد الفاعل بفعله الفساد، وأصل سد الذرائع مشهود له بالصحة بدلائل الكتاب والسنة وعمل الصحابة"[٣].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: الحث على التستر والحشمة والبعد عن أسباب الإثارة والفتن:

وهذا واضح من الحديث، وقد قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[٤].

---

(١) فتح الباري ٩/٣٣٨.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٩٢.

(٣) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم زيدان، ص ١٧١، وانظر: الموسوعة الفقهية ٢٤/٢٧٦ وما بعدها.

(٤) سورة النور، الآيتان: ٣٠ - ٣١.

قال ابن تيمية: "والله سبحانه قد أمر في كتابه بغض البصر، وهو نوعان: غض البصر عن العورة، وغضه عن محل الشهوة، فالأول: كغض الرجل بصره عن عورة غيره، كما قال النبي ﷺ: ((لا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلاَ الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ))[١]، ويجب على الإنسان أن يستر عورته، كما قال لمعاوية بن حيدة: ((احْفَظْ عَوْرَتَكَ إلا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ، قَالَ: قُلْتُ: فَإِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ: إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا يَرَاهَا أَحَدٌ فَلا يَرَيَنَّهَا، قُلْتُ: فَإِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ: اللَّهُ تَعَالَى أَحَقُّ أَنْ يَسْتَحْيِيَ مِنْهُ))[٢]، ويجوز كشفها بقدر الحاجة، كما تكشف عند التخلي، وكذلك إذا اغتسل الرجل وحده بحيث يجد ما يستره، فله أن يغتسل عرياناً، كما اغتسل موسى عليه السلام عرياناً، وأيوب عليه السلام وكما في اغتسال النبي ﷺ يوم الفتح واغتساله في حديث ميمونة، وأما النوع الثاني من النظر - كالنظر إلى الزينة الباطنة من المرأة، فهذا أشد من الأول، كما أن الخمر أشد من الميتة والدم ولحم الخنزير وعلى صاحبها الحد"[٣].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[٤].

قال ابن القيم: "فمنعن من الضرب بالأرجل وإن كان جائزاً في نفسه، لئلا يكون سبباً إلى سمع الرجال صوت الخلخال، فيثير ذلك دواعي الشهوة منهن إليهن"[٥].

ولا شكّ أن الابتعاد عن التستر والحشمة، واقتحام أسباب الفتنة والإثارة، له من الآثار الخطيرة والنتائج السيئة مما لا يخفى على عاقل، كما هو مشاهد في عالم اليوم، فكم من الأعمار أنفقت من أجل تحصيل شهوات لا تحل، بسبب سهولة الوصول إليها وشيوعها في المجتمعات، وكم من النفوس قد راحت من جرّاء الأمراض الخطيرة والعلل الفتاكة، التي نتجت عن ارتكاب ما حرم الله.

---

(١) أخرجه مسلم ٣٣٨.

(٢) أخرجه أحمد ٤/٩ رقم ٢٠٠٢٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن، وانظر: تتمة تخريجه في المسند ٢٣٥/٣٣.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٤١/٨، ، ٤١٤/١٥ - ٤١٥. ط/ابن قاسم.

(٤) سورة النور، آية: ٣١.

(٥) بدائع التفسير ٢٤٩/٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية الوقائية:

من أهداف التربية الإسلامية: الوقاية من المثيرات الجنسية، والوقاية من الوقوع في الزنا، لهذا قال النبي ﷺ: «لاَ تُبَاشِرْ المَرْأَةُ المَرْأَةَ فتَصِفهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا».

فهذا الحديث أصل في سد الذرائع، فإن الحكمة في النهي خشية أن يعجب الزوج الوصف المذكور، فيفضي ذلك إلى تطليق الواصفة أو الافتتان بالموصوفة[1]، فإن الزوج قد تتحرك نفسه إلى الوقوع في الزنا من الموصوفة.

فالوقاية بسد الذرائع المؤدية إلى مفاسد الأخلاق هدف تربوي ونصوص الشريعة تعمل على سد ذرائع الزنا ودواعيه، ومن سد ذريعة الزنا أن الإسلام "حرم المفاخرة بالجماع، لأنه ذريعة إلى تحريك النفوس، والتشبه، وقد لا يكون عند الرجل ما يغنيه من الحلال فيتخطّى إلى الحرام"[2].

قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»[3].

فمن واجب الأسرة والمجتمع أن يزرع في المتربي التقيد بالنصوص الإسلامية وينشئهم عليها حتى تكون لهم بمنزلة الحاجز من الوقوع في فاحشة الزنا.

إن التوجيهات الإسلامية تغرس فيمن تأملها وتدبرها الوقاية من الوقوع في الكثير من الرذائل الخلقية فهي بمنزلة الحاجز له منها[4]. كذلك ينبغي على المربي والمجتمع وقاية الناشئة من الإثارات الجنسية.

فإذا كانت الوقاية خيرًا من العلاج في عالم الصحة، فإن وقاية الأبناء من الإثارات الجنسية، التي قد تجر إلى الفاحشة والتردي في الرذيلة، أسلم وأيسر من تقويمهم بعد

---

(١) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٢٢٢/٣، ٢٢٣.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص٦٢٦ بتصرف.

(٣) أخرجه مسلم، ١٤٣٧.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د/خالد بن حامد الحازمي، ص٦٨، ٦٩.

انحرافهم، في مجال الجنس.

لذلك أمرنا ديننا الحنيف - كآباء ومربين - بتجنيب الأولاد الإثارات الجنسية. فقال بشأن ستر المرأة لمفاتنها ولزينتها منعًا للإثارة: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾[1].

وقال ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُم بالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»[2].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تأمر الآباء والأمهات وكل المربين باتخاذ الاحتياطات اللازمة والأسباب الواقية في تجنيب الأبناء الإثارات الجنسية، حتى يتربوا على الصلاح والخلق الفاضل[3].



(١) سورة النور، الآية:٣١.

(٢) أخرجه أبو داود، ٤٩٥، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود، ٤٦٦).

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص٤٨، ٤٩.

٣٣٢- باب كراهة قول الإنسان: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إنْ شِئْتَ بل يجزم بالطلب

الحديث رقم (١٧٤٥)

١٧٤٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول اللهِ ﷺ، قال: ((لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إنْ شِئْتَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إنْ شِئْتَ، لِيَعْزِم المَسْأَلَةَ، فَإنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَهُ)) متفق عليه[١].

وفي رواية لمسلم[٢]: ((وَلكِنْ لِيَعْزِمْ وَلْيُعْظِم الرَّغْبَةَ فَإنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لِيَعْزِم المَسْأَلَةَ: لِيَجِدَّ فيها ويقطعها[٣].

الشرح الأدبي

من آداب الذكر والدعاء في الإسلام: الإخلاص وحسن النية، والإلحاح في الطلب، والثقة في كرم الله عز وجل، وفي عطائه الذي لا يحد، فهو عطاء تام غير منقوص، وهو لا يشغله شيء عن شيء، وأن يتدبر الداعي كلمات الدعاء، وأن ينبض بها قلبه، وتنطق بها مشاعره وأحاسيسه قبل أن يتحرك بها لسانه.

وهذا الحديث الشريف يفتح منافذ الرجاء، وأبواب العطاء أمام الداعية والمستغفرين بالأسحار وفي كل وقت وحين ..آناء الليل وأطراف النهار.

وأسلوب الحديث يتسق مع مقاصده الشريفة، وتوجيهاته السديدة: ويبدأ الحديث

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩) واللفظ له، ومسلم (٩/٢٦٧٩).

(٢) برقم (٨/٢٦٧٩).

(٣) النهاية في (ع ز م).

بأسلوب النهي مع تأكيد الفعل المنهي عنه بنون التوكيد الثقيلة في قوله: "لا يقولن أحدكم"، أي: في دعائه: أو، وهو يدعو، وحذفت للإيجاز ولعدم الفصل بين القول: ومقول القول، والقول المنهي عنه في الحديث هو قول الداعي: إن شئت: حين يقول: "اللهم ارحمني، أو : اللهم اغفر لي": وتكرر لفظ الجلالة المقترن بالميم الدالة على الجمع: للإشارة بأن الله رب العالمين، وليس رب الداعي وحده، ويمكن أن يكون الدعاء جماعياً والإمام يقول: ويردد المأمومون وراءه هذا الدعاء المقترن بأسلوب الشرط، وتكرر كذلك: قوله "إن شئت": لمزيد من التحذير بتجنب هذه الصيغة في الدعاء وهي صيغة الشرط، حيث قال العلماء: سبب كراهة ذلك أنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجه عليه الإكراه، فيخفف عنه، ويعلم أنه لا يطلب منه ذلك الشيء إلا برضاه، والله منزه عن ذلك، وقيل: إن سبب الكراهة، أن في هذا اللفظ: أي في تعليق الدعاء بالشرط والمشيئة صورة الاستغناء عن المطلوب والمطلوب منه؛ وهذا لا يليق بذات الله وجلاله: فإن الله صانع ما شاء لا مكره له.

ولذلك: ختم الحديث بالأمر الصريح المباشر في هذه الصيغة البليغة "ليعزم المسألة فإنه لا مكره له"، والتأكيد في الجملة الأخيرة، يطمئن المسلم ويدعو إلى الثقة بربه والتوكل عليه، فهو يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، وقال العلماء عزم المسألة، الشدة في طلبها، والجزم به من غير ضعف في الطلب، ولا تعليق على مشيئته ونحوها، والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديثين[1] من الفقه: استحباب الجزم في الطلب، وكراهة تعليقه على المشيئة فلا يقول اللهم أعطني إن شئت، ونحو ذلك، لما في هذا الأسلوب من الاستغناء عن المطلوب[2].

---

(١) الحديث رقم (١٧٤٥)، (١٧٤٦).

(٢) شرح صحيح مسلم ٤١/٩، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٣٣٠/٩.

بل ينبغي على الداعي أن يجتهد في الدعاء، ويكون راجياً للإجابة، ولا يقنط من رحمة الله، فإنه يدعو كريماً[1].

قال ابن عيينة[2]: (لا يمنعن أحداً الدعاء ما يعلم في نفسه -يعني من التقصير- فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه، وهو إبليس، حين قال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[3].

هذا وحمل النهي - هنا - على الكراهة، وهو ما ذهب إليه النووي، وحمله ابن عبدالبر على التحريم، والأول أولى[4].

المضامين الدعوية[5]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الجزم في الدعاء وعدم الاستثناء فيه.

ثانياً: من آداب المدعو: الإقبال على الله في الدعاء.

ثالثاً: من مهام الداعية: تعليم السائل لربه كيف يسأل.

رابعاً: من أساليب الدعوة: التعليل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الجزم في الدعاء وعدم الاستثناء فيه:

وهذا واضح من النهي: (لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مكره له)، كما هو واضح أيضاً من الأمر والنهي المؤكد للأمر: (فليعزم في المسألة ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني)، قال ابن حجر: "ومعنى الأمر بالعزم: الجد فيه، وأن يجزم بوقوع مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشيئة الله تعالى، وإن كان مأموراً في جميع ما يريد فعله أن يعلقه بمشيئة الله تعالى"[6].

---

(١) شرح ابن بطال على صحيح البخاري ١٣٦/١٩، والاستذكار لابن عبدالبر ٥٢٥/٢.

(٢) فتح الباري لابن حجر ١٤٠/١١.

(٣) سورة الحجر، آية: ٣٦.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤١/٩، والاستذكار لابن عبدالبر ٥٢٥/٢، وشرح الزرقاني على الموطأ ٤٧/٢.

(٥) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٤٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٤٦).

(٦) فتح الباري ١٤٠/١١.

وقال العز بن عبدالسلام: "الاستثناء في غير الدعاء توحيد وتفويض إلى الله وبراءة من الحول والقوة"[١].

قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث أن الداعي ينبغي أن يعزم في السؤال ولا يتردد، فإن التردد في المسألة نذير التردد في الإيمان، فإن الله تعالى كما قال رسول الله ﷺ لا يكره ولا يغيض ما عنده سبحانه"[٢].

وقال الطيبي: (قال المظهر: نهى عن قول: إن شئت في الدعاء، لأنه شك في القبول، بل ليعزم مسألته وليكن مستيقناً في قبول الدعاء، فإن الله تعالى كريم لا بخل عنده، وقدير لا يعجز عن شيء، ولا يكرهه أحد، ولا يحكم عليه، فلا يجوز أن يقال: اغفر لي إن شئت، والضمير في (أعطاه)، يرجع الى شيء، يعني لا يعظم عليه إعطاء بل جميع الموجودات في أمره يسير)[٣].

وقال ابن عبدالبر: "يدخل في معنى قوله: (اللهم اغفر لي إن شئت، وارحمني إن شئت، كل دعوة، فلا يجوز لأحد أن يقول: اللهم أعطني كذا إن شئت، وتجاوز عني إن شئت، وهب لي من الخير كذا إن شئت من أمر الدين والدنيا، لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك، ولأنه كلام مستحيل لا وجه له، لأنه لا يفعل إلا ما شاء، لا شريك له"[٤].

وقال ابن عثيمين: (ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له، يعني الله عز وجل إن غفر لك فمشيئته، أو رحمك فمشيئته، لا أحد يكرهه على ذلك، فهو يفعل ما يشاء ويختار عز وجل، لا مكره له حتى تقول إن شئت، كذلك أيضاً يقول الإنسان: إن شئت كأنه يتعاظم الشيء، فيقول: إن شئت فأت به وإن شئت لا تأت، والله تعالى لا يتعاظمه شيء

---

(١) شجرة المعارف والأحوال ص ٢٣٩. والاستثناء قولنا: إن شاء الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ لسورة الكهف، الآيتان: ٢٣ - ٢٤].

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٢٩/٥.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٣٠٣/٤.

(٤) التمهيد ٢٢٠/٧، موسوعة شروح الموطأ.

أعطاه، مهما عظم الشيء، فإن الله تعالى غني كريم يعطي الكثير)[1].

وقال ابن حجر: "والمراد أن الذي يحتاج إلى التعليق بالمشيئة ما إذا كان المطلوب منه يتأتى إكراهه على الشيء، فيخفف الأمر عليه، ويعلم بأنه لا يطلب منه ذلك الشيء إلا برضاه، وأما الله سبحانه فهو منزه عن ذلك فليس للتعليق فائدة"[2].

ثانياً- من آداب المدعو: الإقبال على الله في الدعاء:

وهذا واضح من النهي: (لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت) والأمر: (ليعزم المسألة)، قال ابن حجر: "وقيل: معنى العزم أن يحسن الظن بالله في الإجابة... ومعنى قوله: (ليعظم الرغبة أي: يبالغ في ذلك بتكرار الدعاء والإلحاح فيه، ويحتمل أن يراد به الأمر بطلب الشيء العظيم،وتؤيده رواية: (فإن الله لا يتعاظمه شيء)، وقيل: المعنى أن فيه - أي في التعليق على المشيئة - صورة الاستغناء عن المطلوب والمطلوب منه، وقال ابن بطال: في الحديث أنه ينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء ويكون على رجاء الإجابة، ولا يقنط من الرحمة فإنه يدعو كريماً، وقد قال ابن عيينة: لا يمنعن أحداً الدعاء ما يعلم في نفسه - يعني من التقصير - فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس حين قال: ﴿أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[3]، وقال الداودي: معنى قوله: (ليعزم المسألة) أن يجتهد ويلح ولا يقل إن شئت كالمستثنى، ولكن دعاء البائس الفقير. قلت: وكأنه أشار بقوله كالمستثنى إلى أنه إذا قالها على سبيل التبرك لا يكره وهو جيد"[4].

والمتأمل في هذه الأقوال يجد أنه يمكن ردّها إلى معنى واحد وهو الإقبال على الله في الدعاء، ولهذا قال القرطبي: "إنما نهى الرسول ﷺ عن هذا القول؛ لأنه يدل على فتور الرغبة، وقلة التهمم بالمطلوب. وكأن هذا القول يتضمن: أن هذا المطلوب إن حصل، وإلا استغنى عنه، ومن كان هذا حاله لم يُتحقق من حالة الافتقار والاضطرار

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٩٢ - ١٧٩٣.

(٢) فتح الباري ١١/١٤٠ ط/ السلفية، وانظر: المفهم ٧/٢٩ - ٣٠.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١١/١٤٠.

الذي هو روح عبادة الدعاء، وكان ذلك دليلاً على قلة اكتراثه بذنوبه، وبرحمة ربه، وأيضاً فإنه لا يكون مُوقناً بالإجابة، وقد قال ﷺ: ((ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بالإجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبِ غَافِلٍ لاَهٍ))[1]. ثم إن النبي ﷺ لم يكتف بالنهي عن ذلك حتى أمر بنقيضه فقال: (ليعزم في الدعاء) أي: ليجزم في طلبته، وليحقق رغبته ويتيقن الإجابة؛ فإنه إذا فعل ذلك: دلّ على علمه بعظيم قدر ما يطلب من المغفرة والرحمة، وعلى أنه مفتقرٌ لما يطلب، مضطراً إليه، وقد وعد الله المضطر بالإجابة بقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[2])[3]".

وقال ابن القيم: "وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب وجمعه بكليته على المطلوب وصادف وقتاً من أوقات الإجابة، وصادف خشوعاً في القلب وانكساراً بين يدي الرب، وذلّة له وتضرعاً ورقة، واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله، ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله وألح عليه في المسألة وتملقه ودعاه رغبة ورهبة، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدّم بين يدي دعائه صدقة، فإن هذا الدعاء لا يكاد يردّ أبداً"[4].

ثالثاً- من مهام الداعية: تعليم السائل لربه كيف يسأل:

وهذا واضح من الحديث، قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه: تعليم السائل لربه كيف يسأل، وأن الله سبحانه لما عظُم كرمه، وغزر فضله، لم يكن ينال ذلك بمقتضى مبلغ عقول البشر، فعلّمهم سبحانه كيف يسألون فضله بألسنة الطلب؛ ومن ذلك ما علمهم إياه على لسان رسوله ﷺ، ومنه ما ادخره ليعلمه عباده في الآخرة، فكان من ذلك الذي علمهم إياه على لسان رسوله ﷺ أن يعزم العبد المسألة،

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٤٧٩، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٧٦٦).

(٢) سورة النمل، آية: ٦٢.

(٣) المفهم ٧/٢٩.

(٤) الداء والدواء ص ١٤ - ١٥.

ويجزمها، ويقطع بها، ولا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، فإن قوله: إن شئت في سؤاله يدل على ضعف السائل وتردده من حيث إنه نظر عند طلبه إلى ما كان منه من السوء، ولو قد نظر عند طلبه إلى جود ربه سبحانه، وأوسع الطلب، وأعظم السؤال، لكان ذلك مما يناسب كرم الرب جل جلاله، إذ ليس عطاء الله سبحانه على مقدار سائله؛ ولكنه بحسب جود المعطي.

وليعزم في سؤاله؛ فإن كرم الله متسع لذلك وأمثاله، ومتى علقه بالمشيئة استدل بذلك منه، على أنه لم يعرف الله حق معرفته، ويدل على ما قلناه قوله: (فإنه لا مكره له) لأنه لو لم يشأ لم يشرع الدعاء، ولم يندب الخلق إلى الطلب، فلما شرع الدعاء وندب إليه، واستدعى من الخلق أن يمدوا أيديهم إلى فضله، علمنا أنه قد شاء الإجابة.

واعلم أنه شرع ذلك قبل أن يسأله السائلون عن غير إكراه، إذا الخلق كلهم دون أن يتعرضوا لنيل شيء من فضله إلا عن خضوع وسؤال وطلب.

ويدل على ما قلنا قوله: (وليعظم الرغبة) أي: لا يقتصر، فإن أحد ملوك هذه الدنيا لو قد تعرض له سائل فتوصل إلى لقائه فلما واجهه قال له: سلني، فلما سأله، [سأله] فلساً من نحاس لاستهجن ذلك وخاطبته العقول بألسنة الأحوال، يا هذا: تسأل من هذا الملك الواجد، وقد قال لك: اطلب مني، ودعاك إلى سؤاله، هذا المقدار اللطيف؛ لقد أفصحت بمسألتك هذا عن تبخيل هذا الملك أو اختلال عقلك.

فجميع الدنيا، وأضعافها، وما يعطيه الله في الجنة لعبده على سعتها، وكثرة العطاء إذا قيس الكثير منه إلى ما يجود به ذلك إلى الملك من أهل الدنيا من الفلس النحاس، كان الفلس في حال ذلك الملك مؤثراً، وفي جوده معتبراً، وجميع الدنيا، وسائر عطايا الجنة غير مؤثر فيما عند الله عز وجل ولا في عطائه"[1].

رابعاً- من أساليب الدعوة: التعليل:

وهذا واضح من تعليله ﷺ عن التعليق على مشيئة الله تعالى، في الدعاء، والأمر

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٧/٢٤٠ - ٢٤١.

بالعزم فيه والجدّ، وذلك (بأن الله لا مكره له)، (وأن الله تعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه)، وأنه (لا مستكره له)، وهذا التعليل يزيد المدعوين اقتناعاً على اقتناع بما أمرهم به الداعية أو نهاهم عنه.

الحديث رقم (١٧٤٦)

١٧٤٦- وعن أنس ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **((إذا دَعَا أحَدُكُمْ فَلْيَعْزِم المَسْأَلَةَ، وَلاَ يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لاَ مُسْتَكْرِهَ لَهُ))**. متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

فليعزم المسألة: فليجدَّ فيها وليقطعها[2].

لا مستكره له: أي أن الله تعالى لا يتأتى إكراهه على شيء فهو يفعل ما يشاء ويرضى[3].

الشرح الأدبي

إن الله سبحانه وتعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيئو النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئو الليل، ويقول: ادعوني استجيب لكم، وهذا الحديث الشريف يتوهج بالعطاء الإلهي الذي تألقت أشعته في الحديث السابق، ولكن الأداء الأسلوبي في هذا الحديث متنوع، ويتضمن صيغاً أسلوبية جديدة تقدم المعنى الجليل الذي تضمنه الحديث السابق، وهذا من سمات بلاغة البيان النبوي: فالمعنى واحد، ولكن تتعدد طرقه وأساليبه لمزيد من الترغيب والترهيب.

ويبدأ الحديث: بأسلوب الشرط: وأداة الشرط "إذا" ومجيء هذه الأداة في هذا السياق إيحاء بتحقق إجابة الدعاء، وفيها كذلك حث على الدعاء وتحققه، لأن جواب الشرط يتحقق بتحقق فعل الشرط، وإذا تفيد اليقين والتحقق، ولنتأمل هذه الجملة

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٨) واللفظ له، ومسلم (٢٦٧٨/٧).

(٢) النهاية في (ع ز م).

(٣) انظر: فتح الباري ١٤٤/١١.

الشرطية المتوهجة بالبشارة والوعد الكريم "إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة" أي: فليكن جاداً وشديداً في طلبه من غير ضعف ولا تردد في الطلب.

ثم يأتي أسلوب آخر بعد هذا الترغيب: وهو النهي عن تعليق الدعاء بالمشيئة: وفي ذلك ترهيب للسائل وتحذير من هذا النهج في الدعاء، والنهي جاء مؤكداً كما في الحديث السابق، "ولا يقولن: اللهم: إن شئت فأعطني"، وقيل لأن ذلك. كلام مستحيل لا وجه له: لأن الله لا يفعل إلا ما يشاء، وأداة الشرط: "إن" تحمل معنى الشك والتردد، وكأن هذه الصيغة منهي عنها، لأنها توحي بعدم الثقة في قدرة الله عز وجل، والمؤمن الحق براء من ذلك، وصيغة الاستفعال في قوله: "فإنه لا مستنكره له": توحي بأن الله يفعل ما يشاء، وأنه على كل شيء قدير، وهو صانع ما شاء، ولا يقدر أحد على حجب نفع أراده الله، أو رد ضر شاءه الله، وينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء، ويكون على رجاء الإجابة، ولا يقنط من الرحمة، فإنه يدعو كريماً كما قال ابن بطال.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على تعظيم الله عز وجل:

من أهداف التربية الإسلامية: تعظيم الله عز وجل وتعظيم شأنه، فيصدق المسلم تصديقًا جازمًا بأن الله - سبحانه وتعالى - هو الخالق المالك لهذا الكون، بما فيه، والمتصرف فيه تصرفًا مطلقًا، والقادر على إيجاد الشيء من العدم على غير مثال سابق، والمتصرف المطلق بتدبير الكون بمشيئته وحده، وذلك بإحداث ما يشاء وزيادة ما يشاء، وإنقاص ما يشاء من المقادير، في غير حاجة إلى شيء لأنه تعالى المحيي المميت القابض الباسط الرزاق النافع الضار المعز المذل....إلخ [1].

وإن تقوية تعظيم الله في النفوس هو الأساس الذي تتفرع منه فروع الاعتقاد، وقد عاب تبارك وتعالى على أهل الزيغ والضلال أنهم لم يقدروه حق قدره، فقال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2]. وحين يستقر تعظيم الله تبارك وتعالى في النفس، ويملك صاحبه العلم الصحيح، فإنه يسلم له اعتقاده، وتنضبط حياته بشرع الله تبارك وتعالى [3].

فعلى المربي غرس تعظيم الله في النفوس، فالله جلا وعلا عظيم يجب أن يعظم، وهناك ألفاظ لا يجوز أن تقال في حقه سبحانه تعظيمًا له. ومن هذه الألفاظ التي لا تقال في حق الله تعالى: اللهم اغفر لي إن شئت، فطلب الحاجة من الله لا يعلق على المشيئة وإنما يجزم به.

ولهذا قال ﷺ: ((لاَ يَقُولُ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إنْ شِئْتَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إنْ شِئْتَ. لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ فإنَّه لاَ مُكْرِهَ لَهُ». وفي رواية لمسلم: «وَلَـٰكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ. وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ. فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ)).

---

(١) انظر: أصول التربية، د/أمين أبولادي، ٨١، ٨٢.

(٢) سورة الزمر، الآية:٦٧.

(٣) تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش، ص٥٤.

والنهي عن ذلك لأمرين:

الأول: أن الله سبحانه لا مكره له على الفعل، وإنما هو يفعل ما يريد؛ بخلاف العبد؛ فإنه قد يفعل الشيء وهو كاره، ولكن يفعل لخوف أو رجاء من أحد، والله ليس كذلك.

الثاني: أن التعليق على المشيئة يدل على فتور في الطلب وقلة رغبة فيه؛ فإن حصل، وإلا استغنى عنه، وهذا يدل على عدم الافتقار إلى الله.

وفي رواية مسلم الأمر بتعظيم الطلب، لأن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه، أي: لا يكبر عليه سبحانه ولا يعسره، وليس عنده بعظيم، وإن عظم في نفس المخلوق، وذلك لكمال فضله، ووجوده، وسعة غناه، فهو يعطي العظائم، ولا يعجزه شيء ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1][2].

ثانيًا: التربية على الثقة وحسن الظن بالله:

من أهم أهداف التربية الإسلامية: ترسيخ الثقة حسن الظن بالله - عز وجل - فهذا هدف تربوي رئيس، يجب غرسه في نفس المسلم، فيجب عليه أن يظن بالله أحسن الظن، لكن بشرط أن يوجد لديه السبب الذي يوجب الظن الحسن، وهو أن يعبد الله على مقتضى شريعته مع الإخلاص، فإذا فعل ذلك فعليه أن يظن أن الله يقبل منه، ولا يسيء الظن بالله بأن يعتقد أنه لا يقبل منه [3].

فسوء الظن بالله خطير، لأن حسن الظن بالله من واجبات التوحيد، وسوء الظن به ينافي التوحيد [4].

وإذا كان الأمر عائدًا إلى قدرة الله، فهذا يوجب أن يكون المسلم جازماً بأن الله قادر على ذلك، قال تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[5].

---

(١) سورة يس، الآية:٨٢.

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د/صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، ص١٥٧، ١٥٨.

(٣) انظر: القول المفيد، ابن عثيمين، ٢/٣٨٣.

(٤) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح الفوزان، ص١٠٤، ١٠٥.

(٥) سورة غافر، الآية:٦٠.

أما من حيث الدعاء مع ما عند الإنسان من موانع أو عدم توافر الأسباب، فقد يتردد الإنسان في الإجابة، ومع ذلك ينبغي أن يحسن الظن بالله، لأن الله عز وجل قال: "ادعوني استجب لكم"، فالذي وفق لدعائه أولاً سَيَمُنّ بالإجابة آخرًا، لاسيما إذا أتى الإنسان بأسباب الإجابة، وتجنب الموانع [1].

ولهذا قال النبي ﷺ: "إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولن: اللهم إن شئت، فأعطني، فإنه لا مستكره له". وفي رواية لمسلم: " ولكن ليعزم وليعظم الرغبة فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه".

فينبغي على المسلم أن يتوجه بالدعاء إلى الله عز وجل، وأن يكون على يقين بأن الله يسمع دعاءه، وأنه تعالى سوف يستجيب له.



(١) انظر: القول المفيد، ابن عثيمين، ٣٢٣.

٣٣٣- باب كراهة قول: ما شاء اللهُ وشاء فلان

الحديث رقم (١٧٤٧)

١٧٤٧- عن حُذَيْفَةَ بنِ اليمانِ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قال: ((**لاَ تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلاَنٌ؛ وَلكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلاَنٌ**)). رواه أبو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٤).

الشرح الأدبي

إن لغة الخطاب والحديث عن الله عز وجل يجب أن لا تشوبها شائبة، وأن لا تكدرها شبهة، وأن تسمو لفظاً ومعنى، وشكلاً ومضموناً، وأن يكون مصدرها الوجدان قبل اللسان، وباعثها الشعور الفياض بهالات الإيمان، والبيان النبوي من سمات بلاغته، مراعاة مقتضى الحال، وإرساء القاعدة البلاغية التي تقول: لكل مقام مقال.

والمصطفى صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف يلقن المسلمين درساً في كيفية التحدث عن المشيئة الإلهية، وهذه الكيفية قد ترتبط بحرف دون حرف وبالعدول عن كلمة إلى كلمة أخرى، وبحسن اختيار اللفظ، وحسن تركيب الجملة، وحسن أدائها، وقوة التدبر والتفكر في دلالة التراكيب والأساليب، مع استحضار عظمة الله في كل حرف، واستحضار رحمته وقوته، وبطشه وعلمه في كل مقام حسب سياق الخطاب، وجو الحديث.

ولنتأمل الفرق بين الصيغتين: صيغة نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: وهي التي تفيد الجمع والتماثل بين المشيئة الإلهية، والمشيئة الإنسانية. وهذا غير جائز شرعاً: ولذلك نهى رسول الله وقال: لا تقولوا ما شاء الله، وشاء فلان، دفعاً للوهم الذي توحي به الواو من حيث: المشاركة في المشيئة، ومشيئة الله أزلية قديمة، ومشيئة العبد حادثة ممكنة،

---

(١) برقم (٤٩٨٠). قال العراقي في تخريج الإحياء (٣٠٦٥): رواه أبو داود والنسائي في الكبرى بسند صحيح.

فالواو هنا: هي التي أحدثت هذا الإشكال، وذلك الوهم الذي تبطل به عقيدة القائل، وهو لا يدري سبب ما وقع فيه: والسبب جهله بمعاني الحروف ودلالتها في اللغة العربية.

وأما الصيغة الثانية التي تزيل اللبس، وتدفع الوهم، وينجو بها الإنسان من مزالق التردي في الشبهات، فهي الصيغة الأولى نفسها ولكن مع قوله "ثم"، وثم من حروف العطف التي تفيد الترتيب والتتابع والتراخي أي أنها تفيد: انفصال المشيئة الإلهية عن المشيئة الإنسانية، ولذلك قال: "ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان".

ويرى الإمام الشافعي أن من جهل سعة لسان العرب، وكثرة ألفاظها، وافتنانها من مذاهبها، جهل جُمل علم الكتاب، ومن علمها، ووقف على مذهبها، وفهم ما تأوله أهل التفسير فيها، زالت عنه الشبه الداخلة على من جهل لسانها من ذوي الأهواء والبدع. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة أن يقول الرجل ما شاء الله وشاء فلان، لأن هذا اللفظ يقتضي التشريك بين الله تعالى وعباده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (لا ينبغي للعبد أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان، وما لي إلا الله وفلان، وأطلب حاجتي من الله وفلان للحديث.

وقال رجل للرسول ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: أجعلتني لله نداً؟! بل ما شاء الله وحده)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن قول: ما شاء الله وشاء فلان.

ثانياً: من آداب الداعية: البيان والتوضيح.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن قول: ما شاء الله وشاء فلان:

هذا واضح من النهي في الحديث، قال ابن عثيمين: "الكراهة - أي في قول النووي:

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠٧/٣٥، وأيضاً: شرح صحيح مسلم ١٥٩/٦، نيل الأوطار ٣١/٧.

باب كراهة قول ما شاء الله وشاء فلان - هنا يراد بها التحريم، يعني: أنك إذ تقول: ما شاء الله وشاء فلان، أو ما شاء الله وشئت، أو ما أشبه ذلك، وذلك أن الواو تقتضي التسوية إذا قلت: ما شاء الله وشاء فلان، كأنك جعلت فلاناً مساوياً لله عز وجل في المشيئة، والله تعالى وحده له المشيئة التامة، يفعل ما يشاء الله، ولكن أرشد النبي ﷺ لما نهى عن ذلك، أرشد إلى قول مباح، فقال: ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان، لأن ثم تقتضي الترتيب بمهلة، يعني أن مشيئة الله فوق مشيئة فلان، وكذلك قول ما شاء الله وشئت، فإن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، قال: ((أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده))[1]، فههنا مراتب:

المرتبة الأولى: أن يقول ما شاء الله وحده، وهذه كلمة فيها تفويض الأمر إلى الله واتفق عليها المسلمون، كل المسلمين يقولون: ما شاء الله وما لم يشأ لم يكن.

المرتبة الثانية: يقول ما شاء الله ثم شاء فلان، فهذه جائزة أجازها النبي ﷺ وأرشد إليها.

المرتبة الثالثة: أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان، فهذه محرمة ولا تجوز، وذلك لأن الإنسان جعل المخلوق مساوياً للخالق عز وجل في المشيئة[2].

المرتبة الرابعة: أن يقول: ما شاء الله فشاء فلان، بالفاء، فهذه محل نظر لأن الترتيب فيها وارد، بمعنى أنك إذا قلت (فشاء) فالفاء تدل على الترتيب، لكنها ليست كـ(ثم) لأن ثم تدل على الترتيب بمهلة، وهذه تدل على الترتيب بتعقيب ولهذا فهي محل نظر، لهذا لم يرشد إليها النبي ﷺ)[3].

---

(١) أخرجه أحمد ٢١٤/١ رقم ١٨٣٩، ٢٥٦١/٤، وقال محققو المسند: صحيح لغيره، وانظر: تتمة تخريجه في المسند ٢٣٩/٣، وقال السندي: المراد أن هذا الكلام يوهم المساواة، فلا ينبغي التكلم به. حاشية السندي على المسند ٢٤٠/٣.

(٢) قال البغوي في شرح السنة ٣٦٠/١٢ - ٣٦١: إن الواو لما كان حرف الجمع والتشريك، منع من عطف إحدى المشيئتين على الأخرى بحرف الواو. فأمر بتقديم مشيئة الله تعالى، وتأخير مشيئة من سواه بحرف (ثم) الذي للتراخي.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٧٩٣/٢ - ١٧٩٤.

ثانياً- من آداب الداعية: البيان والتوضيح:

وهذا واضح من قوله ﷺ: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان)، وقال ﷺ: ((إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ. وَلَكِنْ لِيَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ))[1].

وقال ابن عثيمين: "في هذا الحديث دليل على أن الإنسان إذا ذكر للناس شيئاً لا يجوز، فليبين لهم ما هو جائز، لأنه قال: لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان، وهكذا ينبغي لمعلم الناس إذا ذكر لهم الأبواب الممنوعة فليفتح لهم الأبواب الجائزة حتى يخرج الناس من هذا إلى هذا، بعض الناس يذكر الأشياء الممنوعة، يقول: هذا حرام، هذا حرام، ولا يبين لهم الأبواب الجائزة، وهذا سد للأبواب أمامهم دون فتح للأبواب.

وانظر إلى لوط عليه الصلاة والسلام قال لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾[2]، نهاهم عن الممنوع وأرشدهم إلى الجائز، هكذا النبي ﷺ قال: لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان، بل انظر إلى قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾[3]، ولما جيء إلى النبي ﷺ بتمر طيب فقال: ((أكلُّ تمرِ خَيبرَ هكذا؟ قال: لا والله يا رسولَ الله، إنّا لنأخُذ الصاعَ من هذا بالصاعَين والصاعَين بالثلاثةِ، فقال رسولُ الله ﷺ: ((لا تفعَل، بعِ الجمعَ بالدراهم، ثمَّ ابتَعْ بالدراهمِ جَنيباً))[4]"[5].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٢١١٧، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ١٧٢٠).

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ١٦٥ - ١٦٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٤) أخرجه البخاري ٢٢٠١ - ٢٢٠٢، ومسلم ١٥٩٣ من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، وقال الشيخ عبدالله البسام: "إن النبي ﷺ أمر الجابي أن يبيع التمر الردئ ليشتري بثمنه تمراً جيداً، توضيح الأحكام ٢٧/٤، والحديث دليل على أن بيع الجنس بجنسه يجب فيه التساوي سواء اتفقا في الجودة والرداءة أو اختلفا، وأن الكل جنس واحد. سبل السلام ص ٥٢٠، قلت: الأجناس المتفق عليها الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح لأن الأحاديث نصت عليها، أما ما عدا ذلك فهناك خلاف بين الفقهاء ينظر في باب الربا من كتب الفقه.

(٥) شرح رياض الصالحين ١٧٩٤/٢.

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَنْ يُطِعِ اللّه وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ. وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ. قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللّه وَرَسُولَهُ))[1].

قال البغوي: "فيه تعليم الأدب في المنطق، وكراهية الجمع بين اسم الله تعالى واسم غيره تحت حرف الكناية، لأنه يتضمن نوعاً من التسوية... وروي أن عثمان قال لرجل: ما شئت، ثم قال بل الله أملك، بل الله أملك.. وكان إبراهيم لا يرى بأساً أن يقول: ما شاء الله ثم شئت، وكان يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك حتى يقول: ثم بك. قال الشافعي[2]: "المشيئة إرادة الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[3]، فأعلم الله خلقه أن المشيئة له دون خلقه، وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء، فيقال لرسول الله ﷺ: ما شاء الله ثم شئت. ولا يقال: ما شاء الله وشئت. قال: ويقال: من يطع الله ورسوله، فإن الله تعبّد العباد بأن فرض طاعة رسول الله ﷺ، فإذا أطيع رسول الله، فقد أطيع الله بطاعة رسوله"[4].

---

(١) أخرجه مسلم ٨٧٠.

(٢)الأم، الإمام الشافعي ص ١٤٧.

(٣) سورة الإنسان، آية: ٣٠.

(٤) شرح السنة ٣٦١/١٢، وانظر: شرح صحيح مسلم، للنووي ١٦٥/٦/٣، ط/دار عالم الكتب، فقد ذهب مذهباً آخر في توجيه حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية العقدية:

إن أسمى وأعظم أهداف التربية والتعليم هو: تحقيق العبودية لله وحده في حياة الإنسان على مستوى الفرد والجماعة[١].

ومما يحقق العبودية لله وحده التأدب معه في الألفاظ، فيجب التحفظ في الألفاظ والابتعاد عن اللفظ الذي فيه سوء أدب مع الله سبحانه، لأن هذا يخل بالعقيدة، وينقص التوحيد؛ فلا يجوز أن يقال ما شاء الله وشاء فلان، وإنما يقال: ما شاء الله ثم شاء فلان لذا قال النبي ﷺ: «لا تَقولُوا مَا شَاءَ الله وَشَاءَ فُلاَنٌ وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ الله ثُمَّ شَاءَ فُلاَنٌ». لأن العطف بالواو يقتضي المشاركة، ولا أحد يشارك الله سبحانه ويساويه في أمر من الأمور، وأما العطف بـ "ثم" فإنه يقتضي الترتيب والتبعية، فتكون مشيئة المخلوق تابعة لمشيئة الله سبحانه وحاصلة بعدها وليست مشاركة لها.

وهذا مما يؤكد على المسلم وجوب دراسة العقيدة ومعرفة ما يصححها وما يخل بها حتى يكون على بينة من أمره وحتى لا يقع في المحذور وهو لا يشعر[٢].

فمن أعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير لك من الناس وقلبك خال من تعظيم الله وتوقيره، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[٣]، أي لا تعاملونه معاملة من توقرونه والتوقير: العظمة.

ومن وقاره: أن لا يُساوي به شيء من خلقه، لا في اللفظ بحيث تقول: والله وحياتك، مالي إلا الله وأنت، وما شاء الله وشئت، ولا في الحب والتعظيم والإجلال، ولا في الطاعة، فتطيع المخلوق في أمره ونهيه كما تطيع الله، بل أعظم، كما عليه أكثر الظلمة والفجرة، ولا في الخوف والرجاء، ويجعله أهون الناظرين إليه، ولا يستهين بحقه

---

(١) انظر: التربية الإسلامية، د. سليمان عبدالرحمن الحقيل، ص٣٠.

(٢) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، ص١٦٠.

(٣) سورة نوح، الآية: ١٣.

ويقول: هو مبني على المسامحة، ولا يجعله على الفضلة، ويقدم حق المخلوق عليه[1].

فعلى المربين العناية بالعقيدة وغرس مفهومها الصحيح في نفوس الطلاب والطالبات فيربطونهم بالخالق جل وعلا، فيتوجهوا إليه في سائر عباداتهم ودعائهم، ويعلموا يقينًا أنه سبحانه هو الرازق الناصر الوهاب القادر على كل شيء، فمن حصل له مكروه فليتوجه بالدعاء إلى الله فإنه سميع مجيب، وليتوكلوا عليه في سائر أمورهم، ويعظمونه ويقدرونه، ولا يساوونه بأحد من خلقه.

ولاشك أن لدراسة التوحيد بأقسامه الثلاثة أهمية كبرى في تعليم الجيل المسلم، ليعبدوا الله على بصيرة فيسلموا من الشرك والابتداع[2].



(١) الفوائد، ابن القيم، ٢٦٧، ٢٦٨.

(٢) انظر: آداب المتعلمين، د/أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٣٢.

٣٣٤- باب كراهة الحديث بعد العشاء الآخرة

والمُرادُ بِهِ الحَديثُ الذي يَكُونُ مُبَاحًا في غَيرِ هذا الوَقْتِ، وَفِعْلُهُ وَتَرْكُهُ سواءٌ. فَأَمَّا الحَديثُ المُحَرَّمُ أو المَكرُوهُ في غيرِ هذا الوقتِ، فَهُوَ في هذا الوقت أشَدُّ تَحريمًا وَكَرَاهَةً. وأمَّا الحَديثُ في الخَيرِ كَمُذَاكَرَةِ العِلْمِ وَحِكَايَاتِ الصَّالِحِينَ، وَمَكَارِمِ الأخْلَاقِ، والحَديث مع الضَّيفِ، ومع طالبِ حَاجَةٍ، ونحو ذلك، فلا كَرَاهَةَ فيه، بل هُوَ مُستَحَبٌّ، وكَذَا الحَديثُ لِعُذْرٍ وعَارِضٍ لا كَرَاهَةَ فيه. وقد تظاهَرَتِ الأحَاديثُ الصَّحيحةُ على كُلِّ ما ذَكَرْتُهُ.

الحديث رقم (١٧٤٨)

١٧٤٨- عن أبي بَرْزَةَ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يكرهُ النَّومَ قَبْلَ العِشَاء والحَديثَ بَعْدَهَا. متفقٌ عليه[١].

ترجمة الراوي:

ابو برزة الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٠٧).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف: جاء في أسلوب خبري يحكي عملاً من أعمال رسول الله ﷺ: وبداية الحديث بقوله: "كان": تدل على أن هذا الحديث هو خبر من أخبار رسول الله ﷺ التي تسردها الصحابة للاقتداء والاتعاظ، واتباع سنة رسول الله ﷺ وطريقته في هذا النهج الذي اختاره: إذا أقبل الليل، ومنهجه ﷺ مستمد من الوحي الإلهي، ومن نصوص القرآن الكريم، حيث يقول الله عز وجل في سورة النبأ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾[٢].

وفي ضوء هذا المنهج الإلهي: كان رسول الله ﷺ يكره النوم قبل العشاء،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٨) واللفظ له، ومسلم (٦٤٧/٢٣٥).

(٢) سورة النبأ، الآيتان: ١٠-١١.

والحديث بعدها، وفي الكلام إيجاز بالحذف والتقدير: ويكره الحديث بعدها: أي بعد صلاة العشاء.

وقد ورد ما يوضح هذا الأمر، حتى لا يلتبس الأمر على عامة الناس والذين يجهلون سيرة المصطفى ﷺ حيث يقول الإمام القسطلاني في صفة نومه: ﷺ كان ينام أول الليل ويستيقظ في أول النصف الثاني: فيقوم فيستاك ويتوضأ، ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج، ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج إليه منه، وكان ﷺ: تنام عيناه ولا ينام قلبه، وقيل في تعليل ذلك: لأن القلب إذا قويت فيه الحياة لا ينام إذا نام البدن، وقيل بأن النبي ﷺ كيفما اختلف حاله من نوم أو يقظة في حق وتحقيق، ومع الملائكة في كل طريق ... ﷺ.

فقه الحديث

ويشتمل هذا الحديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- كراهة النوم قبل صلاة العشاء بعد دخول وقتها: من النوم المكروه: النوم قبل صلاة العشاء بعد دخول وقتها إن ظن تيقظه في الوقت، نص عليه الشافعية فقالوا: يكره النوم قبل صلاة العشاء بعد دخول وقتها، لخوف استمرار النوم حتى خروج الوقت، ومحل ذلك إذا ظن تيقظه في الوقت وإلا حرم النوم، أما النوم قبل دخول الوقت فالظاهر عدم الكراهة، لأنه لم يخاطب به، ويرى المالكية أنه يجوز له النوم ولا إثم عليه[(١)].

٢- كراهة الحديث بعد صلاة العشاء[(٢)]: يكره الحديث بعد صلاة العشاء[(٣)]. ولعل السبب في كراهة الحديث بعد صلاة العشاء أنه ربما تأخر في النوم، فتفوته صلاة الليل

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٦١/١.

(٢) والمراد بالحديث الذي يكره بعدها هو ما كان مباحًا في غير هذا الوقت، أما المكروه والمحرم في غيره فهو أشد كراهة وتحريمًا في هذا الوقت. انظر: المجموع ٤٣/٣.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٦١/١، والكافي لابن عبدالبر ٣٥، والمجموع ٤٣/٣، وكشاف القناع ٢٥٤/١، والمبدع ٢٣٧/١.

- لمن اعتادها - أو ربما أدى ذلك إلى تفويت صلاة الصبح عن وقتها المختار، أو الأفضل[1] ولأن السهر في الليل قد يؤدي إلى الكسل عما يجب في النهار من واجبات الدين ومصالح الدنيا[2].

ومحل الكراهة هنا إذا كان الكلام والسهر لغير حاجة، ولم تدع إليه مصلحة، أما الحديث للحاجة، والسهر للمصلحة، فلا بأس به، ويدخل فيه: قراءة القرآن الكريم، والحديث، ومدارسة العلم، ومحادثة الرجل أهله، وأولاده للملاطفة، ومحادثة الضيف، والحديث بالإصلاح بين الناس، والشفاعة إليهم في خير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك[3].

والمعنى في ذلك: أن يكون اختتام الصحيفة بالعبادة، كما جعل ابتداؤها بالعبادة، ليمحى ما بينهما من الزلات[4].

المضامين الدعوية[5]

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن النوم قبل صلاة العشاء الآخرة والحديث بعدها.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الاستفهام.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: من معجزات النبي ﷺ إخباره بانخرام قرنه بعد مائة سنة من ليلة إخباره.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاجتهاد في الطاعة والاستعداد للموت.

خامسًا: من وسائل الدعوة: الخطبة.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل انتظار الصلاة.

سابعًا: من فقه الداعية: مؤانسة المدعوين إذا وقع منه ما يظن أنه يشق عليهم.

---

(١) المجموع ٣/ ٤٣.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥/ ١٤٦.

(٣) حاشية ابن عابدين ١/ ٣٦٨، وشرح صحيح مسلم ٥/ ١٤٦، والمجموع ٣/ ٤٤.

(٤) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ١/ ١٢٣.

(٥) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٤٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٤٩، ١٧٥٠).

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن النوم قبل صلاة العشاء الآخرة والحديث بعدها:

وهذا واضح من حديث أبي برزة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها، قال النووي: "قال العلماء: وسبب كراهة النوم قبلها أنه يعرضها لفوات وقتها باستغراق النوم، أو لفوات وقتها المختار والأفضل، ولئلا يتساهل الناس في ذلك، فيناموا عن صلاتها جماعة"[(١)].

وقال ابن حجر: "قال الترمذي[(٢)]: كره أكثر أهل العلم النوم قبل صلاة العشاء، ورخص بعضهم فيه في رمضان خاصة. انتهى، ومن نقلت عنه الرخصة قيدت عنه في أكثر الروايات بما إذا كان له من يوقظه، أو عرف من عادته أنه لا يستغرق وقت الاختيار بالنوم[(٣)]، وهذا جيد حيث قلنا: إن علة النهي خشية خروج الوقت، وحمل الطحاوي الرخصة على ما قبل دخول وقت العشاء، والكراهة على ما بعد دخوله"[(٤)].

وقال النووي: "وسبب كراهة الحديث بعدها أن يؤدي إلى السهر، ويخاف منه غلبة النوم عند قيام الليل أو الذكر فيه، أو عن صلاة الصبح في وقتها الجائز أو في وقتها المختار أو الأفضل، ولأن السهر في الليل سبب للكسل في النهار عما يتوجب من حقوق الدين والطاعات ومصالح الدنيا، قال العلماء: والمكروه من الحديث بعد العشاء هو ما كان في الأمور التي لا مصلحة فيها، وأما ما فيه مصلحة وخير فلا كراهة فيه، وذلك كمدارسة العلم، وحكايات الصالحين، ومحادثة الضيف والعروس للتأنيس، ومحادثة الرجل أهله وأولاده، للملاطفة والحاجة، ومحادثة المسافرين بحفظ متاعهم أو أنفسهم، والحديث في الإصلاح بين الناس، والشفاعة إليهم في خير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإرشاد إلى مصلحة، ونحو ذلك، فكل هذا لا كراهة فيه، وقد جاءت

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٤٨/٥/٣، ط/ دار عالم الكتب.

(٢) سنن الترمذي ص ٥١ بعد الحديث ١٦٨.

(٣) انظر: مصنف عبدالرزاق ٥٦١/١ - ٥٦٥، ومصنف ابن أبي شيبة ٢٧٩/٢ - ٢٨١.

(٤) فتح الباري ٤٩/٢ ط/ السلفية، وانظر: شرح صحيح مسلم، للنووي١٤٩/٥/٣.

أحاديث صحيحة ببعضه والباقي في معناه[١]، ثم كراهة الحديث بعد العشاء، المراد بها صلاة العشاء لا بعد دخول وقتها، واتفق العلماء على كراهة الحديث بعدها إلا ما كان في خير كما ذكرناه"[٢].

وقال الألباني: "ينبغي أن يقيد ذلك بما إذا لم يترتب على الحديث بعد العشاء إضاعة شيء من الواجبات العينية، كالشاب مثلاً، يسهر في دراسة العلم أو الاستعداد للاختبار إلى قريب من الليل ثم ينام منهكًا، فتفوته صلاة الصبح، فمثل هذا السهر ولو في طلب العلم، لا يجوز، لأن مثله كمثل من يبني قصرًا ويهدم مصرًا، وإنما عليه أن ينام مبكرًا بعد صلاة العشاء، ليستيقظ مبكرًا لصلاة الصبح، وليجعل دراسته بعدها"[٣].

وقال ابن حجر: "والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم عن الصبح، أو عن وقتها المختار أو عن قيام الليل، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب الناس على ذلك، ويقول: (أسمرًا أول الليل ونومًا آخره)[٤]، وإذا تقرر أن علة النهي ذلك، فقد يفرق فارق بين الليالي الطوال والقصار، ويمكن أن تحمل الكراهة على الإطلاق حسمًا للمادة، لأن الشيء إذا شرع لكونه مظنة قد يستمر فيصير مئنة"[٥].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الاستفهام:

وهذا واضح من قول ابن عمر رضي الله عنهما: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العشاء في آخر حياته فلما سلم قال: أرأيتكم ليلتكم هذه؟) قال ابن حجر: الهمزة الأولى للاستفهام،

---

(١) وقد بوّب البخاري على حديثي ابن عمر وأنس بن مالك: باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء، كتاب مواقيت الصلاة الحديثان ٦٠٠، ٦٠١.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٤٨/٥/٣ - ١٤٩.

(٣) تعليق الشيخ الألباني على رياض الصالحين ص ٥٩٢.

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢١٣٤/١، وابن أبي شيبة ٢٧٩/٢.

(٥) فتح الباري ٧٣/٢، وقال د. زغلول النجار: "كراهة رسول الله صلى الله عليه وسلم النوم قبل أداء صلاة العشاء حرصًا على عدم ضياعها، وكراهة التحدث بعدها حرصًا على الاستفادة بأفضل ساعات النوم في أول الليل. الإعجاز العلمي في السنة النبوية ٦٢/٢.

والرؤية بمعنى العلم أو البصر، والمعنى: أعلمتم أو أبصرتم ليلتكم، وهي منصوبة على المفعولية والجواب محذوف تقديره، قالوا: نعم قال: فاضبطوها"[١].

ولا شك أن الاستفهام يثير المدعوين ويجعلهم أشد انتباهًا وأكثر استعدادًا لتلقي الرسالة الدعوية من الداعية، ومن هذا القبيل قوله ﷺ: ((هل تدرون ما قال ربكم؟))[٢].

قال ابن عثيمين: "إنما ألقى ﷺ عليهم هذا السؤال من أجل أن ينتبهوا، لأن إلقاء الأسئلة يوجب الانتباه"[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: من معجزات النبي ﷺ إخباره بانخرام قرنه بعد مائة سنة من ليلة إخباره:

وهذا واضح من قول ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: (إن على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض اليوم أحد)، وعند البخاري ومسلم زيادة: قال ابن عمر رضي الله عنهما: فوهل الناس[٤] في مقالة رسول الله ﷺ تلك، فيما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال رسول الله ﷺ: ((لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ))، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَنْخَرِمَ ذَلِكَ الْقَرْنُ[٥].

قال ابن كثير: "فقد فسّر الصحابي المراد من هذا الحديث بما فهمه، وهو أولى بالفهم من كل أحد، من أنه يريد بذلك أن ينخرم قرنه ذلك، فلا يبقى أحد ممن هو كائن على وجه الأرض من أهل ذلك الزمان، من حيث قال هذه المقالة إلى مائة سنة"[٦].

وقد وردت أحاديث أخرى عن النبي ﷺ بمثل حديث ابن عمر رضي الله عنهما، فعن جابر

---

(١) فتح الباري ٢٥٦/١ ط/ الريان.

(٢) أخرجه البخاري ٧٤٦، ومسلم ٧١ من حديث زيد بن خالد الجهني في نزول المطر ليلًا بالحديبية وصلاة النبي ﷺ بهم الصبح وقوله هذا القول بعد الصلاة.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٧٨٥/٢.

(٤) بفتح الهاء، أي: غلطوا. شرح صحيح مسلم ٨٩/١٦/٨.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠١، ومسلم ٢٥٣٧.

(٦) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٢٩٣/٩ - ٢٩٤.

بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: ((تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ؟ وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ. وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ))، وفي رواية: ((مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، الْيَوْمَ، تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ، وَهِيَ حَيَّةٌ يَوْمَئِذٍ))[١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما رجع النبي ﷺ من تبوك سألوه عن الساعة فقال رسول الله ﷺ: ((لاَ تَأْتِي مِائَةُ سَنَةٍ، وَعَلَى الأَرْضِ نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ الْيَوْمَ))[٢].

قال النووي: "هذه الأحاديث قد فسّر بعضها بعضًا، وفيها علم من أعلام النبوة"[٣]، وقد ساق ابن كثير: هذا الحديث في كتاب دلائل نبوته ﷺ في آخر السيرة النبوية تحت عنوان: ذكر الإخبار بانخرام قرنه ﷺ بعد مائة سنة من ليلة إخباره فكان كما أخبر"[٤].

وقال ابن هبيرة: "فيه من الفقه أن الله تعالى أطلع رسول الله ﷺ على ذلك الغيب"[٥].

وقال النووي: "والمراد أن كل نفس منفوسة كانت تلك الليلة على الأرض لا تعيش بعدها أكثر من مائة سنة، سواء قلّ عمرها قبل ذلك أم لا، وليس فيه نفي عيش أحد يوجد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة، ومعنى نفس منفوسة: أي: مولودة، وفيه احتراز من الملائكة"[٦].

وقال ابن كثير عن الحديث: "وهو نصّ على أن جميع الأحياء في الأرض يموتون إلى تمام مائة سنة من إخباره عليه الصلاة والسلام، وهكذا وقع سواء، فإنه لم يتأخر أحد من أصحابه إلى ما يجاوز هذه المدة، وكذلك جميع الناس، ثم قد طرد بعض العلماء

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٣٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٣٩.

(٣) شرح صحيح مسلم ٨/١٦/٨٩.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٩/٢٦٣.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤/١٢.

(٦) شرح صحيح مسلم ٨/١٦/٨٩.

هذا الحكم في كل مائة سنة، وليس في هذا الحديث تعرض لهذا"[١].

وقال ابن حجر: "وقد بيّن ابن عمر رضي الله عنهما في هذا الحديث مراد النبي ﷺ وأن مراده عند انقضاء مائة سنة من مقالته تلك، ينخرم ذلك القرن فلا يبقى أحد ممن كان موجودًا حال تلك المقالة، وكذلك وقع بالاستقراء، فكان آخر من ضبط أمره ممن كان موجودًا حينئذ أبو الطفيل عامر بن واثلة، وقد أجمع أهل الحديث على أنه كان آخر الصحابة موتًا، وغاية ما قيل فيه إنه بقي إلى سنة عشر ومائة، وهي رأس مائة سنة من مقالة النبي ﷺ والله أعلم"[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الاجتهاد في الطاعة والاستعداد للموت:

وهذا واضح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال ابن حجر: "قال ابن بطال: إنما أراد رسول الله ﷺ أن هذه المدة تخترم الجيل الذي هم فيه، فوعظهم بقصر أعمارهم وأعلمهم أن أعمارهم ليست كأعمار من تقدم من الأمم ليجتهدوا في العبادة"[٣].

وقال ابن هبيرة: "وفيه تذكير بقصر الأعمار وقلة البقاء في الدنيا، وأن بيع مدة الآخرة التي لا يبلغ قدرها حد حادّ، ولا عدّ عادٍ، بحيث لو خلق الله تعالى دارًا مثل الدنيا ألف مرة ملأها خردلاً، ثم خلق طائرًا وقال له: إن رزقك عندي هو هذا الخردل، فمتى نفد فهو آخر عمرك، وكان من حرص ذلك الطائر على البقاء أنه يأكل كل يوم خردلة، فنفد ذلك الخردل كله، وبقاء الإنسان في دار الخلد لا يفنى، فبيع ذلك بهذه المدة اليسيرة غبن فاحش، ولا سيما لكل من يقول: إني مؤمن بها، مصدق بالمعاد إليها، ثم يظهر عليه من تساهله - في بيع الكثير منها بالقليل من غيرها - ما يدل على كذبه في دعواه، لولا أن الغفلة تذهب بالإنسان كل مذهب، ويضطره إلى تعاهد التذكرة كل الاضطرار"[٤].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٢٦٤/٩.

(٢) فتح الباري ٧٥/٢.

(٣) فتح الباري ٢٥٦/١.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٣/٤ - ١٤.

قال ابن القيم: "قال بعض الزهاد: ما علمت أن أحدًا سمع بالجنة والنار، تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر أو صلاة أو قراءة أو إحسان"(١).

وقال ابن القيم: "ليس للعبد شيء أنفع من صدقه ربه في جميع أموره، مع صدق العزيمة، فيصدقه في عزمه وفي فعله، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾(٢)، فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعل.

فصدق العزيمة، جمعها وجزمها وعدم التردد فيها، بل تكون عزيمة لا يشوبها تردد ولا تلوّم، فإذا صدقت عزيمته بقى عليه صدق الفعل، وهو استفراغ الوسع وبذل الجهد فيه، وأن لا يتخلف عنه بشيء من ظاهره وباطنه، فعزيمة القصد تمنعه من ضعف الإرادة والهمة، وصدق الفعل يمنعه من الكسل والفتور"(٣).

وقال ابن القيم أيضًا: "طالب النفوذ إلى الله والدار الآخرة، بل وإلى كل علم وصناعة ورئاسة، بحيث يكون رأسًا في ذلك مقتدى به فيه، يحتاج أن يكون شجاعًا مقدامًا، حاكمًا على وهمه، غير مقهور تحت سلطان تخيله، زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا لما توجه إليه، عارفًا بطريق الوصول إليه والطرق القواطع عنه، مقدام الهمة ثابت الجأش، لا يثنيه عن مطلوبه لوم لائم ولا عذل عاذل، كثير السكون دائم الفكر، غير مائل مع لذة المدح ولا ألم الذم، قائمًا بما يحتاج إليه من أسباب معونته، لا تستفزه المعارضات، شعاره الصبر وراحته التعب، محبًا لمكارم الأخلاق، حافظًا لوقته، لا يخالط الناس إلا على حذر كالطائر الذي يلتقط الحبّ بينهم، قائمًا على نفسه بالرغبة والرهبة، طامعًا في نتائج الاختصاص على بني جنسه، غير مرسل شيئًا من حواسه عبثًا، ولا مسرحًا خواطره في مراتب الكون، وملاك ذلك: هجر العوائد وقطع العلائق الحائلة بينك وبين المطلوب"(٤).

---

(١) الفوائد، ابن القيم، ١٧٢.
(٢) سورة محمد، آية: ٢١.
(٣) الفوائد ٢٦٦.
(٤) الفوائد ٢٧١ - ٢٧٢.

خامسًا- من وسائل الدعوة: الخطبة:

وهذا واضح من قول أنس بن مالك ﷺ: إنهم انتظروا النبي ﷺ فجاءهم قريبًا من شطر الليل فصلى بهم يعني العشاء ثم خطبنا فقال: (ألا إن الناس قد صلوا...).

قال د. توفيق الواعي عن أهمية الخطبة: "الخطبة وسيلة ممتازة للدعوة، لتبليغ الرسالة، أو إيضاح فكرة معينة، ومن مرامي الخطبة حمل المخاطب على الإذعان والتسليم، وإثارة العواطف الجياشة في فؤاده نحو الفكرة التي يحملها الخطيب ويدعو إليها، فيتحمس لها ويتقدم لفدائها بالنفس والنفيس عند الحاجة، ولا يكون ذلك بالدلائل المنطقية التي تساق جافة، ولا بالبراهين العقلية التي تقدم عارية، بل بذلك وبإثارة العاطفة ومخاطبة الوجدان، والمؤثرات الوجدانية، والأفكار العاطفية في الخطابة هما عماد اللغة الخطابية، تساعدهما الحجج العقلية، والبراهين المنطقية، مع أمور أخرى في القول والقائل، أو في الموضوع والخطيب"[1].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل انتظار الصلاة:

وهذا واضح من قوله ﷺ: (وإنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة)، وفي رواية عند البخاري: قال خالد بن قرة: انتظرنا الحسن - أي البصري - وراث علينا[2] حتى قربنا من وقت قيامه، فجاء فقال: دعانا جيراننا هؤلاء، ثم قال: قال أنس بن مالك ﷺ: نظرنا النبي ﷺ ذات ليلة حتى كان شطر الليل يبلغه، فجاء فصلى لنا ثم خطبنا فقال: ((ألا إِنَّ النـاسَ قد صَلَّوْا ثـمَّ رَقَدُوا، وإِنَّكم لم تزالـوا في صلاةٍ ما انتَظرْتمُ الصَّلاةَ)) قال الحسنُ: وإِنَّ القومَ لا يَزالونَ بخيرٍ ما انتَظروا الخيرَ"[3].

قال ابن حجر: "قوله: (من وقت قيامه)، أي: الذي جرت عادته بالقعود معهم فيه كل ليلة في المسجد لأخذ العلم عنه، قوله (دعانا جيراننا)، كأن الحسن أورد هذا مورد الاعتذار عن تخلفه عن القعود على عادته.. وأورد الحسن ذلك [أي الحديث]

---

(١) الدعوة إلى الله ص ٢٧١.

(٢) أي: ابطأ كما في فتح الباري ٧٤/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٠.

لأصحابه مؤنسًا لهم، ومعرفًا أنهم وإن كان فاتهم الأجر على ما يتعلمونه منه في تلك الليلة على ظنهم، فلم يفتهم الأجر مطلقًا، لأن منتظر الخير في خير، فيحصل له الأجر بذلك، والمراد أنه يحصل لهم الخير في الجملة لا من جميع الجهات، وبهذا يجاب عمن استشكل قوله: (إنهم في صلاة) مع أنهم جائز لهم الأكل والحديث وغير ذلك. واستدل الحسن على ذلك بفعل النبي ﷺ فإنه آنس أصحابه بمثل ذلك، ولهذا قال الحسن بعد: وإن القوم لا يزالون بخير ما انتظروا الخير"[1].

وقد ورد في فضل انتظار الصلاة كثير من الأحاديث، منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((الملائكةُ تُصلِّي علَى أحدِكم ما دامَ في مُصلاَّهُ ما لم يُحدِثْ: اللهمَّ اغفرْ له، اللهمَّ ارحَمْهُ. لا يَزالُ أحدُكم في صلاةٍ ما دامتِ الصلاةُ تَحبِسُهُ، لا يَمنعُه أن يَنقلِبَ إلى أهلِهِ إلاّ الصلاةُ))[2]، وفي رواية عند مسلم: ((لاَ يَزَالُ الْعَبْدُ فِي صَلاَةٍ مَا كَانَ فِي مُصَلاَّهُ. يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ، وَتَقُولُ الْمَلاَئِكَةُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ. اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ حَتَّى يَنْصَرِفَ أَوْ يُحْدِثَ))[3].

قال ابن عبدالبر: "هذا الحديث أفضل ما يروى في فضل المنتظر للصلاة، لأن الملائكة تستغفر له، وفي استغفارها له دليل على أنه يغفر له إن شاء الله. ألا ترى أن طلب العلم من أفضل الأعمال؟ وإنما صار كذلك -والله أعلم- لأن الملائكة تضع أجنحتها له بالدعاء والاستغفار. وأما قول مالك وتفسيره: ما لم يحدث، بأنه الحدث الذي ينقض الوضوء، فقد خالفه فيه غيره وقال: هو الكلام القبيح والخوض فيما لا يصلح من اللهو. والذي قاله مالك هو الصواب إن شاء الله، لأن كل من أحدث وقعد في المسجد، فليس بمنتظر للصلاة، لأنه إنما ينتظرها من كان على وضوء، وغير نكير أن تترحم الملائكة على كل منتظر للصلاة، وتدعو له بالمغفرة والرحمة والتوفيق والهداية - لفضل انتظاره للصلاة -إذا لم يحبسه غيرها على ما ذكرنا- إذا كان منتظرًا

---

(١) فتح الباري ٧٤/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٩ واللفظ له، ومسلم ٢٧٥ - ٦٤٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٤ - ٦٤٩.

للصلاة، لا يمنعه أن ينصرف إلى أهله إلا الصلاة، وهذا أولى بأن تدعو له الملائكة بالمغفرة والرحمة، فرحمته وسعت كل شيء، لا شريك له، وقول مالك يدل على أن كل من لم يحدث حدثًا ينقض الوضوء، داخل في معنى هذا الحديث. وإن خاض في بعض ما يخاض فيه من أخبار الدنيا - والله أعلم - إذا كان أصل عقده انتظار الصلاة بعد الصلاة"[١].

سابعًا- من فقه الداعية: مؤانسة المدعوين إذا وقع منه ما يظن أنه يشق عليهم:

وهذا واضح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (فجاءهم ﷺ قريبًا من شطر الليل، فصلى بهم، يعني العشاء ثم خطبنا: ألا إن الناس قد صلوا ثم رقدوا وإنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة)، ووقع في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ شغل عنها ليلة - عن صلاة العشاء - فأخرها حتى رقدنا في المسجد ثم استيقظنا ثم رقدنا ثم استيقظنا ثم خرج علينا رسول الله ﷺ ثم قال: ((لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اللَّيْلَةَ، يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ غَيْرُكُمْ))[٢]، وفي رواية عند مسلم: ((إِنَّكُمْ لَتَنْتَظِرُونَ صَلاَةً مَا يَنْتَظِرُهَا أَهْلُ دِينٍ غَيْرُكُمْ))[٣].

قال النووي: "فيه أنه يستحب للإمام والعالم إذا تأخر عن أصحابه، أو جرى منه ما يظن أنه يشق عليهم، أن يعتذر إليهم، ويقول: لكم في هذا مصلحة من جهة كذا، أو كان لي عذر أو نحو هذا"[٤].

ومن هذا القبيل ما رواه الصعب بن جثامة رضي الله عنه أنه أهدى لرسول الله ﷺ حمارًا وحشيًا فرده عليه، فلما رأى ما في وجهه قال: ((إنا لَمْ نَرُدَّهُ عليكَ إلا أنّا حرُم))[٥]، قال النووي: (فيه أنه يستحب لمن امتنع من قبول هدية ونحوها لعذر، أن يعتذر بذلك إلى

---

(١) التمهيد ١٢/٦ موسوعة شروح الموطأ.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٠، ومسلم ٢٢١ - ٦٣٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٠ - ٦٣٩.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٢/٥/٣.

(٥) أخرجه البخاري ١٨٢٥، ومسلم ١١٩٣.

المهدي، تطييبًا لقلبه)[1].

ولا شك أن مؤانسة الداعية للمدعوين تقربهم إليه وتحببه إليهم، كما تزيل ما عساه قد وقع في أنفس بعض المدعوين، وكلّ هذا يساعد على نجاح الداعية في دعوته.

(١) شرح صحيح مسلم ٣/٦/١١٠، وانظر: فتح الباري ٤/٣٤.

الحديث رقم (١٧٤٩)

١٧٤٩- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ صلَّى العِشَاء في آخِرِ حيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ[١] قال: ((أرأيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هذِهِ؟ فَإنَّ عَلَى رَأسِ مِئَةِ سَنَةٍ[٢] لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ علَى ظَهْرِ الأرْضِ (اليَوْمَ) [٣] أحَدٌ)). متفق عليه[٤].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن الحديث بعد العشاء إذا كان موعظة أو تعليمًا أو نصيحة فهو غير مكروه، وهذا الحديث الشريف هو الدليل على ذلك ويروي ابن عمر ذلك في صيغة التأكيد حيث يوضح مؤكدًا: أن رسول الله ﷺ صلى العشاء في آخر حياته، وقبل وفاته بشهر فلما سلم قال:

والفاء: تفيد الإسراع في القول: وقوله: "أرأيتكم ليلتكم هذه؟" تتضمن بعض أسرار التعبير الدقيقة: في ضوء التوجيه الراشد وتفسير المراد من هذا الخطاب النبوي البليغ، فمعنى قوله: "أرأيتكم" أي أخبروني، ولكن الأسلوب ليس خبريًا: فهو: إنشائي والاستفهام للتعجب، والكاف لتأكيد الفاعل، ولا محل له من الإعراب، وفي هذا الاستفهام الذي يوحي بالزوال والموت، إرهاصٌ بقرب وفاة النبي ﷺ، وكأنه ينبه الصحابة إلى أن الرحيل قد اقترب، وأن الموت قادم.

وفي هذا الاستفهام الذي أفاد الإخبار: مجاز مرسل علاقته السببية لأنه وضع السبب موضع المسبب: فإنه وضع الاستفهام عن العلم موضع الاستخبار، ولا يخبر عن

---

(١) عند مسلم زيادة: (قام).

(٢) عند مسلم زيادة: (منها).

(٣) (اليوم) لا توجد عند مسلم في هذه الرواية، وإنما في التي بعدها.

(٤) أخرجه البخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧/٢١٧) واللفظ له.

الشيء إلا العالم به، وقوله: "هذه ليلتكم": يفيد التحديد... والإنذار: فقد لا تعود مرة أخرى ولا يراها أحدكم، وفي الإشارة إلى الليلة تشخيص للزمن وأنسه له: فكأن الليلة كائن حي له هيئته وملامحه التي يشار إليها، وذلك لمزيد من التحديد، ولمزيد من الحث على الانتباه واليقظة.

وبعد الاستفهام والتشخيص: يأتي التوكيد في صدر القسم الثاني من الحديث الذي يجيء تعليلاً لما ورد في مقدمته، وفي هذه الجملة حذف بعد قوله: لا يبقى، والتقدير لا يبقى أحد ممن ترونه أو تعرفونه، فهو عام أريد به الخاص، وذلك ليأخذ الناس حذرهم.

وقوله: "على ظهر الأرض" فيه احتراس لأنه قيل إن الملائكة موجودون وباقون لأنهم في السماء، وقيل: خرج عيسى من ذلك وهو حي، لأنه في السماء كما يرى جمهور العلماء.

وبعض العلماء يرى أن "أل": في لفظ الأرض للعموم، وأن عدم البقاء بعد مائة سنة يتناول جميع بني آدم الموجودين الأحياء على ظهر الأرض.

وقوله على "ظهر الأرض" يمكن أن نعدها تشخيصًا للأرض: من باب الاستعارة المكنية، حيث شبهها بالدابة أو الناقة الذلول، والناس على ظهرها: يولدون ثم يرحلون، ثم يولد غيرهم ثم يرحلون، وقال تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[1].

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه إباحة السمر بعد صلاة العشاء في الخير، وأن السمر المنهي عنه بعدها، هو ما كان فيما لا ينفع من الباطل، واللغو[2].

المضامين الدعوية[3]

---

(١) سورة طه، الآية: ٥٥.

(٢) شرح فتح القدير للكمال بن الهمام ٢٢٩/١، وشرح ابن بطال على صحيح البخاري ٢٨٠/٣، وعون المعبود ٣٣٩/١١.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧٥٠)

١٧٥٠- وعن أنس ﷺ: أنَّهم انتظروا النَّبِيَّ ﷺ، فَجَاءهُمْ قَرِيبًا مِنْ شَطْرِ اللَّيْلِ فَصَلَّى بِهِمْ (يَعْنِي: العِشَاءَ) [١] ثمَّ خَطَبنا فقالَ: ((**ألاَ إنَّ النَّاسَ قَدْ صَلُّوا، ثُمَّ رَقَدُوا، وَإنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرْتُمُ الصَّلاَةَ**)). رواه البخاريُّ[٢].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

شطر الليل: نصفه[٣].

الشرح الأدبي

إن توجيهات رسول الله ﷺ وتعاليمه ليست أقوالاً فقط، ولكنها تتجاوز دائرة الوعظ القولي إلى ميدان الفعل والتنفيذ: حيث السنة العملية، والتدريب اليومي الذي يجعل من المبادئ والتشريعات سلوكًا يوميًا محببًا، ونهجًا واقعيًا مألوفًا مرغبًا، وهذا الحديث درسٌ عملي يتلقاه الصحابة من رسول الله ﷺ، وثمرته الإقناع، والمداومة على صلاة الليل وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وكل على قدر جهده وطاقته، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

ويتضمن الحديث عدة مظاهر جمالية وأسرار أسلوبية، تساعد في توصيل المعنى إلى ذهن وقلب كل مسلم يقتدى برسول الله ﷺ وأصحابه الأخيار، ومن هذه الأسرار التعبيرية بداية الحديث بالتأكيد في قول الرواي: أنهم: أي الصحابة: انتظروا النبي ﷺ، وهذا الانتظار المؤكد ينبئ عن إخلاص الصحابة في انتظارهم، وعن مجيئهم لرسول الله عليه الصلاة والسلام.

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) برقم (٦٠٠)، وأخرجه مسلم أيضًا برقم ٦٤٠/٢٢٢، وقد سبق برقم ١٠٦٤.

(٣) الوسيط في (ش ط ر).

وقوله: "فجاءهم قريبًا:... فصلى بهم..." يفيد الإسراع في أداء الصلاة... وعدم التمهل في ذلك، لأن العطف بالفاء يفيد الترتيب والتعقيب أي التوالي والسرعة.

وقوله عليه الصلاة والسلام: "ألا"، يوحي بالإيناس والمودة: فهذا الحرف أداة استفتاح.

والتأكيد في قوله: "إن الناس قد صلوا ثم رقدوا" يرشد إلى الإشادة بفضل الصحابة الذين لم يخلدوا إلى الراحة... لأنهم انتظروا رسول الله ﷺ، وما رقدوا مثل غيرهم من الناس؛ ويتكرر التأكيد مرة أخرى مع اقتران "إن" المؤكدة بكاف الخطاب الدالة على الجمع، "كم" حيث يقول: "وإنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة"، هذا التأكيد يعلن عن فضل الصحابة.. وعن هذه البشرى التي بشرهم بها رسول الله ﷺ فهم حتى وهم خارج الصلاة كأنهم في صلاة: لأنهم لم يرقدوا.. ولكن يستعدون للصلاة وفي ذلك مكافأة لهم: لأنهم لم يتعجلوا مثل غيرهم، ولكن انتظروا رسول الله ﷺ: حتى جاء وصلى بهم العشاء. والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الآتية:

١- جواز السهر للأمر النافع كما فعل الصحابة رضوان الله عليهم انتظارًا للصلاة.

٢- يثير هذا الحديث أيضًا، مسألة آخر وقت العشاء: وقد اختلف الفقهاء في ذلك على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه المالكية في المشهور عندهم[١]، والشافعي في الجديد[٢] وأحمد في رواية اختارها الأكثرون[٣]، ويرون أنَّ آخر العشاء إلى ثلث الليل.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه بعض المالكية كابن حبيب، وابن المواز[٤]،

---

(١) مواهب الجليل ٣٩٨/١، وحاشية الدسوقي ١٧٨/١، وكفاية الطالب الرباني ٢١٧/١.

(٢) حلية العلماء للقفال ١٦/٢، والأم ٧١/١، والإقناع في حل الفاظ ابي شجاع ١١٠/٤.

(٣) المبدع ٢٤٥/١، والفروع ٢٦٣/١، ومنار السبيل ٧٥/١، وعمدة الفقه لابن قدامة، ص ١٥.

(٤) مواهب الجليل ١٧٨/١.

والشافعي في القديم[1]، وأحمد في رواية اختارها القاضي وجماعة[2]، ويرون أن آخر العشاء إلى نصف الليل.

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الحنفية[3]، والظاهرية[4]، ويرون أن آخر وقت العشاء إلى دخول وقت الفجر.

سبب اختلاف الفقهاء في هذه المسألة: ولعل سبب اختلاف الفقهاء في هذه المسألة، هو تعارض الأحاديث والآثار الوارد فيها:

- ففي حديث إمامة جبريل، أنه صلاها بالنبي ﷺ في اليوم الثاني ثلث الليل[5].
- وفي الحديث الذي معنا -حديث أنس أن النبي ﷺ- أخرها إلى شطر الليل.
- وفي حديث أبي قتادة أنه قال: ليس التفريط في النوم، وإنما التفريط أن تؤخر حتى يدخل وقت الأخرى[6].

فالرأي الأول رجح حديث إمامة جبريل، لذلك قال: إن آخر صلاة العشاء إلى ثلث الليل.

والرأي الثاني رجح حديث أنس الذي معنا، لذلك قال: إن آخر وقتها إلى نصف الليل.

والرأي الثالث رجح حديث أبي قتادة لذلك قال: إن آخر وقتها إلى دخول وقت الفجر[7].

المضامين الدعوية[8]

---

(١) حلية العلماء ١٧/٢.

(٢) الفروع ٢٦٣، وعمدة الفقه ١٥، والمبدع ٢٤٥/١.

(٣) المبسوط ١٤٥/١، والهداية ٣٩/١، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٥٩/١.

(٤) المحلى لابن حزم ١٨٨/٣.

(٥) أخرجه مسلم ٦٨١.

(٦) أخرجه أحمد ٣٢١/٣ رقم ١٤٥٣٨، والترمذي ١٥٠، والنسائي ٢٦٣/١ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما. وقال محققو المسند: إسناده صحيح اهـ. وانظر تتمة تخريجه في المسند ٢٢/٤٠٩-٤١٠، وأخرجه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ١٤٩.

(٧) انظر في هذا المعنى: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد محمد بن رشيد القرطبي ٧٠/١.

(٨) تم دمجها مع المضامين الحديث رقم (١٧٤٨).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية التعبدية:

يعتبر توثيق الصلة بين العبد وربه، مطلبًا رئيسًا في إطار الأهداف التعبدية في التربية الإسلامية، يجب أن يسعى كل من يباشر عملية التربية إلى تحقيقه وتوجيه الفرد إلى الكيفية التي يستطيع من خلالها التقرب إلى الله تبارك وتعالى، وتوثيق العلاقة بالله عز وجل، وذلك عن طريق الامتثال لأمر الله سبحانه واجتناب نهيه والمحافظة على أداء العبادات المفروضة [(١)].

وما اللحظات والدقائق، وبعض الساعات أو الأيام، التي تشغلها العبادات في حياة المسلم، إلا تذكيرًا بهذه الصلة الدائمة بالله وترويضًا للنفس على الخضوع الدائم لأوامر الله فالمسلم يستيقظ لذكر الله عند الفجر، وينام بأمر الله بعد صلاة العشاء[(٢)].

وقد جاء عنوان هذا الباب كراهة الحديث بعد العشاء، وتحته حديث أبي برزة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها.

وذلك لأن النوم قبل العشاء قد يمتد بالإنسان فيخرج الصلاة عن وقتها، والحديث إذا كان فيما لا فائدة منه قد يطول فينام الإنسان بعده عن صلاة الفجر.

الصلاة ركن من أركان الإسلام، وهذه العبادة فرضت على المسلمين حيث تجسد إحدى الجوانب القوية للصلة بين العبد وخالقه، فهي اتصال ينقطع به المسلم عن الدنيا بما فيها..... ويناجي فيها ربه عن قرب، ويذوق لذة تلك المناجاة، فيتجنب طريق الشيطان، ويسلك طريق الله الذي يجيب مناجاته [(٣)].

ولأهمية الصلاة في التربية الإسلامية أمر الله تعالى عباده بإقامتها فقال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[(٤)].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. امين أبولاوي، ص٥٢، ٥٣.

(٢) أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي، ص٤٩.

(٣) في التربية الإسلامية، عبدالغني عبود، ص١٧٥، نقلاً عن التربية الإسلامية، د، عماد محمد عطية، ص٧٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية:٧٨.

فالصلاة لها آثارها التربوية التي تعود بالخير على المسلم في حياته وآخرته حيث إن الصلاة تربية عقائدية وتربية عملية ، حيث الالتزام بالعمل الصالح ، والصلاة تربي الإنسان خلقيًا وروحيًا ، وتحفظ طاقاته وتوجهه الوجهة الخيرة ، وتربي في نفسه صفات حسنة كالتواضع، كما أنها تربي المسلم على الطمأنينة في القلب والهدوء في النفس، كما أنها نشاط جسمي متكامل للمسلم [١].

ثانيًا: التربية على عدم تفويت الخير:

من الأهداف التربوية المستنبطة من أحاديث هذا الباب والتي ينبغي غرسها في النفوس: الحرص على عدم تفويت الخير، وهذا يظهر من كراهته ﷺ النوم قبل العشاء والحديث بعدها ، وما ذاك إلا لأنه ذريعة إلى تفويتها ، والسمر بعدها ذريعة إلى تفويت قيام الليل، فإن عارضه مصلحة راجحة كالسمر في العلم ومصالح المسلمين لم يكره[٢].

كذلك إذا كان السمر مع الزوجة ، ومداعبتها إيناسًا لها وتلطفًا بها وغيره من الأشياء التي للمسلم فيها أو لغيره من المسلمين خير، فلا مانع منها لأن التربية الإسلامية تسعى إلى تحقيق الخير للإنسان في كل أوجه النشاط التي يقوم بها وفاءً بأعباء الأمانة التي حملها ، والتزامًا بواجبات خلافة الله في الأرض، فأداء الفروض الواجبة عبادة.... وطلب العلم عبادة، والتفكير عبادة، والعدل بين الناس عبادة ، بل إن كل خير يحققه الإنسان لنفسه أو لأسرته أو لمجتمعه أو لأمته... إذا كان هذا العمل خالصًا لوجه الله فهو صورة من العبادة والعمل الصالح وهو تعبير صادق عن مدى إيمان الإنسان وعلمه وخلقه [٣]. فينبغي عليه أن يحرص على عدم تفويته.

ثالثًا: التربية على المبادرة إلى الخيرات:

إن من أهداف التربية الإسلامية التربية على المبادرة إلى الخيرات وعدم تأخيرها ،

---

(١) انظر: التربية الإسلامية ، د ، عماد محمد عطية ، ص ٨٠ ، ٨١ ، ومراجعه.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن القيم ، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص٦٢٣.

(٣) أزمة التعليم المعاصر ، زغلول راغب النجار ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٠هـ ، ص١٢٥ ، نقلًا عن التربية الإسلامية ، د/سليمان بن عبدالرحمن الحقيل ، ص٢٣.

لأن المنية قد تفجأ العبد وهو لا يدري.

وفي ذلك قال ﷺ: "أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد".

فقد بين ﷺ أن أعمار أمته قصيرة دون أعمار من سبقهم من الأمم الماضية[١].

فإذا تذكر المتربي قصر الدنيا وسرعة زوالها، وأدرك أنها مزرعة للآخرة، وأنها لكسب الأعمال الصالحة وتذكر ما في الجنة من النعيم المقيم، وما في النار من العذاب الأليم، زهد في متع الدنيا، وأقصر عن الاسترسال في الشهوات، وانبعثت همته للأعمال الصالحات[٢].

وقد أمر المولى تبارك وتعالى بالمبادرة إلى الخيرات فقال: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[٣].

وقد نبه الرسول ﷺ على أنه يحصل في هذه الدنيا فتن شاغلة وكثيرة، فيجب على المسلم العاقل الحازم ذي الهمة العالية: أن يبادر إلى الأعمال الصالحة النافعة التي أمر بها الدين الإسلامي، من: عبادة لله عز وجل، وجهاد في سبيله، أي: أنه يلتزم المنهج الإسلامي بكامله قبل حصول الفتن وكثرة المشاغل التي تصرفه عن الالتزام بهذا المنهج، وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ. يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا. أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا. يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[٤].

فقد كان الرسول ﷺ حريصًا على تأصيل هذه الخصلة في نفوس المسلمين وجعلها سمة يتسابقون إلى التحلي بها والتنافس فيها[٥].

---

(١) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٢٢٧/٣.

(٢) انظر: الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد، ص١٩٨.

(٣) سورة المائدة، الآية:٤٨.

(٤) أخرجه مسلم، ١١٨.

(٥) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص٢٦٣، ٢٦٤.

رابعًا: التربية بالترغيب:

من الأساليب التربوية المهمة الترغيب الذي يولد الأمل في النفوس، وهو تحبيب المرء في الحصول على شيء يتمنى الحصول عليه [١].

وقد رغب ﷺ في انتظار الصلاة وبين أن فضل الله عظيم على عباده، فإنه يعطيهم الأجر ما داموا في انتظار الصلاة في المصلى، فقال ﷺ: «ألا إِنَّ الناسَ قد صَلَّوْا ثمَّ رَقَدُوا ، وإِنَّكم لن تزالوا في صلاةٍ ما انتَظرْتمُ الصَّلاةَ».

وهذا الترغيب وعد يصحبه تحبيب وإغراء، بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة، مؤكدة، خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة، ابتغاء مرضاة الله، وذلك رحمة من الله لعباده [٢].

ولاشك أن مثل هذا الأسلوب التربوي بمثابة الدافع القوي الذي يجعل المسلم يُقدم على الطاعات ويصبر عليها، ويدفع عنه الضجر والملل، لأن الترغيب يحدوه مِن خلفه بما ينتظره من فضل الله تعالى.



(١) التربية الإسلامية، مصادرها، وتطبيقاتها، د. عماد محمد عطية، ص١٢٧.

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٣٠.

٣٣٥- باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها إذا دعاها ولم يكن لها عذر شرعي

الحديث رقم (١٧٥١)

١٧٥١- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((إذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ)) متفق عَلَيْهِ[١].

وفي رواية[٢]: ((حَتَّى تَرْجِعَ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن العلاقات الزوجية في الإسلام تقوم على أسس من المودة والرحمة والسكن.. والإلف والحب.. والمتعة النفسية والروحية والحسية، ووصف الله هذه العلاقة بأنها ميثاق غليظ، وقال: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[٣].

والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملة واحدة شرطية، وأسلوب الشرط يفصح عن الثواب والعقاب، فالجزاء من جنس العمل: ويبدأ الحديث بأداة الشرط "إذا" وجملة الشرط: "دعا الرجل امرأته إلى فراشه"، "وإذا": هنا تناسب المقام حيث تفيد تحقق الدعوة والطلب: وهذا سلوك واقعي بشري، حيث رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقال: "وفي بضع أحدكم صدقة"[٤]، والدعوة هنا هي الرغبة في المعاشرة الزوجية، والتعبير

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٧)، ومسلم (١٤٣٦/١٢٢) ولفظهما سواء، وتقدم برقم (٢٨١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٠٧).

(٢) أخرجها البخاري (٥١٩٤)، ومسلم بعد حديث رقم (١٤٣٦/١٢٠، بدون رقم). أوردها المنذري في ترغيبه (٢٩٠٧).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٧ .

(٤) أخرجه مسلم، ١٠٠٦.

بقوله: "إلى فراشه"، كناية عن المراد من ذلك، حتى لا تكون الغريزة هي المحرك والدافع، بل لا بد من التلطف، والمداعبة، والترغيب، والتفاهم، والتعبير بالكناية كما يقول العلماء: من أبدع المسالك البيانية، والطرق الأسلوبية، التي يعبر بها المنشئ عن المعنى تعبيرًا مظلاً هادفًا موجزًا، يخفى تحت ظلاله لطائف مراده، وقد عرفوها بقولهم "لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه"، والرسول ﷺ يضرب المثل الكريم السخي في استعمال هذا المسلك الأسلوبي، للدلالة على المعاني دلالة ألطف وآكد وأوجز من دلالة الحقيقة المحضة[1].

وقيل: إن الكناية عن الأشياء التي يستحيا منها كثيرة في الكتاب والسنة، وتأمل هاتين الجملتين المعطوفتين على جملة: جواب الشرط بالفاء: "فأبت أن تجيء": "فبات غضبان عليها"، هذا الغضب يفيد إعراض الزوجة الفوري المتسرع، ويفيد كذلك نفور الزوج وغضبه، فحرف العطف الفاء، يصور حالة التوتر، والقلق والنفور بين الزوجين في هذا الموقف: ولذلك يأتي جواب الشرط مفصحًا عن العقاب الأوفى والأمثل هو "لعنتها الملائكة حتى تصبح" والمراد من ذلك: حث الزوجة على طاعة زوجها وملاطفته وإعطائه حقه في هذا المجال.. وهي كذلك لها حقها من حسن العشرة، وحسن الملاطفة، والرعاية الكاملة: واللعن هو: الطرد من رحمة الله، وقوله: حتى تصبح: كناية عن أن اللعن ليس دائمًا، ففي الصبح يمكن أن يرضى الزوج، ويذهب غضبه، وتخبو حدة سورته، والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الآتية:

١- تحريم امتناع الزوجة إذا دعاها زوجها إلى فراشه[2]، ومحل التحريم إذا لم

---

(١) انظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية د. عز الدين السيد، وانظر: الحديث النبوي: رؤية فنية جمالية، د. صابر عبدالدايم.

(٢) المهذب للشيرازي ٦٧/٢، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٣٧٦/٣، وحاشية البجيرمي ٤٤٢/٣، والمغني لابن قدامة ٢٢٣/٧، وكشاف القناع ١٨٥/٥، ومنار السبيل ١٩٥/٢، والمبدع ١٩٣/٧، والفروع ١٥٨/٥، ونيل الأوطار ٢١٨/٣، والمحلى لابن حزم ٤٠/١٠، وسبل السلام ١٤٣/٣.

يكن بها عذر شرعي كصيام فرض، أو لم يقم بها مانع يمنعها من ذلك كمرض شديد أو نحوه[١].

وقد قيل: إن الحيض ليس بعذر يمنع الاستمتاع، لأنه له حق الاستمتاع بها فوق الإزار، وهي حائض[٢].

ومفهوم الحديث أن محل التحريم هو غضب الزوج من امتناع زوجته، لأن به يتحقق اللعن، وبذلك يتحقق ثبوت معصيتها، بخلاف ما إذا لم يغضب من ذلك، فإنه يكون راضيًا، وبالتالي فلا تحريم، إما لكونه عذرها، وإما لأنه ترك حقه في ذلك[٣].

٢- وفيه جواز لعن المسلم العاصي إذا كان على وجه التخويف، لئلا يواقع الفعل، فإن واقعه، يدعى له بالتوبة، والهداية، ولكن محل جواز اللعن أن يكون العاصي يرتدع وينزجر به، فإن لم يكن حال العاصي كذلك فلا يجوز[٤].

٣- وفيه دليل على أن الملائكة تدعو على أهل المعصية ما داموا فيها.

٤- وفيه تعظيم شأن الزوج، والإرشاد إلى طلب مرضاته[٥].

المضامين الدعوية[٦]

---

(١) الفقه الواضح للدكتور محمد بكر إسماعيل ٦٧/٢.

(٢) شرح صحيح مسلم ٧/١٠، وعون المعبود ١٢٦/٦.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٢٦٤/٩.

(٤) فتح الباري ٢٦٤/٩، ونيل الأوطار ٣٦٣/٦.

(٥) فتح الباري ١٦٤/٩، وشرح ابن بطال على صحيح البخاري ٣١٢/١٣.

(٦) تقدم ذكرها في شرح الحديث برقم (٢٨١).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- احترام الرغبات والغرائز الجنسية:

من أسس التربية الإسلامية احترام الرغبات والغرائز الجنسية، فالإسلام يحترم الرغبات والغرائز الجنسية فهو يأبى على المرأة أن ترفض زوجها حين طلبه لجماعها، وهذا نوع من احترام الإسلام للرغبات والغرائز الجنسية [1]، حيث يقول رسول الله ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ».

فالإسلام يقر للإنسان حقه في تلبية رغبته الجنسية - هذه الرغبة القوية - عن طريق الزواج والاتصال الجنسي المشروع، فهو الوسيلة المثلى التي تجد من خلاله غريزة الجنس طريقها في نطاق الأسرة النظيف ما تنشده من إشباع وارتواء في توازن لا يخل بسلام المجتمع ولا يزعزع بناءه الإنساني الأخلاقي.

وقد ميز الله أهل الإيمان بضبط الغريزة وتوجيهها وجهة الفطرة الصالحة، وأشار القرآن إلى أن مسلك الفوضى إنما هو انحلال وعدوان خطير يدمر المجتمع ويبث الوهن في أنحائه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾[2].

فإن ضبط الغريزة وتنظيمها طهارة للزوج والبيت والجماعة ووقاية النفس والأسرة والمجتمع، وتحفظ الفروج من دنس المباشرة في غير حلال، وحفظ للقلوب من التطلع إلى غير حلال[3].

من أجل ذلك احترم الإسلام الرغبات الجنسية وحث على إشباعها في طلب الحلال

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ص١٨٩، ١٩٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات:٥-٧.

(٣) انظر: إستراتيجيات التربية الأسرية، إعداد لجنة البحوث والدراسات، إشراف: د. توفيق يوسف الواعي، ص٥١-٥٢.

وحث الطرف الآخر -الزوجة- على عدم الامتناع عنه ما لم يكن هناك عذر شرعي يجيز لها الامتناع.

ثانيًا- التربية بالترهيب:

إن التربية الإسلامية تستخدم هذا الأسلوب التربوي الذي يجعل الإنسان يتحكم في سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك، وما يترتب عليه من ضرر [١].

وقد رهب النبي ﷺ المرأة المسلمة من عدم طاعة زوجها إذا دعاها لفراشه، وامتنعت لغير عذر شرعي، بلعن الملائكة لها حتى تصبح، فقال ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ». فهذا الأسلوب التربوي الترهيبي يحض المرأة على طاعتها لزوجها لإحصانه، فإن لم تفعل لعنتها الملائكة حتى تصبح، وفي ذلك كسر لكبر المرأة الحصيفة حتى ترجع عن ذلك وتطيع زوجها حتى تتجنب لعن الملائكة إلى الصباح.

وإن المرأة المؤمنة إذا ما تغير طبعها، وأرادت أن تهجر فراش زوجها، فما عليها إلا أن تذكر لعنة الملائكة التي تؤمن بها، فإن ذلك يرهبها ويزجرها، ويهيئها لطاعة زوجها، فإنه جنتها ونارها، فلتنظر أين هي من ذلك [٢].

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الأمر ليس على إطلاقه، وإنما يرتبط باستطاعة المرأة وظروفها الصحية بالإضافة إلى المسؤوليات الكبيرة تجاه الأولاد، وإذا كان للزوج على زوجته حق الطاعة، فيجب عليه عدم التسلط في استعمال هذا الحق، وربما يأتي إنسان لا يلتزم بمبادئ الإسلام التزامًا كاملاً، ثم لا يعجبه في الإسلام إلا أن يُلوح بهذا الحق دون مراعاة لمشاعر وظروف وصحة الزوجة ومسؤولياتها اليومية، ويجب أن نؤكد على أن الإسلام دين المودة والرحمة والتراحم بين الناس، خاصة بين الزوجين حتى يكون هناك انسجام أسري ودفء عائلي ويكون الجو مفعمًا بالمودة والرحمة.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٨٦.

(٢) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص٣٤٤.

٣٣٦- باب تحريم صوم المرأة وزوجها حاضر إلاَّ بإذنه

الحديث رقم (١٧٥٢)

١٧٥٢- وعن أَبي هريرة ﷺ: أنَّ رسُولَ الله ﷺ، قَالَ: ((**لاَ يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إلاَّ بِإِذْنِهِ، وَلاَ تَأذَنَ فِي بَيْتِهِ إلاَّ بِإِذْنِهِ**)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتفق مع الحديث السابق في تأكيد حق الزوج، ووجوب طاعة زوجته له، وتقدم طاعة الزوج على أداء الطاعات المندوبة مثل: نسك التطوع، وصوم التطوع، وكذلك طاعته في صون حرمة بيته، فلا تدخل أحداً بيته إلا بإذنه.

وهذا المضمون الإسلامي الذي يقنن ويؤطر الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين: يصوغه رسول الله ﷺ في أسلوب القصر، وهو من الأساليب التي توثق المعنى، وتعمق الدلالة، وترسخ المقاصد في ذهن السامعين، وتنبئ عن حرص المتكلم على إيصال فكرته، وتأكيد مراده، فالجملة الأولى: مضمونها يحرم على المرأة صوم التطوع من غير إذن زوجها وقوله: "لا يحل" فيه ترغيب واستمالة للمرأة: لأنه لو قال: يحرم على المرأة: لكان التعبير شديداً ولأفاد العموم، لأن من الصوم مالا يتعلق برضا الزوج، وهو صوم الفرض، وقوله: "وزوجها شاهد"، أي حاضر: هذا إيحاء بوجوده في بيته، ومشاهدته لزوجته، وربما تقوده رغبته في التمتع بزوجته، وهي تمنعه من ذلك بدخولها في عبادة الصوم، وتصبح في هذه الحالة مثل. التي أبت أن تلبي دعوته إلى

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٩٥) واللفظ له، ومسلم (٨٤/١٠٢٦)، وتقدم برقم (٢٨٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٢٧١).

فراشه، ويمكن أن تصوم إذا أذن لها زوجها، وكذلك: أسلوب القصر في قوله: "ولا تأذن في بيته إلا بإذنه"، يفيد قصر دخول أي وافد إلى بيت الزوج على رضا الزوج وإذنه، وفي ذلكم صون لكرامته، وحفظ لحقه، وحفاظ على حرمة البيت، والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- حرمة صيام التطوع على الزوجة، وزوجها حاضر إلا بإذنه[١]، وذلك لأن له حق الاستمتاع بها، ولا يمكنه ذلك مع الصوم[٢]، فإن أذن لها جاز، وعلمها برضاه كإذنه[٣]، وإن صامت بغير إذنه صح صومها وإن كان حراماً، كالصلاة في الدار المغصوبة[٤].

هذا إذا كان الزوج يجوز له التمتع بها، فإن قام به مانع شرعي يمنعه من الوطء كما لو كان محرماً، أو معتكفاً[٥]، أو قام به أو بها مانع عضوي لا يتأتى معه الجماع، كما لو كان مريضاً لا يقدر على الجماع[٦]، أو كان بها رتق أو قرن[٧]

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٧/٢، ومغني المحتاج ٤٤٩/١، والإقناع للشربيني ٢٤٥/١، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢٧٣/٢، كشاف القناع ١٨٨/٥، ومنار السبيل ٩٥/٢، والمحلى لابن حزم ٣٠/٧.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٧/٢، وشرح صحيح مسلم ١١٥/٧، ومغني المحتاج ٤٤٩/١.

(٣) مغني المحتاج ٤٤٩/١.

(٤) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٥) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٧٣/٢.

(٦) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٣/٢.

(٧) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٧٣/٢.

لا يمكن معه جماعها، فلا حرمة عليها إن صامت بغير إذنه.

وإن كان غائباً جاز لها الصوم دون إذنه[١].

٢- يحرم على المرأة أن تأذن لأحد بدخول بيت زوجها إلا بإذنه سواء كان غريباً، أو قريباً، وسواء أكان رجلاً، أو امرأة.

هذا ما لم تعلم الزوجة رضا زوجها بذلك، فإن علمت رضاه به جاز[٢].

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) شرح صحيح مسلم ١١٥/٧.

(٢) المجموع للنووي ٢٤٠/٦، والمغني لابن قدامة ٢٢٣/٧، وكشاف القناع ١٨٨/٥، وعون المعبود ٩٣/٧.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٨٢).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- تربية الزوجة على تأدية حقوق الزوج:

إن التربية الإسلامية تهتم اهتمامًا كبيرًا باستقرار في الحياة الأسرية، حيث حضت الشريعة كل طرف - في الزواج - على القيام بواجباته تجاه الآخر.

والله تعالى جعل المرأة سكنًا نفسيًا للرجل، وأقام سبحانه وتعالى الحياة الزوجية على المودة والرحمة. فالرجلَ قوّام يقضي نهاره في طلب الرزق ويسعى ويجاهد فإذا أوي إلى بيته وجد الراحة النفسية والطمأنينة، وبين هذا وذاك تنمو المودة والرحمة، بمعنى أنها تزداد يومًا بعد يوم، فيزداد الوثاق والرباط القوي بين الزوجين [(١)].

وإن أكبر ما يجب للرجل على امرأته شرعًا وطبعًا، هو ما يقع الزواج لأجله: تمتعه بها، وتمكينها إياه من نفسها، وكل شيء بعد ذلك تبع له [(٢)].

من أجل ذلك نهى النبي ﷺ المرأة عن الصوم تطوعًا وزوجها حاضر إلا بإذنه، فقال: «لاَ يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ، وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إلاَّ بِإِذْنِهِ» فصوم التطوع سنة وحق الزوج واجب والواجب يقدم.

فإن رسول الله ﷺ أراد أن يؤصل في نفس الزوجة المسلمة طاعة زوجها فيما لا معصية فيه لله، ومن مظاهر تلك الطاعة التزام المرأة بعدم الصيام وزوجها شاهد إلا بإذنه، وذلك في صوم التطوع، ومن التربية النبوية للمرأة المسلمة عدم إذنها لأحد في دخول بيتها إلا بإذن زوجها، وهذا مما يعمل على دعم أواصر المودة والمحبة بين الزوجين.

كذلك على الزوجة المسلمة القدوة أن تتعرف بدقة على واجباتها نحو زوجها وحقوقه عليها فتؤديها تعبدًا لله وطمعًا في ثوابه، وأن تراعي مشاعره وتمتص همومه وتحفظ سره، وتتعاون معه في أمور الحياة[(٣)].

---

(١) الأسرة والتنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي السعودي، د. محمد عبدالمحسن التويجري، ص٩٦.

(٢) إصلاح المجتمع، محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني، ص٢٩٣.

(٣) إستراتيجيات التربية الأسرية في الإسلام، إعداد لجنة البحوث والدراسات، إشراف: د. توفيق يوسف الواعي، ص٨٠.

فإذا ما عرفت الزوجة حقوق زوجها وحرصت على تأديتها له، فإن السعادة الزوجية سوف تتحقق ويحرص الزوج المسلم القدوة على إسعاد زوجته وتأدية حقوقها.

فالالتزام بتأدية الحقوق هدف تربوي عظيم، ينبغي على المربين والمجتمع غرسه في نفوس الجميع، خاصة الناشئة منهم، حتى يعلم كل فرد سواء في الأسرة أو المجتمع أهمية دوره وأثره الفعال في تحقيق السعادة والاستقرار في جميع نواحي الحياة، والحياة الأسرية على وجه الخصوص.



٣٣٧- باب تحريم رفع المأموم رأسه من الركوع أو السجود قبل الإمام

الحديث رقم (١٧٥٣)

١٧٥٣- عن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: ((أمَا يَخْشَى أحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأسَهُ قَبْلَ الإمَامِ أنْ يَجْعَلَ اللهُ رَأسَهُ رَأسَ حِمَارٍ ! أَوْ يَجْعَلَ اللهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يتضمن هذا الحديث الشريف تحذيراً للمسلم المأموم وهو في الصلاة من أن يسبق الإمام، فذلك السلوك ينشأ من السرعة والعجلة وعدم الخشوع، وهذا التحذير لم يصدر مباشرة، ولم يأت في صيغة نهي مباشر، وإنما سيق في صيغة تصويرية من شأنها أن تنفر كل مسلم من هذا المصير المؤلم الذي يمكن أن يؤول إليه، والصورة في الحديث تركز على إبراز القبح في أشد صورة له، تنفيراً للمسلم من الوقوع في مثل هذا السلوك المتعجل، الذي يخالف سنة رسول الله ﷺ في الخشوع والقنوت واتباع الإمام، وتأمل معالم صورة هذا المخالف: حيث: يجعل الله رأسه رأس حمار، أو يجعل صورته صورة حمار، إذ ينصب البصر أول الأمر على الرأس، الذي يصبح رأس حمار ضخم بأذنين طويلتين ناهيك عن لونه، ويبرز القبح جلياً في المفارقة المقززة بين الجسد البشري والرأس الحيواني، وثمة احتمال آخر في النص هو انقلاب الجسد كله إلى شكل حمار، صورة حمار فينسى حينئذ الشكل الإنساني ويذوب، ويملأ المشهد هذا الحيوان

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩١) واللفظ له، ومسلم (٤٢٧/١١٤). أورده المنذري في ترغيبه (٧٣٠).

الذي كان إنساناً، مع ما يوحي به لفظ الحمار، وشكله من معاني الغباء والأفعال الشنيعة المعهودة فيه، مما أسهب فيه المفسرون، وعلى هذا نفهم من تصوير القبح في النص: أن اتباع الإمام في الصلاة ذكاء وحكمة وحضارة، وأن المخالفة غباء وقبح، ومخالفة للنهج السوي، وانحراف عن الطريق القويم[1]، والاستفهام في أول الحديث تحذير لكل مسلم من الإقدام على مثل هذا السلوك الذي لا يليق بالمسلم ومكانته عند ربه، وأداة الشرط: مع فعل الشرط والجواب: إشارة إلى أن الجزاء من جنس العمل: ومن يتردى في هذا السلوك فليستحق ما يؤول إليه من مصير مؤلم، وعذاب أليم، والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: تحريم الرفع من الركوع والسجود قبل الإمام[2]، وذلك للوعيد عليه بالمسخ، وهو أشد العقوبات[3].

ولكن هل تبطل صلاته أم لا؟: اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من الحنفية[4]، والمالكية[5]، والشافعية[6]، وأحمد في رواية[7]، ويرون أن صلاته لا تبطل، وإن كان الفاعل يأثم.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الإمام أحمد في رواية عليها أكثر أصحابه[8]،

---

(١) انظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي، د. أحمد ياسوف، ص٧١٥.

(٢) تحفة الفقهاء ١/١٤٤، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢/٨٣، وشرح فتح القدير ١/٤٨٢- ٤٨٣، والتمهيد لابن عبدالبر ٢٤/٣٦٥، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١/٣٤٢، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١/٢١١، وحلية الأولياء ٢/١٦٢- ١٦٣، والكافي فقه الإمام أحمد ١/١٨١، والروض المربع ١/٢٤٢، ومنار السبيل ١/١٢٠.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٢/١٨٣.

(٤) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢/٨٣، وشرح فتح القدير ١/٤٨٢- ٤٨٣.

(٥) حاشية الدسوقي ١/٣٤٢.

(٦) حلية العلماء ٢/١٦٢- ١٦٣، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١/٢١١.

(٧) شرح ابن رجب على صحيح البخاري ٥/٩٠، ومنار السبيل ١/١٢٠، والروض المربع ١/٢٤٢- ٢٤٣.

(٨) المراجع السابقة، المواضع نفسها.

والظاهرية[1] ويرون بطلان صلاته في هذه الحالة.

قال الإمام أحمد: ليس لمن سبق الإمام صلاة لهذا الحديث.

قال: ولو كان له صلاة لرجي له الثواب، ولم يخش عليه العقاب[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن سبق الإمام في الركوع والسجود أو الرفع منهما.

ثانياً: من آداب المدعو: متابعة الإمام في الصلاة وعدم مسابقته.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

رابعاً: من مهام الداعية: الشفقة على المدعوين وبيان الأحكام لهم وما يترتب عليها من الثواب والعقاب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن سبق الإمام في الركوع والسجود أو الرفع منهما:

وهذا واضح من الوعيد في الحديث لمن رفع رأسه قبل الإمام، قال النووي: "هذا كله بيان لغلظ تحريم ذلك"[3].

وقال ابن دقيق العيد: "الحديث دليل على منع تقدم المأموم على الإمام في الرفع، هذا منصوصه في الرفع من الركوع والسجود، ووجه الدليل: التوعد على الفعل، ولا يكون التوعد إلا عن ممنوع، ويقاس عليه: السبق في الخفض، كالهوى إلى الركوع والسجود.

وفي قوله: (أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام ...)، ما يدل على أن فاعل ذلك متعرض لهذا الوعيد، وليس فيه دليل على وقوعه ولا بدّ.

وقوله: (أن يحول رأسه رأس حمار أو يجعل صورته صورة حمار)، يقتضي تغيير الصورة الظاهرة، ويحتمل أن يرجع إلى أمر معنوي مجازي، فإن الحمار موصوف

---

(١) المحلى ١٦/٤، وأيضاً شرح الزرقاني على الموطأ ٢٧٥/١.

(٢) المغني لابن قدامة ٣١٠/١، وشرح ابن رجب على صحيح البخاري ٩٠/٥، ومنار السبيل ١٢٠/١.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٥٦/٤/٢، ط/ دار عالم الكتب.

بالبلادة، ويستعار هذا المعنى للجاهل بما يجب عليه من فروض الصلاة ومتابعة الإمام، وربما رجّح هذا المجاز بأن التحويل في الظاهر لم يقع مع كثرة رفع المأمومين قبل الإمام، ونحن قد بيّنا أن الحديث لا يدل على وقوع ذلك، وإنما يدل على كون فاعله متعرضاً لذلك، وكون فعله صالحاً لأن يقع عنه ذلك الوعيد، ولا يلزم من التعرض للشيء وقوع ذلك الشيء، وأيضاً فالمتوعد به لا يكون موجوداً في الوقت الحاضر، أعني عند الفعل، والجهل موجود عند الفعل، لست أعني بالجهل ههنا عدم العلم بالحكم، بل إما هذا وإما أن يكون عبارة عن فعل ما لا يسوغ، وإن كان العلم بالحكم موجوداً، لأنه قد يقال في هذا: إنه جهل، ويقال لفاعله: جاهل.

والسبب فيه: أن الشيء ينفى لانتفاء ثمرته والمقصود منه، فيقال: "فلان ليس بإنسان، إذا لم يفعل الأفعال المناسبة للإنسانية، ولما كان المقصود من العلم العمل به، جاز أن يقال لمن لا يعمل بعلمه: إنه جاهل غير عالم"[١].

لكن ابن حجر ذهب إلى تقوية حمل الوعيد على ظاهره فقال: "ويقوي حمله على ظاهره أن في رواية ابن حبان[٢] من وجه آخر عن محمد بن زياد: (أن يحول الله رأسه رأس كلب)، فهذا يبعد المجاز، لانتفاء المناسبة التي ذكروها من بلادة الحمار، ومما يبعده أيضاً إيراد الوعيد بالأمر المستقبل وباللفظ الدال على تغيير الهيئة الحاصلة، ولو أريد تشبيهه بالحمار لأجل البلادة لقال مثلاً: (فرأسه رأس حمار)، وإنما قلت ذلك لأن الصفة المذكورة وهي البلادة حاصلة في فاعل ذلك عند فعله المذكور[٣]، فلا يحسن أن

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ١١٥ - ١١٦.

(٢) صحيح ابن حبان ٢٢٨٣، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٣) قال ابن العربي: وليس يريد به عند العلماء المسخ صورة، وإنما يريدون به الحمارية معنىً، وهو البَلَهُ، ضرب له الحمار مثلاً، لأنه أشد البهائم بلهاً، ولا حمارية أعظم من أن يلتزم الاقتداء مع الإمام ثم يخالف ما التزم في تلك الحال، وهذا كقوله ﷺ: ((لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لتخطفن أبصارهم))، وليس يريد بذلك إذهابها بالعمى، وإنما يشير به إلى ذهاب فائدتها من العبرة. القبس شرح الموطأ ٤/٤٤٧ موسوعة شروح الموطأ. والحديث الذي ذكره ابن العربي أخرجه البخاري ٧٥٠ من حديث أنس بن مالك ﷺ، وأخرجه مسلم ٤٢٩ من حديث أبي هريرة ﷺ.

يقال له: يخشى إذا فعلت ذلك أن تصير بليداً، مع أن فعله المذكور إنما نشأ عن البلادة"[١].

وقال ابن هبيرة: "إنه ينبغي أن لا يستبعد هذا، فإن الله سبحانه وتعالى إن لم يجعل رأسه على شكل رأس الحمار، فإنه قد يجعل رأسه في المعنى رأس حمار في البلادة وبُعْد الفهم، وهو على صورة الآدميين، وقد أخذ على المأموم أن لا يسبق الإمام في التسليم، فما الذي تفيده المسابقة في الركوع أو السجود، مع كونه لا يمكنه الخروج من الصلاة إلا بخروج الإمام، فلا يحصل له من ذلك إلا سوء الأدب، وأن يظهر للمصلين معه قلة أدبه ودينه، ونزارة علمه وعدم ثباته، فإذن هذه كلها من أخلاق من رأسه في المعنى رأس حمار" [٢].

ثانياً- من آداب المدعو: متابعة الإمام في الصلاة وعدم مسابقته:

وهذا واضح من الحديث، قال ابن تيمية: "أما مسابقة الإمام فحرام باتفاق الأئمة لا يجوز لأحد أن يركع قبل إمامه ولا يرفع قبله، ولا يسجد قبله، وقد استفاضت الأحاديث عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك كقوله في الحديث الصحيح: ((لا تسبقوني، فَإِنِّي مَهْمَا أَسْبِقْكُمْ بِهِ إِذَا رَكَعْتُ تُدْرِكُونِي بِهِ إِذَا رفعت، وَمَهْمَا أَسْبِقْكُمْ بِهِ إِذَا سَجَدْتُ، تُدْرِكُونِي بِهِ إِذَا رَفَعْتُ، إِنِّي قَدْ بَدَّنْتُ[٣]))[٤]، وقوله: ((إنَّما جُعِلَ الإِمامُ ليُؤْتَمَّ بِه، فإذا كَبَّرَ فكبِّروا، وإذا ركعَ فاركعُوا، فَإِنَّ الإِمَامَ يَرْكَعُ قَبْلَكُمْ وَيَرْفَعُ قَبْلَكُمْ))، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((فَتِلْكَ بِتِلْكَ. وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ. يَسْمَعُ اللهُ لَكُمْ. وَإِذَا كَبَّرَ وَسَجَدَ فَكَبِّرُوا وَاسْجُدُوا. فَإِنَّ الإِمَامَ يَسْجُدُ قَبْلَكُمْ وَيَرْفَعُ قَبْلَكُمْ)). فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((فَتِلْكَ بِتِلْكَ))[٥]، وكقوله:

---

(١) فتح الباري ١٨٤/٢. ط/ السلفية.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٩٥/٧.

(٣) بَدَّنْتُ: اي كَبِرْتُ وأسننتُ، انظر: لسان العرب في (ب د ن).

(٤) أخرجه أحمد ٩٢/٤ رقم ١٦٨٣٨، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ٥٣/٢٨.

(٥) أخرجه مسلم ٤٠٤.

((أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ الله رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ؟))[1]، وهذا لأن المؤتم متبع للإمام مقتد به، والتابع المقتدي لا يتقدم على متبوعه وقدوته، فإذا تقدم عليه، كان كالحمار الذي لا يفقه ما يراد بعمله.

ومن فعل ذلك استحق العقوبة والتعزير الذي يردعه وأمثاله، كما روي عن عمر ﷺ أنه رأى رجلاً يسابق الإمام فضربه وقال: لا وحدك صليت ولا بإمامك اقتديت.

وإذا سبق الإمام سهواً لم تبطل صلاته، لكن يتخلف عنه بقدر ما سبق به الإمام كما أمر بذلك أصحاب رسول الله ﷺ لأن صلاة المأموم مقدرة بصلاة الإمام، وما فعله قبل الإمام سهواً لا يبطل صلاته، لأنه زاد في الصلاة ما هو من جنسها سهواً، فكان كما لو زاد ركوعاً أو سجوداً سهواً، وذلك لا يبطل بالسنة والإجماع... فعلى المصلي أن يتوب من المسابقة ويتوب من نقر الصلاة وترك الطمأنينة فيها، وإن لم ينته فعلى الناس كلهم أن يأمروه بالمعروف الذي أمره الله به، وينهوه عن المنكر الذي نهاه الله عنه، فإن قام بذلك بعضهم وإلا أثموا كلهم، ومن كان قادراً على تعزيره وتأديبه على الوجه المشروع فعل ذلك، ومن لم يمكنه إلا هجره وكان ذلك مؤثراً فيه، هجره حتى يتوب"[2].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

فقد رهّب النبي ﷺ من أن يسبق المأموم الإمام في الصلاة، بأن ذلك مدعاة لأن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار وفي هذا ترهيب ما بعده ترهيب، قال ابن عبدالبر: "وهذا وعيد وتهديد"[3]، قال ابن حجر: "وظاهر الحديث يقتضي تحريم الرفع قبل الإمام، لكونه توعد عليه بالمسخ وهو أشد العقوبات"[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٩١، ومسلم ٤٢٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/ ١٩١ - ١٩٢، ٢٣/٢٣٦ - ٣٣٨ .

(٣) التمهيد شرح الموطأ ٤/٤٤٧ موسوعة شروح الموطأ.

(٤) فتح الباري ٢/١٨٣.

رابعاً- من مهام الداعية: الشفقة على المدعوين وبيان الأحكام لهم وما يترتب عليها من الثواب والعقاب:

وهذا واضح في الحديث، قال ابن حجر: "وفي الحديث كمال شفقته ﷺ بأمته وبيانه لهم الأحكام وما يترتب عليها من الثواب والعقاب"(١)، ومن هذا القبيل قوله ﷺ: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلاَةِ. أَوْ لاَ تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ))(٢)، قال النووي: "فيه النهي والوعيد الشديد في ذلك"(٣).

وقال ابن حجر: "واختلف في المراد بذلك، فقيل: هو وعيد، وعلى هذا فالفعل المذكور حرام،... وقيل المعنى: أنه يخشى على الأبصار من الأنوار التي تنزل بها الملائكة على المصلين، كما في حديث أسيد بن حضير الآتي في فضائل القرآن إن شاء الله تعالى(٤)، أشار إلى ذلك الداودي، ونحوه في جامع حماد بن سلمة عن أبي مجلز أحد التابعين. و"أو" هنا للتخيير نظير قوله تعالى: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ﴾(٥)، أي يكون أحد الأمرين إما المقاتلة وإما الإسلام، وهو خبر في معنى الأمر"(٦).

ومن هذا القبيل أيضاً قوله ﷺ: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ. أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ. ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ))(٧)، وقد بوّب ابن حبان على هذا الحديث ذكر الأمر بالمواظبة على الجمعات للمرء مخافة أن يكتب من الغافلين"(٨).

قال الصنعاني: "بعد ختمه تعالى على قلوبهم فيغفلون عن اكتساب ما ينفعهم من الأعمال وعن ترك ما يضرهم منها. وهذا الحديث من أعظم الزواجر عن ترك الجمعة والتساهل فيها. وفيه إخبار بأن تركها من أعظم أسباب الخذلان بالكلية"(٩).

---

(١) فتح الباري ١٨٤/٢. ويبدو أنه قول ابن الجوزي.

(٢) أخرجه مسلم ٤٢٨، من حديث جابر بن سمرة.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٥٧/٤/٢.

(٤) أخرجه البخاري ٥٠١٨، ومسلم ٧٩٦.

(٥) سورة الفتح، آية: ١٦.

(٦) فتح الباري ٢٣٤/٢.

(٧) أخرجه مسلم ٨٦٥.

(٨) صحيح ابن حبان ٢٥/٧ الحديث ٢٧٨٥.

(٩) سبل السلام ص ٢٨٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على احترام النظام والعمل به:

يحترم الإسلام النظام ويأمر باتباعه، كما يأبى الفوضى ويعاقب عليها. فالصلاة تتم وفق نظام معين، والجماعية منها تقوم على انتظام الجماعة في صفوف خلف الإمام[1]. فلا يجوز للمأموم أن يخالف هذا النظام ويتقدم على الإمام برفع رأسه من الركوع أو السجود، ولهذا قال ﷺ: «أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ».

فصلاة الجماعة تعلم وتربي المسلم على النظام، وتغرس فيه التربية بالاتباع والاقتداء بالإمام، كما أنها من أهم وسائل تحطيم الفوارق الاجتماعية والتعصب للجنس واللون، فوحدت بين المسلمين من كافة الأجناس والألوان، ونفخت فيهم روح الإخاء والمساواة والنظام، وقد نوّه بفضلها وجليل اعتبارها كثير من الباحثين، من ذلك ما قاله الدكتور فيليب حتى أستاذ الآداب السامية بجامعة برنستون بأميركا في كلامه عن صلاة الجمعة وتأثيرها على المجتمع العربي.

"وهذه الصلاة الجامعة في وقارها وبساطتها لا يفوقها أي نوع من أنواع العبادات الجامعة، إذ يقف المصلون معتدلي القامة في صفوف يسودها النظام في المسجد، ويتبعون زعامة الإمام بكل دقة واحترام، ولعمري إن منظرهم ليكون دائمًا بالغ الأثر في النفس، وهذه الصلاة الجامعة كوسيلة للنظام لابد وأنها كانت ذات أثر عظيم في نفوس أبناء الصحراء المعتزين بأنفسهم المتكبرين. لقد غرست في نفوسهم الشعور بالمساواة الاجتماعية والإدراك لفكرة المصالح المشتركة وتوحيدها. ولقد ساعدت أيضًا على تقوية الأخوة في مجتمع المؤمنين التي أحلها دين محمد نظريًا محل روابط الدم، وهكذا أصبحت أرض الصلاة هي الأرض الأولى للتدريب في الإسلام[2]" [3].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص٥٥.

(٢) تاريخ العرب، ترجمة: محمد مبروك نافع، ط٢، ص١٦٢، ١٦٣.

(٣) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة ص١٧٧، ١٧٨ بتصرف.

إن التربية الإسلامية تولي النظام في الصلاة أهمية خاصة بل إنها تهتم بالنظام والحث على احترامه والعمل به في كافة مناحي الحياة، ليربي المسلم على النظام والانضباط، والبعد عن الفوضى والعشوائية فالمسلم مأمور بأن يحترم النظام ويعمل به، في منزله، ومع أسرته، وفي عمله ومع زملائه، وفي بيئته ومجتمعه، وفي المجتمع الإنساني بأكمله [١].

ثانيًا: التربية بالتحذير:

إن التحذير من الأساليب التربوية المهمة حيث يستخدمه المربي في التوجيه للتحرز من إتيان فعل أو امتناع عنه، لكونه سببًا في غضب الله تعالى وعذابه، أو سببًا في إلحاق ضرر بالأمة والمجتمع المسلم مما يدفع باتجاه الاستعداد والتأهب لتجنب حصول ذلك[٢].

وقد حذر النبي ﷺ المأموم في الصلاة من رفع رأسه من الركوع أو السجود قبل الإمام، فقال: «أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ».

وقد ورد استخدام النبي ﷺ التحذير كأسلوب تربوي وتوجيهي في التحذير من المعاصي واقتراف ما نهى الله تعالى عنه.

وكذلك في التحذير مما يتسبب في إلحاق الضرر بالأمة والمجتمع، وبصيغ مختلفه كالترهيب والوقاية، وبيان العقوبة المترتبة على عمل فعل أو تركه، والنصيحة وغيرها[٣].

فأسلوب التحذير أسلوب تربوي لا غنى للمربي عنه يستخدمه في التحذير من الأشياء التي تخالف الشريعة الإسلامية سواء كانت عبادات أو معاملات أو غيرها حتى يتجنبها المتربي وينتهي عن إتيانها.

❁ ❁ ❁

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص٥٥.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص ٢٤٩.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص٢٤٩، ٢٥٠.

٣٣٨- باب كراهة وضع اليد عَلَى الخاصرة في الصلاة

الحديث رقم (١٧٥٤)

١٧٥٤- عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: نُهِيَ عن الخَصْرِ فِي الصَّلاَةِ. متفق عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الخَصْر: وهو أن يصلي ويده على خاصرته، والخصر من الإنسان وسطه وهو المستدق فوق الوركين، وفي الصلاة وضع اليد على الخصر[٢].

الشرح الأدبي

إن الصلاة أقوال وأفعال.. وهيئات وحركات، وفي ظل الخشوع والخضوع يقرأ المصلي... ويركع ويسجد،. ويسبح، ويقوم ليواصل الصلاة، والحديث فيه إخبار عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخصر في الصلاة، والخصر: وسط الإنسان وأخمص القدم، والمراد هنا: وسط الإنسان: والحديث بدأ بتأكيد الخبر: حيث تقدم على الفعل "نهى" إن "المؤكدة" واسمها، وهو رسول الله ﷺ، وهذا التقديم له دلالته: لأن المسلم مكلف بطاعة رسول الله ﷺ، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٣].

وهذا الوضع وهو وضع اليد على الخاصرة في الصلاة مكروه: وقيل في سبب هذه الكراهة، وذلك النهي: هو عدم التشبه باليهود، لأن اليهود كانوا يفعلون ذلك، وقيل إن هذا فعل الشيطان، وقيل: لأن إبليس أهبط من الجنة كذلك، وقيل لأنه فعل المتكبرين.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢١٩) واللفظ له، ومسلم (٥٤٥/٤٦). أورده المنذري في ترغيبه (٧٨٧).

(٢) شرح مسلم ٤١٥، المصباح المنير في (خ ص ر).

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

والمؤمن في الصلاة يقف خاشعاً متذللاً لربه، وليس في قلبه مثقال ذرة من كبر، والله أعلم، وما أصدق هذه الأبيات التي تصور خشوع المؤمن وتواضعه.. وإقباله على الله.

وكن للصالحين أخاً وخلاً ... وكن في هذه الدنيا غريباً
وصل إذا الدجي أرخى سدولا ... ولا تضجر به وتكن هيوباً
تجد أنساً إذا أودعت قبراً ... وفارقت المعاشر والنسيبا[1]

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة التخصر في الصلاة، وهو وضع اليد على الخاصرة، وهذا ما ذهب إليه جمهور الفقهاء[2].

وذهب الظاهرية[3] إلى أنه حرام تبطل به الصلاة.

وقد رجح صاحب نيل الأوطار[4]، وصاحب عون المعبود[5] القول بالتحريم، وذلك لعدم قيام قرينة تصرف النهي عن التحريم الذي هو معناه الحقيقي.

ولعل السبب الذي نهى لأجله عن التخصر، هو أنه فعل المختالين والمتكبرين، أو لأن فيه تشبهاً بالشيطان، أو لأنه استراحة أهل النار أو لأنه فعل اليهود. أو لأنه شكل من أشكال أهل المصائب، يضعون أيديهم على خواصرهم إذا قاموا من المآتم، وحال الصلاة حال يناجي فيه العبد ربه تعالى، فهو حال افتخار، لا حال إظهار المصيبة[6].

---

(١) انظر: كتاب: من محاسن الدين الإسلامي، تأليف: عبدالعزيز بن محمد السلمان.

(٢) المبسوط ٢٦/١، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٢/٢، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٥٠/١، والقوانين الفقهية ٣٩، وشرح صحيح مسلم ٣٦/٥، والنكت والفوائد السنية على مشكل المحرر لابن مفلح ٧٧/١.

(٣) المحلى لابن حزم ١٨/٤.

(٤) نيل الأوطار للشوكاني ٣٨٢/٢.

(٥) عون المعبود ١٢٠/٣.

(٦) انظر في تعداد الأسباب التي من أجلها نهى عن التخصر في الصلاة: المبسوط ٢٦/١، وشرح صحيح مسلم ٣٦/٥، وعون المعبود ١٢٠/٣، ونيل الأوطار ٣٨٢/٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن وضع اليد على الخاصرة في الصلاة.

ثانياً: من أساليب الدعوة: النهي.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن وضع اليد على الخاصرة في الصلاة:

قال النووي: "اختلف العلماء في معناه [أي في معنى الحديث]: فالصحيح الذي عليه المحققون والأكثرون من أهل اللغة والغريب والمحدثين - وبه قال أصحابنا في كتب المذهب - أن المختصر هو الذي يصلي ويده على خاصرته، قال الهروي: قيل: هو أن يأخذ بيده عصا يتوكأ عليها، وقيل: أن يختصر السورة فيقرأ من آخرها آية أو آيتين، وقيل: هو أن يحذف[1] فلا يؤدي قيامها، وركوعها وسجودها وحدودها، والصحيح الأول"[2].

وقال ابن حجر[3]: "ويؤيد الأول ما روى أبو داود والنسائي من طريق سعيد بن زياد قال: صليت إلى جنب ابن عمر فوضعت يدي على خاصرتي، فلما صلى قال: هذا الصلب في الصلاة، وكان رسول الله ﷺ ينهى عنه"[4].

وقال ابن عثيمين: "الخاصرة ما بين الحقو وأسفل الأضلاع، وذلك أن الإنسان مأمور إذا كان في صلاته أن يضع يده اليمنى على ذراعه اليسرى أو على الرسغ، أي ما بين الكف والذراع، ويرفعهما على صدره، هذه هي السنة، يفعل ذلك في القيام قبل الركوع وبعد الركوع، وأما وضعهما على الخاصرة فإن النبي ﷺ نهى عن ذلك،

---

(١) حَذَفَ الشَّيءَ: أَسْقَطَهُ وخَفَّفَهُ. انظر: لسان العرب في (ح ذ ف).

(٢) شرح صحيح مسلم ٣٧/٥/٣، وقال ابن هبيرة: "يجوز أن يكون هذا من وضع اليد على الخصر، وذلك ينافي الخشوع، ويجوز أن يكون المراد شد الوسط، ويجوز أن يكون نهياً عن اختصار الصلاة، بأن لا يتم ركوعها ولا سجودها"، الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٧٢/٧، وانظر: سبل السلام ١٦٨ ط بيت الأفكار الدولية.

(٣) فتح الباري ٨٩/٢، ط/ السلفية. وقد اختار ابن حجر هذا التفسير وجزم به في بلوغ المرام، الحديث ٢٢٦ مع شرحه سبل السلام، ص ١٦٨.

(٤) أخرجه أبو داود ٩٠٣ والنسائي ٨٩١ وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٧٩٨).

ولها صورتان: الصورة الأولى: أن يضع اليسرى أو اليمنى على الخاصرة، والثانية: أن يضع اليمنى على اليسرى ثم يجعلهما على الخاصرة كما يفعله بعض الناس، ويدعي أنه يفعل هذا ليجعل اليدين على القلب، وهذا غلط، الشرع ليس له مدخل في العقل، الشرع يتلقى من النبي ﷺ ولم يرد عن النبي ﷺ أنه كان يضم يده اليمنى على اليسرى ثم يجعلها على الخاصرة، بل هذا داخل في النهي، وهذا النهي للكراهة، كما قال المؤلف -أي النووي-"[١].

وقال ابن حجر: "واختلف في حكمة النهي عن ذلك، فقيل: لأن إبليس أهبط مختصراً... وقيل: لأن اليهود تكثر من فعله فنهي عنه كراهة للتشبه... وقيل: لأنه راحة أهل النار، وقيل: لأنها صفة الراجز حين ينشد[٢]... وقيل: لأنه فعل المتكبرين، وقيل: لأنه فعل أهل المصائب، ولا منافاة بين الجميع"[٣].

وقال عبدالله البسام: (الحكمة في النهي هو الابتعاد عن مشابهة اليهود، فإنهم يضعون أيديهم على خواصرهم في الصلاة، وقيل: الحكمة أنه فعل المتكبرين ولا منافاة، فإن من طبيعة اليهود الكبر واحتقار الناس، ولا يرون شعباً ولا جنساً أفضل منهم، فهم يقولون: إنهم شعب الله المختار. والمطلوب في الصلاة الخشوع والخضوع، لأن المصلّي واقف بين يدي الله تعالى، متذللاً بعيداً عن صفات المتكبرين وسيماهم. والواجب البعد عن مشابهة أهل الضلال، سواء أكان هذا التشبه مما يخرج من الملة، أو كان يفضي إلى المعصية، فإن من تشبه بقوم فهو منهم)[٤].

ثانياً- من أساليب الدعوة: النهي:

فقد نهى النبي ﷺ عن الخصر في الصلاة، والنهي هو اللفظ المستعمل لطلب الترك على جهة الاستعلاء"[٥].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٧٩٩/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٥٨ عن عائشة رضي الله عنها: كانت تكره أن يجعل يده في خاصرته، وتقول: إن اليهود تفعله. وانظر: سبل السلام ١٦٩.

(٣) فتح الباري ٨٩/٣، وانظر: صحيح ابن حبان ٦٣/٦ - ٦٤ رقم ٢٢٨٦، وشرح صحيح مسلم ٣٧/٥/٣.

(٤) توضيح الأحكام ٤٩٩/١.

(٥) انظر: الموسوعة الفقهية ٤٠٤/٤١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على التواضع والخضوع لله تعالى:

للصلاة وضعها الدقيق ونظامها التربوي، فقد هيأت الحكمة الإلهية، والتشريع الرباني (الصلاة) تهيئة دقيقة عميقة، هي من المعجزات التشريعية، لتحقيق غاية العبودية، والإخلاص لله تعالى، وغاية الخضوع والتذلل، والاستغاثة والابتهال، وإحياء الصلة بالله تعالى، وتجديدها [١].

والصلاة مناجاة لله قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أحدَكم إذا قامَ في صَلاته فإنهُ يُناجي ربَّهُ أو إن ربه بينهُ وبينَ القِبلةِ» [٢]، ولما كانت للمناجاة رهبة تهيمن على شعور الإنسان وحركاته تحول بين اللهو واللعب في صلاته، ولما كانت للمناجاة آداب يطلب من المصلي مراعاتها، لهذا كله، كان على المصلي أن يتجنب أي تصرف يتنافى والأدب مع الله [٣].

لهذا وضع النووي عنوان الباب: باب كراهة وضع اليد على الخاصرة في الصلاة وذكر تحته حديث أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال: "نهى عن الخصر في الصلاة". والخصر وسط الإنسان، ووضع اليد في وسط الإنسان هو فعل أهل الكبر.

وهذا يتنافى مع الأدب مع الله في الصلاة.

فالصلاة تهدف إلى تربية العبد على التذلل والتضرع والخضوع لله، وتربي المسلم على التواضع مع الآخرين حيث إنه يقف في الصلاة مثله مثل أي إنسان.

والمتواضعون أهل الله، والمتكبرون ليس لهم من بره حظ ولا نصيب [٤].

فالكبر والتعالي على الناس، مما يتنافى مع الخلق الكريم، وقد شن عليه

---

(١) الأركان الأربعة، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص٣٢.

(٢) أخرجه البخاري، ٤٠٥.

(٣) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص١٤٠.

(٤) إسلامنا، السيد سابق، ص٢٠٣.

الإسلام حربًا شعواء، ليطهر منه النفوس والقلوب[1]، وجاءت الآيات والأحاديث النبوية التي ترهب منه وتحث على تركه وتذم فعله هذا مع الناس.

فكيف الحال بالإتيان بفعل من أفعال أهل الكبر في مقام يناجي فيه الإنسان ربه ويتوجه فيه إلى رب الأرض والسماء، في مقام لا ينفع فيه إلا الخشوع والخضوع والتذلل والتضرع.

فعلى المربي توجيه المسلمين عامة والناشئة بصفة خاصة إلى البعد واجتناب أفعال وصفات أهل الكبر في الصلاة، بصفة خاصة، في جميع مناحي الحياة بصفة عامة.



---

(١) المرجع السابق، ص٢٠٢.

٣٣٩- باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام ونفسه تتوق إِلَيْهِ أوْ مَعَ مدافعة الأخبثين: وهما البول والغائط

الحديث رقم (١٧٥٥)

١٧٥٥- عن عائشة رضي الله عنها ، قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: ((**لا صَلاَةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ، وَلاَ وَهُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الأخبثان: البول والغائط[2].

الشرح الأدبي

إن الخشوع في الصلاة هو سر قبولها، وهو ميزان صحتها، فلا صلاة بلا خشوع، ولا قبول لها بلا خضوع، فالصلاة: صلة بين العبد وربه، وأقوال المسلم في الصلاة كلها مناجاة لله عز وجل، فكيف يقرأ الفاتحة وقلبه مشغول بغير الله، وكيف يسبح الله وهو شارد الذهن، موزع الخواطر، مشتت الوجدان، ومن أسباب تشتت الذهن في الصلاة انشغال الحواس بالمشاهدات، وانشغال الذاكرة بما مضى من حوادث وذكريات، وانشغال الجسد بالملذات، ودفع الخبائث والفضلات.

ولذلك تتكرر أداة النفي في الحديث مرتين: المرة الأولى: ينفي الرسول ﷺ فيها عن المؤمن الصلاة المقبولة الصحيحة والطعام حاضر، وفي الحديث إيجاز بالحذف والتقدير لا صلاة للمرء مقبولة، أو لا صلاة فاضلة كاملة، بحضرة طعام، لأن المعدة إذا فرغت انشغل ذهن الإنسان.. ولن يتفرغ للصلاة تفرغاً كاملاً.

---

(١) برقم (٥٦٠/٦٧).

(٢) الوسيط في (خ ب ث).

ويتكرر النفي مرة أخرى، في قوله: "ولا وهو يدافعه الأخبثان"، وفي هذه الجملة يعود الضمير على معلوم غير موجود في نص الحديث: وهو المرء، أو المسلم، ورغم أنه محذوف فإن القرينة دلت عليه: لأن الصلاة لا تكون بدون مصل، وجملة: "وهو يدافعه الأخبثان" حالية: وهي تصور حال ذلك المصلي، وكأنه في صراع مع الاحتباس البولي، ومع احتباس الغائط، والصلاة ينقصها الخشوع والخضوع، لأنه يقاوم هذين الأخبثين، وصيغة التفضيل في هذا السياق، تفصح عن أن البول والغائط من أخبث ما يؤذي الإنسان إذا احتبسا، فخبثهما ناشئ من ضررهما، وطبيعتهما، ولذلك يقول المسلم وهو يدخل الخلاء لقضاء حاجته: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث، ويقول بعد خروجه: الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني، والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- كراهة الصلاة بحضرة الطعام[١]، الذي يريد الأكل منه، لما فيه من اشتغال القلب به، وذهاب كمال الخشوع[٢]. خلافاً للظاهرية القائلين بالحرمة[٣].

وهذه الكراهة عند أكثر العلماء إذا صلى في وقت السعة، أما إذا ضاق الوقت بحيث لو أكل خرج الوقت، ففي هذه الحالة يصلي، ولا يجوز تأخيرها محافظة على حرمة الوقت.

وحكى أبو سعيد المتولي عن بعض الأئمة أنه لا يصلي بحاله، بل يأكل، ويتطهر حتى وإن خرج الوقت[٤].

---

(١) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٢٤٣/١، ومواهب الجليل ٤٠٠/٢، والقوانين الفقهية لابن جزي ٣٩، والتمهيد لابن عبدالبر ٢٠٦/٢٢، والمهذب للشيرازي ٩٤/١، والمجموع للنووي ١٧٦/٤، والكافي في فقه الإمام أحمد ١٧٦/١، والمغني ٣٦٤/١، والروض المربع ٢٦٦/١.

(٢) التمهيد لابن عبدالبر ٢٠٦/٢٢، وشرح صحيح مسلم ٤٦/٥.

(٣) المحلى ٤٦/٤.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤٦/٥، وعون المعبود ١١٤/١.

إلا أنه لو صلى بحضرة الطعام، فأكمل صلاته، فإن الصلاة -والحالة هذه- تجزئه[1].

٢- كراهة الصلاة عند مدافعة الأخبثين -وهما البول والغائط-ويلحق بهما ما في معناهما مما يشغل القلب، ويذهب كمال الخشوع، وهذا ما ذهب إليه جمهور الفقهاء[2].

وذهب الظاهرية[3] إلى تحريم الصلاة، عند مدافعة الأخبثين، ومن صلى كذلك فصلاته باطلة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الطمأنينة في الصلاة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحرص على الخشوع في الصلاة وعدم الانشغال ببعض الرغبات في الطعام وغيره.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: الحث على الطمأنينة والخشوع في الصلاة وتحصيل أسباب ذلك.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية الطمأنينة في الصلاة:

إن من عوامل الإقبال على العبادة التفرغ لها، وعدم الاشتغال بغيرها -كوجود طعام مُعَدٍّ تشتاق النفس إليه، أو حدث من بول أو غائط يطلب الخروج وهو يقاومه وما شاكل ذلك- ولذا جاء في الحديث الدعوة إلى التفرغ من هذه الشواغل، مما يساعد القلب ويعينه على الإقبال على الله تبارك وتعالى، بعقل يقظ وقلب خاشع وجوارح مطمئنة. فقال ﷺ "لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان" أي لا صلاة فاضلة

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر ٢٢/٢٠٦.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٣٦٧/١، وحاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٢٤٣/١، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد محمد بن رشيد القرطبي ١٣١/١، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٥/٢، والمجموع ١٧٦/٤، وروضة الطالبين ٢٤٥/١، والتنبيه ٣٦/١، والمبدع ١٤٠/١، ومنار السبيل ١٢٨/١، والكافي في فقه الإمام أحمد ١٧٦/١.

(٣) المحلى لابن حزم ٤٦/٤.

كاملة بحضرة طعام تتوق نفس المصلي إليه وذلك لما فيه من اشتغال القلب المانع من الخشوع، وكذلك في حال مدافعة الأخبثان[1]، قال القرطبي: (وقوله ﷺ: "لا صلاة بحضرة الطعام، ولا هو يدافعه الأخبثين" ظاهرُ هذا: نفيُ الصّحة والإجزاء. وإليه ذهب أهل الظاهر في الطعام، فتأوّل بعضُ أصحابنا حديث مدافعة الأخبثين: على أنه شغله حتى لا يدري كيف صلّى؟! فهو الذي يعيد قبل وبعد. وأما إن شغله لا يمنعه من إقامة حدودها، وصلّى ضاماً مابين وركيه، فهذا يعيد في الوقت. وهو ظاهر قول مالك في هذا. وذهب الشافعي، وأبو حنفية في مثل هذا: إلى أن لا إعادة عليه. قال القاضي أبو الفضل: وكلُهم مجمعون: على أن من بلغ به ما لا يعقل به صلاته، ولا يضبط حدودها؛ أنها لا تجزئه، ولا يحل له الدخول كذلك في الصلاة، وأنه يقطعُ الصلاة إن أصابه ذلك فيها. والأخبثان: الغائط والبول. قاله الهروي وغيره)[2].

قال النووي: (في هذا كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله، لما فيه من اشتغال القلب به، وذهاب كمال الخشوع، وكراهتها مع مدافعة الأخبثين وهما البول والغائط، ويلحق بهذا ما كان في معناه مما يشغل القلب ويذهب كمال الخشوع، وذلك إذا كان في الوقت سعة، فإذا ضاق بحيث لو أكل أو تطهر خرج وقت الصلاة، صلى على حاله محافظة على حرمة الوقت ولا يجوز تأخيرها)[3].

وقد جاءت أحاديث كثيرة في هذا المعنى منها ما روي عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ((إِذَا حَضَرَ الْعَشَاءُ وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ))[4] وما روي عن ابن عمر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا وُضِعَ عَشَاءُ أَحَدِكُمْ وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَابْدَؤُوا بِالْعَشَاءِ، وَلاَ يَعْجَلَنَّ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ)) [5] فإن ذلك أدعى إلى الطمأنينة

(١) انظر: دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٧٣٤.

(٢) المفهم ٢/١٦٥.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤١٩.

(٤) أخرجه البخاري ٦٧٢، ومسلم ٥٥٧.

(٥) أخرجه البخاري ٦٧٣، ومسلم ٥٥٩.

والخشوع في الصلاة وسكون القلب فيها[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحرص على الخشوع في الصلاة وعدم الانشغال ببعض الرغبات في الطعام وغيره:

إن الخشوع زينة الصلاة وجمالها، ولذلك جاءت الأحاديث آمرة بالتخلص مما يقلل الخشوع أو يذهبه، كالطعام ومدافعة الأخبثين وغيرها، فقال ﷺ "لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان" قال ابن عثيمين: وذلك أن الإنسان إذا دخل في الصلاة وهو مشغول القلب فإنه لا يطمئن في صلاته، ولا يخشع فيها، يكون قلبه عند طعامه، والإنسان ينبغي له أن يصلي وقد فرغ من كل شيء، قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾[٢]،[٣] قال ابن كثير: (أي إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها، فانصب في العبادة، وقم إليها نشيطاً فارغ البال، وأخلص لربك النية والرغبة، من هذا القبيل قوله ﷺ "لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان")[٤].

إن الصلاة لا تصح إلا بإتمام أركانها وشروطها، وتمامها وكمالها يكون بالخشوع، فهو محل القلب، وإليه ينظر الرب تبارك وتعالى، روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))[٥].

لقد حث النبي ﷺ على استجماع القلب والعقل في الصلاة والخشوع فيها لله رب العالمين، وأن ذلك سبب لتفتح أبواب الجنة الثمانية له، روي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: ((كانت علينا رعاية الإبل. فجاءت نوبتي فروحتها بعشيٍّ. فأدركت رسول الله ﷺ قائماً يحدث الناس، فأدركت من قوله: ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه.

---

(١) انظر: مدارج السالكين، الإمام ابن القيم، ٢/٥٣٦.

(٢) سورة الشرح، الآيتان: ٧، ٨.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٩٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٨/٤٣٣.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه. إلا وجبت له الجنة. قال فقلت: ما أجود هذه! فإذا قائل بين يدي يقول: التي قبلها أجود. فنظرت فإذا عمر. قال: إني قد رأيتك جئت آنفاً. قال: ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ "أو فيسبغ" الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء))[1].

وفي رواية أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه كنت وأنا في الجاهلية... فقدمت عليه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم.... قال: يا نبيَّ الله فالوضوء؟ حدِّثني عنه. قال: ما منكم رجلٌ يُقَرِّبُ وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينتثر إلا خَرَّتْ[2] خطايا وجهه وفيه وخياشيمه. ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء. ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء. ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء. ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء. فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل، وفرغ قلبه لله، إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه))[3].

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم في صلاته، وهو من أعلى درجات الخشوع، ومن يتدبر الكلمات التي كان يقولها صلى الله عليه وسلم في صلاته وسنها لأمته، لا يملك إلا أن يخشع قلبه، ويقشعر جلده، ويقبل على ربه بكليته، قلباً وقالباً، عملاً وفكراً، فهماً وإدراكاً، من ذلك ما روى عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: ((وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين. اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت. أنت ربي وأنا عبدك. ظلمت نفسي واعترفت

---

(١) أخرجه مسلم ٢٣٤.

(٢) خَرَّتْ: أي سقطت وذهبت. انظر لسان العرب في (خ ر ر).

(٣) أخرجه مسلم ٨٣٢.

بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. واهدني لأحسن الأخلاق. لا يهدي لأحسنها إلا أنت. لبيك وسعديك والخير كله في يديك. والشر ليس إليك، أنا بك وإليك. تباركت وتعاليت. أستغفرك وأتوب إليك. وإذا ركع قال: اللهم لك ركعت وبك آمنت، ولك أسلمت. خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي. وإذا رفع قال: اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد. وإذا سجد قال: اللهم لك سجدت. وبك آمنت ولك أسلمت. سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره. تبارك الله أحسن الخالقين. ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني. أنت المقدم وأنت المؤخر. لا إله إلا أنت))[1].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: الحث على الطمأنينة والخشوع في الصلاة وتحصيل أسباب ذلك:

إن من أهداف الدعوة الحث على الطمأنينة والخشوع في الصلاة، وذلك من صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾[2] والمقصود بذلك سكون الجوارح[3] ولن يكون ذلك إلا بتحصيل أسبابه، والتخلص من الأسباب التي تفسد على الإنسان خشوعه في الصلاة، كالتوقان إلى الطعام وغيره، كما جاء في الحديث "لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان" فإذا ما انتفت الأسباب التي تصرف الإنسان عن الطمأنينة والخشوع واجتهد في الخشوع، والتذلل لله تعالى، كان ذلك من أسباب الفلاح، كما جاء ذلك في صريح قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾[4] أي إذا قاموا إلى الصلاة أقبلوا عليها، وخفضوا أبصارهم، وعلموا أن الله

(١) أخرجه مسلم ٧٧١.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٢.

(٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، تحقيق محمد عبدالكريم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، ص ٢٧٦.

(٤) سورة المؤمنون، الآيتان: ١، ٢.

يقبل عليهم فلا يلتفتون يميناً ولا شمالاً، وقال الحسن البصري: كان خشوعهم في قلوبهم فغضوا بذلك أبصارهم وخفضوا لذلك الجناح[1]، وتلك هي سيما المؤمنين، قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[2] قال هو الخشوع والخضوع)[3]. وذلك من أسباب قبول الأعمال وتكفير الذنوب، فعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله))[4].

لقد جعل الله الخشوع والطمأنينة في الصلاة سبب الظفر والنجاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[5].

فالخاشع هو الذي يخضع قلبه، ويسيطر عليه الرهبة والخوف والرجاء عند ملاحظة جلال الله وعظمته، ويؤدب جوارحه حسب ذلك الخضوع، فلا التفات ولا حركة، سوى ما تفرضه أعمال الصلاة، فإن المصلي لو خشع قلبه لخشعت جوارحه، وسكنت وخضعت.

ولأهمية الخشوع جعله بعض العلماء من الدعائم لقبول الصلاة عند الله، لأن المصلي يتعبد بتلاوة القرآن في الصلاة، والله يأمر بتدبر القرآن عند تلاوته لقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[6]. والمعنى: أفلا يتفهمون القرآن ويتدبرون معانيه، أم أن قلوبهم مغلقة لا تفهمه، كأن عليها أقفالاً تحول دون وصول القرآن إليها.

---

(١) انظر: الدر المنثور، الإمام السيوطي، ٨٤/٦.

(٢) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٣) الدر المنثور، السيوطي، ٥٤٢/٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٨.

(٥) سورة المؤمنون، آية: ١، ٢.

(٦) سورة محمد، آية: ٢٤.

ويقول الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾(١). والغفلة هي ضد الذكر، فمن غفل في صلاته فكيف يكون خاشعاً مقيماً للصلاة؟

ويقول الله سبحانه: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾(٢). فالله ينهى السكران عن قربان الصلاة، لأنه لا يعلم ولا يستوعب ما يقول فيها، أو هو بالأحرى ينتفي الخشوع عنه، وهذا ما ينطبق أيضاً على الغافل المستغرق في تفكيره في نفسه ودنياه.

ويقول الله سبحانه في وصف الصلاة: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾(٣). أي إن الصلاة ثقيلة على النفوس باستثناء الذين خشعت قلوبهم، وحرصت على القربى من الله، لأن الاشتغال بالعبادة انتقال من عالم الصخب والهموم إلى عالم السرور، عالم الملكوت الأعلى، وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة.

يحكى عن الإمام أبي حنيفة أن حيّة سقطت من السقف وتفرق الناس، وكان أبو حنيفة مستغرقاً في الصلاة فلم يشعر بها. وتعليل ذلك: أن الإنسان إذا دخل على الملك المهيب، والسلطان القاهر، ووقف بعقله على كمال تلك المهابة، وعلى جلالة تلك السلطنة، فقد يصير بحيث تستولي عليه تلك المهابة وتلك السلطنة، فيصبح غافلاً عن كل ما سواه، حتى إنه ربما كان جائعاً فينسى جوعه، وربما كان به ألم شديد فينسى ألمه في تلك الحالة، لأن استيلاء تلك المهابة عليه أذهلته عن الشعور بغيره، فما قولك إذا وقف الإنسان أمام ملك الملوك ورب الكائنات؟

ولكن قد يقول قائل: ما تأثير الخشوع على النفس الإنسانية؟ فنقول: إن الخشوع هو وسيلة لتنمية ملكة حصر الذهن في الإنسان، والتي يترتب عليها أكبر الأثر في نجاحه وفوزه في هذه الحياة، وهي المراد بقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي

---

(١) سورة طه، آية: ١٤.

(٢) سورة النساء، آية: ٤٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٥.

صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾، ولتفسير وتوضيح ذلك، نعرّف للقراء صفة "ملكة حصر الذهن" وأثرها في نجاح الإنسان، بما قاله وليم مولتون مارستني -الأخصائي في علم النفس- في مجلة المختار من ريدرز دايجست: القدرة على تركيز الخواطر، تجري مجرى العادة عند كل رجل بارز في كل باب من أبواب الحياة. ففي أي لحظة معينة يركز الزعيم أو الرجل الفائق في أمر ما، خواطره كلها في العمل المفرد، الذي يكون عليه أمر الاضطراب والشواغل والأهواء المتعارضة، ثم يقول: والعقل الإنساني يصبح أداة مدهشة الكفاءة إذا رُكز تركيزاً قوياً حاداً. ونقل عن وليم جيمس وهو أبو علم النفس الحديث أنه قال: إن الفرق بين العباقرة وغيرهم من الناس العاديين، ليس مرجعه إلى صفة أو موهبة فطرية للعقل، بل إلى الموضوعات والغايات التي يوجهون إليها هممهم، وإلى درجة التركيز التي يسعهم أن يبلغوها.

ثم يقول وليم مولتون في كيفية اكتساب هذه الصفة: وهذه القدرة تكتسب بالمرانة، والمرانة تتطلب الصبر، فإن الانتقال من الشرود إلى حصر الذهن حصراً بيّناً محكماً، هو ثمرة الجهد الملح، فإذا استطعت أن ترد عقلك مرة بعد أخرى، وخمسين مرة، ومائة مرة إلى الموضوع الذين اعتزمت معالجته، فإن الخواطر التي تتنازعك لا تلبث أن تخلي مكانها للموضوع الذي آثرته بالاختيار والعناية، ثم تلقى نفسك آخر الأمر قادراً على حصر ذهنك بإرادتك فيما تختار.

وقد أوردت هذا كله لأخلص إلى القول بأن الصلاة هي واسطة لتنمية ملكة حصر الذهن في الإنسان. فالمصلي الذي يستطيع ويحاول بكل قدرته أن يحصر فكره طيلة الوقت الذي تستغرقه الصلاة، وهو ما يسمى بالخشوع، لا شك بأنه تنمو فيه ملكة حصر الذهن، وتصبح له أكبر معين في سائر الأعمال التي يزاولها.

ومما يزيد في تأييد هذا المعنى قول وليم مولتون أيضاً: "وخير ما يمسك الالتفات ويمنعه أن يتوزع، هو أن يعمل العقل والجسم معاً بالاتحاد فيما بينهما.

والصلاة في الإسلام يعمل العقل فيها والجسم معاً، فالمصلي يركع ويسجد وهو يقوم بعملية الصلاة[1].

---

(١) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبّارة، ص ٢٩-٣٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على تحقيق الخشوع والسكينة في الصلاة:

إن التربية الإسلامية التي أرسى النبي ﷺ معالمها عملت على توفير جو الخشوع والسكينة في الصلاة، وذلك من خلال عدم إتيان الصلاة حال انشغال أو رغبة الإنسان في الطعام، وهو يستشعر الجوع أو حال رغبة الإنسان في قضاء الحاجة لهذا قال ﷺ: «لاَ صَلاَةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ وَلاَ وَهُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ».

والخشوع ركن من أركان الصلاة وهو أمر مهم لكل مصل بأن يطمئن في صلاته ويؤديها امتثالاً لقوله ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»[١].

ومما يدل على فضل الخشوع قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[٢].

فالخشوع في الصلاة أمر عظيم، ومحله القلب، فإذا خشع القلب خشعت الجوارح كلها لخشوعه[٣].

قال ابن القيم: خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلب لله فيخشع فتتبعه الجوارح[٤]، والخشوع أجره عظيم عند الله تعالى كما قال عز وجل ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٥].

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٣١.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١-٢.

(٣) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص١٦٠.

(٤) نقلًا عن المرجع السابق، ص١٦٠، ١٦١.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

وقال رسول الله ﷺ: «مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ. فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا. إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ. مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ. وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»[(١)].

إن الصلاة حياة القلب، والخشوع حياة الصلاة.

وتحدث ابن الجوزي عن المعاني التي تتم بها حياة الصلاة فقال المعاني التي تتم بها حياة الصلاة كثيرة:

المعنى الأول: حضور القلب: ومعناه: أن يفرغ القلب من غير ما هو مُلابس له، وسبب ذلك: الهمة (أي: الاهتمام) فإنه متى أهمك أمر حضر قلبك ضرورة، فلا علاج إلا صرف الهمة إلى الصلاة وانصراف الهمة يقوي ويضعف بحسب قوة الإيمان بالآخرة واحتقار الدنيا، فمتى رأيت قلبك لا يحضر في الصلاة فاعلم أن سببه ضعف الإيمان، فاجتهد في تقويته.

المعنى الثاني: التفهم لمعنى الكلام فإنه أمر وراء حضور القلب؛ لأنه ربما كان القلب حاضرًا مع اللفظ دون المعنى، فينبغي صرف الذهن إلى إدراك المعنى بدفع الخواطر الشاغلة، وقطع موادها فإن المواد إذا لم تنقطع لم تنصرف عنها.

المعنى الثالث: التعظيم لله والهيبة، وذلك يتولد من شيئين:

- معرفة جلال الله تعالى وعظمته.
- معرفة حقارة النفس وأنها مستعبدة فيتولد من المعرفتين الاستكانة والخشوع.

ومن ذلك الرجاء، فإنه زائد على الخوف فكم من معظم ملكًا يهابه لخوف سطوته، كما يرجو بره، والمصلي ينبغي أن يكون راجيًا بصلاته الثواب، كما يخاف من تقصيره العقاب[(٢)].

إن صلاة هذه روحها، وتلك حياتها، وذلك سجودها وركوعها وخشوعها، لهي جديرة بأن تنظف الإنسان من الأوضار، وتضع عنه الأوزار[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٢٨.

(٢) مختصر منهاج القاصدين، ص٢٦-٢٨ باختصار.

(٣) انظر: شرح الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله، كما عدها ابن القيم، إعداد، عبدالعزيز مصطفى، ص١٢٠، ١٢١.

فعلى المسلم أن يحذر من كل أمر ينافي الخشوع في الصلاة وعلى المعلمين والمعلمات التركيز على هذا الموضوع خلال دروسهم، والحرص على تطبيقه مع طلابهم عند أداء صلاة الظهر في المدرسة، بالتأكيد على الطلاب بأن يؤدوا الصلاة بطمأنينة وخشوع ويحذروهم من العجلة وكثرة العبث، وما يشغل عن الصلاة[1].

ثانيًا: من أهداف التربية : مراعاة الطبيعة البشرية:

عرف الإسلام طبيعة الإنسان حق معرفتها، وقدرها حق قدرها، لأن الإسلام كلمة الله، والإنسان خلق الله، وخالق الشيء وصانعه لا يجهل طبيعته وكنهه﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2].

وقد خلق الله هذا الإنسان جسمًا كثيفًا، وروحًا شفافًا.

جسمًا يشده إلى الأرض، وروحًا يتطلع إلى السماء، جسمًا له دوافعه وشهواته، وروحًا لها آفاقه وتطلعاته، جسمًا له مطالب أشبه بمطالب الحيوان،وروحًا لها أشواق كأشواق الملائكة [3].

هذه الطبيعة المزدوجة ليست أمرًا طارئًا على الإنسان، ولا ثانويًا فيه، بل هي فطرته التي فطره الله عليها، وأهله بها للخلافة في الأرض، منذ خلق آدم خلقًا جمع بين قبضة الطين ونفخة الروح ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[4].

وجاءت عقيدة الإسلام فلم تغفل الروح من أجل الطين، ولم تغفل الطين من أجل الروح، بل زاوجت بينهما في وحدة متسقة ملتئمة. وأعطت الروح حقه، والجسد حقه، في غير إفراط ولا تفريط [5].

---

(١) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص١٦٤.

(٢) سورة الملك، الآية:١٤.

(٣) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص٧٩.

(٤) سورة السجدة، الآيات:٦-٩.

(٥) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص٧٩.

والإسلام في تصوره للإنسان لا يذهب "إلى ما ذهبت إليه المثالية من الإعلاء من شأن الروح والإقلال من شأن الجسم، وبالتالي فهو لا يحقر المطالب الجسد، ولا يزدري الأعمال البدنية"[١]. والإسلام يقر المطالب البدنية، ويؤكد الدعوة إلى إشباعها بطريقته المشروعة[٢].

والروح والجسد كما تحدد شريعة الإسلام (ملاك الذات الإنسانية) تتم بهما الحياة ولا تتكر أحدهما في سبيل الآخر، فلا يجوز للمؤمن بالكتاب أن يبخس للجسد حقًا ليوفي حقوق الروح، ولا يجوز له أن يبخس للروح حقًا ليوفي حقوق الجسد[٣].

من أجل ذلك كان عنوان الباب الذي وضعه النووي: باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام ونفسه تتوق إليه أو مع مدافعة الأخبثين: وهما البول والغائط.

وذكر فيه حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لاَ صَلاَةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلاَ هُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ».

والمسلم في الصلاة يتصل بالله اتصالاً روحيًا، فهذا الاتصال ينبغي أن يكون متحررًا من الأشياء الأخرى التي يحتاجها الجسد، وتتوق إليها الروح من الطعام وغيره، أو ما يحتاج إلى دفعه من البول والغائط.

فالطبيعة الإنسانية مزيج مركب من الروح والجسد، والتربية الإسلامية تهدف إلى مراعاة هذه الطبيعة، بتحقيق التوازن بين رغبات وطلبات الروح، ورغبات ودوافع الجسد، وهذا قمة الإنصاف ونتيجة المعرفة الدقيقة بطبيعة الإنسان.

فينبغي على المجتمع والمربين بيان وتوضيح طبيعة الإنسان حتى يعلم الجميع أن لكل إنسان احتياجاته، ورغباته الجسمية والروحية التي زوده الله بها، وجعل له الحق في إشباعها بطريق مشروع، وبتوازن لا يتعارض مع أحكام الدين.

❁ ❁ ❁

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص١٣٢.

(٢) التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية، د. محروس سيد مرسي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية جامعة أسيوط، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص٢١٢.

(٣) الإنسان في القرآن، عباس محمود العقاد بتصرف، ص٢٢.

٣٤٠- باب النهي عن رفع البصر إِلَى السماء في الصلاة

الحديث رقم (١٧٥٦)

١٧٥٦- عن أنس بن مالك ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((مَا بَالُ اقْوامٍ يَرْفَعُونَ ابْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلاَتِهِمْ!)) فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ: ((لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ، أَوْ لَتُخطفَنَّ أَبْصَارُهُمْ!)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

لتخطفن أبصارهم: الخطف: هو استلاب الشيء وأخذه بسرعة.

والمعنى أنه يخشى على الأبصار من الأنوار التي تنزل بها الملائكة على المصلين[2].

الشرح الأدبي

يبدأ الحديث باستفهام إنكاري في قوله "ما بال" أي ما شأن أقوام، وهذا الإنكار من رسول الله ﷺ على هؤلاء الأقوام: لأنهم لا يخشعون في صلاتهم، فهم يرفعون رؤوسهم إلى السماء: ومن شأن ذلك أن يتوهم البعض أن الله متحيز في مكان، وهو سبحانه الذي لا يحتويه مكان، ولا يمر عليه زمان، فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، تعالى الله عما يتوهمون علوًا كبيرا، وتنكير كلمة "أقوام"، للسخرية والمهانة، فهؤلاء الذين يقومون بذلك نكرات ومجاهيل، ويمكن أن يومئ هذا التنكير إلى الكثرة، ولكنها مَجْهولة، أو هم: عوام الناس الذين لا يفقهون دينهم، والتعبير بالمضارع في قوله: "يرفعون أبصارهم"، يوحي بأن هذا السلوك مستمر في بعض طوائف الأمة فهم أقوام، وليسوا قوماً.

---

(١) برقم (٧٥٠). أورده المنذري في ترغيبه (٧٦٧).

(٢) النهاية قس (خ ط ف)، وفتح الباري ٢/٩٧٣.

وقوله: "فاشتد قوله في ذلك" كناية عن المبالغة، وشدة الإنكار في هذا الشأن.

والجملتان الأخيرتان تتضمنان النهي عن ذلك، والوعيد بالعذاب إذا لم يَنْتَه هؤلاء الناس، والتأكيد بالنون الثقيلة مع لام الأمر الجازمة، مع الإيقاع الصوتي المضعَّف المتكرر في تكرار التوكيد بنون التوكيد الثقيلة: كل هذه الظواهر الأسلوبية تعد من أقوى الدلائل على رفض رسول الله ﷺ لهذه الهيئة التي يقف عليها المصلِّي في صلاته، ويرفع بصره إلى السماء عند الدعاء.

وفي الحديث ما يسمَّى في البلاغة بالتعريض، حيث لم يحدد رسول الله ﷺ أناساً بعينهم منعاً للحرج، وحتى تكون القاعدة عامة لكل المسلمين، وبعض المسلمين كان يفعل ذلك في عهد رسول الله ﷺ، وأراد الرسول ﷺ أن يمنعهم من ذلك: فقال هذا الحديث الذي اتسم بالشدة، والتهديد، وهو مع ذلك لم يواجه الناس بما يفعلون، ولكنه ألمح من بعيد، وعرَّض بهم حتى ينتهوا، وحتى ينتهي غيرهم، وفي رواية أخرى: ما يشير إلى ذلك من حديث أبي هريرة ﷺ الذي يؤكد أن أناساً كانوا يفعلون ذلك في عهد رسول الله ﷺ: لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم عند الدعاء في الصلاة إلى السماء، أو لتخطفن أبصارهم. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة رفع البصر إلى السماء في الصلاة، وهذا الحكم متفق عليه بين فقهاء المذاهب[1] إلا ما وردعن ابن حزم، حيث قال بالحرمة، بل بالغ في ذلك، وقال ببطلان الصلاة به[2].

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٣/٢، وحاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٢٣٩/١، ومواهب الجليل ٥٤٩/١-٥٥٠، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٤٩/١، والمهذب للشيرازي ٨٨/١، وشرح زبد ابن رسلان ١٠٤/١، وفتح المعين للمليباري ١٩١/١، والمبدع ٤٧٧/١، والكافي في فقه الإمام أحمد ١٧١/١-١٧٢، والروض المربع ١٨٤/١، وكشاف القناع ٣٧٠/١، وإن كان الحنابلة لا يقولون بالكراهة حال التجشي لئلا يؤذي من حوله.

(٢) سبل السلام ٢٠٥/٢، وعون المعبود ١٢٨/٣.

وهذا الحكم قاصر على رفع البصر إلى السماء في الصلاة، أما خارج الصلاة فجوزه العلماء، لأن السماء قبلة الدعاء، كما أن الكعبة قبلة الصلاة[١].

ولعل الحكمة من كراهة رفع البصر إلى السماء في أثناء الصلاة، هو ما فيه من الإعراض عن جهة القبلة المأمور بها في الصلاة[٢]، ولمنافاة ذلك للخشوع المطلوب في الصلاة[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من فقه الداعية: التعميم وعدم التخصيص في التنبيه على المخالفات.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية الخشوع والنظر في موضع السجود في الصلاة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من رفع البصر إلى السماء في الصلاة.

أولاً- من فقه الداعية: التعميم وعدم التخصيص في التنبيه على المخالفات:

إن الحكمة من أهم الدعائم التي يقوم عليها المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله تعالى، ومن أهم مقومات الداعية الناجح، ومن نظر في سيرة المصطفى ﷺ وجد أنه كان ملازماً للحكمة في أموره كلها، خاصة في دعوته إلى الله جل وعلا، وقد أمره ربه تبارك وتعالى بالدعوة إلى الله بالحكمة، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[٤]،[٥] ومن الحكمة اتباع أسلوب التعميم وعدم التخصيص في التنبيه على المخالفات التي تقع من بعض الناس في الصلاة، كما جاء في الحديث "ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم" فإذا أراد الداعية أن يصحح خطأ شائعاً، ويحذر الناس من الوقوع فيه، فلا يسمى شخصاً بعينه

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٣/٢، وعون المعبود ١٢٧/٣.

(٢) مواهب الجليل ٥٤٩/١-٥٥٠، وسبل السلام ٢٠٥/٢، وعون المعبود ١٢٨/٣.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٣/٢.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٥) المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، ص ٤٧، ٤٨.

ولا يذكر اسماً، بل يفعل ما كان يفعل رسول الله ﷺ حين وقف ينبه على بعض الأخطاء التي وقعت من أناس معلومين، كما جاء في الحديث "ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم"[١].

وخلاصة القول إن الداعية إذا أراد أن يعالج أمراً عاماً يقع فيه بعض الناس، ويريد أن يوجه الجميع ليقلع من يقع، ويحذر مَنْ لم يقع، ينبغي عليه أن لا يسمى بعينه ولا يذكر اسماً، بل يفعل كما كان يفعل الرسول ﷺ حين يقف منبهاً على بعض الأخطاء التي وقعت من أناس معلومين، فقال كما جاء في الحديث "ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا" أما إذا لم يكن الخطأ عاماً، وأراد الداعية أن يوجه صاحب هذه المشكلة بعينه، فإنه يلزم الداعية أن يسر إليه بالنصيحة والإرشاد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: اهمية الخشوع والنظر في موضع السجود في الصلاة:

أشار إلى ذلك الحديث في مضمون قوله ﷺ "ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم" فاشتد قوله في ذلك حتى قال: "لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم" قال ابن حجر: قال ابن بطال: أجمعوا على كراهة رفع البصر في الصلاة، وقال القاضي عياض: رفع البصر إلى السماء في الصلاة فيه نوع إعراض عن القبلة وخروج عن هيئة الصلاة[٢] وذلك يناقض الخشوع، فالحديث نهى عن رفع الأبصار إلى السماء أثناء الصلاة لأنه يخل بالخشوع والنبي ﷺ يهدف إلى الخشوع المطلوب في الصلاة حتى تسكن الأعضاء ويصفو القلب، وتسمو الروح، فتتنزل الرحمة ويعم الرضوان، فما أعظم حين يتجلى الخشوع على أداء الصلاة، فيستحق صاحبها أن يوصف بالفلاح، وأن يكون من جملة المؤمنين الذي يرثون الفردوس الأعظم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[٣])[٤].

---

(١) انظر: أسس الدعوة وأدب الدعاة، د. محمد السيد الوكيل، ص ٣١.

(٢) فتح الباري ٢/٢٧٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ١، ٢.

(٤) أدب المؤمن، الشيخ أحمد حمزة عبدالباقي، د. أمينة أحمد يحيى، ص ١٠٣، ١٠٥.

أي قد فازوا وسُعِدوا، وحصلوا على الفلاح، وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف، والتي منها خشوعهم في الصلاة ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ خائفون ساكنون، وقال الحسن البصري: كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا بذلك أبصارهم وخفضوا الجناح، والخشوع في الصلاة إنما يحصل بمن فرَّغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقرة عين[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من رفع البصر إلى السماء في الصلاة:

جاء ذلك في صريح الحديث "فاشتد قوله في ذلك حتى قال: لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم" أي ليكونن أحد الأمرين انتهاؤهم عن الرفع أو خطف الأبصار[٢] وفي ذلك الوعيد الشديد[٣].

قال النووي: (فيه النهي الأكيد والوعيد الشديد عن ذلك[٤] وذلك لما في التجافي عن الخشوع، عدم الإقبال بالقلب والوجه على الله، فيكون سبباً للحرمان من الفضائل[٥]، فعن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة[٦]. قال النووي وقد جمع ﷺ بهاتين اللفظتين أنواع الخضوع والخشوع، لأن الخضوع في الأعضاء، والخشوع بالقلب على ما قاله جماعة من العلماء[٧] وذلك شأن الخاضع الخاشع لله[٨]، وذلك أمر الله ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[٩] أي خاشعين ذليلين مستكينين بين يديه[١٠].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٤٦١/٥.

(٢) دليل الفالحين، الإمام ابن علان، ص ١٧٣٥.

(٣) انظر: فتح الباري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، ٢٧٣/٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ٣٦٥.

(٥) انظر: العبادات في الإسلام، د. محمد عبده، ص ١٠٠، ١٠١.

(٦) أخرجه مسلم ٢٣٤.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي، ٢٥٨.

(٨) انظر: الأركان الأربعة، أبو الحسن علي الحسني الندوي، ٤٢.

(٩) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(١٠) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٦٥٤/١.

ولنستحضر المسلم وهو يصلي، وهو ينتقل في صلاته من ركن إلى آخر، ويتدرج في خشوعه من درجة إلى درجة ومن منزلة إلى منزلة، ولنرى المصلى وهو يتدرج في الخضوع والانحناء، فيفتتح الصلاة بالقيام، فيثني بالركوع. ويثلث بالسجود، وهو شأن الخاضع الطبيعي، ولا يخرُّ ساجداً من ركوع، بل يقف وقفة قصيرة خفيفة، ثم ينحني للسجود، ليكون أبلغ في الخشوع وأوقع في النفس، وأدل على الذل. وكذلك يتدرج في التعظيم والتمجيد. فيقول في ركوعه: "سبحان ربي العظيم"، ويقول في سجوده: "سبحان ربي الأعلى"، فإذا بلغ الغاية في الخضوع والتذلل، ونصب أشرف أعضائه على أذلّ شيء في الوجود، الأرض التي هي موطئ الأقدام، ومضرب المثل في الذلة والهوان، هتف بأعظم كلمة يُعلن بها عظمة الله وعلوّه، فيقول "سبحان ربي الأعلى" وهنا تتفق روعة الهيئة والمكان، مع روعة البيان والإعلان، ويفصل بين السجدتين بجلسة خفيفة، لتكون السجدة مستأنفة مجدّدة، ولتنتبه النفس من غفوتها، وتشعر بلذة جديدة.

وإذا سجد، فك سلاسل التقليد، السلاسل التي فرضها عليه المجتمع والأعراف، والعادات والآداب، فخرّ ساجداً لله تعالى يمرِّغ وجهه، ويعفر جبينه، وأعطى القلب زمامه، وأرسل النفس على سجيتها، فلا حجر على الخشوع، ولا ملامة على الدموع، وقد غلى مرجل الصدر، وفاضت كأس القلب. روي عن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء))[1].

والسجود أقرب هيئات المصلي وأحبها إلى الله، وقد ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء))[2] فينتهز المصلي هذه الفرصة الثمينة، وينثر كنانة القلب، ويُفرغ جعبة الدعاء والعبودية، فيقول بلسان المقال أو بلسان الحال: أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، ودعاء من خضعت لك رقبته، وفاضت لك عبرته، وذلّ لك جسمه، ورغم لك أنفه.

---

(١) أخرجه أبو داود ٩٠٤.

(٢) أخرجه مسلم ٣٠٤.

وهذه هي السجدة التي ترتعش لها الجبال الراسيّات، وتهتزّ بها الأرض، ويرتعد لها الجبابرة الطغاة، ولها في تاريخ الأمة ومغامراتها، ومحنها، شؤون وأخبار غريبة[1].

(١) انظر: الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي، ٤١-٤٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية التعبدية:

العبادة نوع من الخضوع، بالغ حد النهاية، ناشئ عن استشعار القلب بعظمة المعبود، مع الحب النفسي والفناء في جلال المعبود وجماله فناء لا يدانيه فناء، مع الاعتقاد بسلطة له لا يدرك كنهها وماهيتها، وقصارى ما يعرف عنها أنها محيطة به، ولكنها فوق إدراكه، فهو لذلك يخضع للمعبود رهبة مما يقدر عليه من العقاب، وطمعًا فيما عنده من الخير، ورغبة في كشف الضر عنه، وحبًا فيما أنعم عليه من إحسان [1].

فالعبادة تهدف إلى تربية المسلم على الخضوع والخشوع لله والإخلاص لله تعالى، كما أنه يُسعى من خلال التربية الإسلامية إلى تحقيق الأداء الشرعي الصحيح للعبادات من قبل الفرد المسلم[2].

ومنها: عدم رفع البصر إلى السماء في الصلاة، ولهذا قال رسول الله ﷺ: "ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم".

فرفع الأبصار إلى السماء في الصلاة يتنافى مع الخضوع لله في الصلاة كما أنه يجعل المصلي مشغولاً عن الخشوع والإخلاص في الصلاة مما يفوت عليه فرصة التركيز فيما يقرأ من سور، ويجعله لا يعقل ما يقرأ أو يسبح في ركوعه وسجوده.

فعلى المربي والمختصين بالتوجيه في المجتمع المسلم الحث على عدم رفع البصر في الصلاة واجتناب كل ما يؤدي إلى صرف المسلم عن الخشوع في الصلاة، وأن يوطن نفسه على التزام السكينة وعدم الانصراف من صلاته بأي شكل من الأشكال التي تفوت على المسلم الانتفاع بصلاته.

ثانيًا- التربية بالترهيب:

الترهيب هو وعد يصاحبه تهديد الإنسان بالعقوبة وتحذيره من الأعمال التي تؤدي

---

(١) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص١٧.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. امين ابولاوي، ص٥٣.

إلى الوقوع في المعاصي التي تغضب الله تعالى وأسلوب الترهيب أسلوب تربوي جيد لا يمكن الاستغناء عنه في مجال التربية الإسلامية المهمة[١].

وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الترهيب مع من يرفع بصره إلى السماء في صلاته فقال ﷺ: "لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم"، أي: تسلب ولا ترجع إليهم.

فالترهيب أحد أساليب التربية الإسلامية التي تعتمد على الوعيد والتهديد بالعقوبة إذا ارتكب الطفل أو غيره بعض الأخطاء التي تحيد به عن الطريق الصحيح ويتحتم على المربي استخدام أسلوب الترهيب في بعض المواقف التربوية للطفل، ولكن يجب أن لا يكون هذا الأسلوب هو الوحيد أو الكثير الاستخدام في التربية، لأن كثرة استخدامه يؤدي إلى ترك آثار سلبية في نفسية وشخصية الطفل، ويعتبر أسلوب الترهيب أسلوباً تربوياً جيداً، ولا غنى للمربي عنه إذا أحسن استخدامه، وعلى ذلك يمكن القول بأن المربي الناجح يستطيع أن يساهم في التنشئة الصالحة للطفل الذي يتصف بالسلوك الإسلامي القويم[٢].



(١) أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن بن عبدالوهاب البابطين، ص٣٦.

(٢) المرجع السابق، ص٣٩، ٤٠.

٣٤١- باب كراهة الالتفات في الصلاة لغير عذر

الحديث رقم (١٧٥٧)

١٧٥٧- عن عائشة رضي الله عنها ، قالت: سألت رسُولَ الله ﷺ عَنِ الالتفَاتِ في الصَّلاَةِ، فَقَالَ: ((هُوَ اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ العَبْدِ)). رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الاختلاس: الاختطاف بسرعة[2].

الشرح الأدبي

ما أصدق هذا الحوار الجميل الرقيق بين رسول الله ﷺ وزوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : وهو حوار ينبئ عن حرص عائشة أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق على معرفة الحكم الصحيح من مصدره الصحيح، والحديث سؤال: وجواب: أما السؤال: فهو من عائشة رضي الله عنها : حيث تقول: سألت رسول الله عن الالتفات في الصلاة؟ وهو يكون بالوجه مع استقبال القبلة بالصدر، وهذا الالتفات ينافي الخشوع في الصلاة، ويرشد إلى أن المصلي غير فارغ القلب، بل هو مشغول بدنياه، غير مستغرق في المناجاة، وغير مخلص في وقفته أمام الله.

ولذلك جاءت إجابة رسول الله ﷺ : في غاية الدقة، وقمة البلاغة، وذروة الإقناع، ومنتهى الترغيب، وقوة الترهيب، فلم يقل إنه: حرام أو مباح أو مكروه، أو ممنوع، وهذه عبارات الفقهاء في تقنين الأحكام، ولكنه قال: "هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد".

---

(١) برقم (٧٥١). أورده المنذري في ترغيبه (٧٧٣).

(٢) فتح الباري ٢/٢٧٤.

والاختلاس: مصدر والفعل: اختلس، والخَلْس في اللغة، السّلب، فكأن الشيطان يسلب هذا الوقت من الصلاة، ويسرق هذه اللحظة، ومن معاني "الخَلْس" التي توحي باختلاط الضار بالنافع، واختلاط الصالح بالطالح: أن "الخَلْس": الكلأ اليابس نبت في أصله الرطب، وقالوا: أخْلس النبات: إذا اختلط رطْبه بيابسه، والخليس: الأشمط والنبات الهائج، والأحمر الذي خالط بياضه سواد، والتخالس: التسالب.

وهذه المعاني والدلالات توحي بأن الاختلاس الذي يختلسه الشيطان من صلاة العبد يحدث خلْطاً واضطراباً وعدم استقرار، وينقص من قدر الصلاة، ويقلل من أجْرها.

وعلى المؤمن أن يحذر ذلك، وأن يتنبه لأن الشيطان متربص به، لينقضّ عليه ويسرق منه طاعته، ويختلس صلاته، فيخسر المؤمن، ويفقد الخشوع، ولا يقطف من الصلاة ثمارها، ولا يشهد أنوارها، ولا يدرك أسرارها، ولا يجني آثارها، والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة الالتفات في الصلاة[1]، لأنه اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد، ولأنه فعل يشغل المصلي عن صلاته، فكان تركه أولى[2].

غير أن هذه الكراهة مقيدة بقيدين:

القيد الأول: ألا تكون هناك حاجة للالتفات، فإذا كان هناك حاجة لذلك كما لو اشتد الحرب، أو نحو ذلك فلا كراهة[3].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٢٥/١، والنتف في الفتاوى للسُّغدي ٦٧/١، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٢/٢، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٢٣/٢، ومواهب الجليل ٥٤٨/١، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٧٦/١، والمنهج القويم ٢٥١، وشرح زبد ابن رسلان ١٠٠/١، والمبدع ٤٧٦/١، والكافي في فقه الإمام أحمد ١٧١/١، والمغني لابن قدامة ٣٦٩/١.

(٢) المغني لابن قدامة ٣٦٩/١.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٢/٢ وشرح زبد ابن رسلان ١٠٠/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٩١/٢.

القيد الثاني: أن يكون الالتفات يسيراً، كما لو التفت ببصره، أما لو التفت بصدره فذهب الشافعية[١] وبعض الحنابلة[٢] إلى أن صلاته في هذه الحالة تبطل.

بينما ذهب الحنابلة في المذهب[٣] إلى أن صلاته لا تبطل في هذه الحالة.

وإذا استدار بجملته، أو استدبر القبلة بطلت صلاته بلا خلاف[٤]، اللهم إلا إذا كان داخل البيت الحرام، فإنها لا تبطل[٥].

المضامين الدعوية[٦]

أولاً: من حقوق المدعو: السؤال عما يشغله في الصلاة من الالتفات.

ثانياً: من واجبات الداعية: بيان خطر الالتفات في الصلاة بأنه اختلاس من الشيطان.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: الحث على الخشوع في الصلاة وعدم الالتفات فيها.

رابعاً: من أساليب الدعوة: التحذير.

خامساً: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الخشوع وحضور القلب في الصلاة.

أولاً- من حقوق المدعو: السؤال عما يشغله في الصلاة من الالتفات:

جاء في الحديث ما يدل على ذلك "فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة"؛ فالمدعو من حقه أن يسأل ويستوضح عن كل ما لا يعرفه، أو يشكل عليه من أمور العقيدة والعبادات، وأمور المعاملات، وطرق الخير وأبواب البر، وعن كل شبهة ترد عليه في دينه، حتى يعبد الله وقد خلص قلبه وعقله من كل

---

(١) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٧٦/١، والمنهج القويم ٢٥٢.

(٢) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٩١/٢، والكافي في فقه الإمام أحمد ١٧١/١.

(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٩١/٢.

(٤) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٢/٢، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٦٧/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٩١/٢.

(٥) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٩١/٢.

(٦) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٥٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٥٨).

الشبهات، فالأصل في المسلم أن يسأل عما لا يعلم[١]، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

إن سؤال أهل الذكر كما وصفه النبي ﷺ شفاء لداء الجهل، ومن دلائل ذلك ما روي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: ((خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم، فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء. فاغتسل فمات. فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: قتلوه قتلهم الله؛ ألا سألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شفاء العي السؤال؛ إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب - شك موسى - على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده))[٣].

إن عدم التفقه في الدين، وعدم الرجوع إلى أهل الذكر وأرباب العلم ومظانه، يجعل الإنسان يسير على غير بصيرة، فقد يعبد الله على خطأ فلا تقبل منه، وقد يؤخر الواجب ويقدم عليه غيره. وقد ضرب لنا النبي ﷺ مثلاً على ذلك، وهو ما وقع من جريج العابد، حيث قدم النفل على الواجب، فأصابه ما أصابه من دعوة أمه عليه.

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنه قال: كان جريج يتعبد في صومعة فجاءت أمه -قال حميد: فوصف لنا أبو رافع صفة أبي هريرة رضي الله عنه لصفة رسول الله ﷺ أمه حين دعته، كيف جعلت كفها فوق حاجبها ثم رفعت رأسها إليه تدعوه- فقالت: يا جريج، أنا أمك كلِّمني، فصادفته يصلي. فقال: اللهم أمي وصلاتي، فاختار صلاته. فرجعت ثم عادت في الثانية فقالت: يا جريج أنا أمك فكلِّمني. قال: اللهم أمي وصلاتي، فاختار صلاته. فقالت: اللهم إن هذا جريج، وهو ابني وإني كلمته فأبى أن يكلمني، اللهم فلا تمته حتى تريه المومسات.

قال: ولودعت عليه أن يُفتن لفُتن.

---

(١) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ص ١٧، ١٨.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٣) أخرجه أبوداود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

قال: وكان راعي ضأن يأوي إلى ديره. قال: فخرجت امرأة من القرية فوقع عليها الراعي فحملت فولدت غلاماً. فقيل لها: ما هذا؟ قالت: من صاحب هذا الدير. قال: فجاءوا بفؤوسهم ومساحيهم فنادوه، فصادفوه يصلي فلم يكلمهم. قال: فأخذوا يهدمون ديره. فلما رأى ذلك نزل إليهم. فقالوا له: سل هذه. قال: فتبسم ثم مسح رأس الصبي فقال: من أبوك؟ قال: أبي راعي الضأن. فلما سمعوا ذلك منه قالوا: نبني ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة. قال: لا ولكن أعيدوه تراباً كما كان، ثم علاه[1].

ثانياً- من واجبات الداعية: بيان خطر الالتفات في الصلاة بأنه اختلاس من الشيطان:

من واجبات الداعية الرئيسة البيان والتبليغ وتوضيح الحق للناس، فذلك ما أمر الله به الأنبياء وأتباعهم من الدعاة[2] قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[3]، ومن ذلك بيان خطر الالتفات في الصلاة، كما جاء بيانه في الحديث، فقال ﷺ: "هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد" فلما كان الشيطان قد يشغل المصلي عن صلاته بالالتفات إلى شيء ما بغير حجة يقيمها أشبه المختلس[4]. قال الطيبي: (فاستعير لذهاب الخشوع اختلاس الشيطان، تصوير لقبح تلك الفعلة، أو أن المصلي حينئذ مستغرق في مناجاة ربه، وأنه تعالى مقبل عليه، والشيطان كالراصد ينتظر فوات تلك الفرصة عنه، فإذا التفت المصلي اغتنم الفرصة فيختلسها عنه)[5].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: الحث على الخشوع في الصلاة وعدم الالتفات فيها:

من دلائل ذلك ما جاء في الحديث من بيان رسول الله ﷺ بأن الالتفات اختلاس من الشيطان "هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد" وفي الحديث الآخر "إياك والالتفات في الصلاة فإنه هلكة فإن كان لابد ففي التطوع لا في الفريضة"[6] فوصف

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٨٢، ومسلم ٢٥٥٠ واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش، ص ٢٦.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢/٢٧٤.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢/٢٩٩.

(٦) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح رقم ٥٨٩.

النبي ﷺ الالتفات في الصلاة بالهلكة أي الهلاك لأنه طاعة الشيطان، وهو سبب الهلاك، والصلاة بالالتفات تستحيل من الكمال إلى الاختلاس[1] إضافة إلى ذلك أن الالتفات في الصلاة استخفاف بالمكروهات، ومن استخف بالمكروهات وواقعها وقع في المحرمات، فأهلك نفسه بتعريضها للعقاب[2] وذلك كله مناف للخشوع المأمور به المصلي والذي هو أحد أسباب الفلاح، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[3].

وجعل الإسلام إحسان الصلاة وتزيينها بالخشوع كفارة للذنوب، فعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما من امرئ تحضره صلاةٌ مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله))[4].

رابعاً- من أساليب الدعوة: التحذير:

ورد التحذير في قوله ﷺ "إياك والالتفات في الصلاة" والتحذير من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة، لما فيه من إيقاف المدعو على مواطن الخطر وموارد التهلكة وتحذيره منها، وقد جاء التحذير في القرآن في كثير من آياته، منها: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[5] وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[6].

ويمكن تعريف التحذير بأنه: التحذير من إتيان فعل أو امتناع عنه، لكونه سبباً في

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٨٤٤/١.

(٢) دليل الفالحين، الإمام ابن علان، ص ١٧٣٥.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ١ - ٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٨.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٢٨.

(٦) سورة المائدة، آية: ٩٢.

غضب الله تعالى وعذابه، أو سبباً في إلحاق ضرر بالأمة والمجتمع المسلم، مما يدفع باتجاه الاستعداد والتأهب لتجنب حصول ذلك.

وقد ورد في كتاب الله تعالى آيات كثيرة تحذر من مغبة الوقوع في المحذور، فمما ورد من آيات تحذر من غضبه تعالى، على سبيل المثال التصريح بخطبة النساء وهُنَّ في عدَّتهن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ﴾[1].

وقال أيضاً محذراً من اتخاذ المشركين أولياء: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

وأما التحذير من فعل يسبب إلحاق ضرر بالأمة ومصالحها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾[4].

ومنه تحذيره تعالى من المنافقين والتنبيه على خطرهم واعتبارهم العدو الأول بقوله: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[5].

وقال محذراً من فتنة الأزواج والأولاد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٣٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٢٨.

(٣) سورة النور، آية: ٦٣.

(٤) سورة النساء، آية: ٧١.

(٥) سورة المنافقون، آية: ٤.

(٦) سورة التغابن، آية: ١٤.

ومثل ما ورد التحذير في القرآن الكريم كأسلوب تربوي، كذلك ورد على لسان الرسول ﷺ كأسلوب تربوي وتوجيهي، منه ما يتعلق بالتحذير من المعاصي واقتراف ما نهى الله تعالى عنه، ومنه ما ورد في التحذير مما يسبب في إلحاق الضرر بالأمة والمجتمع، وبصيَغ مختلفة كالترهيب والوقاية، وبيان العقوبة المترتبة على عمل فعل أو تركه، والنصيحة وغيرها.

ويختلف التحذير عن الموعظة في كونه إنذاراً من خطر قادم، يتضمن وعيداً وزجراً ينتج عنه خوف ورهبة.

بينما الموعظة تذكير بفعل الخير والحق، على الوجه الذي يرقُّ له القلب محفوف بتلطف وتودُّد[1].

خامساً- من موضوعات الدعوة: اهمية وفضل الخشوع وحضور القلب في الصلاة:

جاءت النصوص آمرة بالابتعاد عن أسباب انتفاء الخشوع كالالتفات في الصلاة ونحوه، كما جاء في الحديث "إياك والالتفات في الصلاة فإنه هلكة" فالإنسان إذا قام يصلي فإنه بين يدي الله عز وجل، فلا ينبغي له أن يلتفت لا بقلبه، ولا بوجهه إلى غير الله - سبحانه وتعالى-[2] وما أعظم حين يتجلى الخشوع على أداء الصلاة، فيستحق صاحبها أن يوصف بالفلاح، وأن يكون من جملة المؤمنين الذين يرثون الفردوس الأعظم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[3]. إلى أن قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[4] فالخاشع في صلاته لابد أن يحصل له الخشوع في جميع الجوارح، فأما ما يتعلق بالقلب من الأفعال فنهاية الخضوع والتذلل للمعبود، ولا يلتفت الخاطر إلى شيء سوى ذلك التعظيم، وأما

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ٢٤٩، ٢٥٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٨٠١/٢.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ١، ٢.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ١٠، ١١.

ما يتعلق بالجوارح فهو أن يكون ساكناً مطرقاً ناظراً إلى موضع سجوده[١]. قال قتادة: (الخشوع في القلب هو الخوف وغض البصر في الصلاة)، وقال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[٢] قال: (كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا بذلك أبصارهم، وخفضوا لذلك الجناح)[٣].

إن وجود الخشوع، في قلب المصلي وتفاوته من مصلٍ إلى آخر، يترتب عليه التفاوت في ثواب الصلاة، فكما هو معلوم أن ثواب أعمال الجوارح يتفاضل بتفاضل أعمال القلوب.

قال ابن القيم مقرراً لهذا الأصل: (الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان، والمحبة، والتعظيم، والإجلال، وقصد وجه المعبود وحده دون شيء من الحظوظ سواه، حتى لتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في الفضل ما لا يحصيه إلا الله تعالى.

وتتفاضل - أيضاً - بتجريد المتابعة. فبين العملين من الفضل بحسب ما يتفضلان به في المتابعة، فتتفاضل الأعمال بحسب تجريد الإخلاص والمتابعة تفاضلاً لا يحصيه إلا الله تعالى.

وينضاف هذا إلى كون أحد العملين أحب إلى الله في نفسه.

ثم قال: فتأمل هذا، فإنه يزيل عنك إشكالات كثيرة، ويطلعك على سر العمل والفضل، وأن الله سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين، يضع فضله مواضعه، وهو أعلم بالشاكرين.

ولا تلتفت إلى ما يقوله من غلُظ حجاب قلبه من المتكلمين والمتكلفين:

إنه يجوز أن يكون العملان متساويين من جميع الوجوه، لا تفاضل بينهما، ويثيب الله على أحدهما أضعاف أضعاف ما يثيب على الآخر، بل يجوز أن يثيب على هذا

---

(١) انظر: أدب المؤمن، أحمد حمزة عبدالباقي، د. امينة أحمد يحيى، ص ١٠٣-١٠٦.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٢.

(٣) الدر المنثور، الإمام السيوطي، ٨٤/٦.

ويعاقب على هذا، مع فرض الاستواء بينهما من كل وجه.

وهذا قول من ليس له فقه في أسماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا فقه في شرعه وأمره، ولا فقه في أعمال القلوب وحقائق الإيمان بالله، وبالله التوفيق)[١].

ومن أمثلة هذه القاعدة: تفاضل الصلاة بتفاضل الخشوع وحضور القلب فيها بين يدي الرب تبارك وتعالى الذي هو روحها ولبها، فصلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه، ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا، ولا يثيبه عليها، فليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها[٢]، فروي أن النبي ﷺ قال: ((إن العبد ليصلي الصلاة وما كتب له إلا نصفها إلا ثلثها إلا ربعها إلا خمسها حتى بلغ عشرها))[٣].

وقال ابن القيم أيضاً بعد أن ذكر أهمية الخشوع في الصلاة: (وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرى، فتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة، وهذا العمل الكامل هو الذي يكفر الذنوب تكفيراً كاملاً. والناقص بحسبه، وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة، وهما تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان، وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه)[٤].

---

(١) المنار المنيف، ابن القيم، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٣هـ، ص ٣٣، ٣٤.

(٢) أعمال القلوب، د. سهل العتيبي، ٦١٨/٢.

(٣) أخرجه أبوداود ٧٩٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٧٦١).

(٤) الوابل الصيب، ابن القيم، ص ١٤، ١٥.

الحديث رقم (١٧٥٨)

١٧٥٨- وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((ⁱ[١] **إيَّاكَ والالتِفَاتَ في الصَّلاَةِ، فَإنَّ الالتفَاتَ في الصَّلاَةِ هَلَكَةٌ، فَإنْ كَانَ لاَ بُدَّ، فَفِي التَّطَوُّعِ لاَ في الفَرِيضَةِ**)). رواه الترمذيُّ[٢]، وقال: (حديث حسن صحيح[٣]).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن البناء اللغوي في هذا الحديث الشريف، يتألق ويشع بالمعاني والثمار المرجوة منه من خلال ثلاث جمل تتنوع أساليبها، وموحياتها، فالحديث يبدأ بأسلوب التحذير، والتحذير هنا يتخذ أحد الطرق النحوية له: وهو: تقديم ضمير النصب المنفصل "إياك"، والتقدير: أحذرك الالتفات في الصلاة، وتقديم الضمير هنا يوحي بخوف رسول الله ﷺ على هذا المصلي المسلم من هذا السلوك، الذي يخل بقيمة الخشوع في الصلاة، ويفتح مسالك للشيطان في نفسه.

والجملة الثانية تعليل للأولى: فهي لبنة في بناء الحديث المتكامل، والفاء هنا للإفصاح عن سبب التحذير من الالتفات في الصلاة، وجملة التعليل وردت في إطار "التوكيد" لتعمق التحذير من الالتفات، لأنه هلكة أو مهلكة في الصلاة، وقوله: هلكة فيه مجاز مرسل، فالالتفات سبب الهلاك: وقد جمع بين السبب وما يتسبَّب عنه، والهالك هو الإنسان.

---

(١) عند الترمذي زيادة: (يابني).

(٢) برقم (٥٨٩). قال ابن القيم في زاد المعاد (٢٤٩/١): فيه علتان: إحداها: أن رواية سعيد عن أنس لا تعرف. الثانية: أن في طريقه علي بن زيد بن جدعان، ثم نقل عن الخلال، أنه قال: أن أبا عبد الله وهَّنَ حديثَ سعيد هذا، وضعّف إسناده.

(٣) في المطبوع: (حسن)، وزاد أحمد شاكر من إحدى النسخ: (غريب)، وقال: (وفي (م) (هذا حديثٌ غريب).

وأظهر كلمة "الصلاة"، ولم يقل: فإن الالتفات فيها، لسرّ بلاغي قال عنه العلماء: أتى بالظاهر فيها موضع المضمر تعظيماً وتفحيماً للأمر.

والجملة الثالثة، تشع بحل المشكلة أو العقدة كما يقول أصحاب الفن القصصي، ولذلك جاءت هذه الجملة في إطار أسلوب "الشرط والجواب"، لأن كل مشكلة لها حل، وكل مقدمة لها نتيجة، وكل عمل عليه جزاء: ثواب أو عقاب، ويتجلى ذلك في قوله: فإنه كان لابد ففي التطوع لا في الفريضة.

وفي هذه الجملة: إيجاز بالحذف، حيث تكمن كلمات في أشعة النص الموحية المائجة بالمقاصد والفوائد، والتقدير، فإن "كان" أي المصلي "لابد" أي لا غنى له عن الالتفات لعذر أو لمشاغل تحيط به ولا يقدر على دفعها، فيكون الالتفات في صلاة التطوع، لا في صلاة الفريضة، فتأمل هذه الكلمات المحذوفة، وتأمل هذا الجمال الأسلوبي، وكم أثار هذا الحذف من إيحاءات أسلوبية، وإثارات ذهنية ونفسية وعقلية، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الخشوع في الصلاة:

إن التربية الإسلامية تهدف إلى تحقيق الخشوع في الصلاة، وقد جعل الله من ثمرات الصلاة الظفر والنجاح في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[1]، فالخاشع هو الذي يَخْضَع قلبه ويسيطر عليه الرهبة والخوف والرجاء عند ملاحظة جلال الله وعظمته، ويؤدب جوارحه حسب ذلك الخضوع فلا التفات ولا حركة سوى ما تفرضه الصلاة[2].

فالتربية الإسلامية تهدف إلى التزام السكينة والطمأنينة في الصلاة بأن يقبل العبد على ربه بقلبه وجميع جوارحه فلا يلتفت، ولا ينشغل بغير الصلاة لذلك عندما سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: "هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد".

وعن أنس قال: قال لي رسول الله ﷺ: "إياك والالتفات في الصلاة، فإن الالتفات هلكة".

والخشوع: خشوعان: خشوع قلب، وخشوع جوارح، فخشوع القلب أن يستحضر رقابة الله عز وجل، ويستحضر عظمته ويتدبر معاني القرآن، ويتدبر ما يتلوه من آيات أو ما يسمعه، وما يذكره من أذكار، كمعنى التكبير، ومعنى التسبيح، ومعنى سمع الله لمن حمده، وهكذا يستحضر معاني هذه الأذكار ويتدبر ما يتلو أو يسمع من آيات، عند ذلك يشعر فعلاً أنه يقف بين يدي الله عز وجل، وأن الصلاة يجب أن تتنزه عن اللعب والعبث، أما أن يقف وتجتمع كل هموم الدنيا عليه حينما يصلي، ويشغل نفسه بكل شيء إلا الصلاة فهذا لا ينبغي للمسلم[3].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان:١-٢.

(٢) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص٣٠.

(٣) هذا جزء من كلام، د. يوسف القرضاوي، عن الخشوع في الصلاة، ذُكر في موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، إشراف د. عبدالحليم عويس، ٢٧٢/١.

فالمصلي يقف في رحاب الله، وليس بينه وبين الله واسطة، فيشعر بالقرب من الله، ويشعر بمعية الله له، فتمتلئ جوانحه بالأمن والطمأنينة والثقة واليقين، فيخشع راكعًا، ويخشع ساجدًا، ويستمد العون والتأييد [١].

فإن الصلاة انتزاع للنفس من ماديات الحياة وآلامها، وتوجيه لها إلى الله بالذكر، والدعاء، والضراعة، والخضوع لكبريائه وعظمته [٢].

ثانيًا- التربية بالتحذير:

من أساليب التربية التي يتضمنها هذا الباب أسلوب التحذير حيث حذر النبي ﷺ من الالتفات في الصلاة، وقال: "هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد"، وكذا قال ﷺ: "إياك والالتفات في الصلاة، فإن الالتفات في الصلاة هلكة".

فعلى المربي أن يحذر من مداخل الشيطان للإنسان في الصلاة، لأن العبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه، فإنه قد قام في أعظم مقام وأقربه وأغيظه للشيطان، وأشده عليه، فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه، بل لا يزال به يعده ويمنيه وينسيه ويجلب عليه بخيله ورجله حتى يهون عليه شأن الصلاة فيتركها، فإن عجز عن ذلك منه وعصاه العبد، وقام في ذلك المقام أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه، ويحول بينه وبين قلبه، فيذكره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها، حتى ربما كان قد نسي الشيء والحاجة وأيس منها فيذكره إياها في الصلاة، ليشغل قلبه بها ويأخذه عن الله عز وجل، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل الحاضر بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطاياه وذنوبه وأثقاله لم تخف عنه بالصلاة، فإن الصلاة تُكَفِّر سيئات من أدى حقها، وأكمل خشوعها ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقالبه [٣].

---

(١) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار، ص٢٠.

(٢) إسلامنا، السيد سابق، ص ١٦.

(٣) الوابل الصيب، ابن القيم، ضمن مجموعة الحديث، ٢/٢٧٤.

فالتحذير أسلوب تربوي فعال يستخدمه المربي في تحذير الإنسان مما يضر به في دينه ودنياه، حتى يتجنبه ويتوقاه ويعمل جاهدًا على حفظ نفسه مما حذر منه ونصح باجتنابه.



٣٤٢- باب النهي عن الصلاة إِلَى القبور

الحديث رقم (١٧٥٩)

١٧٥٩- عن أَبي مَرْثَدٍ كَنَّازِ بْنِ الحُصَيْنِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((**لا تُصَلُّوا إِلَى القُبُورِ، وَلاَ تَجْلِسُوا عَلَيْهَا**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو مرثد كنّاز بن الحُصين: هو أبو مَرثد كنّاز بن الحُصين مشهور بكنيته. وقيل في اسمه غير ذلك. هو وابنه مرثد وابن ابنه أُنيس ممن نالوا شرف صحبة النبي ﷺ.

كان تِرْباً لحمزة بن عبدالمطلب وحليفاً له هو وابنه. آخى النبي ﷺ بينه وبين عبادة بن الصامت في المدينة.

وقد شهد بدراً وسائر المشاهد والمغازي مع رسول الله ﷺ قال أبوبكر بن أبي داود: ليس أحدٌ بدريًا ابن بدري إلا مرثد ابن أبي مرثد. وقد استشهد ابنه يوم الرجيع في حياة النبي ﷺ.

وكان رجلاً طويلاً كثير الشعر، وقد روى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً، وهو هذا الحديث المشروح.

توفي بالشام في خلافة أبي بكر الصديق سنة ١٢هـ وسنه ٦٦ عاماً[2].

الشرح الأدبي

إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، والمؤمن في صلاته لا يتوجه إلا إلى ربه عز وجل: داعياً: ومستغفراً، قائماً وراكعاً وساجداً، والحديث الشريف يركز على

---

(١) برقم (٩٧٢/٩٨).

(٢) الطبقات (٤٧/٣) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٣٦، ٨٥٠ وأسد الغابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٧٦/٦) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٣٥، ١٥٥٢، وتهذيب الكمال (١٧٧/٦)، والتهذيب (٤٧٥/٣).

هذا المقصد الأسني، ولذلك نجد الحديث يخلو من التوكيد، ويرد في صيغة الأمر، لأن المؤمن المصلى الراكع العابد الساجد.. لا يحتاج إلى تأكيد الأمر، فهو يستجيب لله ولرسوله، لأن رسول الله ﷺ يدعوه هو والمسلمين جميعاً إلى ما يحييهم، وأي حياة أسمى من الحياة الإيمانية في طاعة الله، ومناجاته، وتسبيحه، والاقتداء برسول الله ﷺ، والعمل بما يأمر به والانتهاء عما ينهي عنه، ويتضمن الحديث جملتين تردان في أسلوب الإنشاء، والأمر هو الأسلوب المختار من أنواع الطلب، والأمر هنا يرد في صيغة النهي لأن "لا" ناهية جازمة، والجزم هو القطع: فالنهي يرد صريحاً وجازماً في قوله: "لا تصلوا إلى المقابر، ولا تجلسوا عليها"، والنهي عن الصلاة ليس موجهاً إلى فرد واحد، وكذلك الجلوس على المقابر، ولكنه موجه إلى الأمة كلها: في كل زمان ومكان، قديماً وحديثاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والنهي هنا يتجاوز المشهد الحسي، والحركة المشاهدة: إلى دائرة أوسع، وأفق أشمل من المقاصد والأهداف: فالمراد أن لا تعظموا من في داخل القبور، لأن التعظيم لا يكون إلا لله، وقال الشافعي، وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس، وقد لعن الله الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[1].

فقه الحديث

ويشتمل الحديث على الأحكام الآتية:

١- حكم الصلاة إلى القبور: اختلف الفقهاء في حكم الصلاة في المقبرة على أربعة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الحنفية[2]، والثوري والأوزاعي وابن المنذر[3]، ويرون

---

(١) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١/ ٣٢٠.

(٣) التمهيد لابن عبدالبر ٥/٢٢٩، ونيل الأوطار ٢/١٣٧.

أن الصلاة في المقبرة مكروهة، وقد حملوا الأحاديث التي تنهى عن ذلك على الكراهة.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الحنابلة[١]، والظاهرية[٢]، ويرون أن الصلاة في المقبرة حرام، ولا تصح.

واستدلوا بالنهي الوارد في الحديث، ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها، والتقرب إليها.

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الشافعية[٣]، ويفرقون بين المقبرة المنبوشة وغيرها، فإن كانت منبوشة بحيث اختلطت بما يخرج من الموتى لم تجز الصلاة فيها.

فإن صلى في مكان طاهر منها صحت مع الكراهة.

الرأي الرابع: وهو ما ذهب إليه المالكية[٤]، ويرون جواز الصلاة في المقبرة بلا كراهة واستدلوا بحديث (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)[٥].

وحملوا أحاديث النهي عن الصلاة في المقبرة على ما إذا كان بها نجاسة، ويُنَاقَشُ هذا: بأن النبي ﷺ قال: "كل الأرض مسجد وطهور إلا الحمام والمقبرة"[٦]، وهذا حديث خاص، يقيد عموم الحديث الذي استدل به المالكية.

الترجيح: بعد عرض آراء الفقهاء في المسألة يتضح والله أعلم بالصواب، أن الراجح هو ما ذهب إليه أصحاب الرأي الثاني القائلين بالحرمة لورود النهي عن ذلك، والنهي يقتضي التحريم ما لم توجد قرينة تصرفه إلى غيره، ولا قرينة هنا.

١- حكم الجلوس على القبر: اختلف الفقهاء في حكم الجلوس على القبر على ثلاثة آراء:

---

(١) المغني لابن قدامة ١٩٣/٢، والمبدع ٢٩٦/١، وكشاف القناع ٢٩٨/١.

(٢) نيل الأوطار ١٣٧/٢، والمحلى ١٣٩/٥ وما بعدها.

(٣) المجموع للنووي ٦٠/٣.

(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد محمد بن رشيد القرطبي ١٧٧/١، التمهيد لابن عبدالبر ٢٢٩/٥.

(٥) أخرجه البخاري ٣٣٥، ومسلم ٥٢١.

(٦) أخرجه أحمد ٨٣/٣ رقم ١١٧٨٤، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٣٠٨/١٨.

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من الحنفية[١]، والشافعية[٢]، والحنابلة[٣]، ويرون أن الجلوس على القبر مكروه، إذ حملوا أحاديث النهي عن الجلوس على القبور على الكراهة.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه ابن حزم[٤] ويرى أن الجلوس على القبر حرام.

واستدل بظاهر الأحاديث التي تنهى عن ذلك.

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الإمام مالك[٥]، ويرى أن لا يكرهُ القعود على القبر إلا إذا قعد لقضاء الحاجة.

إلا أنه ذكر لأحمد أن مالكاً يتأول حديث النبي ﷺ أنه نهى أن يجلس على القبور أي للخلاء، فقال: ليس هذا بشيء، ولم يعجبه رأي مالك[٦].

والراجح، والله أعلم ما ذهب إليه الجمهور.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: اجتناب الصلاة إلى القبور والجلوس عليها.

ثالثاً: من آداب المدعو: الانتهاء عما نهى عنه النبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد النهي في الحديث في قوله ﷺ "لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها" والنهي من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من إيقاف المدعوين على مواطن الخطر، والتحذير

---

(١) نور الإيضاح ٩٨، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٢٠/١.

(٢) المهذب ١٣٩/١، ومغني المحتاج ٣٥٤/١.

(٣) المغني ١٩٢/٢.

(٤) المحلى ١٣٥/٥.

(٥) حاشية الدسوقي ٤٢٨/١، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٢٥٢/٢.

(٦) المغني لابن قدامة ١٩٢/٢.

منها واجتنابها والابتعاد عنها، وقد تكرر أسلوب النهي في القرآن، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[١] وأمر الله الأمة أن تخصص فئة تضطلع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بطلب الكف عن فعل ما ليس فيه رضا الله تعالى[٢]، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: اجتناب الصلاة إلى القبور والجلوس عليها:

لقد نهى الإسلام عن الجلوس على القبور والاستناد إليها أو الاتكاء عليها، وحذر من الصلاة إلى القبور، وذلك ما جاء في نهي النبي ﷺ في الحديث "لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها" قال القرطبي: (قوله: "لا تصلوا إلى القبور أي تتخذوها قبلة، وذلك لقطع الذريعة أن يعتقد الجهَّالُ في الصلاة إليها، أو عليها أو الصلاة لها فيؤدي إلى عبادة مَنْ فيها، كما كان السبب في عبادة الأصنام)[٤]. قال النووي: (فيه تصريح بالنهي عن الصلاة إلى القبر، قال الشافعي: (وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده)[٥]. أما عن القعود على القبر، فقال المازري: (وأما القعود على القبر فمن الناس من أخذه على ظاهره، ومنهم من تأول أن المراد بالقعود الحدث لا الجلوس)[٦]. وقال مالك في الموطأ المراد بالقعود الحدث وهذا تأويل ضعيف أو باطل والصواب أن المراد بالقعود الجلوس[٧].

وقد جاءت الأحاديث ترهب من امتهان المقابر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، ٤٠٧/٤١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٤) المفهم ٦٢٨/٢.

(٥) شرح صحيح مسلم ٦١٩.

(٦) المعلم ٢٦٠/١.

(٧) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ٥١/٦.

رسول الله ﷺ: ((لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَىٰ جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَىٰ قَبْرٍ))[١]. إذ أن القبر محترم شرعاً توقيراً للميت، ومن ثم اتفق الفقهاء على كراهة وطء القبر والمشي عليه[٢].

ثالثاً- من آداب المدعو: الانتهاء عما نهى عنه النبي ﷺ:

إن من الأمور الواجب الانتهاء عنها الصلاة إلى القبور والقعود عليها، فقال ﷺ "لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها" وفي ذلك انتهج الإسلام تجاه القبور وأصحابها اتجاهاً وسطاً، فمنع من تقديسها أو مما يؤدي إلى تقديسها في يوم من الأيام، نتيجة لجهل أو اختلاط فهم أو ما شاكل ذلك، وفي نفس الوقت نهى عن امتهانها فنهى عن القعود عليها، وما زاد على ذلك من الحدث عليها أو ما شاكله من ألوان الامتهان فهو حرام من باب الأولى. وقد أمرنا الله بالانتهاء عما نهى عنه النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٣] وهذه الآية جامعة للأمر باتباع ما يصدر من النبي ﷺ من قول وفعل، فيندرج فيها جميع أدلة السنة، وعطف الله على هذا الأمر تحذيرًا من المخالفة، فأمرهم بتقوى الله فيما أمر به على لسان رسوله ﷺ، وعطف الأمر بالتقوى على الأمر بالأخذ بالأوامر وترك المنهيات، يدل على أن التقوى هي امتثال الأمر واجتناب النهي[٤]، فكما أمر الله المسلمين بطاعة رسول الله ﷺ حذرهم من الخروج عن سنته، ورهبهم من تركها والإعراض عنها، وبين أن طاعته طاعة لله تبارك وتعالى[٥]، فقال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ٩٧١.

(٢) الموسوعة الفقهية ٣٢/٢٢٤.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١١/٢٨/٨٧.

(٥) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ص ١١٦، ١١٧.

(٦) سورة النساء، آية: ٨٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية الوقائية:

من أهم الأشياء التي تهدف إليها التربية الإسلامية، وقاية المسلم من الأمور التي تلحق به ضررًا سواء أكان في دينه أم دنياه، ومن أنواع هذه الوقاية، الوقاية من تعظيم أشياء تؤدي إلى الشرك مثل تعظيم القبور واتخاذها مساجد[١]، لذلك قال رسول الله ﷺ: «لاَ تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ».

فالنهي عن الصلاة إليها، لأنها ذريعة إلى اتخاذها مساجد، وقد لعن رسول الله ﷺ من فعل ذلك، وحذر منه وأخبر أن أهله شرار الخلق، كما قال: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»[٢][٣].

فإن التربية الوقائية أصل من الأصول المعتبرة في الفقه الإسلامي، إن (الوقاية) هي المرادف لكلمة (درء المفاسد) وهي المرادف لعبارة (كل ما أدى إلى الحرام فهو حرام) والوقاية في محصولها الأخير. ليست إلا الحذر مما يؤدي إلى الضرر، وهذا المحصول نفسه ما تنتهي إليه - في المجالات الفكرية والعقدية والأخلاقية والتشريعية - كل القواعد التي تنهي عما يقرب من الحرام أو المفاسد أو أهل الحرام أو أهل المفاسد، فكل هذا وقاية[٤].

إن التربية الوقائية خير معين للحفظ من الوقوع فيما يضر الإنسان من المفاسد والمعاصي والأمور التي تجلب غضب الله وسخطه.

فعلى المربي أن يحرص على استخدام الوقاية مع من يقوم بتربيتهم وخاصة الناشئة منهم، وذلك بتحذيرهم وتوجيههم إلى تجنيبهم ما يضرّ بهم في دنياهم ودينهم.

---

(١) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٢٣٢/٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٤٠٥/١، رقم ٣٨٤٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن من أجل عاصم بن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين ٣٩٤/٦.

(٣) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص٤٨٨.

(٤) انظر: موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، إشراف: د. عبدالحليم عويس، ٣١٠/١.

ثانيًا- التربية على احترام الإنسان حيًا وميتًا:

إن أعظم وأسمى ما تستهدفه التربية الإسلامية التربية على احترام الإنسان حيًا وميتًا، فهو مخلوق كريم على الله، خلقه ربه في أحسن تقويم، وصوره فأحسن صورته، خلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وميزه بالعلم والإرادة، وجعله خليفته في الأرض، ومحور النشاط في الكون، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فكل ما في الكون له ولخدمته، أما هو فجعله تعالى لنفسه[1].

وقد أكد الإسلام على حرمة العرض والكرامة مع حرمة الدماء والأموال حتى أن النبي ﷺ أعلن ذلك في حجة الوداع أمام الجموع المحتشدة في البلد الحرام، والشهر الحرام، واليوم الحرام، فقال: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذَا، فِي بَلَدِكُمْ هذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»[2].

فلا يجوز أن يؤذى إنسان في حضرته ولا أن يُهان في غيبته، سواء أكان هذا الإيذاء للجسم بالفعل أم للنفس بالقول. فربما كان جرح القلب بالكلام أشد من جرح الأبدان بالسياط أو السنان[3].

ولم يكتف الإسلام بحماية الإنسان حالة حياته، فكفل له الاحترام بعد مماته، ومن هنا جاء الأمر بغسله، وتكفينه ودفنه والنهي عن كسر عظمه أو الاعتداء على جثته[4]. خلافًا للأمم التي تحرق جثث موتاها.

وفي هذا جاء الحديث النبوي: «كَسْرُ عَظْمِ المَيِّتِ كَكَسْرِهِ حَيًّا»[5][6].

---

(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص٦٦.

(٢) أخرجه البخاري، ١٠٥، ومسلم، ١٦٩٧.

(٣) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص٨٧.

(٤) ما لم تدفع إلى ذلك ضرورة أو حاجة، كمعرفة أسباب القتل وكيفيته، الذي يقوم به (الطب الشرعي) الآن، وقد يستلزم هذا تشريح الجثة أو كسر بعض العظام. الخصائص العامة للإسلام، ص٨٧، هامش ٤.

(٥) أخرجه أبو داود ٣٢٠٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود، ٢٧٤٦).

(٦) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص٨٧.

ومن احترام الميت احترام قبره فلا يجلس عليه، لأن في الجلوس على القبر امتهان لشأن الميت يتنافى مع ما حث عليه الدين الإسلامي من احترام للميت، وفي هذا جاء قول رسول الله ﷺ - في الحديث الشريف الذي نحن بصدد بيانه - (ولا تجلسوا عليها).

فعلى المربي والمجتمع المسلم غرس قيمة احترام الإنسان حيًا وميتًا في النفوس وخاصة في نفوس الناشئة الذين يحتاجون إلى التربية على هذا الفهم الإسلامي الذي يحفظ للإنسان حرمته حيًا وميتًا، وهذا من القيم الإسلامية النبيلة التي ينبغي الحرص عليها.



٣٤٣- باب تحريم المرور بين يدي المصلي

الحديث رقم (١٧٦٠)

١٧٦٠- عن أَبي الجُهَيْمِ عبد اللهِ بن الحارِثِ بن الصِّمَّةِ الأنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((**لَوْ يَعْلَمُ المَارُّ بَيْنَ يَدَي المُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أنْ يَقِفَ أرْبَعِينَ خَيْراً لَهُ مِنْ أنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ**)).

قَالَ (الراويُّ)[1]: لا أدْرِي قَالَ: أرْبَعينَ يَوماً، أَوْ أرْبَعِينَ شَهْراً، أَوْ أرْبَعِينَ سَنَةً[2] متفق عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن الحارث بن نوفل: وهو صحابي ابن صحابي ابن صحابي، واسمه: عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم، القرشيُّ الهاشميُّ، من أشراف قريش، أمه هند بنت أبي سفيان، أخت معاوية، كانت تُرَقِّصُه، وتسميه ببَّه، فصار لقباً عليه، ذكر الزبير بن بكار بروايته أن هند بنت أبي سفيان بن حرب وهي تُنَقِّزُ -أي ترقص- ابنها ببَّه عبدالله بن الحارث كان تقول:

مــا أبَّـه مـا أبَّـه لأُنْكِحَـنَّ ببّـه
جاريـة بنقْبـة تسـود أهـل مكـة

فعمِّرت حتى زوجته خالدة بنت مُعَتِّب بن أبي لهب، ويقال إن أهل البصرة لقبوه بهذا اللقب، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين، وحكى ابن سعد في الطبقات: أنه لما وُلِد أتت أمه هند إلى أختها أم حبيبة، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من هذا يا أم حبيبة؟ قالت: هذا ابن عمك وابن أختي، فتفل في فيه

---

(١) عندهما: (قال أبو النضر).

(٢) عندهما بلفظ: (اربعين يومًا، أو شهرًا، أو سنة).

(٣) أخرجه البخاري (٥١٠)، ومسلم (٢٦١/٥٠٧) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٧٨٩).

ودعا له[1].

له صحبة وقيل إن له إدراكاً، روى عن النبي ﷺ مرسلاً، وروى له الجماعة، وكان يكنّى بأبي محمد المدني، ويقال: أبو إسحاق، كان رضي الله عنه وَرِعاً ظاهر الصلاح، كان والياً على مكة زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، نزل البصرة، واصطلح عليه أهلها حين مات يزيد بن معاوية، فأمَّره عليها عبدالله بن الزبير، ولما قامت فتنة ابن الأشعث خرج إلى عُمَان هارباً من الحجاج فتوفي فيها، وإنما خرج لأنه كان مع ابن الأشعث لمّا خلع الحجاج وقاتله، فلما انهزم ابن الأشعث هرب عبدالله إلى عمان، ومات هناك سنة (٨٤) على الأرجح، قال ابن حبان في كتاب الثقات توفي سنة (٧٩) قتلته السَّمُوم، ودفن بالأبواء، وصلى عليه سليمان بن عبدالملك[2].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، نجده يتكون من جملة لغوية واحدة لها متعلقاتها... وموحياتها الدلالية، وهذه الجملة صيغت في قالب: الشرط والجواب، وهذا القالب اللغوي يتسق مع مقاصد الحديث: حيث يوضح رسول الله ﷺ العقاب الذي ينتظر من يمر أمام المصلي، فيشغله عن استغراقه في الصلاة، وأداة الشرط "لو" وهي أداة امتناع لامتناع، ودلالة هذه الوظيفة النحوية لهذه الأداة أن جواب الشرط ممتنع، لأن فعل الشرط ممتنع، ففعل الشرط قد وقع وهو مرور الإنسان أمام المصلي، ولم يمتنع عن ذلك، وكذلك "وقوفه أربعين يوماً أو شهراً أو سنة"، لم يقع: لأن هذا من باب الترهيب والإنكار، وأسلوب الشرط هنا يناسب طبيعة الجو

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، (٥٦/٤).

(٢) طبقات ابن سعد (٥/٢٤-٢٦)، (٧/١٠٠، ١٠١)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٣٩٠)، أسد الغابة ، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٠٨/٣، ٢٠٩)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٧٥٦)، سير أعلام النبلاء (٥٢٩/٣-٥٣١)، تهذيب الكمال (١٠٨/٤)، تهذيب التهذيب (٣١٨/٢)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٧٧/٤).

الموحي بالثواب أو العقاب بعد حصول ما يؤهل لذلك، فالجزاء من جنس العمل.

وقوله: "بين يدي المصلى" كناية عن المرور أمام المصلين، ولكن هذا التعبير يوحي بالقرب الشديد من الصف المقام للصلاة، وإشغال المصلين عن مناجاة ربهم، وإذهاب الخشوع والخضوع في صلاتهم. وقوله: "ماذا عليه" استفهام يفيد الإنكار والوعيد، ومضاعفة العقاب، وقيل حَذْفُ نوعية العقاب زيادة في التنفير عن ذلك، لتذهب النفس في تقدير كل صنف من المكروهات المحذر منها كل مذهب.

وحذف تمييز العدد بعد قوله: "أربعين" للإيحاء بتغليظ العقوبة، وشدة المخالفة لأن هذا المارّ سيتساءل: هل مرور لحظة سيكون عقابه أن أقف أربعين يوماً: وربما أربعين شهراً، وربما أربعين سنة!!.

وهذا التساؤل المنبثق من الموقف، يُعطي فرصة للمراجعة، وعدم الإقدام على مثل هذه المخالفة. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: تحريم المرور بين يدي المصلي[1]، وذكر الأربعين في الحديث لا مفهوم له، بل الغرض منه المبالغة في تعظيم الأمر[2]، لما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: ((لَوْ يَعْلَمُ أَحدُكُم ما لَهُ في أَن يَمشِيَ بينَ يَدَيْ أَخيهِ مُعترضاً، وهوَ يُناجِي ربَّهُ، لَكانَ أَن يَقِفَ في ذلكَ المقامِ مئةَ عامٍ أحبُّ إليهِ من أن يَخْطُو))[3].

وقد قيد التحريم بقيدين:

الأول: إذا لم يقصّر المصلي في دفع المارّ، فإن قصر في دفع المارّ بأن صلى على قارعة الطريق مثلاً فلا حرمة، بل ولا كراهة.

الثاني: إذا لم يجد المار فرجة أمامه، وإلا فلا حرمة، بل له خرق الصفوف والمرور

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٦/٢، والدر المختار للحصكفي ٦٨٣/١، ٦٨٤، وفتح العزيز ويسمى أيضاً العزيز للرافعي ١٣٢/٤، والمجموع للنووي ٢٤٩/٣، وفتح الوهاب ٩٣/١.

(٢) الدين الخالص للسبكي ٢٩٤/٢.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٩٤٦، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب ٢٩٩.

بينها لسد هذه الفرجة[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح لحرمة المرور بين يدي المصلي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من المرور بين يدي المصلي.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الوقوف وعدم المرور بين يدي المصلي.

أولاً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح لحرمة المرور بين يدي المصلي:

لقد كلف الله الأنبياء وأتباعهم تبيين الحق وأحكامه للناس، وعدم كتمانه[٢]، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٣] ومن ذلك ما جاء في الحديث من تحريم للمرور بين يدي المصلي، فقال ﷺ: "لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه، لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه" قال الراوي: لا أدري قال: أربعين يوماً، أو أربعين شهراً، أو أربعين سنة" فتبليغ الدعوة وتبيين أحكامها، من الأمور المنوطة بجملة العلماء من هذه الأمة، بحيث يجب عليهم ألا يكتموا شيئاً من أمر الشريعة، وأن يبلغوها للناس، ومن ثم يكون تبليغ الدعاة وحملة العلم أمور الشريعة إلى كل من لم تبلغه دون خوف أو وجل[٤]، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[٥].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من المرور بين يدي المصلي:

جاء ذلك في صريح قوله ﷺ "لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه". قال القاضي عياض: (وقوله: "لو يعلم المار بين

(١) فتح الوهاب ٩٣/١.

(٢) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش، ص ٢٦.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم، ٨٧٧/٣.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٩.

يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه..." أي لاختار وقوفه هذه المدة على ما عليه من الإثم، وذلك تغليظ وتشديد في النهي عن المرور بين يدي المصلي[١]. فإذا كان بين يدي المصلي سترة اختصَّ المار بالإثم وإن لم يكن المصلي في موضع لا يأمن من المرور عليه اشتركا في الإثم[٢]. قال ابن حجر: (يعني أن المار لو علم مقدار الإثم، الذي يلحقه من مروره بين يدي المصلي، لاختار أن يقف المدة المذكورة، حتى لا يلحقه ذلك الإثم، وظاهر الحديث يدل على منع المرور مطلقاً ولو لم يجد مسلكاً، بل يقف حتى يفرغ المصلي من صلاته)[٣]. ومعنى الحديث: (النهي الأكيد والوعيد الشديد في ذلك[٤] بل جاء الأمر للمصلِّي بمنع المار بين يديه. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلاَ يَدَعْ أَحَداً يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلْيَدْرَأْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ))[٥] قال العلماء في قوله "لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه" لم يذكر العقاب، وذلك زيادة في التنفير من ذلك لتذهب النفس في تقدير كل صنف من المكروهات المحذر منها كل مذهب[٦].

وكما نُهي غير المصلي عن المرور بين يدي المصلي، أمر المصلي أن يحول بين غيره وبين المرور بين يديه، فروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحداً يمر بين يديه وليدرأه ما استطاع فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان)) وفي رواية ((إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفع في نحره فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان))[٧].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢/٤٢١.

(٢) المفهم، القرطبي، ٢/١٠٦.

(٣) فتح الباري ١/٦٩٧، ٦٩٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ٣٩٧.

(٥) أخرجه مسلم ٥٠٥.

(٦) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٧٣٧.

(٧) أخرجه مسلم ٥٠٥.

قال القاضي عياض: (وقوله: "إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحداً يمر بين يديه": حمله العلماء على الإباحة للمصلي لمدافعته، والأمر برده لا على الوجوب. وقوله: فليدرأه ما استطاع: أي ليدفعه ويمنعه عن ذلك ولا يسامحه في المرور، وهو معنى قوله: "ما استطاع" وأجمعوا على أنه لا يلزمه مقاتلة بالسلاح ولا ما يؤدي إلى هلاكه، فإن درأه بما يجب فهلك من ذلك فلا قود عليه باتفاق، وهل فيه دية أو هو هدرٌ؟ فيه للعلماء قولان، وهما في مذهبنا أيضاً. وكذلك اتفقوا أن هذا كله لمن لم يعزر بصلاته واحتاط لها وصلى إلى سترة، أو في مكان يأمن المرور بين يديه، ويدل عليه قوله في حديث أبي سعيد هذا: "إذا صلى أحدكم إلى سترة" فإذا فعل هذا كان الإثم على المار، وإن كان إلى غير سترة أثما جميعاً، إلا أن يكون المصلي صلى على طريق الناس، حيث تدعوهم الضرورة إلى الاجتياز ولا يجدون مندوحة فيأثم هو دون المارين، إلا أن يكون المصلي صلى إلى غير سترة، حيث يأمن في الغالب ألا يمر بين يديه أحد، فلا إثم عليه على رأي بعضهم. وكذلك اتفقوا على أنه لا يجوز له المشي من مقامه إلى رده والعمل الكثير في مدافعته؛ لأن ذلك في صلاته أشد من مروره عليه، والذي أبيح له من هذا هو قدر ما تناله يده من مصلاه دون المشي إليه، وإعمال الخطى، وهذا حدٌّ في مقدار القرب من السترة لهذه الفائدة، وسنذكره بعد، وليكن رده هاهنا بالإشارة والتسبيح. وكذلك اتفقوا على أنه إن مر فلا يرده لأنه مرور ثانٍ، إلا شيءٌ روى عن بعض السلف في رده، وتأوله بعضهم على قول أشهب بِرَدِّه بالإشارة، وظاهر قول أشهب أنه في ابتداء المرور.

وقوله: "فإن أبى فليقاتله": أي إن أبى بالإشارة ولطيف المنع فليمانعه ويدافعه بيده عن المرور، ويعنف عليه في رده. قال أبو عمر: هذا اللفظ جاء على وجه التغليظ والمبالغة. وقال الباجي: يحتمل أن يكون بمعنى فليلعنه، فالمقاتلة بمعنى اللعن موجودة، كقول الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾[1]، قال: ويحتمل أن يكون بمعنى فليعنفه على فعله ذلك ويؤاخذه، وخرج من ذلك معنى المقاتلة المعلومة بالإجماع.

---

(١) سورة الذاريات، آية: ١٠.

وقوله: "فإنما هو شيطان" قيل: معناه: فإنما حمله على فعله ذلك وإبائه من الرجوع الشيطان، وقيل: فإنه يفعل فعل الشيطان، فإن معنى الشيطان بعيد من الخير، والائتمار للسنة، من قولهم: نويٌ شطون، أي بعيدة، ومنه سمي الشيطان لبعده من رحمة الله، فسماه شيطاناً لاتصافه بوصفه، كما يقال: فلان الأسد، أي يبطش ويقوى كبطشة الأسد وقوته، وقيل: المراد بالشيطان هنا قرين الإنسان اللازم له، كما قال في الرواية الأخرى: "فإن معه القرين"، ويكون هذا من معنى قوله في الحديث الآخر: "فإن الشيطان يحول بينكم وبينها"، فيكون على هذا يمنع الإنسان الجواز بين يدي المصلي من أجل الشيطان اللازم له، لكونه خبيثاً نجساً، ويكون الله تعالى يمنعه من التسلط على المشي أمام المصلي وقطع صلاته، إذا اجتهد العبد في الدنو من قبلته، وامتثل ما أمر به، ولم يجعل له سبيلاً إليه، بخلافه إذا لم يدن من السترة[1].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على الوقوف وعدم المرور بين يدي المصلي:

ذلك ما جاء في مفهوم الحديث في قوله ﷺ "لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه" وذلك إجلالاً للصلاة فهي لقاء بين العبد وربه فلا يجوز قطعه، وعدم الإفساد على المصلي خشوعه واستحضاره لعظمة ربه تبارك وتعالى، فإن التوجه في الصلاة، واستقبال القبلة التي أمر الله بها، أجمع للخاطر، وأحث على صفة الخشوع، وأقرب لحضور القلب[2].

إضافة إلى ما في وقوف الإنسان وسلوكه طريقاً آخر، وعدم مروره بين يدي المصلي، تعويد للإنسان على الالتزام والانضباط والنظام، ويعود أثر ذلك على شؤون الحياة جميعها، بما فيه خير الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة. إن من يتبع النظم في الإسلام ليجدها كلها دعوة وتدريب للمسلم على الالتزام بالنظم والقواعد المتبعة في كل شيء، ففي الصلاة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[3]

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢/٤١٩-٤٢١.

(٢) الأركان الأربعة، ابو الحسن الندوي، ص ٣٣، ٣٤.

(٣) سورة النساء، آية: ١٠٣.

وفي مجال الجهاد يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾[1]. وفي مجال النظم الاجتماعية والآداب الاجتماعية، جاء مثل قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[2].

---

(١) سورة الصف، آية: ٤.

(٢) سورة النور، آية: ٥٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالتنبيه والترهيب:

لقد نبه النبي ﷺ إلى عدم المرور بين يدي المصلي، ورّهب منه فقال ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ». قال الراوي: لاَ أَدْرِي قَالَ: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً؟.

فهذا الحديث يدل على أن المرور بين يدي المصلي في محل سجوده فيه إثم ووعيد، ولو عرف هذا المار ما عليه من الإثم لوقف أربعين سنة، ولو مر بعيدًا من مكان سجوده لا شيء عليه حسب مفهوم الحديث الذي ينص على مكان وضع يدي المصلي عند سجوده.

وعلى المصلي أن يضع ستره أمامه، حتى ينتبه المار فيحذر المرور أمامه لقوله ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ، فَأَرَادَ أحد أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلْيَدْفَعْه. فَإِنْ أَبَىٰ فَلْيُقَاتِلْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»[١].

فإن المرور في مكان سجود المصلي حرام، فيه إثم ووعيد إذا وضع أمامه سترة[٢].

فعلى المربي تنبيه وترهيب من يقوم بتربيتهم بخطورة المرور بين يدي المصلي، خاصة الناشئة منهم حتى يتجنبوا هذا الأمر ويحذروا إثمه.

ثانيًا- التربية على الأمانة في نقل العلم:

من أهداف التربية الإسلامية التربية على الأمانة في نقل العلم، وهذا واضح في قول راوي الحديث: لا أدري قال أربعين يومًا، أو أربعين شهرًا، أو أربعين سنة، فالمعلم أمين على ما استودع من العلوم، ولابد من أن يؤدي الأمانة التي تحملها كما هي، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣].

---

(١) أخرجه البخاري، ٥٠٩، ومسلم، ٥٠٥.

(٢) انظر: مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، محمد بن جميل زينو، ص١٠٩، ١١٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٧.

ويقول عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾(١). وقال رسول الله ﷺ: «لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ»(٢).

إن الأمانة توأم الصدق، وتتجلى الأمانة في تحري الصدق في القول والعمل وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾(٣).

ومن الأمانة، ألا ينسب المعلم لنفسه علمًا أو قولاً ليس من إنتاجه أو من تأليفه، وإنما يسند كل قول إلى قائله وكل علم إلى مصدره(٤).

وهذا ما يسمى الأمانة العلمية، وهي نسبة كل نظرية أو رأي أو فكر أو قول إلى مبدعه وقائله. كما هو، ومن الخيانة سرقة أفكار الآخرين وادعاؤها.

وقد شاعت هذه الظاهرة، كثيرًا حيث يتعدى بعض الناس على جهود غيرهم العلمية، وينسبونها إلى أنفسهم، وقد يلجؤون إلى بعض الحيل لإخفاء فعلتهم كإجراء بعض التعديلات على المادة العلمية بالحذف أو الإضافة أو بهما معًا، أو تغيير الصياغة والأسلوب تمويهًا وخداعًا، حتى لا ينكشف أمرهم.

وعلينا أن ندرك أن سرقة الأفكار أشد خطورة من سرقة الأشياء المادية كالذهب والمال. لأن السرقة الأولى تؤدي إلى فساد الحياة العلمية وإهدار جهود العلماء المخلصين. ومن ناحية أخرى يسهل الاستدلال على المسروق من الأشياء المادية أما معرفة ما سرق من الأفكار فقد يخفى في حالات كثيرة.

ومما يتصل بالأمانة ما يسمى بحقوق المؤلفين حيث يقدم بعض الخونة على سرقة المصنفات العلمية والفنية والأدبية من الأشرطة والأقراص والكتب وبيعها للناس بأبخس

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ١٣٥/٣، رقم ١٢٣٨٣، وقال محققو المسند حديث حسن ٣٧٦/٩.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٥.

(٤) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د/محمد صالح بن علي جان، ص١٢٥، ١٢٦.

الأثمان، وهذا يحرم المبدعون من ثمرة عطائهم، وقد يؤدي إلى فتور الحياة العلمية، وإحجام المفكرين والعلماء عن البذل والعطاء[1].

فعلى المربي تحري الأمانة العلمية في نقل العلم إلى المتربي وغرس هذه القيمة في نفسه والعمل على تنمية العمل بهذه الأمانة خاصة بين الصغار، حتى يشب الصغار على تحري الأمانة في أقوالهم وأفعالهم ونقولهم عن غيرهم.



(١) انظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق، ٩/٦٠، ٦١.

٣٤٤- باب كراهة شروع المأموم في نافلة بعد شروع المؤذن في إقامة الصلاة سواء كانت النافلة سنة تلك الصلاة أو غيرها

الحديث رقم (١٧٦١)

١٧٦١- عن أَبي هريرة ﵁، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: ((إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَلاَ صَلاَةَ إلاَّ المَكْتُوبَةَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتضمن قاعدة فقهية واضحة، وهي ليست اجتهاداً من فقيه، ولكنها صادرة من نبي هذه الأمة، وهي أن المسلم يجب أن يحرص على أداء الصلاة المكتوبة، ولا يجعل النوافل تطغى على الصلوات المفروضة، والبناء اللغوي للحديث يرشد إلى تحقق الصلاة المكتوبة حيث نُظم الحديث في جملة واحدة شرطية، وأداة الشرط "إذا"، وهي تفيد تحقق الجواب لتحقق الشرط، والجواب هنا: عدم صلاة النافلة وقت إقامة الصلاة المكتوبة، وهذا الجواب الواضح سيق في أسلوب يزيده جلاءً ورسوخاً؛ وهو أسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء في قوله: "فلا صلاة إلا المكتوبة"، وحُذف المنعوت: وهو الصلاة اكتفاءً بالنعت: لأنه يَحْمل الدلالتين: الصلاة، والفَرْض، والمكتوبة "اسم مفعول": أي التي كتبها الله أي فرضها ولابدّ من أدائها.

وهذا التحذير الصارم يرشد إلى أهمية الصلاة ودورها في حياة المسلم، فبالانصراف إلى الصلاة وجمْع النية عليها كما يقول الرافعي، يستشعر المسلم أنه قد

---

(١) برقم (٦٣/٧١٠).

حطمَّ الحدود الأرضية المحيطة بنفسه من الزمان والمكان، وخرج منها إلى روحانية لا يُحدُّ فيها إلا بالله وحده.

وبالقيام في الصلاة، يحقق المسلم لذاته معنى إفراغ الفكر السامي على الجسم كله، ليمتزج بجلال الكون ووقاره، وبالركوع والسجود بين يدي الله، يُشعر المسلم نفسه معنى السمو والرفعة على كل ما عدا البارئ الخالق من وجود الكون.

هي خمس صلوات، وهي كذلك خمس مرات، يفرغ فيها القلب مما امتلأ به من الدنيا، فما أدق وأبدع وأصدق قوله ﷺ: جعلت قرة عيني في الصلاة.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على: حكم التنفل عند إقامة صلاة الفريضة: التنفل عند الشروع في الإقامة منهي عنه كما في حديث الباب، ولعل الحكمة من النهي عن التنفل في هذه الحالة، هو التفرغ لأداء الفريضة من أولها، والمحافظة على إتمامها مع الإمام.

وكذلك الحرص على جمع القلوب، والبعد عما يؤدي إلى الخلاف على الأئمة، والطعن فيهم[١].

وقد اختلف الفقهاء في حكم التنفل حال إقامة الصلاة الحاضرة على أربعة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الشافعية[٢]، والحنابلة[٣]، ويرون أن التنفل في هذه الحالة مكروه، لأن المراد بالنفي في الحديث النهي، وهو محمول على الكراهة، أو النفي باق على حقيقته، والمراد به نفي الكمال.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الظاهرية[٤]، ويرون أن التنفل في هذه الحالة حرام، لا فرق في ذلك بين ركعتي الفجر، وغيرهما، ولو خارج المسجد، حملاً للنفي في الحديث على نهي التحريم.

---

(١) الدين الخالص للسبكي ٣٥/٢.

(٢) مختصر المزني ٢١، المجموع للنووي ٢٥٥/٣، فتح الوهاب ٨٦/١.

(٣) الشرح الكبير على متن المقنع ٨/٢.

(٤) المحلى لابن حزم ٢٢٩/٤.

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الحنفية[1]، ويرون أنه لا بأس بصلاة سنة الصبح خارج المسجد، أو فيه، والإمام في الفريضة إذا تيقن إدراك الركعة الأخيرة مع الإمام.

واستدلوا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلاَ صَلاَةَ إِلاَّ الْمَكْتُوبَةُ، إلاَ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ))[2].

الرأي الرابع: وهو ما ذهب إليه المالكية[3]، ويرون أداءها خارج المسجد إذا لم يخف فوات الركعة الأولى مع الإمام، وإلا تركها، ودخل معه.

الراجح: والراجح والله أعلم ما ذهب إليه الجمهور لورود النهي عن ذلك، وترك التنفل عند إقامة الصلاة أقرب إلى اتباع السنة، ويتأيد ذلك من حيث المعنى بأن قوله في الإقامة: "حي على الصلاة" معناه: هلموا إلى الصلاة التي يقام لها، فأسعد الناس بامتثال هذا الأمر من لا يتشاغل عنه بغيره[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة الفريضة وتقديمها على النافلة والحفاظ على إدراك تكبيرة الإحرام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية الاستجابة لأوامر النبي ﷺ بعدم الشروع في النافلة عند إقامة الصلاة أو قرب إقامتها.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: النهي.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة الفريضة وتقديمها على النافلة والحفاظ على إدراك تكبيرة الإحرام:

جاء ذلك في صريح الحديث في قوله ﷺ إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة". قال القاضي عياض: (قوله: "إذا أقيمت الصلاةُ فلا صلاة إلا المكتوبة": أخذ

---

(١) الدر المختار للحصكفي ١/٤٠٧.

(٢) أخرجه البيهقي ٢/٤٨٣، وقال البيهقي: وهذه الزيادة لا أصل لها.

(٣) مواهب الجليل ٢/٤٠٧.

(٤) انظر: الدين الخالص ٢/٤٠.

قوم بظاهر هذا الحديث، وهو قول أبي هريرة، وروي عن عمر أنه كان يضرب على صلاة الركعتين بعد الإقامة، وإليه ذهب بعض الظاهرية، رأوا أنه يقطع صلاته إذا أقيمت عليه الصلاة وكلهم يقولون: لا يبتدئ نافلةً بعد الإقامة لنهيه ﷺ المتقدم. وذهب مالك إلى أنه إذا أقيمت عليه وهو في نافلة، فإن كان ممن يخفف ويقيمها بقراءة أم القرآن وحدها قبل أن يركع الإمام، أتمها، وإلا قطع، وذهب بعض أصحابنا على أنه يتمها.

واختلفوا في صلاة ركعتي الفجر إذا أقيمت الصبح، فذهب جمهور السلف والعلماء إلى أنه لا يصليها في المسجد، ثم اختلفوا: هل يخرج لها ويصلي خارجه أم لا؟ وهو قول جماعة من السلف جملة، ويدخل في المكتوبة، وهو قول مالك والشافعي وأحمد والطبري إذا أقيمت عليه وقد دخل المسجد، وقول ابن سيرين: متى أقيمت عليه، دون تفصيل.

واختلف من أباح له الخروج لصلاتها، هل ذلك ما لم يخش فوات الركعة الأولى، فإذا خشيها دخل مع الإمام ولم يخرج؟ وهذا قول مالك والثوري: إذا أقيمت قبل أن يدخل المسجد، وقيل: بل إنما يُراعى فواتُ الآخرة. قد روي هذا أيضاً عن مالك، أن يصليها وإن فاتته صلاة الإمام إذا كان الوقت واسعاً، قاله ابن الجلاب وذهبت طائفة من السلف والفقهاء إلى انه يُصليها في المسجد والإمام يصلي، وروي هذا عن ابن مسعود.

ثم اختلف هؤلاء: هل يركعهما في المسجد ما لم يخش فوات الركعة الأولى، فإن خشيها دخل مع الإمام؟ وهذا قول الثوري، وقيل: يركعهما ما لم يخش فوات الركعة الثانية، وهو قول الأوزاعي وأبي حنيفة وأصحابه، وقد حكى عن أبي حنيفة أنه يركعهما عند باب المسجد[١].

قال النووي: (فيه النهي الصريح عن افتتاح نافلة بعد إقامة الصلاة، سواء كانت راتبة كسنة الصبح والظهر والعصر أو غيرها، وهذا مذهب الشافعي والجمهور)[٢]

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٣/٣، ٤٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤٩٥.

وكذا قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: (والحديث يدل على أنه لا يجوز الشروع في النافلة عند إقامة الصلاة من غير فرق بين ركعتي الفجر وغيرهما)[(١)].

وقال ابن عثيمين: (قوله: "إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة" يعني أنه إذا أقيمت الصلاة؛ فإنه لا يشرع المأموم في نافلة، سواء كانت هذه النافلة تحية مسجد أو تطوعاً مطلقاً، أو راتبةً تلك الصلاة، مثل: أن تحضر لصلاة الفجر وتقام الصلاة، فلا يجوز أن تصلي سنة الفجر؛ لأنه أقيمت الصلاة، ودليل ذلك: حديث أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: "إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة" فقوله: "لا صلاة" عام، يشمل أي صلاة كانت، حتى لو كان على الإنسان فريضة فائتة، نسيها ولم يذكرها إلا حين أقيمت الصلاة؛ فإنه لا يصليها، ولكن يدخل مع الإمام بنية تلك الفريضة التي فاتته ولا ينفرد عن الناس، فمثلاً إذا أقيمت صلاة العصر، ودخلت المسجد وأنت لم تصل الظهر، فلا تصل الظهر؛ لأنه أقيمت صلاة العصر، لكن ادخل معهم بنية الظهر، ثم إذا فرغت من صلاتك فصلِّ العصر؛ ولكن إذا أقيمت وأنت شرعت في النافلة، فهل تكملها أو تخرج منها. في هذا للعلماء قولان: القول الأول: إنه إذا أقيمت الصلاة وأنت قد شرعت في النافلة فاقطعها ولا تكملها مطلقاً.

والقول الثاني: كملها ولو فاتتك ركعة، أو ركعتان، أو كل الصلاة، إلا مقدار تكبيرة الإحرام قبل السلام.

والصحيح أن نقول: إذا أقيمت الصلاة وأنت في نافلة، فإن كنت في الركعة الأولى فاقطعها، وإن كنت في الركعة الثانية فأتمها خفيفة، وهذا هو الصحيح الذي يمكن أن تجتمع عليه الأدلة)[(٢)].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية الاستجابة لأوامر النبي ﷺ بعدم الشروع في النافلة عند إقامة الصلاة أو قرب إقامتها:

وذلك ما وردت الإشارة إليه في الحديث، فقال ﷺ "إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧١٦/١.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٨٠٣/٢، ١٨٠٤.

إلا المكتوبة" قال ابن علان: (واقتضى قوله فلا صلاة إلا المكتوبة أنه يكره التطوع عند إقامة جماعة، فإن أقيمت المكتوبة وهو في النافلة قطعها استحباباً إن خشي فوت الجماعة، والحكمة في النهي عن صلاة النافلة بعد الإقامة أن يتفرغ للفريضة من أولها، فيشرع فيها عقب شروع إمامه، وإذا اشتغل بنافلة فاتته تكبيرة الإحرام مع الإمام، وفاته بعض مكملات الفريضة، والفريضة أولى بالمحافظة على إكمالها، قال القاضي: وفيه حكمة أخرى هي النهي عن الاختلاف على الأئمة، وهاتان الحكمتان أولى ما قيل[١] وما من شك في أن رسول الله ﷺ يريد لأمته حصول أولى الفضائل وأرفع الدرجات وأعلى المنازل كما جاء في الحديث من تقديم الفريضة على النافلة، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾[٢] ففي الآية بيان أن حق المؤمنين الكُمَّل أن يخافوا الله ويطيعوه ويمتثلوا أمره، وأعقب ذلك بالأمر بالاستجابة للرسول ﷺ، ففي طاعته إحياء للنفوس، فقوله "لما يحييكم" أي دعاكم لأجل ما هو سبب حياتكم الروحية، والإحياء هذا مستعار لما يشبه إحياء الميت، وهو إعطاء الإنسان ما به كمال الإنسان، فيعم كل ما به ذلك الكمال من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح، والخلق الكريم، والدلالة على الأعمال الصالحة، وإصلاح الفرد والمجتمع، وما يتقوم به ذلك من الخلال الشريفة العظيمة[٣].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد أسلوب النهي في الحديث في صريح قوله ﷺ "إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة" وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية البارزة المفيدة، لما فيها من بيان المخالفات الشرعية ونهي المدعوين عنها، وقد تكرر أسلوب النهي في كثير من آيات القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾[٤] وقوله

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان، ١٧٣٨.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٣١٣/٩/٤.

(٤) سورة المائدة، آية: ٩٥.

تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾[1].

والأصل في النهي أنه وضع للمنع، إلا أن صيغ النهي تستعمل في معانٍ أخرى منها:

أ- الكراهة كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[2].

ب- الدعاء، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[3].

ج- الإرشاد، كقوله تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[4].

د- التحقير لشأن المنهي عنه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[5].

هـ- اليأس، كقوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾[6].

و- بيان العاقبة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[7][8].

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٨.

(٤) سورة المائدة، آية: ١٠١.

(٥) سورة طه، آية: ١٣١.

(٦) سورة التحريم، آية: ٧.

(٧) سورة إبراهيم، آية: ٤٢.

(٨) الموسوعة الفقهية ٤١/٤٠٦، ٤٠٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على العناية بالفرائض:

الفرائض هي الأساس والأصل، وأعظم ما يُتقربُ به إلى الله تبارك وتعالى كما أخبرنا بذلك ﷺ فقال فيما يرويه عن ربه: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ»[1].

ومن الأمور التي ينبغي أن يعني بها المربي: الحرص على غرس تعظيم الفرائض والاعتناء بها ورعايتها لدى من يربيهم، وضرورة تقديمها على النوافل والتطوعات[2].

من أجل ذلك وضع النووي عنوان الباب: باب كراهية شروع المأموم في نافلة بعد شروع المؤذن إقامة الصلاة سواء كانت النافلة سنة تلك الصلاة أو غيرها.

وذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَلاَ صَلاَةَ إِلاَّ الْمَكْتُوبَةُ».

وهذا يدل على العناية بالصلاة المفروضة، وتقديمها على النافلة، واهتمام المربي بالفرائض والاعتناء بها لا ينبغي أن يقف عند مجرد تأكيد الإتيان بها وفعلها، بل الاعتناء بأدائها وإقامتها على الوجه الأكمل وإتقانها وإحسانها، واتباع سنة النبي ﷺ فيها.

ومن ذلك: الاعتناء بتعليم المتربين أحكامها، والسعي لإتقانهم ما يتوقف عليه صحة الفرائض وبطلانها، ثم الاعتناء بتعليم آدابها وسننها وهدي الرسول ﷺ فيها[3].

ثانيًا: التربية على ترتيب الأولويات:

إن مصالح الدنيا والآخرة متفاوتة في الأهمية، فمنها الراجح ومنها المرجوح، قال العز بن عبدالسلام: "وتقديم المصالح الراجحة على المصالح المرجوحة محمود حسن،

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٥٠٢.

(٢) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش، ص٦٠.

(٣) المرجع السابق، ص٦٠.

ودر المفاسد الراجحة على المفاسد المرجوحة محمود حسن، اتفق الحكماء على ذلك"[١].

والتربية الإسلامية تهدف إلى تربية المسلم على ترتيب الأولويات في حياته بصفة عامة وفي عباداته بصفة خاصة.

فينبغي للمؤمن تحديد الأولويات، عندما تكثر الأعمال وتتطلب أكثر من الوقت المتاح لديه، يجب تقييم كل عمل لمعرفة ماذا يقوم به، وما يترك، حتى لا يترك الأهم ليقوم بما هو أقل منه أهمية[٢].

وينبغي للمؤمن أن ينظم وقته بين الواجبات والأعمال المختلفة دينية كانت أو دنيوية، حتى لا يطغي بعضها على بعض، ولا يطغي غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا غير الموقوت على الموقوت، فما كان مطلوبًا بصفة عاجلة يجب أن يبادر به ويؤخر ما ليس له صفة العجلة، وما كان له وقت محدد يجب أن يعمل في وقته[٣].

لذا يجب على المسلم أن يُعني عناية تامة بالصلاة المكتوبة، ولا تشغله النوافل ولا ما دونها عن أداء المكتوبة، وهذا ما يؤصل في نفس المؤمن مسألة ترتيب الأولويات سواء في أمور العبادات أم في غيرها.



(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، ط٢،دار الجبل، بيروت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠، ص١/٥.

(٢) انظر: إدارة الوقت، د. محمد أمين شحادة، ص٢٣٧٣، ٣٧٥.

(٣) الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي، ص١٨، ١٩.

٣٤٥- باب كراهة تخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلته بصلاة من بين الليالي

الحديث رقم (١٧٦٢)

١٧٦٢- عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((لا تَخُصُّوا لَيْلَةَ الجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلاَ تَخُصُّوا يَومَ الجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الأَيَّامِ، إلاَّ أنْ يَكُونَ فِي صَومٍ يَصُومُهُ أحَدُكُمْ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن صلاة الجمعة تتويج لطاعة المسلم في أسبوع كامل من العبادة، وهي تُؤدَّى في جماعة وحيث يلتئم شمل المسلمين، وقد سَعَوْا إلى ذكر الله، وتركوا البيع، وأصغوا لما في الخطبة من مواعظ ودروس.

هذا اليوم الكريم الذي خصه الله بساعة يستجاب فيها الدعاء، لا يخصه المسلم بقيام أو صيام دون غيره من سائر الأيام: وهذا التوجيه النبوي الذي أشرق في هذا الحديث جاء في أسلوب صريح مباشر وهو "النهي" الموجه إلى جموع الأمة الإسلامية في كل زمان ومكان، ويتضمن الحديث ثلاث جمل منها اثنتان تبدآن بحرف النهي "لا" وبعده "الفعل المضارع"، والتعبير موحد في بدء الجملتين "لا تخصوا"، وهذا التكرار لمزيد من التأكيد والتذكير بعدم الابتداع في القربات والطاعات والنوافل، ومن الظواهر الأسلوبية التي تكشف عن قيمة البلاغة النبوية: هذا الطباق في قوله: ليلة الجمعة، ويوم الجمعة: فالجمع بين الضدين هنا ليس للتناقض، ولكنه للتكامل

---

(١) برقم (١١٤٤/١٤٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٤٨).

والعموم والشمول، فالجمعة زمن متكامل يجمع بين الليلة واليوم، وهذه إشارة إلى أن عقب غروب الشمس ينتهي اليوم ويبدأ يوم جديد، وكرّر لفظ الجمعة، ولم يكتف بالضمير في التعبير لزيادة الإيضاح، ولتكريم هذا اللفظ "العَلَم" على ذلك اليوم، فله أفضليته في الإسلام.

ومن أسرار الجمال التعبيري: تقديم قوله: "بصيام"على من بين الأيام، والتقديم هنا يفيد التفنن في التعبير، والتنوع في طريقة تقديم المعنى، ففي الجملة السابقة: قدم القيام على : من بين الليالي، وكذلك في هذه الجملة، ولكن في سياق الصوم ذكر "اليوم"، لأن الصيام لا يكون إلا نهاراً، وفي سياق "القيام" ذكر "الليل"، لأن مصطلح القيام مرتبط بالصلاة في الليل، وهذا من أثر الإسلام في تجديد اللغة.

والجملة الثالثة: متفرعة عن الجملة الثانية، فهي: مستثنى من النهي الوارد بشأن صوم الجمعة فقال: إلا أن يكون في صومٍ يصومه أحدكم، والله أعلم.

فقه الحديث

تشتمل هذه الأحاديث على الأحكام الآتية:

١- كراهة إفراد ليلة الجمعة بقيام[1]، أما إذا كان هذا القيام يوافق قياماً كان يقومه، كأن كان يقوم ليلة، وينام ليلة أخرى، فوافق قيامه ليلة الجمعة فلا كراهة.

٢- حكم صوم يوم الجمعة: اختلف الفقهاء في حكم صوم يوم الجمعة على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من الشافعية[2]، والحنابلة، وإسحاق، وابن المنذر[3]، ويرون أن صوم يوم الجمعة مكروه، إلا أن يصوم يوماً قبله، أو يوماً بعده، وإلا أن يوافق صوماً كان يصومه، كما لو كان يصوم يوماً، ويفطر يوماً،

---

(١) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٤٢٦/١، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢٧١/١، والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ١١٧/١، المبدع ٥٤/٣، الفروع ٩١/٣.

(٢) المجموع ٤٣٨/٦، ومغني المحتاج ٥١٥/١.

(٣) المجموع ٤٣٨/٦.

فوافق صومه يوم الجمعة، أو أن تكون عادته صوم أول يوم من الشهر، أو آخر يوم، أو نحو ذلك، فيوافق ذلك يوم جمعة فحينئذ فلا كراهة.

واستدلوا بأحاديث الباب، بيد أنهم حملوا النهي على الكراهة.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الظاهرية[1]، ويرون أن صوم يوم الجمعة حرام، إلا أن يصوم يوماً قبله، ويوماً بعده، بل حتى لو نذر صيامه كان نذره باطلاً، ولو كان إنسان يصوم يوماً ويفطر يوماً، فجاء صومه في الجمعة فليصمه.

واستدل بأحاديث الباب التي تنهى عن صوم يوم الجمعة، إلا أن يصوم يوماً قبله، أو يوماً بعده، غير أنه حمل النهي على ظاهره وهو التحريم.

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة[2]، والمالكية[3]، ويرون جواز صوم يوم الجمعة مطلقاً، سواء أصام يوماً قبله، أو يوماً بعده، أم لا.

واستدل أصحاب هذا الرأي بحديث ابن مسعود أن النبي ﷺ كان يصوم ثلاثة أيام من غرة كل شهر، وقلما كان يفطر يوم الجمعة[4].

وقال مالك في الموطأ: (لم أسمع أحداً من أهل العلم والفقه ومن يقتدي به ينهى عن صيام الجمعة، وصيامه حسن)[5].

ويبدو أن الإمام مالكاً معذور في قوله هذا، إذ لم تبلغه الأحاديث التي تنهى إفراد صوم يوم الجمعة، قال الداودي من أصحاب مالك: لم يبلغ مالكاً حديث النهي، ولو بلغه لم يخالفه[6].

---

(١) المحلى ٢٠/٧.

(٢) تحفة الفقهاء ٣٤٤/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٧٩/٢، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٣٥١/٢.

(٣) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد محمد بن رشيد القرطبي ٢٤٨/١، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٤٤٣/٢.

(٤) أخرجه أحمد ٤٠٦/١ رقم ٣٨٦٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٤٠٧/٦.

(٥) الموطأ ٣١١/١، دار إحياء التراث العربي.

(٦) المجموع للنووي ٤٣٩/٦.

والراجح: والله أعلم هو ما ذهب إليه أصحاب الرأي الأول القائلين بالكراهة.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن تخصيص ليلة الجمعة بقيام مخصوص، أو صيام يومها من بين الأيام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: التيسير في صيام يوم الجمعة إذا كان في صيام يصومه الإنسان، أو صيام يوم قبله أو بعده.

ثالثاً: من آداب المدعو: الامتثال لسنة النبي ﷺ والبعد عن المخالفة.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما نهى النبي ﷺ.

خامساً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن تخصيص ليلة الجمعة بقيام مخصوص، أو صيام يومها من بين الأيام:

جاء التصريح بذلك في قوله ﷺ "لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام" وما روي عن محمد بن عباد قال: سألت جابراً رضي الله عنه أنهى النبي ﷺ عن صوم يوم الجمعة؟ قال نعم"[2] قال القاضي عياض: قال المهلب: (ووجه نهي رسول الله ﷺ عن صيام يوم الجمعة وإفراده بذلك خشية أن يستمر عليه فيفرض، أو خشية أن يلتزم الناس من تعظيمه ما التزمه اليهود والنصارى في سبتهم وأَحَدِهم من ترك العمل، وقال الداودي في كتاب النصيحة ما معناه: إن النهي إنما هو عن تحريه واختصاصه دون غيره، وأنه متى صام مع صومه يوماً غيره فقد خرج عن النهي[3]. وقال القرطبي: (ومقصود هذا الحديث ألا يخصَّ يوم الجمعة بصوم يعتقد وجوبه، أو لئلا يلتزم الناس من تعظيمه ما التزمه اليهود في سبتهم من تركهم الأعمال

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٦٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٦٣، ١٧٦٤، ١٧٦٥).

(٢) أخرجه البخاري ١٩٨٤.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٩٧/٤.

كلها يُعظِّمونه بذلك)[١].

قال النووي: (قال العلماء: والحكمة في النهي عن الصيام يوم الجمعة، أنه يوم دعاء وذكر وعبادة، من الغسل، والتبكير إلى الصلاة وانتظارها، واستماع الخطبة وإكثار الذكر بعدها، لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢] وغير ذلك من العبادات في يومها، فاستحب الفطر فيه، فيكون أعون له على هذه الوظائف وأدائها بنشاط وانشراح لها والتذاذ بها، من غير ملل ولا سآمة، وهو نظير الحاج يوم عرفة بعرفة فإن السنة له الفطر، وقيل سبب النهي عن تخصيص يوم الجمعة بالصيام خوف المبالغة في تعظيمه، بحيث يفتتن به كما افتتن قوم بالسبت، كما جاء في الحديث النهي الصريح عن تخصيص ليلة الجمعة بصلاة من بين الليالي، وهذا متفق على كراهيته، واحتج به العلماء على كراهة هذه الصلاة المبتدعة، التي تسمى الرغائب قَاتَلَ الله واضعها ومخترعها، فإنها بدعة منكرة من البدع التي هي ضلالة وجهالة وفيها منكرات ظاهرة، وقد صنف جماعة من الأئمة مصنفات نفيسة في تقبيحها، وتضليل مصليها ومبتدعها، ودلائل قبحها وبطلانها، وتضلل فاعلها أكثر من أن تحصر)[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: التيسير في صيام يوم الجمعة إذا كان في صيام يصومه الإنسان، أو صيام يوم قبله أو بعده:

جاء ذلك في صريح قوله ﷺ "ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم" إذ أن يوم الجمعة عيد المسلمين الأسبوعي يتفرغون فيه للعبادة، ويحتفلون بشهي الطعام ولذيذ الشراب، أما إذا كان صومه متصلاً بصوم قبله أو بعده، أو صادف يوماً من الأيام التي يستحب فيها الصوم كيوم عاشوراء وعرفة

---

(١) المفهم ٣/٢٠١.

(٢) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم ٧٠٨.

ونحوهما فلا بأس بذلك[١] أو أن يصوم يوماً قبله أو يوماً بعد فلا بأس في ذلك[٢] وذلك من ألوان التيسير في الشريعة الإسلامية المبنية على اليسر ورفع الحرج، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٣]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٤] فذلك من مظاهر التيسير ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية[٥].

ثالثاً- من آداب المدعو: الامتثال لسنة النبي ﷺ والبعد عن المخالفة:

من صور هذا الامتثال ما جاء في الأحاديث من نهي عن إفراد يوم الجمعة بصيام أو تخصيص ليلته بقيام "لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم" وقال "لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا يوماً قبله أو بعده" وقد أمرنا الله بطاعة وامتثال أوامره ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٦] أي مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر[٧]. وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٨] والتأسي بالنبي ﷺ هو أن نفعل مثلما فعل على الوجه الذي فعله، من وجوب أو ندب، وأن نترك ما تركه، أو نهى عنه من محرم أو مكروه، كما يشمل التأسي به التأدب بآدابه والتخلق بأخلاقه ﷺ، وعلى ذلك

---

(١) العبادات في الإسلام، د. محمد عبده، ص ٢٨٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ١٨٠٤/٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٤) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٥) انظر: مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام، ص ١٢.

(٦) سورة الحشر، آية: ٧.

(٧) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٦٧/٨.

(٨) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

فالتأسي والاقتداء شامل لكافة أمور الدين[1]. قال ابن القيم: (وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[2].

وقد أمرنا الله تعالى بالاستجابة للرسول ﷺ والامتثال لأوامره، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[3].

وهذه الطاعة وذلك الامتثال ليس كلمات جوفاء، وإنما هي تطبيق عملي لما يرد عن رسول الله ﷺ، فالاستجابة الحقيقية هي التي تحمل صاحبها على الطاعة والإتيان بمراد القول. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[4]. وحذرنا الله تعالى من التسويف في الاستجابة، وإنما ينبغي أن يؤتى بالفعل بمجرد علم الإنسان به، ولذا جاء التعبير بـ "إذا" في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[5].

إن الاستجابة لله وللرسول ﷺ سبب للرحمة، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ

---

(١) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ص ١٢٤.

(٢) زاد المعاد من هدي خير العباد، الإمام ابن القيم، ٦٩/١، ٧٠.

(٣) سورة المائدة، آية: ٩٢.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢٠، ٢١.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما نهى النبي ﷺ:

جاء ذلك واضحاً فيما روى عن محمد بن عباد أنه قال سألت جابراً رضي الله عنه أنهى النبي ﷺ عن صوم يوم الجمعة؟ قال: نعم. ولقد كان الصحابة والسلف الصالح يسألون عن ما كان يعنُّ لهم في شؤون الدين، حتى يعبدوا الله على بصيرة وبينة من أمرهم، وذلك أن الأصل في المسلم أن يسأل عما لا يعلم وأن يستوثق مما يعلم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] فذلك إيجاب على طلاب العلم والمعرفة أن يسألوا ويستوضحوا حتى يكونوا على بينة من أمر دينهم[3].

خامساً- من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

ضرب النبي ﷺ للدعاة في ذلك الأنموذج التطبيقي المثل الحي في مدى ما ينبغي أن يراعيه الداعية من تفقد لأحوال المدعوين، فعن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها "أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة، فقال أصمت أمس؟ قالت لا، قال تريدين أن تصومي غداً، قالت: لا، قال فأفطري"[4] لقد كان النبي ﷺ دائم التفقد لأحوال الصحابة لا لتجسس ونحوه، وإنما تقييماً وتقويماً لأعمالهم، وإرشاداً إلى الخير وتحذيراً مما سواه، وذلك في جميع المجالات، فمثلاً في المجال الاجتماعي ملاحظته ﷺ بعض الأخطاء التي تقع في الطرقات وتقويمها، روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إياكم والجلوس في الطرقات فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال رسول الله ﷺ فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر وكف الأذى ورد

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧١.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٣) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ص ١٧، ١٨.

(٤) أخرجه البخاري ١٩٨٦.

السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر))[١].

ومن ملاحظاته ﷺ في تأديب الصغار ما روي عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: ((كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ: يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك))[٢].

وفي إرشاده للكبار، روي عن عبدالله بن عامر رضي الله عنه قال: ((دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطك، فقال رسول الله ﷺ ما أردت أن تعطيه قالت: أردت أن أعطيه تمراً فقال لها رسول الله أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة))[٣].

تلكم بعض النماذج من مراقبة النبي ﷺ لأبناء المجتمع الذي يقوم على هدايته وإصلاحه، وهي نماذج حية واقعية تؤكد حرص الرسول ﷺ في تربية الناس ومعالجة أمورهم، وإصلاح أحوالهم، والرفع من مستواهم[٤].

ولقد سار الصحابة من بعده ﷺ والسلف الصالح على نفس الدرب من تفقد لأحوال الناس والمدعوين، ومن النصوص الدالة على ذلك ما جاء في صحيح مسلم، ((أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَنَادَاهُ عُمَرُ أَيَّةُ سَاعَةٍ هذِهِ؟ فَقَالَ: إِنِّي شُغِلْتُ الْيَوْمَ. فَلَمْ أَنْقَلِبْ إِلَىٰ أَهْلِي حَتَّىٰ سَمِعْتُ النِّدَاءَ...))[٥].

قال النووي: (فيه تفقد الإمام رعيته، وأمرهم بمصالح دينهم، والإنكار على مخالف السنة وإن كان كبير القدر[٦] فمن شأن الدعوة أن تجعل صاحبها ذا حركة دائبة، لا يكف عن الدعوة، ولا يخمد عن العمل، يزور هذا ويدعو ذاك، ويتحدث إلى

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٢٩، ومسلم ٢١٢١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٩٠.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٩٩١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٤١٧٦).

(٤) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٣٠-٧٣٢.

(٥) أخرجه مسلم ٨٤٥.

(٦) شرح صحيح مسلم ٥٥٦.

آخـر ويتحـدث إلى كـل مـن يقابلـه، فالداعيـة إلى الله لا يخلـد إلى راحـة ولا يـركـن إلى دعة، فراحته في تعبه، وسعادته في دعوته)[1].

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ص ٢٥٤.

الحديث رقم (١٧٦٣)

١٧٦٣- وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: ((لاَ يَصُومَنَّ احَدُكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ إلاَّ يَوماً قَبْلَهُ أوْ بَعْدَهُ)) متفق عَلَيْهِ(١).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن أشعة هذا الحديث تتصل بما في الحديث السابق من إشراقات التوجيه النبوي الراشد، وهالات التعاليم المشعة بالسنة المباركة، فالراوي هو أبو هريرة رضي الله عنه في الحديثين، وهذا الحديث يبدأ بالنهي مع الفعل المضارع المؤكد بنون التوكيد الثقيلة، "لا يصومنّ أحدكم"، وبعد قليل من تأمل الأسلوب في الحديثين ندرك أن النهي في الحديث السابق موجه إلى الجماعة حيث يقول: "لا تخصوا" مرتين: أما في هذا الحديث فإن النهي موجه إلى "المفرد": "لا يصومنَّ أحدكم"، ولكن هذا النهي الفردي يتضمن نهياً جماعياً وقوله: "أحدكم"، يفصح عن ذلك حيث أضيف لفظ "أحد" إلى أداة الخطاب "كم" الدالة على الجمع، والمعنى: لا يصومن أي أحد منكم، ولذلك فلا تناقض بين الحديثين، ونهاية الحديث هنا تتفق مع نهاية الحديث السابق، وهو جملة الاستثناء، حيث يجوز أن يصوم المسلم يوم الجمعة إذا كان نَذْراً أو كان مرتبطاً بصيام قبله أو بعده.

وقيل في تعليل النهي عن صيام يوم الجمعة: وقيام: ليلتها، هو: التحذير من تقليد اليهود والنصارى، لأنهم يخصون السبت والأحد بالصيام، وليلتهما بالقيام، زاعمين أنهما أعز أيام الأسبوع، فاستحب أن نخالفهم في طريق تعظيم ما هو أعز الأيام، وهو يوم الجمعة(٢).

المضامين الدعوية(٣)

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨٥) واللفظ له، ومسلم (١١٤٤/١٤٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٤٩).

(٢) دليل الفالحين، ١٧٣٩.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧٦٤)

١٧٦٤- وعن محمد بن عَبَّادٍ، قَالَ: سَأَلْتُ جَابِراً ﵁: أنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ صَوْمِ الجُمُعَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. متفق عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

ما زالت إشعاعات الحديثين السابقين تتوهج وتضيء آفاق المعنى، وترشد كل من يطلب الرشد والهداية ومعرفة موقف رسول الله ﷺ من صوم يوم الجمعة، وهذا الحديث ما هو إلا هالة من هالات الهَدْي النبوي، وهي تتشكل في هيئة سؤال وجواب من خلال هذه المحاورة الصادقة بين تابعي وصحابى، حيث يتوجه محمد بن عباد، وهو ثقه من أوساط التابعين: بالسؤال إلى "الصحابي الجليل جابر ﵁"، يريد الوقوف على الحكم الصحيح، فقال مستفسرًا: وليس مستغرباً، وليس مستنكراً، ولكنه يريد المعرفة، قال: أنَهَى النبي ﷺ عن صوم يوم الجمعة؟ فأجاب جابر: "نعم"، وفي ما قال جابر ﵁ اختصار وبلاغة: لأن السائل ليس متردداً، وليس شاكاً، وليس منكراً، ولا يحتاج إلى مزيد من التوضيح والإقناع والتوكيد، وقوله: "نعم": فيه إقناع وإرشاد، والتقدير نعم نهى رسول الله ﷺ عن صوم الجمعة، وقال العلماء: حمل النهي على التنزيه لعدم وجود سبب الحرمة فيه. والله أعلم.

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨٤) واللفظ له، ومسلم (١١٤٣/١٤٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٥١).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٦٢).

الحديث رقم (١٧٦٥)

١٧٦٥- وعن أُمِّ المُؤمِنِينَ جويرية بنت الحارث رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ وهِيَ صَائِمَةٌ، فَقَالَ: ((اصُمْتِ أمْسِ؟)) قالت: لا، قَالَ: ((تُرِيدِينَ أنْ تَصُومِي غَداً؟)) قالتْ: لاَ. قَالَ: ((فَأَفْطِرِي)). رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

جويرية بنت الحارث: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (١٤٣٥).

الشرح الأدبي

ما أصدق هذا الحوار، وما أجمله... وهو حوار بين رسول الله ﷺ وزوجه أم المؤمنين: جويرية بنت الحارث رضي الله عنها: والحوار هو مَصْدر ذلك النور المتوهج في أحاديث هذا الباب: حيث نبصر هذا المشهد الواقعي، وهذا الشاهد العملي على "كراهية تخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلته بصلاة".. وهذا عنوان الباب، وقد بُدئ بالنهي الصريح "لا تخصوا"، وختم بذلك الحوار الهادئ المقنع الذي يعد الاقتداء به من أمثل الطرق وأنجعها في إنجاح الدعوة، وترغيب الناس في الإقبال على الإسلام.

ويبدأ الحديث بتأكيد الخبر، في قول أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة، ولنتأمل حكمة المصطفى ﷺ وطريقته في الإقناع، والتدرج في الحوار: حيث لم يصدر أمره المباشر بعدم الصوم، ولكن قال في مودة وسكينة، "أصُمْتِ أمس"، فتجيب في هدوء ويقين: لا، أي لا: لم أصم أمس، ويستمر التساؤل التدرجي المرغب، حيث قال: أتريدين أن تصومي غداً: قالت: لا.

وبعد هذا الحوار المشحون بالإيقاع الهادئ، والمودة واللطف والرحمة، والمحصّن بالاستمالة والإقناع، أصدر رسول الله ﷺ أمره في يُسْر -وهو يشهد آثار الاقتناع،

(١) برقم (١٩٨٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٥٠).

وجو المودة، وحسن الاستماع- يقول لها رسول الله ﷺ: فأفطري: والفاء للإفصاح، وتومئ إلى المحذوف للإيجاز، والتقدير، فإذا كنت لم تصومي أمس، ولن تصومي غداً فأفطري.

والحديث لم يحدّد إجابة أم المؤمنين لأنها: معروفة: فهي من المسكوت عنه المعروف وقوعه، فهي قد استجابت: وأفطرت، وهل تخالف أم المؤمنين زوجها الرحمة المهداة محمدًا بن عبدالله، خاتم النبيين، وسيد المرسلين والذي أرسله الله رحمة للعالمين؟؟ عليه الصلاة والسلام.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٦٢).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية الوقائية:

يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وهو العيد الأسبوعي للمسلمين، وفيه فريضة صلاة الجمعة، ولقاء الجمعة، وفيه ساعة إجابة، لا يصادفها مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له[1].

كل هذه الفضائل قد تجعل المسلم يحرص على تخصيصه بصيام نهاره، وقيام ليلته، فجاءت التربية الوقائية في الأحاديث النبوية سدًا للذريعة من أن يلحق بالدين ما ليس فيه، ويوجب التشبه بأهل الكتاب في تخصيص بعض الأيام بالتجرد من الأعمال الدنيوية، ولما كان هذا اليوم ظاهر الفضل على سائر الأيام، كان الداعي إلى صومه قويًا، فهو مظنة تتابع الناس في صومه، واحتفالهم به بما لا يحتفلون بصوم يوم غيره، وفي ذلك إلحاق بالشرع ما ليس منه.

لذا كانت أهمية التربية الوقائية، بالنهي عن تخصيص ليلة الجمعة بالقيام من بين الليالي، لأنها من أفضل الليالي، فهي مظنة تخصيصها بالعبادة، فحسم الشارع الحكيم الذريعة، وسدها بالنهي عن صيام نهاره وقيام ليلته[2].

وقد نهى النبي ﷺ عن تخصيص ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، وتخصيص يوم الجمعة بصيام من بين الأيام فقال: «لاَ تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي. وَلاَ تَخُصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الأَيَّامِ. إِلاَّ أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ». وقال ﷺ: «لا يصومن أحدكم يوم الجمعة....» وغيره من أحاديث الباب التي جاءت لسد ذريعة تخصيص يوم الجمعة بصوم أو ليلته بصلاة، وهذا ما يظهر جليًا أهمية التربية الوقائية التي انتهجتها الأحاديث النبوية، ومدى فاعليتها في هذا الأمر.

---

(١) انظر: الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي، ص٢٣.

(٢) انظر: بهجة الناظرين، سليم الهلالي ٣/٢٣٤.

ثانيًا: من أساليب التربية: السؤال:

السؤال من الأساليب التربوية التي لا يستغنى عنها المربي أو المعلم وقد قيل: إن من لا يحسن الاستجواب كيف، ومتى، وأين لا يحسن التدريس أصلاً[١].

وقد كان رسول الله ﷺ يبادر أصحابه أحيانًا بالسؤال لينبههم إلى ما قد يحتمل أن يقعوا فيه من أخطاء أو ليذكرهم بأمر هام لتأكيده أو ليرفع عنهم الإشكال والحرج أو ليعلمهم أشياء أخرى عن طريق ربطها بأشياء في خبراتهم[٢].

وفي هذا الباب نجد النبي ﷺ يسأل أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها عندما دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ قال: «أصُمْتِ أمْسِ؟ قالَتْ: لاَ، قال: تُرِيدِينَ أنْ تَصُومي غدًا؟ قالَتْ: لاَ، قالَ: فَأفْطِرِي».

فالسؤال من الأساليب المهمة في العملية التربوية والتعليمية، فهو عنصر هام في كل درس، فمن بديهيات التدريس أن يعرف المعلم كيف يوجه الأسئلة، ومتى يوجهها وعن ماذا يسأل، وكيف يصوغ أسئلته بشكل جيد[٣].

كما أن السؤال من الأساليب التي تدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركه من حقائق[٤]، وفي هذا الباب نجد محمد بن عباد يسأل جابرًا رضي الله عنه: «أنهى النبي ﷺ عن صوم يوم الجمعة؟ فقال: نعم».

فأسلوب السؤال يُمَكّن المتعلم من الاستفهام عما لا يدركه من المعلم، ويُمَكّن المعلم من الإجابة والتوجيه الصحيح للمتعلم، فهو أسلوب مفيد في التربية الإسلامية.

۞ ۞ ۞

---

(١) مبادئ التربية العملية، د. عبدالحميد محمد الهاشمي، ط دار الإرشاد، بيروت، ١٩٧٢م، ص٩٣.

(٢) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي حان، ٣٣٧.

(٣) المرجع السابق، ص٣٤٠.

(٤) فلسفة التربية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص٣٣٣.

٣٤٦- باب تحريم الوصال في الصوم

وَهُوَ أنْ يصوم يَومَين أوْ أكثر وَلاَ يأكل وَلاَ يشرب بينهما

الحديث رقم (١٧٦٦)

١٧٦٦- عن أَبي هريرة[١]، وعائشة[٢] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن الوِصَالِ.متفق عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الوصال: الترك في ليالي الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد[٣].

الشرح الأدبي

إن المصطفى ﷺ حريص على أمته، وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم، والعبادة ليست تعذيباً للنفس، ولكنها قربى إلى الله، وسموّ بالنفس، ومقاومة لرغباتها، وأداء للفرائض أداءً مقروناً بالنية الخالصة، والعبودية التامة، وهذا الحديث الموجز يشترك في روايته اثنان من أعلام الصحابة أبو هريرة، وأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والحديث جملة لغوية واحدة: يتصدرها التوكيد "بأن" ثم يتصدر لفظ "النبي ﷺ" كلمات الحديث: إيذاناً بالأهمية، وبأن هذا النهي ليس نَهْياً عاماً، ولكنه صادر من رسول الله ﷺ، والمنهي عنه هو الوصال، فالنهي جازم قاطع، والوصال: المراد منه في هذا الحديث، هو أن يصوم يومين أو أكثر ولا يشرب بينهما، ولم يذكر متعلق الوصال، أو ما يخصه لأن

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣/٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٦٤)، ومسلم (١١٠٥/٦١).

(٣) فتح الباري ٢٣٨/٤.

القرينة تدل عليه، فالحديث السابق، "عن صوم يوم الجمعة"، وكذلك ارتبط "الوصال بالصوم" في الفقه الإسلامي.

والصيام هو الركن الرابع من أركان الإسلام: وهو في أصله اللغوي بمعنى الإمساك عن الحركة: فكل شيء سكنت حركته فقد صام، والخيل الساكنة: خيل صائمة، ومن معانيه المجازية الامتناع، ويقال: صام النهار، وصامت الشمس: أي صارت في كبد السماء: كأنها وقفت في منتصف السماء، وامتنعت عن الحركة وسكنت.

وأما في الشرع فهو الإمساك والامتناع عن الأكل والشرب والجماع في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر، إلى غروب الشمس مع النية.

وقد تطور الصوم من معناه اللغوي وهو السكون والثبات إلى المعنى المجازى وهو الانقطاع عن الأكل والشرب والنكاح، وكذلك انقطاع الجوارح وصومها عن كل ما يغضب الله عز وجل، والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على: حكم الوصال في الصوم.

والوصال: هو صوم يومين فأكثر، بلا فطر بينهما قصداً.

وقد اختلف الفقهاء في حكم الوصال في الصيام على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من الحنفية[1]، والمالكية[2]، والشافعية[3]، ويرون أن الوصال في الصوم مكروه، وليس محرماً.

واستدلوا على ذلك بأن النبي ﷺ واصل بأصحابه، ولو كان حراماً ما

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٧٨/٢، وحاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٤٢٦/١، وتحفة الفقهاء ٣٤٤/١.

(٢) الشرح الكبير للدردير ٢١٣/٢، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٢١٣/٢، والفواكه الدواني ٣٠٥/١.

(٣) الوسيط للغزالي ٥٣٨/٢، وروضة الطالبين ٣٦٨/٢، والمجموع ٣٧٤/٦.

واصل بهم[١].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الظاهرية[٢]، ويرون أن الوصال في الصيام حرام واستدلوا بأحاديث الباب التي تنهى عن الوصال في الصوم، وحمل النهي على ظاهره من التحريم.

ويُنَاقَشُ هذا: بوجود الصارف عن التحريم إلى الكراهة، وهو ما روي أن سبب نهي النبي ﷺ عن الوصال في الصيام هو الإبقاء على أصحابه دون أن يحرمه عليهم[٣].

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الحنابلة[٤]، وبعض المالكية[٥]، وإسحاق وابن المنذر[٦]، ويرون جواز الوصال في الصوم إلى السحر، ويكره الزائد على ذلك.

واستدلوا على ذلك بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لا تواصلوا، فأيكم أراد أن يواصل، فليواصل حتى السحر"[٧]. ولأن مثل هذا الوصال لا يترتب عليه مشقة[٨].

أقول: إن ما ذهب إليه أصحاب هذا الرأي لا يسمى وصالاً حقيقة، لأن حقيقة الوصال أن يصوم يومين فأكثر.

أما عدم الفطر إلى السحر فلا يسمى وصالاً، لذلك فإن هذا الرأي لا يختلف كثيراً عن رأي الجمهور.

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٦٥، ومسلم ١١٠٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: "فلما أبو أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يومًا ثم يوماً، ثم رأوا الهلال فقال: لو تأخر لزدتكم كالتنكيل لهم حين أبو أن ينتهوا.

(٢) المحلى لابن حزم ٢٢/٧.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٣٧٤ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رسولا لله ﷺ نهى عن الحجامة والمواصلة ولم يحرمهما إبقاءً على أصحابه. وصحّح إسناده الحافظ ابن حجر ١٠٩٢/١ ط بيت الأفكار الدولية، شرح الحديث ١٩٦١ وما بعده.

(٤) المبدع ٥٦/٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٥٠/٢، والروض المربع ٤٤١/١، والكافي ٣٦١/١.

(٥) كابن وهب، شرح الزرقاني على الموطأ ٢٤٣/٢.

(٦) الزرقاني على الموطأ ٢٤٣/٢.

(٧) أخرجه البخاري ١٩٦٣.

(٨) الدين الخالص ٢٨٦/٨.

والراجح: هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من القول بالكراهة، لأن الأدلة ناطقة بالكراهة، ولأن من الصحابة من واصل بعد النهي[1] فدل ذلك على أنه للتنزيه لا للتحريم.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على سؤال النبي ﷺ عن وصاله في الصيام.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بيان خصوصية النبي ﷺ في وصاله في الصيام.

رابعاً: من أهداف الدعوة: التيسير وعدم المشقة على الناس.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد النهي فيما روي عن أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى عن الوصال، ورواية ابن عمر "نهى رسول الله ﷺ عن الوصال" وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية النافعة، وذلك لما فيه من التعريف بالمخالفات الشرعية والنهي عنها والتحذير منها، وقد تكرر استعماله كثيراً في القرآن، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3] وقال ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[4].

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على سؤال النبي ﷺ عن وصاله في الصيام:

وذلك واضح فيما جاء في الحديث "قالوا: إنك تواصل" أي ونحن مأمورون

---

(١) انظر: فتح الباري ١٠٩٣/١ ط/ بيت الأفكار، شرح الحديث ١٩٦٤.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٦٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٦٧).

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

(٤) سورة الحجرات، الآيتان: ١، ٢.

باتباعك فيما تفعل[1] وسؤال الصحابي يدل على ما كانوا عليه من حب للمعرفة وسؤال النبي ﷺ عن كل ما يعنُّ لهم حتى يعبدوا الله على بصيرة وبينة من أمرهم، وامتثالاً لمثل أمر الله عز وجل ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] فمن الأمور المستحبة السؤال على وجه التبيين والتعلم عما تمس إليه الحاجة من أمور الدين أو الدنيا، بل قد يكون مأموراً به، وذلك في الأمور التي تتوقف عليها صحة العبادات ونحوها[3]. فلا يليق بمسلم يريد أن يعبد الله على بصيرة، وأن يكون عنده قسط من علم أن يستحي من السؤال، وقد عَدّ الإمام الغزي من آداب المتعلم أن لا يستحي من السؤال عما أشكل عليه، بل يستوضحه أكمل استيضاح، فمن رقَّ وجهه رقَّ علمه، ومن رقَّ وجهه عند السؤال، ظهر نقصه عند اجتماع الرجال[4].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بيان خصوصية النبي ﷺ في وصاله في الصيام:

إن الوصال في الصيام من خصائص رسول الله ﷺ فهو جائز له حرام على أمته، لما فيه من الغلو والمبالغة التي لا يصلح بها حال العباد[5]، وقد جاء في الحديث النهي عن الوصال كما في قول عائشة وابن عمر رضي الله عنهما "نهى رسول الله ﷺ عن الوصال قالوا: إنك تواصل؟ قال: إني لست مثلكم إني أطعم وأسقى" قال الحافظ ابن حجر: (واستدل بهذا على أن الوصال من خصائصه ﷺ، وعلى أن غيره ممنوع منه إلا ما وقع فيه الترخيص من الإذن إلى السحر)[6].

قال ابن عثيمين: (ومعنى الوصال: أن يقرن الإنسان بين يومين في الصيام، فلا يفطر بينهما، والله سبحانه وتعالى حدد الصيام في قوله: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٧٤٠.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٣) الموسوعة الفقهية، /٩٦.

(٤) الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد، بدر الدين بن محمد الغزن ص ١٥١.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٧٩٨.

(٦) فتح الباري ٤/٢٤٠.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ﴾[١].

قال: "ثم أتموا الصيام إلى الليل..." فحد الله ابتداء الصيام وانتهاءه، وقال النبي ﷺ: ((لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر))[٢] هذا هو المشروع، أن الإنسان يبادر بالفطور ولا يتأخر، ولا يحل له أن يواصل بين يومين، لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك، وقال: ((أيكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السَّحر))[٣]، فأذن ﷺ بالمواصلة إلى السحر، يعني وليتسحر في آخر الليل، وبهذا تبين أن للصائم ثلاث حالات:

أ- أن يبادر بالإفطار بعد غروب الشمس، وهذه هي السنة والأفضل والأكمل.

ب- أن يتأخر إلى السحر، وهذا جائز لكنه خلاف الأولى.

ج- ألا يفطر بين يومين، بل يواصل وهذه حرام على ما ذهب إليه المؤلف ، وهذا هو الأقرب؛ لأن النبي ﷺ نهى عن الوصال، فواصلوا رضي الله عنهم ظناً منهم أنه إنما نهى عنه من أجل الرفق بهم والشفقة عليهم، وقالوا: نحن نتحمل؟ فواصلوا، فتركهم، وواصلوا، حتى هلَّ الشهر -شهر شوال- فقال: ((لو تأخر الهلال لزدتكم))[٤] كالمُنْكر لهم، وهذا يدل على التحريم، وذهب بعض العلماء إلى كراهة الوصال دون التحريم؛ لأن العلة هي الرفق بالإنسان، والإنسان أمير نفسه، لكن الأقرب أن الوصال قد نهي النبي ﷺ عنه، ولأن النبي ﷺ واصل بهم يوماً، ويوماً ويوماً حتى رؤي الهلال، وقال: "لو تأخر لزدتكم". والله أعلم)[٥].

وقال النووي: (قال الخطابي وغيره من أصحابنا: الوصال من الخصائص التي أبيحت لرسول الله ﷺ وحرمت على الأمة[٦] فمما سبق يتضح أن من خصائصه ﷺ مواصلة

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٥٧ ، ومسلم ٤٨.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٦٣.

(٤) أخرجه البخاري ١٩٦٥ ، ومسلم ٥٧.

(٥) شرح رياض الصالحين ١٨٠٦/٢ ، ١٨٠٧.

(٦) شرح صحيح مسلم ٨١٢.

الصوم، فيصوم يومين متتالين لا يفطر إلا في نهاية اليوم الثاني، ولم يؤذن لأحد من أمته في ذلك، والوصال من الخصائص التي اختص الله بها رسول الله ﷺ، وذلك لكماله الذاتي والروحي)[1].

رابعاً- من أهداف الدعوة: التيسير وعدم المشقة على الناس:

إن تحريم الوصال في الصيام ونهيه ﷺ عنه "نهى رسول الله ﷺ عن الوصال" من مظاهر تيسير الشريعة الإسلامية وعدم المشقة على الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2] وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[3]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[4] ففي هذه الآية دلالة واضحة على أن الله شرع الأحكام سهلة ميسرة على العباد، فما من عمل من أعمال القلب أو الجوارح إلا وهو في وسع المكلف وفي مقتضى إدراكه[5]. ولقد وصف الله رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[6] فجاءت شريعته ﷺ مبنية على التيسير والسهولة والتخفيف والرحمة، ورفع الحرج والآصار والأغلال، مما يلائم اختلاف الأجيال وحاجات العصور وشتى البقاع[7]. وبذلك تميز الإسلام عن غيره من التشريعات بأنه دين الحنيفية السمحة، وللشرع مقاصد، منها المقاصد العامة، وهي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، ويدخل في المقاصد العامة أوصاف الشريعة "مثل الفطرة والسماحة واليسر" وغايتها العامة "درء المفاسد

---

(١) انظر: هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، أبوبكر جابر الجزائري، ص ٢٨٧.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٤) سورة النساء، آية: ٢٨.

(٥) انظر: مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام، ١٠.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٧) موسوعة نضرة النعيم، ١/٥٠٧.

وجلب المصالح" وقال ﷺ: ((وإن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه))[1]. ومعنى الحديث أن العبادة ميسرة، والمبالغة فيهالا تعني أن المرء يستطيع بلوغ حد الكمال[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩.

(٢) اليسر في القرآن الكريم، رافت كامل عبد السيوري، ٨٩.

الحديث رقم (١٧٦٧)

١٧٦٧- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: نَهَى رسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الوِصَالِ. قالوا: إنَّكَ تُواصِلُ؟ قَالَ: ((إنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى)). متفق عَلَيْهِ[1]. وهذا لفظ البخاري.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن توجيه النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم تتنوع أساليبه، وتتعدد مداخله، وتتشكل طرقه حسب السياق، والموقف، والمناسبة، وهذا الحديث صورة مشرقة، وأسلوب مضيء من أساليب المصطفى ﷺ في إرساء دعائم سنته، ومعالم العقيدة، وأسس العبادة.

ويبدأ الحديث بأسلوب خبري يتمثل في إرساء القاعدة الشرعية وهي أنه "نهى عن الوصال".

ثم فجأة يظهر في أفق الحديث صوت جماعي: وهو صوت بعض الصحابة رضي الله عنهم، "قالوا: إنك تواصل"، وفي هذا الإخبار المواجه لرسول الله ﷺ إيجاز وإيحاء، وهو ليس اعتراضاً من الصحابة رضي الله عنهم، ولكنه رغبة في توضيح الموقف، وتقدير الكلام، إنك تواصل، ونحن مأمورون بالاقتداء بك في ذلك، فكيف لا نواصل؟ ويوضح الموقف رسول الله ﷺ، ويزيل الشبهة، وينير الطريق أمام صحابته رضي الله عنهم والمسلمين جميعاً، ويؤكد أن له خصوصية فقال: "إني لست مثلكم" في هذا الشأن، ثم أعاد التأكيد مرة أخرى، وقال: "إني أطعم وأسقى"، والبناء للمجهول هنا في هذين الفعلين يفيد بأن الذي يطعمه ويسقيه هو ربه جلَّ وعلا، وقيل إن هذا كناية عن جعل القوة فيه: أي أن الله تعالى يجعله في قوة الطاعم والشارب، وفي رواية يأتي الفعلان مبنيان للمعلوم حيث يقول: إني

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٢) واللفظ له، ومسلم (١١٠٢/٥٥).

أبيت يطعمني ربي ويسقيني، والدليل على ذلك أن جسمه ﷺ كان يُرى أشد نضارة من المترفهين بالنعم الدنيا، وكان يتألم من الجوع أحياناً: ولكن كل من رآه لا يظن به جوعاً.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من خصائص التربية الإسلامية: التوازن

تميزت التربية الإسلامية، بالتوازن الذي يجمع بين الشيء ومقابله في اتساق وتناسق، بلا غلو ولا تفريط، من ذلك التوازن بين حق الجسم وحق الروح، فلا حرمان للجسم يصل إلى حد التعذيب كما في البرهمية الهندية، والمانوية الفارسية، والرواقية اليونانية، والرهبانية المسيحية ونحوها، ولا إغفال لأمر الروح كما هو في اليهودية إلى حد كبير في المذاهب المادية التي لم تعترف للروح بوجود فضلاً أن يكون لها حق[1].

والتوازن في القيم الإسلامية جعلها تجمع بين الدنيا والآخرة فلا إفراط ولا تفريط، فلا يطغى الإنسان بما أعطى ويترك الأخرة، ولا يعرض عن الدنيا ويحتقرها ويعيش عيشة الرهبان، بل إن فيه نزعة مادية وروحية، فهو عبارة عن جسم يطلب حقه مما خرج من الأرض من متاع وزينة وعنصر روحي يتمثل في الروح التي تتطلع إلى هداها من السماء.

وقد كان رسول الله ﷺ حريصًا على توجيه أصحابه إلى التوازن المقسط بين دينهم ودنياهم، وبين حظ أنفسهم، وحق ربهم، بين متعة البدن، ونعيم الروح، فإذا رأى في بعضهم غلوًا في جانب قوّمه بالحكمة ورده إلى سواء الصراط[2]. من أجل ذلك التوازن جاء حديث أبي هريرة، وعائشة رضي الله عنهما، «أن النبي ﷺ نهى عن الوصال»

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما حيث قال: «نَهى رسولُ الله ﷺ عنِ الوِصالِ، قالوا: إنكَ تُواصِلُ، قال: إِني لستُ مِثلَكم، إِني أُطْعَمُ وأُسقى».

فالصيام من أفضل العبادات وأقربها إلى الله، ولكن الوصال فيه إفراط في التعبد على حساب الجسم، من أجل ذلك نهى النبي ﷺ عن الوصال في الصيام لإقامة التوازن بين مطالب الدين والدنيا.

---

(١) انظر: مدخل لمعرفة الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص١٠٨، ١٠٩، نقلًا، عن القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع، ص١٦٢، ١٦٣.

(٢) انظر: الخصائص العامة الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص١٤٠- ١٤٤.

ولما رأى النبي ﷺ في بعض أصحابه إفراطًا في التعبد والصيام والقيام على حساب جسمه وأهله، ومجتمعه قال له: «فإِنَّ لجسدكَ عليكَ حقًا، وإِنَّ لعَينِكَ عليكَ حقًا، وإِنَّ لزَوجِكِ عليكَ حقًا، وإِنَّ لزَورِكَ عليكَ حقًا»[1].

وقال للجماعة الذين التزم أحدهم أن يصوم فلا يفطر والتزم الثاني أن يقوم فلا ينام، والتزم الثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج أبدًا. قال لهم: «أَمَا وَاللَّهِ إِني لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لكِني أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِني»[2].

وهكذا تعلم الصحابة رضي الله عنهم أن يوازنوا بين مطالب دنياهم وآخرتهم، وان يعملوا للدنيا كأحسن ما يعمل أهل الدنيا، ويعملوا للآخرة كأحسن ما يعمل أهل الآخرة[3].

ومما سبق يتبين أن التربية الإسلامية تتسم بالتوازن، فهي تربية متوازنة في روحها وتوجيهاتها حيث تعمل على بناء الإنسان المتوازن الموضوعي في أقواله وأفعاله وسلوكياته التي يتعامل من خلالها مع الناس، ولاشك أن التربية المتوازنة تعمل على ترسيخ المبادئ والقيم في حياة المسلم، ولاشك أن التوازن مطلب حياتي للإنسان، لأنه سبب من أسباب الالتزام والمواظبة على الطاعات والسلوكيات الحميدة، ومن ثم فإن التوازن يجنب المسلم الملل والنفور، وهذا أمر تربوي مهم للغاية.

فعلى المربي أن يحرص على بيان أهمية التوازن بين مطالب الجسد والروح، لأن الإنسان عندما ينحرف بطاقة من طاقاته على حساب البقية، فإنه يترتب على ذلك اختلال في الشخصية وجهل بمبادئ الإسلام، وعدم إدراك لأهدافه السامية، وغاياته الإنسانية، ولذا نجد الإسلام يحرص أشد الحرص على تحقيق التوازن ويجعله هدفًا أساسيًا في منهجه[4].

---

(١) أخرجه البخاري، ١٩٧٥، ومسلم، ١١٥٩.

(٢) أخرجه البخاري، ٥٠٦٣.

(٣) انظر: الخصائص العامة الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص١٤٤- ١٤٧.

(٤) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ط٦، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٢هـ، ١/٢٦-٢٩.

إن التربية الإسلامية تحقق توازنًا بين النظرية والتطبيق، وتوازنًا بين الحياة الدنيا والآخرة، وتوازنًا بين أشواق الفرد الروحية وتلبية حاجاته المادية والاجتماعية، وهذا التوازن في التربية الإسلامية يجعلها أقرب ما تكون إلى طبيعة الأشياء، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1].

فالتربية الإسلامية ليست تربية مادية فقط، ولا تربية روحية فقط. مثل بعض التربيات التي تضحي بالجسد لحساب الروح أو التي تهتم بتنمية العقل على حساب الروح، ولكنها مزيج متوازن بين الجوانب الروحية والمادية بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[2].

ومن مظاهر التوازن في الإسلام يأتي حق النفس على الإنسان: أن يروح عنها وأن يعطيها من الراحة والأمن والطمأنينة والغذاء والتسلية والهدوء في حدود ما أباحه الله، والإسلام لا يرضى إرهاق النفس في طلب العبادة[3].

ثانيًا: الحوار الإقناعي:

من أساليب التربية الفعالة أسلوب الإقناع، وقد كان رسول الله ﷺ يحاور في سبيل الإقناع وإقامة الحجة من ذلك حواره ﷺ مع الصحابة عندما نهاهم عن الوصال، فقالوا: إنك تواصل. قال: (إني لست مثلكم، وإني أطعم وأسقى) فهذا الحوار النبوي الذي يبين فيه ﷺ سبب مواصلته ﷺ بأن الله خصه بما لم يخصهم به.

فالحوار الإقناعي في التربية الإسلامية من الوسائل الناجحة لإقناع من يوجه إليهم الحوار، وهو وسيلة ناجحة في التدريس، إذ أنه وسيلة للتعليم والإقناع، وإلزام الخصم بالحجة[4].

۞ ۞ ۞

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٧٦، ٧٧.

(٤) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبدالرحمن النحلاوي، ص١٨٧، ١٨٨.

٣٤٧- باب تحريم الجلوس عَلَى قبر

الحديث رقم (١٧٦٨)

١٧٦٨- عن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**لأنْ يَجْلِسَ أحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ، فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الجمرة: القطعة الملتهبة من النار[2].

الشرح الأدبي

إن للقبور حرمتها في الإسلام، وهذه الحرمة يجب أن تصان، صوناً لكرامة الميت، وحرصاً على طهارة المكان، لأن المارّ على القبور يلقي السلام على أرواح الذين رحلوا إلى الآخرة: قائلاً: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم السابقون ونحن اللاحقون، والقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار.

وأسلوب الحديث الشريف يجنح إلى الترهيب والوعيد الذي ينذر كل من يجلس على القبر لقضاء الحاجة: البول أو الغائط: بالعذاب الشديد.

وهذا العذاب لم يقدمه البيان النبوي تقديماً مباشراً في صورة تقريرية جازمة، ولكنه قدَّمه في إطار فني مشوق يدعو للرهبة والخشية، حيث بدأ الحديث بالمصدر المؤول: وهو قوله "لأن يجلس أحدكم"، والتقدير: جلوس أحدكم، واللام في أول هذه الجملة تشعر بالقسم وكأنه يقول: والله لأن يجلس أحدكم.

---

(١) برقم (٩٦/٩٧١). أورده المنذري في ترغيبه (٥٢٢٧).

(٢) الوسيط في (ج م ر).

ولنتأمل: مكان الجلوس: وهو قوله: "على جَمْرة": وهل يطيق أحد الجلوس على الجمر المشتعل؟ وتداعيات الجلوس وآثاره تتجسد في اكتمال الصورة من خلال قوله: "فتحرق ثيابه فتخلص إلى جسده"، والعطف بالفاء في الجملتين يفيد سرعة حرْق الثياب وحرْق الجلد، واستمرار ذلك.. إن هذه الصورة الرهيبة، وهذا الحدث الجلل حرْق الثياب، وحرْق الجلد، والجلوس على الجَمْر، هي إنذار لكل من تسول له نفسه بانتهاك حرمات الموتى، فكأن الجلوس على القبر والتبول، والتغوط عليه أو بجواره أشد من الجلوس على النار.

ولذلك يأتي تمام الجملة الحديثية ليكشف عن مقصد الحديث في هذا الأسلوب الترهيبي التصويري البليغ: حيث يقول رسول الله ﷺ: خير له من أن يجلس على قبر: والجلوس ليس محرَّماً لذاته، ولكن لما يتسبب عنه من إيذاء وأفعال منكرة محرمة، والله أعلم.

فقه الحديث

ويشتمل هذا الحديث على حكم الجلوس على القبر، وقد سبق بيان هذا الحكم في الحديث رقم (١٧٥٩) من الكتاب، فلا حاجة بنا إلى التكرار.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: عدم الجلوس على القبر.

ثانياً: من أساليب الدعوة: التمثيل.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: عدم الجلوس على القبر:

أكد الإسلام حرمة العرض والكرامة للإنسان، فلا يجوز أن يُؤْذى إنسان في حضرته ولا أن يُهان في غيبته، سواء أكان هذا الإيذاء للجسم بالفعل أم للنفس بالقول، فربما كان جرح القلب بالكلام أشد من جرح الأبدان بالسياط أو السنان، وبذلك حافظ الإسلام على كرامة الإنسان وحماها من الإهانة.

ولم يكتف الإسلام بحماية الإنسان في حالة حياته، فكفل له الاحترام بعد مماته[1].

ومن ألوان الاحترام وأشكاله للميت نهى الإسلام عن الجلوس على قبره، ورهب من ذلك كما جاء في الحديث في قوله ﷺ "لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر".

قال القرطبي: (وقوله: "لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه خيرٌ له من أن يجلس على قبر" اختلف في معناه: فمنهم من حمله على ظاهره من الجلوس، ورأى أنَّ القبر يُحترم كما يحترم المسلم المدفون فيه، فيعامل بالأدب، وبالتسليم عليه، وبغير ذلك. ومنهم من تأوله: على أنه كنايةٌ عن إلقاء الحدث في القبور، وهو تأولُ مالك. ولاشكَّ في أن التخلّي على القبور وبينها ممنوعٌ، إما بهذا الحديث، وإما بغيره، لحديث الملاعن الثلاث، فإنه مجلسُ الزائر للقبر، فهو في معنى التخلّي في الظلال، والطرق، والشجر المثمر، وغير ذلك، ولأن ذلك استهانةٌ بالميت المسلم، وأذى لأوليائه الأحياء[2].

قال النووي: (قال أصحابنا: القعود على القبر حرام وكذا الاستناد إليه والاتكاء عليه[3] وذلك لما فيه من انتهاك حرمة الميت[4] والاستخفاف بحق أخيه المسلم[5]. ولبيان مدى حرمة القبر ومدى إثمه والترهيب من ذلك، قال النبي ﷺ "لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على القبر". إذ أن القبر محترم شرعاً توقيراً للميت[6].

قال ابن عثيمين: (وهذا يدل على التحريم، وأنه لا يجوز للإنسان أن يجلس على قبر

---

(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ٨٧.

(٢) المفهم ٦٢٧/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم ٦١٨.

(٤) دليل الفالحين، الإمام ابن علان، ص ١٧٤١.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٢٨١/٢.

(٦) الموسوعة الفقهية ٢٤٥/٣٢.

مسلم، وإذا أراد أن يجلس فيجلس من وراء القبر، يجعل القبر خلف ظهره أو عن يمينه أو عن شماله، وأما أن يجلس عليه فهذا حرام)[١].

ثانياً- من أساليب الدعوة: التمثيل:

ورد ذلك في بيانه ﷺ لمدى إثم الجلوس على القبر وامتهان حرمته، وأن الجلوس على جمر من نار خير من ذلك فقال ﷺ "لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر" فجعل الجلوس على القبر وسراية مضرته إلى قلبه -وهو لا يشعر- بمنزلة سراية النار من الثوب إلى الجلد ثم إلى داخله[٢]. وفي ذلك ضرب للمثل، وذلك تقريباً إلى الأفهام، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية، أو الغيبية[٣]، ولقد كان رسول الله ﷺ يستعين على توضيح المواعظ بضرب المثل، مما يشاهده الناس بأم أعينهم، ويقع تحت حواسهم، وفي متناول أيديهم، ليكون وقع الموعظة في النفس أشد، وفي الذهن أرسخ)[٤]، ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ ((مَثَلُ المؤمنِ الذي يَقرأ القرآن كالأترُجةِ ريحُها طيبٌ وطعمُها طيبٌ، والذي لا يقرأ كالتَمرةِ طعمُها طيبٌ لا رِيحَ لها، ومثَلَ الفاجِرِ الذي يَقرأُ القرآنَ كمثل الرَّيحانةِ رِيحُها طيبٌ وطعمُها مُرٌّ، ومَثَلُ الفاجِرِ الذي لا يَقرأ القرآنَ كمَثَلِ الحَنْظَلَةِ طعمُها مُرٌّ ولا ريحَ لها))[٥].

إن الأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس، الذي يلمسه الناس، فتقبله العقول، لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن، إلا إذا صيغت في صورة حية قريبة الفهم، وتكشف الأمثال عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض الحاضر، وتجمع الأمثال المعنى الرائع في عبارة موجزة. ويضرب المثل للترغيب في الممثل به حين يكون مما ترغب

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٨٠٧/٢.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣٨١/٣.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، احمد فريد، ص ٣٣١.

(٤) التربية النبوية، عثمان قدري مكانسي، ص ٢٢٣، ٢٢٤.

(٥) أخرجه البخاري ٥٠٢٠، ومسلم ٧٩٧.

فيه النفوس، ويضرب المثل للتنفير حينما يكون الممثل به، مما تكرهه النفوس، ويضرب المثل لمدح الممثل به، ويضرب المثل حين يكون المُمَثَّلُ به فيه صفة يستحقها الناس[1]. أو تصوير المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبت في الأذهان، لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد.

ومنها: إن للأمثال قدرة على الاستحواذ على المشاعر، وإيقاظ النفوس، وتجديد نشاطها، فالإنسان يميل بطبيعته إلى الاستشهاد بالأمثال، لما يرى فيها من جمال حكمتها، ولطافة لفظها، وإصابتها المعنى[2].

ومنها: إن الأمثال وسيلة من وسائل الإقناع، فإن المورد للمثل، إنما هو في الحقيقة يقيس الأمر الذي يدعيه على أمر معروف ومسلم به عند من يخاطبه، ومن ثم لزم التسوية بينهما في الحكم.

وقد استعمل رسول الله ﷺ المثل وسيلة من وسائل التربية بنواحيها المختلفة: الروحية والخلقية والاجتماعية والجسدية والعلمية والإيمانية والنفسية[3].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

لقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترهيبه ﷺ من الجلوس على القبر وبيَّن ﷺ أن الجلوس على الجمر خير من ذلك، والترهيب يعد من الأساليب الدعوية الناجعة في تخويف المدعو وحمله على الامتثال لأمر الله ورسوله ﷺ، فهو يساعد الداعية على أن يتوغل في أعماق المدعو فيحمله على ترك ما رهب منه، (وعلى الداعية أن يكون حكيماً في أداء هذا الأسلوب، فلا يجعل حديثه كله ترهيباً...، بل يناوب بينه وبين الترغيب، حتى لا يطغى جانب القنوط على جانب التمني والرجاء)[4].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص ٣٤٢.

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً، د. عبدالغني محمد، ص ٢٩٩.

(٣) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص ٤٢٤.

(٤) الدعوة الإسلامية، محمد خير رمضان يوسف، ١٠١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على احترام القبر:

تهدف التربية الإسلامية إلى احترام الإنسان حيًا وميتًا، ومن احترام الإنسان ميتًا احترام قبره فلا يجلس عليه أو يوطأ بالنعال.

وقد كان من هدي رسولنا الكريم ﷺ أن لا تهان القبور وتوطأ، وألا يُجلس عليها[١].

لذلك قال ﷺ: «لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَىٰ جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَىٰ قَبْرٍ».

ومما يدل على احترام القبر نهي رسول الله ﷺ عن المشي في الحذاء بين القبور، فعن بَشِيرٍ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ زَحْمُ بنُ مَعْبَدٍ، فَهَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا اسْمُكَ؟ فقالَ زَحْمٌ، قالَ: بَلْ أَنْتَ بَشِيرٌ قال: «بَيْنَمَا أَنَا أُمَاشِي رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فقالَ: لَقَدْ سَبَقَ هؤُلاَءِ خَيْرًا كَثِيرًا ثَلاَثًا، ثُمَّ مَرَّ بِقُبُورِ الْمُسْلِمِينَ فقالَ: لَقَدْ أَدْرَكَ هؤُلاءِ خَيْرًا كَثِيرًا، ثُمَّ حَانَتْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَظْرَةٌ فَإِذَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي الْقُبُورِ عَلَيْهِ نَعْلاَنِ، فقالَ يَا صَاحِبَ السِّبْتِيَّتَيْنِ[٢]: وَيْحَكَ أَلْقِ سِبْتِيَّتَيْكَ، فَنَظَرَ الرَّجُلُ، فَلَمَّا عَرَفَ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَلَعَهُمَا فَرَمَى بِهِمَا»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ»[٤].

ومن تدبر نهي النبي ﷺ عن الجلوس على القبر، والاتكاء عليه، والوطء عليه علم أن النهي إنما كان احترامًا لسكانها أن يوطأ بالنعال فوق رؤوسهم، ولهذا ينهي

---

(١) زاد المعاد، ابن القيم، ١/٥٢٦.

(٢) السبت بالكسر؛ جلود البقر المدبوغة بالقرظ يتخذ منها النعال....، وإنما أمره بالخلع احترامًا للمقابر، لأنه كان يمشي بينها وقيل: لأنها بها قذر، أو لاختياله في مشيه، النهاية في غريب الحديث، ص٤١٢.

(٣) أخرجه أبو داود، ٣٢٣٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي دواد، ٢٧٦٧).

(٤) أخرجه البخاري، ١٣٧٤، ومسلم، ٢٨٧٠.

عن التغوط بين القبور، وأخبر النبي ﷺ أن الجلوس على الجمر حتى تحرق الثياب خير من الجلوس على القبر.

ومعلوم أن هذا أخف من المشي بين القبور بالنعال. وبالجملة: فاحترام الميت في قبره بمنزلة احترامه في داره التي كان يسكنها في الدنيا فإن القبر قد صار داره.

ومما يؤكد أهمية احترام الميت قوله ﷺ: «كَسْرُ عَظْمِ المَيِّتِ كَكَسْرِهِ حَيًّا»[1]. فدل على أن احترامه في قبره كاحترامه في داره، والقبور هي ديار الموتى، ومنازلهم، وعليها تنزل الرحمة من ربهم، فكيف يستبعد أن يكون من محاسن الشريعة: إكرام هذه المنازل عن وطئها بالنعال واحترامها؟ بل هذا من تمام محاسنها، وشاهده ما ذكرناه من وطئها، والجلوس عليها والاتكاء عليها[2].

ثانيًا: التربية بالترهيب:

الترهيب من الأساليب التربوية التي لا يستغنى عنها المربي في أي زمان ومكان، لأنه يستند إلى ما فطر الله عليه الإنسان من الرهبة من الألم والشقاء وسوء المصير، فهو وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على القيام بسلوك غير مرغوب فيه[3].

وقد رهب رسول الله ﷺ من الجلوس على القبر فقال: «لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَىٰ جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَىٰ قَبْرٍ». وفي ذلك ترهيب شديد لمن يجلس على القبور.

وأسلوب الترهيب من أساليب التربية المهمة فهو يؤدي دورًا مهمًا في سلوك الأبناء خاصة إذا أُحسن استخدامه، وإذا أدرك الأبناء من خلال هذا الأسلوب النتائج التي يمكن أن تترتب على سلوكهم غير المقبول[4].

۞ ۞ ۞

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٢٠٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود، ٢٧٤٦).

(٢) انظر: جامع الفقه "موسوعة الأعمال الكاملة للإمام ابن القيم"، جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه، يسري السيد محمد، ٢/٥٠٥-٥٠٧.

(٣) أصول التربية الإسلامية/محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٤.

(٤) المرجع السابق، ص٨٥.



فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة
٣٤٠-باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة	٥٠٧
الحديث رقم (١٧٥٦)	٥٠٧
٣٤١-باب كراهة الالتفات في الصلاة لغير عذر	٥١٦
الحديث رقم (١٧٥٧)	٥١٦
الحديث رقم (١٧٥٨)	٥٢٦
٣٤٢-باب تحريم صوم المرأة وزوجها حاضر إلا بإذنه	٥٣١
الحديث رقم (١٧٥٩)	٥٣١
٣٤٣-باب تحريم المرور بين يدي المصلي	٥٤٠
الحديث رقم (١٧٦٠)	
٣٤٤-باب كراهة شروع المأموم في نافلة بعد شروع المؤذن في إقامة الصلاة سواء كانت النافلة سنة تلك الصلاة أو غيرها	٥٥١
الحديث رقم (١٧٦١)	٥٥١
٣٤٥-باب كراهة تخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلته بصلاة من بين الليالي	٥٦٠
الحديث رقم (١٧٦٢)	٥٦٠
الحديث رقم (١٧٦٣)	٥٧٠
الحديث رقم (١٧٦٤)	٥٧١
الحديث رقم (١٧٦٥)	٥٧٢
٣٤٦-باب تحريم الوصال في الصوم وهو أن يصوم يومين أو أكثر ولا يأكل ولا يشرب بينهما	٥٧٦
الحديث رقم (١٧٦٦)	٥٧٦
الحديث رقم (١٧٦٧)	٥٨٤
٣٣٥-باب تحريم الجلوس عَلَى قبر	٥٨٩
الحديث رقم (١٧٦٨)	٥٨٩
فهرس المحتويات	٥٩٧